موسوعة العقيدة

[٣]

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

المجلد الثالث


بسم الله الرحمن الرحيم



خاتم الأولياء

يراجع مصطلح (الولي).

خاتَم النبيِّين ﷺ

التعريف لغة:

الخاتِم: بكسر التاء: اسم فاعل من الفِعل الثلاثي (ختم)؛ بمعنى: آخر الشيء، وبفتحها: ما يُختَم به، ويُقال له: الخاتِم والخاتام والخَيتام والخِيتام والخَتَم والخاتيام، والجمع: خواتِم وخواتيم. والخاء والتاء والميم أصلٌ واحدٌ؛ وهو: بلوغ آخر الشيء، يُقال: ختمت العملَ، وختم القارئ السورةَ، والخَتْم: الطبع على الشيء، وهو لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز[1].

النبيِّين: جمع نبيّ ونبيء؛ وهو: المُخبِر عن الله ﷿؛ مأخوذ من (النَّبأ)؛ أي: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله ﷻ؛ فهو فعيل بمعنى مفعول. وقيل: بل مأخوذ من (النَّبْوة)؛ أي: الارتفاع؛ كأنه مُفضَّل على الناس برَفع منزلته. والاسم: النُّبُوَّة[2].

التعريف شرعًا:

المراد بمسألة خاتم النبيين (ختم النبوة): «انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه ﷺ بها في هذه النشأة»[3]؛ «فلا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته ﷺ»[4].

وبعبارة مختصرة: «انتهاء إنباء الله للناس، وانقطاع وحي السماء»[5].

سبب التسمية:

سُمي نبيُّنا محمد ﷺ بخاتم النبيين؛ لأنه ختمهم وختموا به؛ أي: جاء آخرهم؛ فقد ختم الله تعالى به النبوة؛ فلا نبي بعده.

---

(١) انظر: الصحاح (٥/١٩٠٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢/٢٤٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٤٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: الصحاح (١/٧٤، ٦/٢٥٠٠)، ومقاييس اللغة (٥/٣٨٤)، والقاموس المحيط (٦٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢٢/٣٤) [إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٧٧) [المكتب الإسلامي، بيروت].

(٥) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد بن سعد الغامدي (١٦) [دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ].

أو: تشبيهًا له ﷺ بالخاتم الذي يختم به المكتوب؛ فهو كالخاتم والطابع لهم، فكأنه طبع على النبوة فلا تفتح لأحد بعده، أو كأن ظهوره ﷺ كان غلقًا لها[(١)].

الأسماء الأخرى:

خاتم النبيين هو: نبيّنا محمد ﷺ، والخاتم، والعاقب.

الحقيقة:

حقيقة الإيمان بختم النبوة بنبيِّنا محمد ﷺ أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن من خصائص نبيِّنا محمد ﷺ التي انفرد بها عمن قبله من الأنبياء ـ مما هو معلوم بالنقل المتواتر من دين الإسلام بالضروة ـ: أنه خاتم النبيين والمرسلين، ورسول ربِّ العالمين إلى جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيتهم، زهادهم وغير زهادهم، الأولياء منهم وغيرهم؛ فبه أكمل الله الدين، وأتم علينا به النعمة، ونسخ به جميع الشرائع السابقة؛ فرسالته ﷺ كافية شافية عامة، لا تحوج إلى سواها، وهو ﷺ ـ بفضل ربه تعالى ـ لم يحوج أمته إلى أحد من بعده؛ وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به.

فلا نبي ولا رسول معه ولا بعده، وكل دعوى للنبوة بعده، أو ادعاء نزول الوحي على غيره بعده ـ وإن لم يدع النبوة ـ؛ فهي كذب وإفك وضلال وافتراء، يكفر صاحبها، ويقتل إن أصرّ عليها. وكذا من جحد ختمه ﷺ للنبوة، ولو كان مقرًّا بأنه ﷺ رسول الله لجميع الثقلين.

ويعتقد المسلم أيضًا: أنه لا يسع أحدًا من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة، باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه، فلو أدركه الأنبياء عليهم السلام ما وسعهم إلا اتباعه؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يُتعبد الله تعالى بغير ما جاء به ﷺ، فمن ابتغى غير دينه وشرعه دينًا وشرعًا فلن يقبل منه، ومن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به ـ بحجة اتباع غيره من الأنبياء عليهم السلام ـ فهو من أصحاب النار، وكذا من سوَّغ اتباع شريعة غير شريعته ﷺ فهو كافر بالإجماع.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٨٤٤) [طبعة جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (٦/ ٣٥٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (١٤/ ١٩٥) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٧٦) [دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني (٢٢/ ٣٤)، وتحفة الأحوذي (٩/ ٥١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ]، والتحرير والتنوير (٢٢/ ٤٧) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م].

فشرعه ﷺ باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة؛ ولذا فهو ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة[1].

الأدلة:

دلَّ على هذا المعتقد: الكتاب، والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الأمة:

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب]؛ وهي نص صريح في الدلالة على ختم النبوة بنبيِّنا محمد ﷺ، والرسالة بطريق الأولى والأحرى؛ فلا نبي بعده ولا رسول، سواء على قراءة الفتح أو الكسر للتاء في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ﴾. وقوله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، **ووجه الدلالة من الآية**: أن الله تعالى امتن على هذه الأمة وأتم عليها النعمة بإكمال الدين؛ «فهذه أكبر نِعَم الله ﷻ على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم؛ فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيِّهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن؛ فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف»[2].

وأما من السُّنَّة: فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟**

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٢٥) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط٢، ١٤٢٨هـ]، والشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٣٤، ٤/ ٢٠٤، ١٢/ ٤٩٦، ٢٧/ ٥٩، ٢٨/ ٥٢٤، ٣٤/ ٢٠٧)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٤٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٢٧٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]، وإعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٣٧٥) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وتفسير ابن كثير (١/ ٥، ٢/ ٢٦، ٣/ ٤٨٩، ٦/ ٤٢٨) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٥٦، ١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط٩]، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٩، ٢٧٧) [المكتب الإسلامي]، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ٢٧٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ]، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٢/ ٦٤٥) [المكتب الإسلامي، ط٢]، وروح المعاني (٢٢/ ٣٤، ٤١)، ومعارج القبول (٣/ ١١١٥) [دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ]، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٤٥)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٧) وما بعدها، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/ ١٨٦) [طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط٢، ١٤١٢هـ]، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبو زيد (٨٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)، بتصرف يسير.

قال: **فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»**[١]، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**فأنا موضع اللبنة؛ جئت فختمت الأنبياء**»[٢].

وفي «صحيح مسلم»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلت على الأنبياء بست**»، فذكر منها: «**وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيُّون**»[٣].

وثبت في «الصحيحين» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب: الذي ليس بعده نبي**»، وفي رواية لمسلم: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**»[٤].

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...**» الحديث[٥].

وثبت في حديث ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «... **وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين؛ لا نبي بعدي**»[٦]. والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة[٧] على أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول ربِّ العالمين إلى جميع الثقلين، وعرف ذلك بين الصحابة معرفة ضرورية يقينية، وتواتر بينهم، وفي الأجيال من بعدهم؛ ولذلك أجمعوا على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يترددوا في تكفير مسيلمة والأسود العنسي. فصارت هذه العقيدة معلومة من الدين بالضرورة، فمن أنكر ختم النبوة به ﷺ فهو كافر خارج عن الإسلام بالإجماع، ولو كان مقرًّا بأن محمدًا ﷺ رسول الله للناس كلهم. وهذا مبثوث

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٧).
وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٤)، دون هذه الزيادة.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن، رقم ٤٢٥٢)، والترمذي (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٢١٩) وصحَّحه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥٢)، وأحمد في مسنده (٣٧/ ١١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٥٢) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٦٧ و١٧٣) [دار الكتب العلمية]، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٢٥)، والشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧١)، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٤١)، والتحرير والتنوير (٢٢/ ٤٥).

متكاثر في كلام الأئمة وكتب العقائد قديمًا وحديثًا، والحمد لله.

وأيضًا من الأدلة على ختم النبوة به ﷺ: أدلة عموم رسالته إلى جميع الثقلين؛ فهذا العموم مستلزم لكونه خاتم النبيين، وكونه خاتم النبيين مستلزم لعموم رسالته.

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «وإن محمدًا عبده المصطفى، ونبيّه المجتبى، ورسوله المرتضى، وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء»[(١)].

وقال ابن تيمية: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله ﷺ إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيتهم، زهادهم وغير زهادهم... وهو خاتم الرسل؛ ليس بعده نبي ينتظر ولا كتاب يرتقب؛ بل هو آخر الأنبياء، والكتاب الذي أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. فمن اعتقد أن لأحد من جميع الخلق ـ علمائهم وعبادهم وملوكهم ـ خروجًا عن اتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة؛ فهو كافر»[(٢)].

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب]؛ كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فهذه الآية نصٌّ في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة... فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلوات الله وسلامه عليه إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السُّنَّة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ[(٣)]، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات[(٤)]! فكلها محال وضلال عند أولي الألباب»[(٥)].

---

(١) العقيدة الطحاوية (١٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٥٩).

(٣) **تخرق الكذب**: اختلقه وابتدعه. **وشعبذ** ـ مثل: شعوذ ـ: ما يريه لغيره مما ليس له حقيقة كالسحر.

(٤) **النيرجيات**: ما يلبسه المشعوذ ونحوه على غيره مما يشبه السحر.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨ ـ ٤٣٠).

۞ **المسائل المتعلقة:**

ـ **المسألة الأولى: استشكال بعضهم اختصاصه ﷺ بختم النبوة والرسالة به دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، بما تواتر من نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض آخر الزمان؛ فهذا يوهم أنه هو آخر الأنبياء وخاتمهم لا نبيُّنا محمد ﷺ:**

وأجيب عن ذلك[1]: بأنه لا إشكال في ذلك؛ فعيسى عليه السلام إنما كان نبيًّا قبل تحلي نبيِّنا ﷺ بالنبوة في هذه النشأة، وهو حين ينزل يكون باقيًا على نبوته السابقة لا يعزل عنها، لا أنه يوحى إليه بعد وفاة النبي ﷺ، وختم النبوة معناه ـ كما سبق ـ: أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته ﷺ، ولا يتصف بذلك أحد بعده، وعيسى عليه السلام إنما نبئ وأرسل قبله ﷺ لا بعده؛ فظهر أنه لا منافاة ولا إشكال، والحمد لله.

ثم إن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد الله بشريعة نبيِّنا محمد ﷺ ـ أصولًا وفروعًا ـ لا بشريعته المتقدمة المنسوخة، ويكون خليفة لرسول الله ﷺ وحاكمًا من حكام ملته بين أمته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله؛ فيحكم بالقرآن، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ولا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام؛ وكل هذا إقرار وتأييد منه بختم النبوة بنبيِّنا محمد ﷺ، والحمد لله.

ـ **المسألة الثانية: ما ذكره بعض أهل السير من احتمال اختصاص نبيِّنا ﷺ بخاتم النبوة بين كتفيه دون إخوانه من الأنبياء عليهم السلام:**

وذكر أهل العلم في الحكمة من ذلك ذلك عدة معان؛ منها: الإشارة إلى أنه خاتم النبيين، وليس هذا لأحد غيره، ولأن باب النبوة ختم به فلا يفتح بعده أبدًا، وقيل غير ذلك[2]. والله أعلم.

ـ **المسألة الثالثة: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟**

الصحيح: أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه؛ وفي هذا استدلال أيضًا لختم النبوة بنبيِّنا ﷺ؛ فشرعه هو المهيمن والناسخ لشرع من قبله؛ فما نسخه شرعنا أو جاء بخلافه فلا يعمل به ولا يصح أن يكون معارضًا لشرعنا، وما وافقه كان صحيحًا معمولًا به، وما كان مسكوتًا عنه في شريعتنا فالصحيح: أنه شرع لنا؛ لقول الله تعالى ـ بعد أن ذكر مجموعة من أنبيائه ورسله عليهم السلام ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٧)، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٣٤).

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٧٨) [دار النصر للطباعة، مصر، ١٣٨٧هـ]، وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (٢/ ٤٩، ٥٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٠).

﴿قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، وغير ذلك من الأدلة المبسوطة في مظانها من كتب أصول الفقه.

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بختمه ﷺ للنبوة: استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة، وهذا له أكبر الأثر في قوة إيمانها، وصدق اليقين بوعد ربها تعالى، ورسوخ القدم في الثبات على الدين وأحكام الشرع؛ كما امتن الله تعالى علينا بهذا في قوله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن الثمرات أيضًا: القطع بتكذيب كل دعوى للنبوة بعده ﷺ دون نظر أو تأمل، وفي هذا عصمة للأمة المحمدية من اتباع الدجالين الكذابين المتنبئين.

ومن الثمرات أيضًا: إبراز فضل هذه الأمة المحمدية على غيرها من الأمم السابقة، وفضل علمائها وأمرائها وخلفائها ـ الذين يسوسون الناس بالشرع ـ في حفظ أمر الدين والدنيا؛ فبهم حفظ الله الدين، وجدد معالمه، ونفى عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. بخلاف بني إسرائيل؛ فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام[(١)].

ومن الثمرات أيضًا: اعتقاد فضل النبي ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم السلام، والتنويه بفضله وشرفه وكرامته على ربه ﷻ، وكمال رسالته وشرعه ودعوته.

الحكمة:

تقدم تقرير أن عموم الرسالة المحمدية إلى جميع الثقلين هو من خصائص نبيِّنا محمد ﷺ التي انفرد بها عمن قبله من الأنبياء عليهم السلام، وأنه ﷺ أتى بشريعة ورسالة كافية شافية عامة، لا تحوج إلى سواها، وهو ﷺ ـ بفضل ربه تعالى ـ لم يحوج أمته إلى أحد من بعده؛ وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به؛ فكان من لوازم هذا العموم (عمومه بالنسبة إلى المرسل إليهم، وعمومه بالنسبة إلى كل ما يحتاج العباد إليه في أصول الدين وفروعه) أن يكون ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله، وأن يكون كتابه ـ القرآن الكريم ـ هو خاتم كتب الله المنزلة، ومهيمنًا عليها وناسخًا لها، وجامعًا لأصولها ومحاسنها، وباقيًا وخالدًا إلى قيام الساعة؛ ومن هنا ظهرت المناسبة في كونه ﷺ خاتم النبيين دون غيره من الرسل، الذين كانت رسالتهم مؤقتة لأقوام معينين في أزمنة خاصة، ولم تكن عامة لمن بعدهم. والله أعلم.

---

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء (١٨٣) [مجمع الملك فهد، ط١، ١٤٢١هـ].

مذهب المخالفين:

ادعى النبوة من زعماء الفرق الحديثة الباطنية كل من: الباب (واسمه: السيد علي محمد) زعيم البابية، وبهاء الله (واسمه: ميرزا حسين علي) زعيم البهائية، و(غلام أحمد بن غلام مرتضي القادياني) زعيم القاديانية (الأحمدية)[1]!

وزعم الغرابية ـ من غلاة الشيعة ـ أن القرآن والوحي حق لعليٍّ، وأخطأ جبريل عليه السلام وأعطاه لمحمد ﷺ؛ لشدة شبه علي به كما يشبه الغراب الغراب! ومثلهم الباطنية؛ الذين يزعمون أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن سلمان الفارسي![2].

وأثبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية نزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ على فاطمة وأئمتهم، وكلام الملائكة لهم بهذا الوحي، وقيام الأئمة مقام النبي ﷺ في النبوة والحجة[3]؛ بل تجرأ غلاتهم على ما هو أعظم من هذا؛ فنصَّ بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل[4]! وهذا في حقيته قدح وخدش في عقيدة ختم النبوة واختصاص نبيِّنا ﷺ بها، فضلًا عن كونه كفرًا بالإجماع لا يمتري فيه أحد[5].

وجوَّز الفلاسفة وغلاة الصوفية إمكان تحقق النبوة لأنفسهم، واكتسابهم لها بصفاء القلب ونقاء السريرة؛ فادعى ابن عربي ـ بعد ادعائه إثبات النبوة العامة ـ نزول الوحي عليه خاصة، وأنه خاتم

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٥)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (٢٠١ ـ ٢٧٠).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٣٤٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ]، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٥٩) [مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٨هـ]، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب (٣٠٣) [عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٧٦، ٢٧١، ٢٤٠) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ١٥٥، ٢٦/ ٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/ ٢٣٧) [دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وبصائر الدرجات الكبرى لمحمد الصفار (٤٣، ٩٣) [طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣١٠، ٢/ ٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٤٣).

(٤) انظر: بصائر الدرجات الكبرى (٥/ ٢٤٧) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي، قم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (١/ ٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [الحركة الإسلامية بإيران، ومطبعة الخليج بالكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٦١٣).

(٥) راجع: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٨)، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الصفا، مكة، ١٤٠٢هـ].

الأولياء، وأن الرسل لا يقتبسون علمهم إلا من مشكاته[(١)]!

وقد تجرأ الزنادقة والملاحدة من جهلة المتفلسفة والمتصوفة والباطنية على ما هو أعظم من هذا؛ فذهبوا إلى أن الولي قد يكون أفضل وأعلم من النبي، وأنه يسعه الخروج عن شريعة نبي زمانه، وأنه يعلم الغيب، وأن أتباعه وأشياخهم لهم طرق باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع؛ كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى[(٢)]! وهذا القول ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام؛ بل هو زندقة وكفر؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع؛ فأحكام الله تعالى لا تعلم إلا بوساطة الرسل، فمن قال هذا القول فقد أثبت لنفسه خاصية النبوة؛ فهو في حقيقته قول بإثبات أنبياء بعد نبيِّنا ﷺ ـ الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله؛ فلا نبي بعده ولا رسول ـ؛ فهذا القول خروج عن عقيدة ختم النبوة المعلومة من الدين بالضرورة.

والأولياء عند بعض غلاة الصوفية يتفاضلون؛ فأفضلهم خاتم الأولياء، وهو عندهم أفضل من خاتم الأنبياء! وقدم هؤلاء بعض أوليائهم في المنزلة على منزلة الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم منهم[(٣)]! فذهبوا إلى تقسيم مقامات الأولياء إلى أربعة مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)[(٤)]! فمقام بعض الأولياء عند هؤلاء الغلاة يكون فوق مقام أولي العزم من الرسل، فضلًا عن مقام النبوة والرسالة! فالله المستعان، وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ومن الحركات المعاصرة المناقضة لعقيدة ختم النبوة: الحركات الداعية إلى

---

(١) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (٤٨، ٦٢، ٦٣) [دار الكتاب العربي]، والشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: عقيدة ختم النبوة للغامدي (١٥٦).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (١٦١) [دار الكتب الحديث، مصر]، والفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ١٨٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م]، والجواهر والدرر للشعراني (١٧٥، ٢٦٠) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، ودرر الغواص له (٨١) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، والطبقات الكبرى له (٢/ ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠) [دار الفكر، بيروت]، وجواهر المعاني لعلي حرازم برادة (١/ ٢٤٦) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣م].

(٣) انظر للتفصيل: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (١/ ٧٩) [دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد الشظيفي (١٨٩) [دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (٥) [المطبعة الوهبية، طرابلس، ١٣٩٨هـ]، والفتوحات الإلٰهية لابن عجيبة (٢٦٤) [عالم الفكر، القاهرة، ١٩٨٣م].

وحدة الأديان الثلاثة (الإسلام، واليهودية، والنصرانية)، ووحدة الكتب السماوية، وفكرة طبع (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل) في غلاف واحد[(١)]!

زيادة على أن هذه الحركات والدعاوى مناقضة لاعتقاد تحريف الكتب السماوية.

وكل ما سبق خروج عن عقيدة ختم النبوة، المتواترة تواترًا قطعيًّا، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة، وفساد هذه الأقوال والمعتقدات، وظهور كفر أصحابها يغني عن تكلف الرد عليها، وفيما تقدم كفاية في الرد عليهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «المحرر الوجيز» (ج٧)، لابن عطية.

٢ ـ «الشفا» (ج٢)، للقاضي عياض.

٣ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢، ٤، ١٢، ٢٧، ٢٨، ٣٤)، لابن تيمية.

٤ ـ «الجواب الصحيح» (ج٥)، لابن تيمية.

٥ ـ «الفتاوى الكبرى» (ج٣)، لابن تيمية.

٦ ـ «إعلام الموقعين» (ج٤)، لابن القيِّم.

٧ ـ «تفسير ابن كثير» (ج١، ٢، ٣، ٦).

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.

٩ ـ «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.

١٠ ـ «المواهب اللدنية» (ج٢)، للقسطلاني.

١١ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.

١٢ ـ «روح المعاني» (ج٢٢)، للألوسي.

١٣ ـ «معارج القبول» (ج٣)، لحافظ الحكمي.

١٤ ـ «التحرير والتنوير» (ج٢٢)، للطاهر بن عاشور.

١٥ ـ «عقيدة ختم النبوة»، لأحمد الغامدي.

١٦ ـ «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» (ج٢)، للفوزان.

١٧ ـ «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبو زيد.

خازن الجنة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء والزاء والنون أصل يدل على صيانة الشيء»[(٢)].

(١) انظر تفصيل هذه المؤامرات والرد العلمي عليها في كتاب: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله.

(٢) مقاييس اللغة (٢/١٧٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

والخزن: حفظ الشيء، ويعبر به عن كل حفظ، كحفظ السر ونحوه، والخازن: الحافظ للشيء، والأمين عليه، والحارس له[(١)].

التعريف شرعًا:

الملك المؤتمن على الجنة والحافظ لها بأمر الله تعالى[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي ظاهرة فلا شك في أن خزنة الجنة حفاظ وأمناء على ما أئتمنهم الله عليه.

سبب التسمية:

سمي خازن الجنة بهذا الاسم لما في هذا الاسم من دلالة واضحة على العمل الذي يقوم به بأمر الله، فهو حافظ للجنة، ومؤتمن عليها بأمر الله ﷻ.

الأسماء الأخرى:

المشهور عند العلماء أن اسم خازن الجنة: رضوان، وجاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها نظر[(٣)]، والله أعلم.

الحكم:

يجب الإيمان بخازن الجنة كما ورد به النص. أيضًا فإن الإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

المنزلة:

الإيمان بخازن الجنة يدخل في الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت. لا أفتح لأحد قبلك»**[(٤)].

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢٨٠) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٣/١٣٩) [دار صادر].

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/٢٢١) [عالم الفوائد، ط٢، ١٤٣٢هـ].

(٣) روي ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البيهقي في شعب الإيمان (٦/٢٤٧، رقم ٣٤٢١) [وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٩هـ]، وسنده ضعيف جدًّا.
وفي حديث أنس عند الدارقطني في الرؤية (١٧٩) [مكتبة المنار، ط١، ١٤١١هـ]، وهو حديث منكر لا أصل له.
قال محقق كتاب حادي الأرواح (١/٢٢٢ الحاشية): «وفي الباب أحاديث عن أُبي بن كعب، وعن أبي سعيد الخدري، وعائشة. ولا يصح في هذا الباب شيء».

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٧).

❁ **المسائل المتعلقة:**

دلَّت نصوص الوحيين على أن لخازن الجنة أعوانًا، هم خزنة الجنة، وخازن الجنة هو المقدم فيهم، **منها**: قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة أي فُلُ هَلُمَّ**»[1].

❁ **المصادر والمراجع:**

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «البعث»، لأبي داود السجستاني.

٤ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيِّم.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

٧ ـ «فتح الباري» (ج٦)، لابن حجر.

٨ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

٩ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١٠ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

خازن النار

يراجع مصطلح (مالك).

ختم النبوة

يراجع مصطلح (خاتم النبيين).

الختم

يراجع مصطلح (الضلال).

خداع الله للمنافقين

❁ **التعريف لغة:**

الخاء والدال والعين أصلٌ واحد، الإخداع: إخفاءُ الشَّيء[2] **الخَدْعُ**: إظهار خلاف ما تُخْفيه. وخَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا وخِداعًا أيضًا؛ أي: ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم: الخديعةُ[3].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٦)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٢٧).

(٢) مقاييس اللغة (٢٨٨).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢٣١).

التعريف اصطلاحًا:

الخداع: هو إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي[(١)].

وقيل: المخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئًا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة ظاهرة؛ فالخداع إظهار خلاف ما تظهره، والله يخدع المنافقين فيظهر لهم إحسانه ويمدهم به في طغيانهم فيكون سبب عذابهم عدلًا وحكمة منه سبحانه.

الأسماء الأخرى:

المكر والكيد، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة»[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لله عَزَّ وَجَلَّ وإثباتها له تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته سبحانه، على سبيل المقابلة، من غير إطلاق كما ورد في القرآن الكريم.

(١) إعلام الموقعين (٥/ ٢٥٧) [دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ].
(٢) تفسير السعدي (١/ ٤٨).
(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٢٥٧) [دار ابن الجوزي].

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض ردِّه على دعواهم أنها مجاز: «والحق خلاف هذا الظن وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خدع بباطل وظلم حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل»[(٤)].

الحقيقة:

خدع الله للمخادعين هو أن يظهر لهم من النعم والأمن في الدنيا ثم يفسدها عليهم في الآخرة بما أعده لهم من العذاب الأليم، وهو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي تضاف إليه مقيدة من دون إطلاق فتقول: «إن الله تعالى يخدع المنافقين، أو خادع المنافقين، أو خادع من يخادعه؛ لأنها في هذه الحال تكون صفة كمال، ولا يجوز أن تصفه بها على سبيل الإطلاق؛ لأنها تحتمل معنى صحيحًا ومعنى فاسدًا»[(٥)].

وقيل: خديعة الله للمنافقين استدراجهم من حيث لا يعلمون، وإيهامهم بأن ما هم عليه خير لهم، في حين أنها في الحقيقة شر لهم وطريق لهم إلى جهنم وبئس المصير.

(٤) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٠) [أضواء السلف، ط١].
(٥) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١٦٠).

۞ الأدلة:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «فالمنافقون لم يخدعوا غير أنفسهم؛ لأن ما كان لهم من مال وأهل، فلم يكن المسلمون ملكوه عليهم ـ في حال خداعهم إياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها ـ فيستنقذوه بخداعهم منهم، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بألسنتهم غير الذي في ضمائرهم، ويحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذراريهم في ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا إليه من الملة، والله بما يخفون من أمورهم عالم. وإنما الخادع من ختل غيره عن شيئه، والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه. فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه غير لاحقه من خداعه إياه مكروه؛ بل إنما يتجافى للظان به أنه له مخادع، استدراجًا، ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو بها موقع عند بلوغه إياها، والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه، ولا عارف باطلاعه على ضميره، وأن إمهال مستدرجه إياه، تركه معاقبته على جرمه ليبلغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة إساءته، وطول عصيانه إياه، وكثرة صفح المستدرج، وطول عفوه عنه أقصى غاية؛ فإنما هو خادع نفسه لا شك، دون من حدثته نفسه أنه له مخادع. ولذلك نفى الله جلَّ ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه، إذ كانت الصفة التي وصفنا صفته»[1].

وقال ابن كثير: «لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله عَزَّ وَجَلَّ بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[2].

قال ابن القيِّم: «إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا، بل تمدح في موضع وتذم في موضع. والمقصود: أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه»[3].

وأجاب ابن عثيمين عن سؤال: هل يوصف الله بالخيانة والخداع؟ فقال: «أما الخيانة؛ فلا يوصف الله بها أبدًا؛ لأنها ذمّ بكل حال؛ إذ إنها مكر في موضع الإئتمان، وهو مذموم؛ قال الله

(١) جامع البيان (١/٢٧٦ ـ ٢٧٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٨٤).
(٣) مختصر الصواعق (١/٣٠٧).

تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانهم. وأما الخداع؛ فهو كالمكر، يوصف الله تعالى به حين يكون مدحًا، ولا يوصف به على سبيل الإطلاق؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ هل من أسماء الله المخادع؟

إن الأفعال التي تخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ مقيدة لا يلزم أن يشتق له منها اسم مطلق، فلا يقال أن من أسمائه الحسنى: المضل، والفاتن، والماكر، تعالى الله وتقدس فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة[(٢)].

مذهب المخالفين:

مخادعة الله للمنافقين صفة من الصفات الفعلية الاختيارية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنكرها منكرو الصفات بالكلية من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة المعطلة. كما أنكرها الأشاعرة ومن وافقهم فأوَّلوا نصوصها وصرفوا معناها عن الحقيقة إلى المجاز، أو دعوى أنها على سبيل المشاكلة اللفظية فقط[(٣)]،

وقيل: معناها أن الله تعالى يعاملهم معاملة المخادع[(٤)].

وقيل: إنها على الجواب؛ كقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك، ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه[(٥)].

الرد عليهم:

١ـ قرَّر أهل العلم أن صفات الله تعالى لا يدخلها المجاز، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خاطب العرب بما تعهد من كلامها، فوجب حملها على حقيقتها المعهودة عندهم.

٢ ـ أنها إذا كانت على وجه الظلم والعدوان كانت مذمومة، وأما إذا كانت على وجه الحق فهي عدل بمن يستحق ذلك، فكيف بصدورها من الله تعالى على سبيل الجزاء بمن يستحقها[(٦)].

٣ ـ أما قولهم: إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعاملهم معاملة المخادع، فهذا لا يتصور أن يعاملهم هذا المعاملة من غير أن تقوم به هذه الصفة.

٤ ـ وأما قولهم: إنما هي على وجه الجواب، فهم نافون على الله عَزَّ وَجَلَّ ما قد

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/١٧١).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٢) [دار الكتاب العربي].

(٣) انظر مثلًا: تأويلات أهل السُّنَّة للماتريدي (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧) و(٣/٣٩٤ ـ ٣٩٥) و(٥/١٠٢)، تفسير الرازي (١/٣٠٨) و(٤/٧٣) و(٣١/١٣٠)، وتفسير ابن عطية (٢/١٢٧)، وتفسير البحر المحيط (٣/٣٩٢)، والتحرير والتنوير (٣/١٥٩ ـ ١٦٠) و(٥/٢٣٩).

(٤) انظر: جامع البيان للإيجي (١/٤٢٢).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (١/٣٠١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/١١١).

أثبته الله عز وجل لنفسه، وأوجبه لها. وهذا نظير ما أخبر به أنه خسف من خسف به من الأمم، وأغرق من أخبر أنه أغرقه منهم. فصدقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه. فما برهانكم على تفريقكم ما فرقتم بينه، بزعمكم: أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يخادع من أخبر أنه قد خدعه؟[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيِّم.

٢ ـ «تأويلات أهل السُّنَّة»، لأبي منصور الماتريدي.

٣ ـ «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير الدمشقي.

٤ ـ «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.

٥ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد القحطاني.

٦ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين».

٩ ـ «مختصر الصواعق»، للموصلي.

١٠ ـ «مفاتيح الغيب»، للرازي.

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٣٠٤).

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها

اسمها ونسبها:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي[٢].

مولدها ووفاتها:

ذكر ابن سعد أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة[٣]، وتوفيت قبيل الهجرة بثلاث سنين، وهو نفس العام الذي توفي فيه أبو طالب[٤].

إسلامها:

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تدعى قبل البعثة بالطاهرة، ولما جاء الإسلام كانت أول من صدقت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم مطلقًا واتبعته[٥].

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٤) [دار صادر]، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٠٠) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٥).

(٤) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣، و٢٥٤) [دار الفكر، بيروت، ط١]، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١]، والبداية والنهاية (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، والسيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/ ١٨٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: سيرة ابن إسحاق (١٣٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٧٩) [دار الفكر، ١٩٩٥م]، والإصابة =

قال ابن إسحاق: «كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ﷺ وصدق ما جاء به»[(١)].

وقال ابن الصلاح بعد أن أشار إلى اختلاف أهل العلم فيمن أول الناس إسلامًا: «والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم»[(٢)].

فضائلها:

- أن الله أمر نبيّه ﷺ أن يبشّرها ببيت من قصب في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب.

- أن الله أرسل جبريل ليقرئها السلام من الله، يدل لهذا وذاك ما رواه البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[(٣)].

- أنها خير نساء أهل الجنة، لما ثبت من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»[(٤)].

- ثناء النبي ﷺ عليها بخير باستمرار، فقد روى البخاري بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[(٥)].

- أنها من النساء الكمّل، فعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(٦)].

= في تمييز الصحابة (٧/ ٦٠٠)، والبداية والنهاية (٤/ ٤٢)، وصحيح السيرة للألباني (٩٩) [المكتبة الإسلامية، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ].

(١) سيرة ابن إسحاق (١٣٢).

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح (٤٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٦).

(٦) ساقه ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٢٣) [دار هجر، ط١] بقوله: «وروى شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه قال: قال...»، ثم قال: «رواه ابن مردويه في تفسيره. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة، وبعده».

وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٣٩٧) [مؤسسة الرساله، ط١]، عن المثنى بن إبراهيم عن آدم بن أبي إياس عن شعبة، بسنده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وذكر الحديث. =

مكانتها:

لها مكانة عظمى ودرجة سامية، فقد كانت قبل الإسلام معروفة بالطاهرة العفيفة، وأما في الإسلام فيكفي لبيان عظم مكانتها التذكير بأنها كانت «وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها»[١]، وأنها أم المؤمنين، وزوجة سيد المرسلين، لم يتزوج عليها النبي ﷺ حتى ماتت، وكان يكثر من ذكرها بخير طيلة حياته ﷺ، ويكرم صديقاتها، وأنها أم أولاده أجمعين، حاشا إبراهيم[٢] فإنه من مارية القبطية[٣]. فقد روى مسلم بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت»[٤].

وروى الإمام مسلم أيضًا بسنده عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها». قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»، قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟» فقال: «**إني رزقت حبها**»[٥].

وحق لخديجة أن تحظى بهذه المكانة العلية من خير البرية محمد ﷺ؛ فهي «خدمت رسول الله ﷺ، قبل البعثة خمسة عشر سنة، وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها، رضي الله عنها وأرضاها»[٦].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اشتغال النبي ﷺ في تجارة خديجة ثم زواجه منها:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة عاقلة لبيبة، وكانت ثيبًا قبل زواجها من النبي ﷺ؛ حيث تزوجها أولًا أبو هالة هند بن النباش بن زرارة، ثم عتيق بن عائذ المخزومي، على الأصح كما يقول ابن عبد البر[٧].

وذكر ابن إسحاق أن أول من تزوج

= وهذا الحديث أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١١، ٣٤٣٣)، و(كتاب الأطعمة، رقم ٥٤١٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١)، من طرق عن آدم بن أبي إياس، وعن شعبة، بغير ذكر خديجة رضي الله عنها.
والمثنى بن إبراهيم ـ شيخ الطبري ـ لم نظفر له بترجمة، وقد خالف الثقات من أصحاب آدم وشعبة في لفظ الحديث، فالظاهر أن ذكر خديجة في حديث أبي موسى غير محفوظ. والله أعلم.

(١) سيرة ابن إسحاق (٢٤٣).
(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣ ـ ٢٤٥، و٢٥٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٣٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٤٦٣)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله أحمد (١٣٦).
(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٢٦)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٢١)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٣٣١) [دار المعرفة].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٧).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٥).
(٦) البداية والنهاية (٢/ ٤٣١)، وانظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣).
(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

خديجة ـ وهي بكر ـ هو عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له بنتًا ومات، ثم تزوجها بعده أبو هالة هند بن النباش بن زرارة فأنجب منها ولدًا وبنتًا ثم هلك[(١)]، زاد ابن سعد: وتزوجت بعده صيفي بن أمية بن عابد[(٢)].

وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها مضاربة، فلما وصلها أوصاف النبي ﷺ من صدق حديثه وعظم أمانته وكريم أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يعمل في تجارتها، ويخرج لها إلى الشام تاجرًا مع غلام لها يقال له: ميسرة، مقابل أن تعطيه أفضل ما كانت تعطيه من التجار غيره، فوافق النبي ﷺ على ذلك، وبدأ يعمل في تجارتها، هنا وهناك فذهب هو والغلام إلى الشام، ولما قدم بمالها إلى مكة، باعت خديجة ما جاء به فأضعفت أو قريبًا، وحدَّثها غلامها بما رآه في النبي ﷺ من الآيات والمعجزات، فرغبت في الزواج منه، وعرضت عليه نفسها، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالًا، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر عليه[(٣)].

فقبل النبي ﷺ وأخبر أعمامه بذلك، فانطلق معه عمه حمزة، حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها ﷺ وكان عمره خمسة وعشرين سنة[(٤)]، وهو قول الجمهور[(٥)]، وأما عمرها فقد اختلف فيه، فقيل: كان خمسًا وثلاثين سنة، وقيل: خمسًا وعشرين[(٦)] وقيل: ثمانية وعشرين، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، وفي كيفية زواجه منها روايات ضعيفة تذكر تفاصيل ذلك؛ بل معظمها واهٍ[(٧)].

ـ المسألة الثانية: دور خديجة العظيم في نصرة الرسول ﷺ أول الإسلام وأثر ذلك:

خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي الكريم ﷺ كانت خير معين له ـ بعد الله تعالى ـ في دعوته، حيث آزرته من أول يوم من مبعثه، حتى كان لها الأثر الطيب والمردود الحسن في تهدئة النبي ﷺ ورفع معنوياته، فقد روى البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٤ ـ ١٥)، وتاريخ دمشق (٣/ ١٧٩).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣)، والسيرة النبوية الصحيحة لكرم ضياء العمري (١/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٦٣ ـ ٤٦٦).

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (١٣٤).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٤٦٦).

(٧) حسبما ذكر العمري في السيرة النبوية (١/ ١١٢).

الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: **ما أنا بقارئ**، قال: **فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: **زملوني زملوني**، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: **لقد خشيت على نفسي**، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجيَّ هم؟**» قال: نعم؟ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزّرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي»[(١)].

قال النووي: «قال العلماء: معنى كلام خديجة رضي الله عنها: إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء، وفيه: مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال؛ نظرًا لمصلحة، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره، وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٢) [دار إحياء =

ـ المسألة الثالثة: في المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما:

اختلف أهل العلم في أيتهما أفضل، إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: تفضيل عائشة على خديجة، واحتجوا ببعض الأحاديث؛ كحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(١)].

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: **اللَّهُمَّ هالة**، قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها»[(٢)].

ووجه استدلالهم بهذا هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرَّها في قولها: إن الله أبدله خيرًا منها. قال ابن التين: «في سكوت النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المقالة دليل على أفضلية عائشة على خديجة، إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة وصغر السن»[(٣)].

وكذلك «كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة؛ بل ولا في غيرها، أعلم منها ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فأنزل براءتها من فوق سبع سماوات، وقد عمرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قريبًا من خمسين سنة، تبلغ عنه القرآن والسُّنَّة، وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين، وهي أشرف أمهات المؤمنين، حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين، في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين»[(٤)].

القول الثاني: تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها، ومما احتجوا به لذلك: حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: «وجاء ما يفسر المراد صريحًا، فروى البزار والطبراني من

= التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٧٦٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢١) معلَّقًا مجزومًا، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٤٠).

(٤) البداية والنهاية (٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٠).

حديث عمار بن ياسر رفعه: «**لقد فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين**»(١)، وهو من حديث حسن الإسناد، واستدل بهذا الحديث على أن خديجة أفضل من عائشة»(٢).

وكذلك حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(٣). قال الحافظ ابن حجر فيه: «وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل»(٤).

وأجابوا عن قول من قال: بأن النبي ﷺ أقر عائشة في قولها: إن الله أبدله خيرًا من خديجة، بأن الحديث جاء صحيحًا في خارج الصحيح، وفيه التصريح بعدم إقراره إياها على قولها، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عَزَّ وَجَلَّ بها خيرًا منها، قال: **ما أبدلني الله عَزَّ وَجَلَّ خيرًا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عَزَّ وَجَلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء**»(٥).

قال الحافظ ابن حجر في رده على كلام ابن التين: «ولا يلزم من كونه لم ينقل في هذه الطريق أنه ﷺ ردَّ عليها عدم ذلك؛ بل الواقع أنه صدر منه ردَّ لهذه المقالة، ففي رواية أبي نجيح عن عائشة عند أحمد والطبراني في هذه القصة، قالت عائشة: فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير، وهذا يؤيد ما تأوله ابن التين في الخيرية المذكورة والحديث يفسر بعضه بعضًا»(٦).

ولذا؛ لمّا احتج الإمام ابن كثير على تفضيل عائشة على خديجة بذاك الإقرار استدرك وذكر الروايات التي صرحت بردِّ

(١) أخرجه البزار في مسنده (٤/ ٢٥٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣) [مكتبة القدسي]: «فيه أبو يزيد الحميري، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا»، وفي سنده ابن لهيعة أيضًا، وهو ضعيف.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب المناقب، رقم ٨٢٩٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠١٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٣٥) [دار المعرفة]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤١/ ٣٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٢٠): «تفرد به أحمد أيضًا، وإسناده لا بأس به».

(٦) فتح الباري ابن حجر (٧/ ١٤٠).

النبي ﷺ على عائشة، وساق بعضها، منها الحديث السابق عن عائشة، ومنها حديث عائشة أيضًا أنها قالت: «ذكر رسول الله ﷺ يومًا خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قالت: فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيرًا لم أره تغير عند شيء قط، إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة حتى يعلم، رحمة أو عذاب»[(١)].

القول الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما؛ لأن لكلٍّ منهما مزايا وفضائل ليست للأخرى، وأن كل واحدة منهما أفضل من الأخرى في بعض الجوانب.

قال ابن كثير: «وأما أهل السُّنَّة؛ فمنهم من يغلو أيضًا، ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة؛ لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة، فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول ﷺ يحب أحدًا من نسائه كمحبته إياها، ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات، وروت بعده عنه عليه السلام علمًا جمًّا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «**خذوا شطر دينكم عن الحميراء**»[(٢)]. والحق أن كلًّا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره، والأحسن التوقف في ذلك، ورد علم ذلك إلى الله عز وجل، ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومن حصل له توقف في هذه المسألة، أو في غيرها، فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول: الله أعلم»[(٣)].

وممن أيَّد هذا القول العلامة ابن عثيمين، حيث عرض الخلاف في المسألة ثم رجح هذا بقوله: «والعلماء اختلفوا في هذه المسألة؛ فقال بعض العلماء: خديجة أفضل؛ لأن لها مزايا لم تلحقها عائشة فيها. وقال بعض العلماء: بل عائشة أفضل، لهذا الحديث[(٤)]، ولأن لها مزايا لم تلحقها خديجة فيها. وفصل بعض أهل العلم، فقال: إن لكلٍّ منهما مزية لم تلحقها

(١) أخرجه أحمد (٤٢/ ٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠٠٨)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٢٠) [دار هجر، ط١]: «وهذا إسناد جيد».

(٢) وهو حديث موضوع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١/ ٦٦٤) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٣٢٢).

(٤) يعني الحديث المتقدم، وهو: «**وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».

الأخرى فيها، ففي أول الرسالة لا شك أن المزايا التي حصلت عليها خديجة لم تلحقها فيها عائشة، ولا يمكن أن تساويها، وبعد ذلك، وبعد موت الرسول ﷺ حصل من عائشة من نشر العلم ونشر السُّنَّة وهداية الأمة ما لم يحصل لخديجة، فلا يصح أن تفضل إحداهما على الأخرى تفضيلًا مطلقًا؛ بل نقول: هذه أفضل من وجه، وهذه أفضل من وجه، ونكون قد سلكنا مسلك العدل، فلم نهدر ما لهذه من المزية، ولا ما لهذه من المزية، وعند التفصيل يحصل التحصيل. وهما وبقية أزواج الرسول في الجنة معًا»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «البداية والنهاية» (ج٤)، لابن كثير.

٢ ـ «تاريخ دمشق» (ج٣، و٤)، لابن عساكر.

٣ ـ «دلائل النبوة» (ج٢)، للبيهقي.

٤ ـ «سيرة ابن إسحاق».

٥ ـ «سيرة ابن هشام» (ج١).

٦ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» (ج١)، لأكرم العمري.

٧ ـ «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله أحمد.

٨ ـ «صحيح السيرة»، للألباني.

٩ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٨)، لابن سعد.

١٠ ـ «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (ج٨).

الخروج على الإمام

يراجع مصطلح (الإمامة).

الخسوفات الثلاث

التعريف لغة:

هو غياب الشيء في الأرض، وخسفت الأرض خسفًا وخسوفًا: غارت بما عليها. ويقال: خسف الله بهم الأرض غيَّبهم فيها. وخُسِفَ بالرجل وبالقوم: إذا أخذته الأرض ودخل فيها[(٢)].

التعريف شرعًا:

الخسوفات الثلاث: من أشراط الساعة الكبرى التي ورد ذكرها في السُّنَّة الصحيحة، وهي خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب، كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بوقوع الخسوفات

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٦١٥) [دار الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب (٩/ ٦٧) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٠٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) كما نصَّت عليها الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها.

الثلاث في آخر الزمان، وأنها من الأشراط الكبرى للساعة، وهي تدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر.

الأدلة:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال السخاوي ـ وهو يذكر أشراط الساعة ـ: «وخسوف ثلاثة بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب، والخسف وإن وجد في مواضع من العجم والمغرب وغيرهما، وهلك بسببه خلق كثيرون؛ فيحتمل أن يكون المراد بالثلاثة قدرًا زائدًا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه قدرًا أو مكانًا»[(٢)]. وقال صالح آل الشيخ: «ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وهذه الخسوف الثلاثة، خسوف عظيمة لم يسبق أن حدث مثلها. فالزلازل وخسوف الأرض تحدث في الأرض، وهي من آيات الله ﷻ يبتلي بها ويعذب بها؛ ولكنها ـ أي: الخسوف الثلاثة ـ آيات عند قرب قيام الساعة لم يحدث لها مثيل، فهي غير مألوفة. خسوف عظيمة كبيرة تكون في الشرق وفي الغرب وفي جزيرة العرب»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الخسوفات قد وقعت[(٤)]؛ لكن الصحيح أن شيئًا منها لم يقع بعد، وإنما وقعت خسوفات تعد من أشراط الساعة الصغرى، وقعت في أنحاء متفرقة، وفي أزمنة متفاوتة. أما هذه الخسوفات الثلاث فالنص عليها في الحديث دلالة على أنها مرادة لذاتها، وأنها تفوق غيرها من الخسوفات، وأن وقوعها عامًّا للأرض كلها، في ثلاث جهات نص

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٢) القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٣٤) [دار الحجاز، ط١، ١٤٣٣هـ].

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٦٣) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (١١١) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ]، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٤٢٣) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

عليها الحديث، دون تحديد بقعة بعينها، وأن خبرها ينتشر بين الناس كافة. قال ابن حجر: «وقد وجد الخسف في مواضع ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٢ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٣ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.

٤ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لصالح آل الشيخ.

٦ ـ «فتح الباري» (ج١٣)، لابن حجر العسقلاني.

٧ ـ «فقد جاء أشراطها»، لمحمود عطية محمد علي.

٨ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة»، للسخاوي.

(١) فتح الباري (١٣/ ٩٠) [المطبعة السلفية، ط٢]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٨٤).

الخشوع

التعريف لغة:

الخشوع في اللغة: مصدر خشع كمنع، يقال: خَشَع يَخْشَعُ خُشوعًا واخْتَشَع وتَخَشَّعَ، ويطلق على الخضوع والسكون والذل، قال الجوهري: «الخُشوعُ: الخضوعُ، يقال: خَشَعَ واخْتَشَعَ»[٢].

والخشوع يكون في الصوت؛ كقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]؛ أي: سكنت وذلت وخضعت[٣].

كما يكون في البدن والبصر؛ كقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣].

قال ابن القيِّم: «والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون»[٤].

التعريف شرعًا:

الخشوع: هو جمع القلب بين يدي الله تعالى والقيام بالخضوع والذل له[٥].

قال الطبري: «الخشوع: الخوف والخشية لله عز وجل»[٦].

(٢) الصحاح (٣/ ١٢٠٤) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٣) انظر: لسان العرب (٨/ ٧١) [دار الفكر، ط١]، والقاموس المحيط (٩٢١) [مؤسسة الرسالة ط٢].

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٥٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥٨).

(٦) تفسير الطبري (١٣/ ٤١) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لمّا كان أصل الخشوع في اللغة هو: الخضوع والذل، ارتبط ذلك المعنى بتعريف الخشوع في الشرع، إلا أن ذلك قيّد بالخضوع للربِّ ﷻ والذل لعظمته دون سواه.

الأسماء الأخرى:

الخضوع، الإخبات.

الحكم:

الخشوع: عمل قلبي لا يُتقرب به إلا إلى الله ﷻ وقد جاءت النصوص بالأمر به، والثناء على من اتصف به، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الحقيقة:

الخشوع في حقيقته: يجمع عدة معان عظيمة، من تعظيم الله تعالى، ومحبته، والذل له، والخشية منه سبحانه، قال ابن القيِّم: «والحقّ أنّ الخشوع معنى يلتئم من التّعظيم والمحبّة والذّلّ والانكسار»[١].

وإذا نظرنا إلى إطلاق لفظ الخشوع في القرآن الكريم، نجد أنه يطلق ـ كما ذكر المفسرون ـ **على معان أربعة**:

أحدها: إطلاقه بمعنى الذّلّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

والثّاني: سكون الجوارح، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

والثّالث: بمعنى الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء].

والرّابع: بمعنى التّواضع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة].

المنزلة:

الخشوع: من أعلى مقامات الذل والانكسار لله تعالى، وهو من أعمال الإيمان، ويورث القلوب تعظيمًا وإجلالًا ووقارًا ومهابة وحياءً لله ﷻ.

وإنما يزيد الإيمان بحياة القلب، وذلك بالاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح، كما أنه ينقص بمرض القلب، وذلك بالانصراف إلى الشبهات والشهوات، فعلى المسلم أن يتعاهد قلبه في جميع أحواله ليدفع عنه القسوة؛ فإنها إذا استبدت به منعته الخشوع. والله ﷻ يريد من عباده الترقي في سُلم الإيمان، ودرجات اليقين، ولذا عاتب المؤمنين الذين لم يبلغوا قمة الخشوع؛ فقال:

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٨).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]، فدعاهم إلى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه، ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، والذين يخشون ربهم، هم الذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم[(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]. وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة المطهرة: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله**»[(٢)].

وحديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**هل ترون قبلتي ها هنا، والله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم، وإني لأراكم وراء ظهري**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحقِّ واجبٌ. وقد ذمَّ الله قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع»[(٤)].

- وقال ابن القيِّم: «خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نِعَم الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح وأما خشوع النفاق فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٥١٦)، والروح (٢٣٢) [دار الكتب العلمية]، والإيمان لابن تيمية (٢٧ ـ ٢٨) [المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٧٤١).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٣٠) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف].

بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتًا له»[١].

قال ابن رجب: «أصل الخشوع: هوَ خشوع القلب، وهو انكساره لله، وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير من هوَ بين يديه، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعًا لخشوعه؛ ولهذا كانَ النبي ﷺ يقول في ركوعه: «**خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي**»[٢]»[٣].

المراتب:

درجات الخشوع:

الأولى: التّذلّل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتّضاع لنظر الحقّ، أمّا التّذلّل للأمر فهو تلقّيه بذلّة القبول والانقياد والامتثال مع مواطأة الظّاهر الباطن، وإظهار الضّعف، والافتقار للهداية، وأمّا الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشّرعيّ بعدم معارضته برأي أو شهوة، كما يشمل الحكم القدريّ بعدم تلقّيه بالتّسخّط والكراهة والاعتراض، وأمّا الاتّضاع لنظر الحقّ فهو اتّضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الرّبّ إليها واطّلاعه على تفاصيل ما فيها.

الثّانية: ترقّب آفات النّفس والعمل، ورؤية فضل كلّ ذي فضل، ويتحقّق ذلك بانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، وذلك يجعل القلب خاشعًا - لا محالة - لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما من الكبر والعجب، وضعف الصّدق، وقلّة اليقين، وتشتّت النّيّة.

الثّالثة: تصفية القلب من مراءاة الخلق، وذلك بضبط النّفس بالذّلّ والانكسار عن البسط والإذلال الّذي تقتضيه المكاشفة؛ لأنّها توجب بسطًا يُخاف منه إن لم يصحبه خشوع يحفظ الحرمة، مع إخفاء أحواله عن الخلق جهده[٤].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الخشوع لغير الله تعالى:

هو الخشوع الممنوع: وهو ما كان مخالفًا لأمر الله؛ كالخشوع والخوف الذي يكون عند قبور الأولياء ونحوهم، أو عند قراءة القصائد والأوراد البدعية ونحو ذلك.

قال ابن تيمية: «فإذا أتى إلى قبر من يعظمه، ورجا أن يدعوه، أو يدعو به، أو يدعو عنده، فيحصل له من الخشوع والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله، أو في بيت الداعي العابد، وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما

(١) الروح (٢٣٢).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٧١).
(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/٣٦٧).
(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٥٥٩ - ٥٦١).

اتخذه ندًّا بعيب أو نقص، ويذكر الله بالعيوب والنقوص فلا يغضب له، ومثل هذا كثير في المشركين شركًا محضًا، وفي من فيه شعبة من الشرك»[(١)].

وقال أيضًا: «ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى؛ فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين؛ بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها وكرهوها، واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: بعض الصور المحرمة للخشوع:

١ ـ الخشوع الذي يكون عند قبور الأولياء وأضرحتهم، ونحو ذلك.

٢ ـ الخشوع الذي يكون عند قراءة القصائد والأوراد البدعية، ونحو ذلك.

٣ ـ خشوع النفاق: وهو أن ترى الجسد خاشعًا والقلب خاليًا لاهيًا.

٤ ـ خشوع الرياء والسمعة.

ـ المسألة الثالثة: الأسباب الجالبة للخشوع:

١ ـ معرفة الله تعالى وخشيته.

٢ ـ العلم واليقين بلا إلٰه إلا الله.

٣ ـ الذل والانكسار لله تعالى.

٤ ـ استحضار عظمة الله تعالى.

٥ ـ مطالعة عيوب النفس والأعمال.

٦ ـ تعويد النفس مراقبة الله في جميع الأحوال.

ـ المسألة الرابعة: الخضوع:

وهو الذل والانكسار بين يدي الله ﷻ، محبة له سبحانه واستسلامًا لأوامره[(٣)].

ويمكن تقسيم الخضوع إلى نوعين:

١ ـ خضوع مشروع:

والخضوع المشروع: هو خضوع العبد المخلوق لخالقه ومولاه سبحانه وتعالى، وهو واجب على كل مكلف[(٤)].

٢ ـ خضوع ممنوع:

الخضوع الممنوع: هو الخضوع لسماع أمر محرم؛ كالخضوع لسماع الأوراد المبتدعة، أو الأبيات الشركية، ونحو ذلك مما لم يأذن به الشرع[(٥)].

الفروق:

الفرق بين الخشوع والخضوع:

اختلف العلماء في الفرق بين الخشوع والخضوع على قولين:

---

(١) منهاج السُّنَّة (٢/٣٩٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) الرد على البكري (٢/٥٨٤) [دار الوطن ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٤٨) [دار العلم والثقافة، مصر]، ومدارج السالكين (٤٦١ ـ ٤٦٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/١٥٢).

(٥) انظر: الرد على البكري (٢/٥٨٤) [دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ].

أ ـ أن الخشوع والخضوع بمعنى واحد، فهما مترادفان لا فرق بينهما عند الإطلاق، وقد قال بذلك بعض أئمة اللغة كما تقدم.

ب ـ وقيل: بل بينهما بعض الفروق، **وهي كما يلي:**

١ ـ أن الخشوع يكون في القلب، وقد يظهر على الصوت والبصر، والخضوع لا يكون في القلب وإنما يكون في البدن، قال ابن القيِّم: «أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب»[(١)].

٢ ـ أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف المخشوع ولا يقع تكلفًا، بخلاف الخضوع فقد لا يكون معه خوف[(٢)].

الآثار:

١ ـ أنه يورث الخوف والرّهبة من الله تعالى.

٢ ـ يربط المسلم بعبوديّة الله وترك ما سواه.

٣ ـ الخشوع يؤدّي إلى غضّ البصر وخفض الجناح.

٤ ـ الخشوع يذيب قسوة القلب.

٥ ـ الخشوع في الصّلاة يؤدّي إلى الفلاح.

٦ ـ أنه يطرد الشيطان فلا يقربه.

٧ ـ أنه سبب لتكفير الذّنوب وتعظيم الأجر.

٨ ـ أنه سبب أيضًا للفوز بالجنّة، والنجاة من النار.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إصلاح القلوب»، لعبد الهادي حسين وهبي.

٢ ـ «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم»، لسهل العتيبي.

٣ ـ «الرد على البكري»، لابن تيمية.

٤ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٥ ـ «عبودية القلب لربِّ العالمين في القرآن الكريم»، لعبد الرحمٰن البرادعي.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن رجب.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «المجموع شرح المهذب»، للنووي.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة»، لابن تيمية.

الخشية

التعريف لغة:

الخشية: مصدر: خشي، ويدل على الخوف، يقال: خَشِيَ الرجلُ يخشى خشيةً؛ أي: خاف، ويقال للرجل الخائف: خَشْيَانُ، والمرأة: خَشْيَاءُ،

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٨).

(٢) انظر: الفروق اللغوية (١/٢١٦)، والقاموس المحيط (٩٢١).

يقال: هذا المكان أخشى من ذاك؛ أي: أشدُّ خوفًا(١).

وقد تستعمل بمعنى العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠]، قال الطبري: «وأما الغلام، فإنه كان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما»(٢).

التعريف شرعًا:

الخشية: هي «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه»(٣).

ومما يشهد لهذا التعريف من عبارات العلماء **ما يلي**:

١ ـ أن الخشية: هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجلّ، ذكره ابن كثير(٤) عن سعيد بن جبير.

٢ ـ وقيل: الخشية هي: الرهبة والمخافة، قاله ابن جرير الطبري(٥).

٣ ـ وقال ابن القيِّم: «فهي خوف مقرون بمعرفة»(٦).

ولعل التعريف الأول هو أقرب ما يقال في تعريف الخشية، حيث جمع في تعريفها بين الخوف، الذي هو أصل الخشية، والتعظيم والعلم.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لمّا كانت الخشية في اللغة تطلق على الخوف، أُطلقت في الشرع بهذا المعنى، إلا أنها ضمنت معنى المعرفة والتعظيم لله تعالى.

الأسماء الأخرى:

قيل: إن الخشية مرادفة لثلاثة معانٍ؛ هي: الخوف، والوجل، والرهبة.

الحكم:

الخشية من الله عزّ وجلّ من الواجبات القلبية على كل مسلم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة].

الحقيقة:

خشية الله تعالى من أجلّ أعمال القلوب التي تقوم عليها العبادة وتكف المؤمن عن ركوب المعاصي واستباحة المحرمات والاستهانة بشرع الله وشعائره.

وخشية الله تعني: انزجار قلب المؤمن ووجله وخوفه وهربه من سخط الله وغضبه وعقوبته ووعيده في الآخرة.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٨٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٢٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٢٢٨ ـ ٢٢٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٨٥) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٨٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٠٨) [دار الفيحاء، ط١].

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٣).

(٦) مدارج السالكين (١/ ٥٤٩) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ].

والعبد إذا خاف مخلوقًا هرب منه، وإذا خاف الخالق هرب إليه قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات].

ومنشأ الخشية لله تكون من جلال الله واتصافه بالقوة والانتقام والغضب ممن عصاه، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة]. وتكون من عذابه وعقوبته ووعيده في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥﴾ [الأنعام].

وقد ورد لفظ الخشية في القرآن الكريم، مضافًا إلى الله تعالى، كما ورد مضافًا إلى عذاب الله، فهو يتناول خشية الله وخشية عذابه في الدنيا والآخرة، وعلى هذا تكون الخشية على مرتبتين: خشية خوف ورهبة، وخشية تعظيم وإجلال[1].

المنزلة:

الخشية من الله ﷻ من أجلِّ صفات المؤمنين وأعظم خصال المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨]، ومدح الله تعالى أنبياءه وأولياءه على خشيتهم منه سبحانه، كما جاء من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٣٩﴾ [الأحزاب]، وأثنى تعالى على ملائكته بشدة خشيتهم منه سبحانه فقال: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء]. ووعد الخائفين بالمغفرة والأجر الكبير فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢﴾ [الملك].

فخشية الله تعالى في الدنيا طريقٌ للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، فالذي يخشى الله تعالى عاقبته الأمن والسلام، وثوابه الفوز بجنة الرضوان قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور]، وقال: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البيِّنة].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدۡخُلُوهَا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وتفسير ابن كثير (٣/ ٦٠٨) (٤/ ٤٩٦).

بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ [ق]، وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة المطهرة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم**»(١).

وعنه رضي الله عنه؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن رجلًا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا، وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يومًا راحًا فاذروه في اليم، ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**»(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلًا»(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «الخوف من الله يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته»(٤).

وقال ابن رجب رحمه الله: «فلما زادت معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه زادت خشيته له وتقواه، فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨] فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله»(٥).

الأقسام:

الخشية كالخوف تنقسم إلى قسمين:

الأول: خشية عبادة وتذلل وتعظيم:

وهذه الخشية لا تصلح إلا لله تعالى، وقد مدح الله بها سادات أوليائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون].

وهذا القسم هو ما يسميه بعض العلماء بخوف السر وخشية السر، فمن أشرك فيه مع الله غيره؛ فهو مشرك شركًا أكبر(٦).

الثاني: خشية عادة وجبلة وطبيعة:

وهذه الخشية طبيعية جبلية، فهي في

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب فضل الجهاد، رقم ١٦٣٣) وصحَّحه، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٠٨)، وأحمد (١٦/٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ٧٧٧٨) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٢)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٥٣٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ]، وأحمد في الزهد (١٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، والبيهقي في الشعب (٢/٢٠٤) [مكتبة الرشد، ط١]، وفي سنده انقطاع.

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/٩٠) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) مدارج السالكين (١/٥١٣).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٨٤) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

الأصل مباحة؛ كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، ومثل هذا لا يدخل في العبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان؛ لقوله تعالى عن هارون: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٩٤]، وقوله عن موسى أيضًا: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم؛ فهو محرم، وإن استلزم شيئًا مباحًا كان مباحًا، فمثلًا من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها؛ فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ أسباب الخشية:

١ ـ معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله.

٢ ـ مراقبة الله ﷻ واستشعار أن الله يرى العبد في كل أحواله، والمداومة على ذكره.

٣ ـ تعلم العلم الشرعي فإنه يثمر الخوف والمراقبه.

٤ ـ استشعار عظمة الخالق ﷻ وتخيل كيف يكون غضب هذا العظيم إذا انتهكت محارمه.

٥ ـ معرفة قبح عواقب الذنوب والمعاصي.

٦ ـ استشعار حقارة الدنيا وسرعة انقضائها وزوال نعيمها.

٧ ـ التفكر في الموت وسكراته وشدة أحواله.

٨ ـ التفكر في أهوال الموقف وشدة الحساب يوم القيامة[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الخشية والخوف:

١ ـ الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة وتعظيم، ولذا خص بها العلماء.

٢ ـ وقيل: الخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قويًّا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا[(٣)].

٣ ـ وقيل: الخشية أقوى من الخوف، فصاحب الخوف يلتجأ إلى الهرب، وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم[(٤)].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٤٨٤ ـ ٤٨٦)، والقول السديد، للسعدي (٩٨)، والقول المفيد (١٦٦) [دار العاصمة، ط١].

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٥٠٧) وما بعدها.

(٣) انظر: تفسير الرازي (١/٤٣٣٢).

(٤) انظر: المفردات، للراغب (٢٨٣)، والفروق اللغوية =

الفرق بين الخشية والوجل:

١ ـ قيل: الوجل هو رديف الخوف، ولذا جاء التعبير به في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عليهم السلام الذين جاءوا إليه في شأن قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر]، وفي موضع آخر من القصة نفسها، جاء التعبير عنه بلفظ الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠][(١)].

وإذا كان الوجل بمعنى الخوف، فقد تقدم الفرق بينه وبين الخشية.

٢ ـ وقيل بل بينهما فرق يسير، **وذلك:**

ـ أن الوجل خلاف الطمأنينة، بخلاف الخوف[(٢)].

ـ أن الفعل (خاف) متعدٍّ، وليس كذلك الفعل (وجل)، وعلى هذا فالوجل يزيد على الخوف في الفرق بينه وبين الخشية، بأن الخشية طمأنينة تبعث على السكون، والوجل بخلاف[(٣)].

الفرق بين الخشية والرهبة.

١ ـ الخشية: هي خالصة لوجه الله وهي أكبر درجة وعظمة من الرهبة، **أما الرهبة:** فهي الخوف والسعي للإرضاء وتستعمل لأمر عظيم أو شخص عظيم.

٢ ـ **الخشية:** طمأنينة تبعث على السكون، **وأما الرهبة:** فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. فصاحب الرهبة يلتجيء إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية يلتجيء إلى الاعتصام بالعلم[(٤)].

قال ابن القيِّم: «والوجل والخوف والخشية والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة»[(٥)].

الآثار:

١ ـ شدة تعلق القلب بالله تعالى.

٢ ـ تعظيم الواجبات التي أمر الله تعالى بها.

٣ ـ الحذر من المحرمات وكل ما نهى الله عنه.

٤ ـ كثرة ذكر الله تعالى.

٥ ـ الحرص على التمسك بالسُّنَّة النبوية.

٦ ـ التواضع للخلق وترك التكبر عليهم.

٧ ـ حصول المغفرة والأجر العظيم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعمال القلوب حقيقتها

= للعسكري (٢٤١)، ومدارج السالكين (١/٥٤٩).

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٦/٥٧).

(٢) انظر: الفروق اللغوية (٢٤٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٥٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٥٠٨ ـ ٥٠٩).

(٥) مدارج السالكين (١/٥٤٩).

وأحكامها عند أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم»، لسهل العتيبي.

٢ ـ «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «عبادة القلب»، لعبد الرحمٰن المحمود.

٥ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

٦ ـ «القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان»، لسيد محمد ساداتي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

٩ ـ «المفردات»، للراغب الأصفهاني.

١٠ ـ «موسوعة فقه القلوب»، لمحمد التويجري.

خصائص النبي ﷺ

التعريف لغة:

كلمة الخصائص في اللغة تعني: التميز والتفرد، والفضل.

قال الزبيدي: «وفي البصائر: الخصوص: التفرد ببعض الشيء مما لا تشاركه فيه الجملة، وخصه بالود كذلك؛ إذا فضله دون غيره»[(١)].

وقال ابن منظور: «خصه بالشيء يخصه خصًّا وخصوصًا وخصوصية... واختصه: أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له؛ إذا انفرد»[(٢)].

التعريف شرعًا:

هي: «الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها عن إخوانه الأنبياء، [أو] على سائر البشر»[(٣)].

سبب التسمية:

سمي ما تفرد به النبي ﷺ عن غيره خصائص؛ لأنّ الله خصَّه بها دون غيره، وميّزه بها، فهي تدل على تفرده بها في الغالب إذ لا يشاركه فيها أحد.

الأسماء الأخرى:

ربما أطلق على الخصائص بعض الأسماء الأخرى المتقاربة في المعنى؛ كالفضائل، والشمائل، ودلائل النبوة.

المنزلة:

خصائص النبي ﷺ التي ميّزه الله ﷻ بها تدل على شرفه وفضله ومكانته عند ربه، فهو ﷺ إمام المرسلين وسيد ولد آدم، وخاتم النبيين، أقسم الله تعالى بحياته في كتابه المبين، كما أرسله سبحانه وتعالى للناس أجمعين.

(١) تاج العروس (١٧/ ٥٥٠) [دار الفكر].

(٢) لسان العرب (٧/ ٢٤) [دار صادر، ط٣].

(٣) خصائص المصطفى بين الغلو والجفا (٢٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

فكم حباه ربه وفضله... وخصَّه سبحانه وخوله[1]، وهذه الخصائص التي لم تكن لغيره هي من فضل الله تعالى على نبيِّه كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

وإنما حباه الله بها؛ إكرامًا وتأييدًا له، وإظهارًا لصدق نبوته، وبمعرفة هذه الخصائص تعرف مكانته وشرفه، فلا يُرتاب في صدقه وصدق ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون].

قال السعدي: «فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه، وصدق ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة والدين الحق»[2].

وبهذا تظهر منزلة هذه الخصائص في تحقيق الإيمان بالنبي ﷺ.

الأدلة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحُجُرات].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

وأما من السُّنَّة: فقوله ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[3].

وقوله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[4].

وقوله ﷺ: «**أُعطيت مكان التوراة السبع، وأُعطيت مكان الزّبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصل**»[5].

والسبع: أولها البقرة وآخرها براءة بجعل الأنفال وبراءة واحدة.

---

(١) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (١/ ٨٤) [مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٩٩٨م].

(٢) التوضيح والبيان (٥١) [دار أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٦).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/١٨٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٣٥١)، وذكره الألباني في الصحيحة (رقم ١٤٨٠). وقال: الحديث بمجموع طرقه صحيح.

والمئين: أولها ما يلي الكهف.

والمثاني: السور التي آيها مائة أو أقل أو ما عدا السبع الطوال.

والمفصل: أوله الحجرات على الأشهر، وآخره سورة الناس اتفاقًا[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «خصَّ الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ بخصائص ميَّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجًا أفضل شرعة وأكمل منهاج»[(٢)].

وقال السعدي: «فُضِّل نبيُّنا محمد ﷺ بفضائل كثيرة فاق بها جميع الأنبياء، فكل خصلة حميدة ترجع إلى العلوم النافعة والمعارف الصحيحة والعمل الصالح فلنبيِّنا منها أعلاها وأفضلها وأكملها»[(٣)].

وقال ابن عثيمين: «فالله ﷻ خصَّ نبيَّه ﷺ بخصائص لم تكن لغيره، وفضله بفضائل لم تكن لغيره، وأعطاه من الهبات ما لم تكن لغيره، فصلوات الله وسلامه عليه»[(٤)].

الأقسام:

خصائص النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين[(٥)]:

١ ـ خصائصه ﷺ التي اختص بها عن جميع الأنبياء:

خصَّ الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ عن جميع الأنبياء بخصائص كثيرة، وهي ترجع في مجملها إلى **قسمين** كذلك:

أ ـ ما اختص به النبي ﷺ في الدنيا، ومن هذه الخصائص:

ـ القرآن أعظم آياته.

قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(٦)].

ـ بُعِث ﷺ إلى الناس عامة:

قال ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الناس**» الحديث، وفيه: «**وكان النبي يرسل إلى قومه خاصَّة وبُعثت إلى النّاس عامة**»[(٧)].

ـ نُصِر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا وأحلت له الغنائم:

قال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر،**

(١) انظر: فيض القدير (١/٧٢٢) [دار الكتب العلمية].

(٢) الجواب الصحيح (٢/١٠) [دار الفضيلة، ط١].

(٣) بهجة قلوب الأبرار (٧٢).

(٤) شرح العقيدة السفارينية (٥٥٤) [دار الوطن ط١].

(٥) انظر: أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي (١١) [مطبعة النجاح، ط١، ١٤١٦هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٢).

(٧) سبق تخريجه.

وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي»[(١)].

- أحلَّ اللهُ له مكةَ ساعةً من نهار:

قال ﷺ: «**إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار**»[(٢)].

ما اختص به النبي ﷺ في الآخرة، **ومن ذلك:**

- أول من تنشق عنه الأرض:

كما قال ﷺ: «**الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض**»[(٣)].

- له الشفاعة العظمى:

كما في الحديث الطويل، قال ﷺ: «**فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟**»[(٤)].

- أول من يقرع ويفتح له باب الجنة:

قال ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[(٥)].

- يدخل الجنة من أمته سبعون ألفًا بلا حساب ولا عذاب:

قال ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**» الحديث[(٦)].

قال العز بن عبد السلام: «من خصائصه ﷺ أنه يدخل إلى الجنة من أمته سبعون ألفًا بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره ﷺ»[(٧)].

٢ - خصائص النبي ﷺ التي اختص بها عن أمته، وقد يشاركه فيها بعض الانبياء:

- تنام عيناه ولا ينام قلبه:

ففي الحديث: «**والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**»[(٨)].

- أنّ زوجاته بعد موته محرمات النكاح:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٨٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١٢). وعند مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر**».

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٧).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٧) بداية السول (٥٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠).

۞ المسائل المتعلقة:

ـ الشفاعة لأهل الشرك:

أخبر النبي ﷺ أنّ الشفاعة النافعة إنما هي لأهل التوحيد، فقال ﷺ: «**فهي نائلة ـ إن شاء الله ـ من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»(١).

وبيَّن الله تعالى أنّ الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدَّثر].

قال ابن كثير: «لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلًا، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة، خالدًا فيها»(٢).

ونهى عن الاستغفار لهم، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة]، ولم يرد ما يدل على أنّ الشفاعة نافعة لأهل الشرك، غير ما جاء في حق أبي طالب من تخفيف العذاب، فقد سأل العباسُ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٣). وفي رواية: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**»(٤).

ولا تعارض بين هذا الحديث والآية السابقة؛ لأن هذه الشفاعة مما خص الله بها نبيّه ﷺ، وهي مقتصرة على تخفيف العذاب فقط دون الخروج من النار(٥).

۞ مذهب المخالفين:

المخالفون في هذه الخصائص قسمان من الناس: أهل غلو، وأهل جفاء(٦).

١ ـ **أما أهل الغلو منهم**: فهم الذين خرجوا عن الأمر المشروع لهم في حق النبي ﷺ، وادّعوا له خصائص ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل تترتب عليها أمورٌ شركية؛ كجعل خصائص النبي ﷺ من جنس خصائص الربوبية والإلۤهية، **ومن ذلك مثلًا**:

ـ اعتقاد أنّ من خصائص النبي ﷺ أنّه خُلق من نور الله تعالى، ثم خُلق من نور النبي ﷺ بقية المخلوقات.

ـ واعتقاد أنّ من خصائصه إجابة

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٨٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٠).

(٥) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٦٠٨) [دار المنهاج، ط١]، وشرح الطحاوية (١/ ٢٩٨) [مؤسسة الرسالة ط١٠].

(٦) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفا (٨٣ ـ ٣١٣) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

الدعاء بعد موته، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات.

ولا شك أنّ هذا من الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ؛ بل نهى عما هو أقل من هذا بكثير.

فعن أنس رضي الله عنه؛ أن رجلًا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال ﷺ: «**عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»[1].

٢ ـ **وأما أهل الجفاء**: فهم أولئك الذين لم يعرفوا لنبيِّنا ﷺ قدره، ولم يوقروه حق توقيره، فنفوا عنه ما أثبته الله من له خصائصه؛ كخصيصة ختم النبوة به ﷺ؛ بل لم يقفوا عند هذا الحد حتى أضفوا على معظِّميهم ومشايخهم وأئمتهم من الفضائل والمناقب ما لم يكن له ﷺ.

المصادر والمراجع:

١ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.

٢ ـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، لابن تيمية.

٣ ـ «تفسير ابن كثير».

٤ ـ «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.

٥ ـ «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب»، للسيوطي.

٦ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، للسفاريني.

٨ ـ «التوضيح والبيان»، للسعدي.

٩ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

١٠ ـ «خصائص المصطفى بين الغلو والجفا»، للصادق بن محمد بن إبراهيم.

الخَضِر عليه السلام

التعريف لغة:

الخَضِر: هو الموصوف بالخُضْرَة، يُقال: أخضر وخَضِر، كما يُقال: أعوَر وعَوِر، ويُطلَق الخَضِر اسمًا للنَّبت الرطب الذي ليس بشجر؛ كالقصيل والقضيب. والأخضر رمز البركة[2].

التعريف شرعًا:

الخَضر والخِضر، والخُضر: هو لقب صاحب موسى بني إسرائيل عليه السلام، الذي

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠/ ٢٣، رقم ١٢٥٥١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والضياء في المختارة (٥/ ٢٦) وقال: اسناده صحيح. وصحَّحه الألباني على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩٧).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٩٩) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (٤٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٩٩، ١٥/ ٣٦٣) [دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م].

«سأل موسى السبيل إلى لقيه»[(١)].

وهو عبد صالح، اختلف فيه؛ أهو نبي أم رسول أم ولي، والصحيح ـ وهو قول الجمهور ـ أنه نبي. وأما القول بأنه ملك يتصور في صورة الآدميين فباطل أو غريب جدًّا[(٢)].

سبب التسمية:

صحَّ في سبب تلقيب الخضر بهذا اللقب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما سمي الخضر: أنه جلس على فروة بيضاء؛ فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**»[(٣)]، **والفروة**: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، وقيل: بل المراد بذلك: وجه الأرض[(٤)].

وهذا نصٌّ صحيح صريح، لا ينبغي العدول عنه والالتفات إلى غيره من الأقوال التي لا دليل عليها.

الأسماء الأخرى:

الخضر هو: صاحب موسى عليه السلام، وبليا بن ملكان.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الخضر هو صاحب موسى بن عمران عليه السلام ـ نبي بني إسرائيل ـ الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، وقصَّ الله عز وجل علينا خبره معه في سورة الكهف.

وهو نبي موحى إليه من عند الله تعالى على الصحيح، وكان يسعه الخروج على شريعة موسى عليه السلام؛ لأن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إليه؛ بل إلى بني إسرائيل، ولا كان يجب على الخضر اتباعه؛ وإلا لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه[(٥)].

والصحيح: أنه مات كما مات إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يصح في بقائه إلى الآن شيء، وما يذكر أنه يلتقي هو وإلياس كل عام فكذب، وحديث سماع النبي ﷺ صوته موضوع مفترى. وأغلب مستند القائلين بحياته: حكايات عمن يظن بهم الصلاح،

---

(١) قطعة من حديث الخَضِر الطويل: أخرجه البخاري (كتاب العِلْم، رقم ٧٤)، و(كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٣٦٥) [دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧هـ]، تفسير القرطبي (١١/ ١٦، ٤١، ٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٣٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٨٧) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (١/ ٣٤٨، ٣٧٩) وما بعدها [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ]، وفتح الباري (٦/ ٤٣٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٢).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٤١) [مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٣٣).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢، ١١/ ٤٨، ٢٦٣، ٤٢٥)، ومختصر الفتاوى المصرية (١٠٦) [مطبعة المدني بمصر، ١٤٠٠هـ]، ومدارج السالكين (٢/ ٤٧٦) [دار الكتاب العربي ببيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ].

ومنامات، وأحاديث موضوعات واهيات! وكل هذا لا تقوم به الحجة.

الحقيقة:

قيل: إن اسمه: بليا بن ملكان (وقيل: كليمان) بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام؛ فعلى هذا: فمولده قبل إبراهيم الخليل؛ لأنه ابن عم الجد الثاني لإبراهيم عليه السلام.

وقيل: هو إلياس النبي عليه السلام، وروي فيه حديث[(١)]؛ وهو ضعيف، في إسناده من لا يعرف. وقيل: بل إلياس الوارد في الحديث غير إلياس النبي عليه السلام.

وقيل: بل هو اليسع عليه السلام.

ولا يصح هذا ولا ذاك!

وكنيته: أبو العباس، وكان من أبناء الملوك، قيل: كان أبوه ملكًا عظيمًا جدًّا.

ومن الأدلة الدالة على نبوته: أنه «لما فسَّر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضَّح له عن حقيقة أمره وجلَّى؛ قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]؛ يعني: ما فعلته من تلقاء نفسي؛ بل أمر أمرت به وأوحي إلي فيه»[(٢)]؛ ذلك لأن «أمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي؛ إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل جلاله، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى. وقد حصر تعالى طرق الإنذار في الوحي؛ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، و(إنما) صيغة حصر»[(٣)].

فالحاصل: أن «بواطن أفعاله تلك لا تكون إلا بوحي»[(٤)].

وهناك أدلة قاطعة تثبت موته عليه السلام[(٥)]؛ منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]، والخضر عليه السلام إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح عن معصوم يجب قبول خبره، والأصل عدمه حتى يثبت.

---

(١) عزاه في كنز العمال (رقم ٣٤٠٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط٥] لابن مردويه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٩٤١) [المكتب الإسلامي].

(٢) البداية والنهاية (١/ ٣٨٣)، بتصرُّف يسير. وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٧)، وفتح الباري (١/ ٢٢٠، ٨/ ٤٢٢)، والإصابة (٢/ ٢٨٨).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٢٠٣). وانظر: البداية والنهاية (١/ ٣٨٢)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٢٢)، والإصابة له (٢/ ٢٨٨).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٦)، بتصرُّف يسير.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٨)، والرد على المنطقيين له (٢٢٧) [مؤسسة الريان ببيروت، ط١، ١٤٢٦هـ]، والمنار المنيف لابن القيم (٦٧) [مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٣هـ]، والبداية والنهاية (١/ ٣٩٠، ٣٩٤)، والإصابة (٢/ ٢٩٨)، وفتح الباري (٦/ ٤٣٤)، وأضواء البيان (٤/ ٢١٠).

وثبت في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر ـ أو نحو ذلك ـ: «**ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ**»[(١)]؛ فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ ـ وهذا هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع به ـ فلا إشكال في إثبات موته، وإن كان قد أدرك زمانه؛ فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة؛ فيكون الآن ميتًا لا حيًّا؛ لأنه داخل في هذا العموم لا محالة.

قال ابن الجوزي ـ بعد ذكره للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى ـ: «فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر»[(٢)].

المنزلة:

لا شكَّ أن الخضر عبد صالح ذو منزلة رفيعة، وقد اختلف فيه؛ أهو نبي أم رسول أم ولي؟ والصحيح ـ وهو قول الجمهور ـ أنه نبي. وقد امتن الله تعالى عليه بالرحمة والعلم اللدني؛ وهما: رحمة النبوة وعلمها ـ كما يدل عليه سياق الآيات ـ[(٣)]؛ قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ الآيات [الكهف][(٤)].

ومن تأمل حوار موسى عليه السلام معه تظهر دلائل نبوته جلية واضحة: «فلو كان وليًّا وليس بنبي؛ لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد؛ بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه. فلو كان غير نبي؛ لم يكن معصومًا، ولم تكن لموسى ـ وهو نبي عظيم، ورسول كريم، واجب العصمة ـ كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة! ولما عزم على

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، برقم ٢٥٣٨)، ونحوه عند البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) نقله عنه من كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر: ابنُ كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٩٢).

(٣) انظر: أضواء البيان (٤/ ٢٠٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٢) [دار المعارف بمصر، ط٤]، وتاريخ الطبري (١/ ٣٦٥) [دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧هـ]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/ ٣٩٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٩هـ]، وتفسير البغوي (٥/ ١٨٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (١١/ ١٦، ٤١، ٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٧٦) [طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر]، وشرحه على صحيح مسلم (١٥/ ١٣٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٨٧)، والبداية والنهاية (١/ ٣٤٨، ٣٧٩ وما بعدها، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٦)، وفتح الباري (٦/ ٤٣٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والتحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٣).

الذهاب إليه والتفتيش عليه، ولو أنه يمضي حقبًا من الزمان ـ قيل: ثمانين سنة ـ! ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه، واتبعه في صورة مستفيد منه! فدل كل ذلك على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم ـ نبي بني إسرائيل الكريم ـ»[1].

الأدلة:

أما الدليل على أن الخضر هو صاحب موسى بن عمران عليه السلام: فقول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ الآيات [الكهف].

وهذا العبد هو الخضر عليه السلام بدلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ ـ ولا يعتد بخلاف من خالفها ـ؛ **ومنها**:

ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل؛ إنما هو موسى آخر! فقال: كذب عدو الله! حدثنا أُبَيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «**أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به، قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر،** ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾، **وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى** ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾، **قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾، **قال: فكان للحوت سربًا، ولموسى ولفتاه عجبًا، فقال موسى:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾، **قال: رجعا يقصان**

(١) البداية والنهاية (١/ ٣٨٢)، بتصرُّف يسير.

آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى ثوبًا فسلَّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا، قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾، **يا موسى إني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى:** ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾، **فقال له الخضر:** ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾، **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقُدُّوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها** ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**وكانت الأولى من موسى نسيانًا**»، قال: «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى:** ﴿...أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ **قال: وهذه أشد من الأولى، قال:** ﴿...إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ ـ قال: مائل ـ **فقام الخضر فأقامه بيده، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا،** ﴿...قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ فقال رسول الله ﷺ: **وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما**»[1].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ وقد سئل عن حياة الخضر ـ: «من أحال على غائب لم ينتصف منه! وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان!»[2].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٢) انظر: المغني عن الحفظ للموصلي (٧٧) [مع جنة المرتاب بنقد المغني للحويني، دار الكتاب العربي ببيروت، ط٢، ١٤١٤هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٠٢). وانظر: الموضوعات لابن الجوزي =

وقال ابن تيمية: «الصواب الذي عليه المحققون: أن الخضر ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه؛ كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم!»[(١)].

وقال الآلوسي: «المنصور: ما عليه الجمهور ـ يعني: القول بنبوته ـ، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الرد على من استدل بقصة الخضر على جواز الخروج عن شريعة النبي ﷺ:

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما خرج الخضر عن شريعة موسى كفر وارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وذلك أن شريعة محمد ﷺ عامة لجميع الثقلين: الجن والإنس وللعرب والعجم، ولأن شريعة نبينا محمد هي الشريعة الخاتمة، وهي الناسخة لجميع الشرائع.

والجواب عن عدم اتباع الخضر لشريعة موسى عليه السلام: هو أن رسالة موسى عليه السلام ليست عامة فرسالته خاصة لبني إسرائيل، ولم يرسل إلى الناس كافة، فهو كغيره من الأنبياء قبل محمد ﷺ، رسالاتهم خاصة إلى أقوامهم، فموسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل ولم يبعث إلى الناس كافة. فلا يقال: إن الخضر خرج عن شريعة موسى لأنه لم يكن من أمة موسى أصلًا حتى يقال خرج[(٣)].

ـ المسألة الثانية: موت الخضر:

لقد ثبت موت الخضر عليه السلام بنص الكتاب والسُّنَّة، من ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]، والخضر عليه السلام إن كان بشرًا فقد

= (١/ ١٩٩) [المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ]، والمنار المنيف لابن القيم (٦٣)، والإصابة لابن حجر (٢/ ٣٠١) وفي ثلاثتها نسبة هذا الجواب لغير الإمام أحمد.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠٠).

(٢) روح المعاني (١٥/ ٣٢٠) [إدارة الطباعة المنيرية].

(٣) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (١١/ ٤٢٦)، والرسائل الشخصية لابن عبد الوهاب (٦٨/ ٦) [ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب]، وشرح نواقض الإسلام للفوزان (١٧٥ ـ ١٨٠) [مكتبة الرشد].

دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح عن معصوم يجب قبول خبره، والأصل عدمه حتى يثبت.

وثبت في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر ـ أو نحو ذلك ـ: «**ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ**»[(١)]؛ فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ ـ وهذا هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع به ـ فلا إشكال في إثبات موته، وإن كان قد أدرك زمانه؛ فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة؛ فيكون الآن ميتًا لا حيًّا؛ لأنه داخل في هذا العموم لا محالة[(٢)].

قال ابن الجوزي بعد ذكره للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى ـ: «فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «الصواب الذي عليه المحققون: أن الخضر ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه؛ كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم!»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: المفاضلة بين موسى والخضر:

لا شكَّ أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر، فموسى من أولي العزم من الرسل الذين أمر الله نبيّه ﷺ أن يقتدي بهم، ويصبر كما صبروا، ومن الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا في العلم الخاص، كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه، فكان هذا من تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه.

وموسى عليه السلام إنما رام أن يعلم شيئًا من العلم الذي خصَّ الله به الخضر؛ لأن الازدياد من العلوم النافعة هو من الخير، وقد قال الله تعالى تعليما لنبيّه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، وعليه فلا غضاضة في أن يطلب نبي الله

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٥٣٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٨)، والرد على المنطقيين له (٢٢٧)، والمنار المنيف (٦٧)، والبداية والنهاية (١/ ٣٩٠، ٣٩٤)، والإصابة (٢/ ٢٩٨)، وفتح الباري (٦/ ٤٣٤)، وأضواء البيان (٤/ ٢١٠).

(٣) نقله عنه من كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر: ابنُ كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٩٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠٠).

موسى عليه السلام العلم على يد غيره، وخاصة أن هذا العلم الذي كان عند الخضر هو مما اختص الله به الخضر كما اختص الله موسى عليه السلام بعلم لا يعلمه الخضر، فالتفضيل في قوله: «**أعلم منك**» ليس مطلقًا، بدليل قول الخضر لموسى عليه السلام: إنك على علم علَّمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علَّمنيه لا تعلمه أنت.

وكونه يعلم مسائل لا يعلمها موسى لا يوجب أن يكون أفضل منه مطلقًا، كما أن الهدهد الذي قال لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] لم يكن أفضل من سليمان عليه السلام.

والخلاصة: أن تعلم موسى عليه السلام من الخضر لا يقدح في مكانة موسى وفضله، كما لا يعني بحال من الأحوال أن يكون الخضر أعلى منزلة من موسى عليه السلام[1].

الثمرات:

الثمرات الفوائد والأحكام التي يمكن استنباطها من قصة الخضر مع موسى عليه السلام أكثر من أن تحصر؛ وهي مبسوطة في كتب التفاسير وشروح الأحاديث وغيرها؛ **ومن أبرزها**[2]:

فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور. والتأدب مع المعلم. وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب. وتواضع الفاضل للتعلم ممن دونه. وتعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم. والأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود. وأن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها. واستعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ. وغير ذلك كثير.

مذهب المخالفين:

يمكن تقسيم المخالفين في مسألة الإيمان بالخضر عليه السلام إلى **ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: المخالفون في حقيقة الخضر ومن يكون.

القسم الثاني: المخالفون في إثبات نبوة الخضر، لغرض فاسد غير صحيح.

القسم الثالث: المخالفون في إثبات موت الخضر، لغرض فاسد غير صحيح.

فأصحاب القسم الأول ـ وهم ممن لا يعتد بقولهم من ملاحدة الفلاسفة والمتصوفة ـ زعموا أن أرسطو هو الخضر ـ خضر موسى ـ! وبعضهم يزعم أنه لزم خدمة الخضر وكان من تلامذته![3].

(١) انظر: المفهِم للقرطبي (٦/٢١٦) [دار ابن كثير، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (١١/٣٦٩)، ومختصر الفتاوى المصرية (٥٦٠)، وفتح الباري (١/٢٢١)، وتفسير السعدي (٤٨٢).

(٢) انتقينا هذه الفوائد من: تفسير السعدي (٤٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الرد على المنطقيين (٢٢٦)، ومجموع الفتاوى =

وهذا من أظهر الكذب البارد؛ فأرسطو توفي قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة؛ أي: بعد موسى بمدة طويلة تزيد على ألف وثلاثمائة سنة! والخضر مات قبل ذلك بزمان طويل! وظهور بطلان ذلك يغني عن التكلف في رده.

وهؤلاء منهم من يفضل الفلاسفة على الأنبياء في العلم، ويقولون: الخضر أعلم من موسى؛ لأنه فيلسوف يعلم الحقائق العقلية العلمية أكثر من موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، لكن هؤلاء كانوا في القوة العملية أكمل؛ ولهذا وضعوا الشرائع العملية![1].

وتفضيل غير الأنبياء على الأنبياء كفر بالإجماع، لا يمتري فيه أحد[2].

وأما أصحاب القسم الثاني: فقد قالوا بولاية الخضر، وأنه ليس بنبي ولا رسول؛ ليصلوا بذلك إلى غرض وقول فاسد؛ وهو: أن الولي قد يكون أفضل وأعلم من النبي، وأنه يسعه الخروج عن شريعة نبي زمانه، وأنه يعلم الغيب، وأن أتباعه وأشياخهم لهم طرق باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع؛ كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى!

وهذا قول الزنادقة والملاحدة من جهلة المتفلسفة والمتصوفة والباطنية[3]، الذين تذرعوا بهذا القول للوصول إلى هذه العقيدة الفاسدة.

وهذا القول ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام؛ بل هو زندقة وكفر، يقتل معتقده، واختلف في استتابته، على الخلاف في استتابة الزنديق؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع؛ فأحكام الله تعالى لا تعلم إلا بواسطة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقًا أخرى يعرف بها أمر الله ونهيه غير الرسل ـ حيث يستغنى عن الرسل ـ، أو قال: إنه مع النبي محمد ﷺ كالخضر مع موسى عليه السلام، أو جوَّز ذلك لأحد من الأمة؛ فهو كافر ـ فضلًا عن أن يكون من خاصة أولياء الله ـ، يقتل، وقيل: لا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى

= لابن تيمية (٤/ ١٦٠)، والإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي الصُّوفي (٢/ ١١٧) [مكتبة البابي الحلبي، ط٤، ١٤٠٢هـ].

(١) انظر: الرد على المنطقيين (٢٢٦، ٢٢٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٣٢، ٤/ ١٦١).

(٢) راجع: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٨) [مكتبة عيسى البابي الحلبي]، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [مطابع الصفا بمكة، ١٤٠٢هـ].

(٣) انظر: الرسالة القشيرية (١٦١) [دار الكتب الحديث بمصر]، والفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ١٨٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م]، والجواهر والدرر للشعراني (١٧٥، ٢٦٠) [المطبعة الأزهرية بمصر، ١٣٠٦هـ]، ودرر الغواص له (٨١) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، والطبقات الكبرى له (٢/ ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠) [دار الفكر ببيروت]، وجواهر المعاني لعلي حرازم برادة (١/ ٢٤٦) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣م].

سؤال وجواب![1].

وأما أصحاب القسم الثالث ـ وهم الصوفية والشيعة ـ: فقد قالوا ببقاء الخضر حيًّا إلى الآن، وأنه لم يمت[2]؛ أما الصوفية: فليؤكدوا مزاعمهم الباطلة في الأخذ والتلقي عنه والاجتماع به، بصفته صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الأنبياء الظاهرة، وأنه يسعه ويسعهم الخروج عن تلك الشرائع الظاهرة إلى علوم الأولياء الباطنة!

وأما الشيعة: فتمسكوا بهذا القول لتعليل طول أمد غيبة إمامهم (مهديهم المنتظر)، والذي تجاوزت مدة غيابه الألف ومائة سنة! فيقولون: إن بقاء مهديهم كبقاء الخضر!

وقد تقدمت الأدلة الكافية لإثبات موته عليه السلام بما يغني عن إعادتها هنا. مع أنه تقدم أيضًا الرد على الصوفية في اعتقادهم الفاسد هذا (في الرد على أصحاب القسم الثاني). وأما الشيعة؛ فيكفي هنا أن يقال في الرد عليهم ـ على تقدير حياة الخضر جدلًا ـ[3]: إمامكم المنتظر مسؤول في اعتقادكم عن المسلمين جميعًا في كل أمورهم، بخلاف الخضر؛ فهو ليس مكلَّفًا بهداية الأمة وقيادتها! فالمقارنة بينهما غير مسلمة!

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٢)، لابن حجر.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «تاريخ الطبري» (ج١).

٤ ـ «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (ج١)، لمحمد أحمد لوح.

٥ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١١)، للقرطبي.

(١) انظر: المفهِم للقرطبي (٦/ ٢١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٠)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢، ٤/ ٣١٨، ١٠/ ٤٣٤، ١١/ ٤٨، ٥٢، ١٦٥، ٤٢٢، ١٣/ ٢٦٦، ٢٨/ ٤٧٥)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٧٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، والزهر النضر في حال الخضر لابن حجر (٩٦) [دار غراس، ط٢، ١٤٢٥هـ]، والإصابة (٢/ ٢٨٨). وانظر: فتح الباري (١/ ٢٢٠، ٨/ ٢٧٥)، وكشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي (٦/ ١٧١) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، والرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٧/ ٦٨، ٢١٤ ـ ضمن مجموع مؤلفاته)، وأضواء البيان (٤/ ٢٠٥).

(٢) انظر للصوفية: ختم الأولياء للحكيم الترمذي (٣٦٢) [المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ١٩٦٥م]، ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندري (٨٢) [دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٩٩م]، والطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٠٩، ١٢٥)، والفِصَل في الملل والنِّحَل لابن حزم (٥/ ٣٧) [دار الجيل ببيروت، ط٢، ١٤١٦هـ]، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٧٧)، وللشيعة: الغيبة لمحمد بن جعفر الطوسي (٧٩) [مكتبة الألفين بالكويت]، وإلزام الناصب للحائري (١/ ٢٨٣) [مؤسسة الأعلمي ببيروت، ط٤].

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧١) [دار المعرفة ببيروت، ١٤٠٤هـ]، وأصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٨٦٧، ٨٦٨).

٦ ـ «الزهر النضر في حال الخضر»، لابن حجر.

٧ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٥)، للنووي.

٨ ـ «فتح الباري» (ج٦)، لابن حجر.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف»، لمحمد بن عبد الله الوهيبي.

الخضوع

يراجع مصطلح (الخشوع).

الخط (من صفات الله تعالى)

التعريف لغة:

«الخاء والطاء أصل واحد، وهو أثر يمتد امتدادًا، فمن ذلك الخط الذي يخطه الكاتب»[(١)].

التعريف شرعًا:

الخط في باب صفات الله تعالى: هو كتابة الله ﷻ بيده الكريمة[(٢)].

ومما ورد في النصوص مباشرة الله ﷻ لكتابته **شيئان**:

١ ـ التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

٢ ـ قوله ﷻ في الحديث القدسي: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة؛ فالخط هو الكتابة باليد، وخط الله كتابته بيده الكريمة سبحانه وتعالى.

الأسماء الأخرى:

الكتابة.

الحكم:

إثبات هذه الصفة (صفة الخط) لله ﷻ على حقيقتها وهي الكتابة بيده الكريمة، كما ثبت ذلك في النصوص الصحيحة الصريحة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الحقيقة:

حقيقة صفة الخط: كتابة الله جل وعلا بيده الكريمة.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله**

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٥٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ٥٥٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والصحاح (٣/ ١١٢٣) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٦٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: ما سيأتي في الأدلة وأقوال العلماء.

(٣) سيأتي في الأدلة.

بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثًا[(١)]. وفي رواية لمسلم: «**كتب لك التوراة بيده**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي**»[(٣)].

وأصل الحديث في «الصحيحين»[(٤)] بلفظ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه** ـ وهو يكتب على نفسه، وهو وَضعٌ عنده على العرش ـ: **إن رحمتي تغلب غضبي**».

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن حبان: «ذكر البيان بأن كتبة الله الكتاب الذي ذكرناه كتبه بيده»[(٥)]، وذكر تحت هذه الترجمة حديث أبي هريرة السابق.

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى عليه السلام بيده، وخلق جنة عدن بيده، وقد قيل: العرش، والقلم، وقال لسائر الخلق: كن فكان، فسبحانه»[(٦)].

وقال الغنيمان في رواية البخاري التي فيها: «**كتب في كتابه** ـ وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش ـ **إن رحمتي تغلب غضبي**»[(٧)]: «قوله: «**كتب في كتابه**» يجوز أن يكون المعنى: أمر القلم أن يكتب، كما قال الحافظ. ويجوز أن يكون على ظاهره بأن كتب ـ تعالى ـ بدون واسطة، ويجوز أن يكون قال: كن؛ فكانت الكتابة، ولا محذور في ذلك كله، وقد ثبت في سنن الترمذي وابن ماجه في هذا الحديث: «**إن الله** عز وجل **لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي**»[(٨)]. ولا يصح أن يراد بالكتابة: الحكم الذي قضاه، نظير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]؛ لقوله: «**فهو عنده فوق العرش**»»[(٩)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: كتابة الله تعالى:

كتابة الله تعالى الواردة في النصوص

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٣ وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٩٥)، وأحمد (١٥/٣٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسّن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٥) كما في الإحسان (كتاب التاريخ، ١٤/ ١٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٦) الشريعة (١/ ٧٠٤) [دار الفضيلة، ط٣، ١٤٢٨هـ].

(٧) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٨) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٩) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٥٦) [مكتبة لينة، ط٢، ١٤١٣هـ].

تشمل كتابته تعالى بخطه بيده الكريمة وذلك في أشياء مخصوصة كما تقدم، وتشمل كتابته سبحانه بأمر خلق من خلقه بذلك؛ كأمره للقلم لما خلقه قال له: «**اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[1].

وكأمره تعالى للملائكة بكتابة أعمال العباد، كما في قوله: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف]، وقوله عن الملائكة: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار].

- **المسألة الثانية: مراتب الوجود:**

«العلم له ثلاث مراتب: علم بالجنان، وعبارة باللسان، وخط بالبنان؛ ولهذا قيل: إن لكل شيء أربع وجودات: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي. وجود في الأعيان ووجود في الأذهان واللسان والبنان»[2].

الحكمة:

قال الغنيمان في كتابته سبحانه: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»: «كتابته تعالى ذلك؛ لتأكيد هذا الحكم، وإخبار عباده به؛ حتى يؤمنوا به ويعملوا على مقتضاه، أو لحكمة الله أعلم بها، وليس خوفًا من النسيان، تعالى الله»[3].

مذهب المخالفين:

على عادة أهل التعطيل في نفي صفات الله ﷻ وتحريفها عن حقيقتها كذلك نفوا هذه الصفة وحرَّفوها.

ومن ذلك: ما جاء في تعليق أحدهم على «صحيح البخاري» قوله: «"**خط لك بيده**": أنزل عليك كتابه التوراة»[4].

وهذا من المعلق تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه، فليس الخط في لغة العرب بمعنى الإنزال ولا هو من معانيه، والواجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما ثبتت في النصوص وبما تقتضيه لغتها العربية من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وإنكار المعطلة لخط الله وكتابته بيده هو فرع عن إنكارهم لصفة اليد الثابتة لله ﷻ.

المصادر والمراجع:

١ ـ «صحيح ابن حبان» (ج١٤).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/ ٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨) [المكتب الإسلامي].

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١١ ـ ١١٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٥٦).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٣٩) [دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ]، والمعلق هو: مصطفى ديب البغا، وانظر أيضًا في أقوال المخالفين: عمدة القاري للعيني (٢٣/ ٢٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، ومنحة الباري لزكريا الأنصاري (٩/ ٥٣٩) [مكتبة الرشد، ط١].

٢ ـ «الشريعة» (ج١)، للآجري.

٣ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج١)، للغنيمان.

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٢)، لابن تيمية.

٥ ـ طبعة مصطفى ديب البغا لـ«صحيح البخاري» وتعليقه عليه.

٦ ـ «عمدة القاري» (ج٢٣)، العيني.

٧ ـ «منحة الباري بشرح صحيح البخاري» (ج٩)، لزكريا الأنصاري.

الخط على الأرض

يراجع مصطلح (الرمال).

الخلافة الراشدة

التعريف لغة:

الخلافة الراشدة: مركَّب إضافي من: الخلافة، والراشدة.

قال ابن فارس: «الخاء واللام والفاء **أصول ثلاثة؛ أحدهما:** أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، **والثاني:** خلاف قدام، **والثالث:** التغيُّر»[1].

والخلافة من خَلَف، وهي من الأول: وسميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائمًا مقامه، وورد في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف]؛ أي: يكونون بدلكم في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٥٦]؛ أي: يخلف بعضكم بعضًا، والخليفة إنما يقع على الرجال خاصة، ولهذا يقال خلفاء[2].

والراشدة من رشد: وهي أصل واحد يدل على استقامة الطريق؛ قال ابن فارس: «الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريقة»[3].

التعريف شرعًا:

الخلافة الراشدة هي: الخلافة على منهاج النبوة وهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﵃، وهي خلافة النبوة كما سماها بذلك رسول الله ﷺ[4].

الأدلة:

روى سفينة ﵁ عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك ـ أو ملكه ـ من يشاء**».

ثم قال لي ـ يعني: الراوي سعيد بن

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٤٠٠، ٤٠٨) [دار القومية، ١٣٨٤هـ]، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٠).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٨).

(٤) هذا التعريف مستنبط من أحاديث رسول الله ﷺ كحديث: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين**»، ومن حديث حذيفة ﵁: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون..**» وكلام أهل العلم في ذلك.

جهمان ـ سفينةُ: أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي. قال: فوجدناها ثلاثين سنة[(١)].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ**» الحديث[(٢)].

وحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة، ثم سكت**»[(٣)]

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد رحمه الله: «والخلافة على ما روى سفينة عن النبي: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة**»، ونستعمل الخبرين جميعًا: ما قاله سفينة وما قاله ابن عمر[(٤)]، ولا نعيب من ربَّع بعليٍّ لقرابته، وصهره، وإسلامه القديم، وعدله، وأن أصحاب رسول الله الذين كانوا معه سمَّوه أمير المؤمنين، وأقام الحدود، ورجم، وحج بالناس، ودعي أمير المؤمنين»[(٥)].

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله: «ثم الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم، وأعظمهم منزلة عند الله عز وجل بعد النبيين والمرسلين، وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٤٦)، والترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٢٦) وحسَّنه، وأحمد (٣٦/ ٢٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠) [دار المعارف، ط١]، وفي السلسلة الصحيحة (١/ ٨٢٠ ـ ٨٢٧، رقم ٤٥٩) [مكتبة المعارف، ط. ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٢٨/ ٣٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب العلم، رقم ٩٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٣٥٥) [مؤسسة الرسالة]، والبزار في مسنده (٢/ ٢٢٣) [مكتبة العلوم والحكم]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٨٩): رجاله ثقات. وذكره الالباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٤) وقال: رواه الحافظ العراقي في: محجة القرب إلى محبة العرب (١٧/ ٢) وقال: «هذا حديث صحيح».

(٤) يشير إلى قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ؛ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم». أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم ٣٦٥٥).

(٥) السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٣) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٦هـ].

عبد الله بن عثمان وهو عتيق بن أبي قحافة رضي الله عنه، وتعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمة الله عليه، ثم من بعده على الترتيب والصفة: أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق، ثم من بعدهما على الترتيب والنعت: عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله وأبو عمرو ذو النورين، ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم: أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الأنزع البطين، صهر رسول الله ﷺ، وابن عم خاتم النبيين صلوات الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين»[(١)].

وقال ابن تيمية: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمة، وأما من قبله فكانوا خلفاء نبوة، فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا**»[(٢)]، وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم هم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»[(٣)].

(١) الشرح والإبانة لابن بطة (١٦٥ ـ ١٦٧) [دار الأمر الأول، ط٢، ١٤٣٣هـ].

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين ثابتة بالنص:

كما دلَّ على ذلك حديث سفينة رضي الله عنه المتقدم، والقرآن دلَّ على ذلك أيضًا:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور].

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون الذين وعدهم الله بالاستخلاف، ووصَّى رسول الله ﷺ باتباع سُنَّتهم لا يجوز أن تحمل الآية على استخلاف غيرهم؛ لأن وعد الله حق لا يجوز الخلف عليه، وما وجد الاستخلاف بعد النبي ﷺ مع الشروط المذكورة، في الأخبار المأثورة في جماعة غيرهم؛ كوجودها فيهم، وقد بيَّن النبي مدة خلافتهم، وحث على سُنَّتهم، ووصفهم بصفته»[(٤)].

وقال ابن حزم رحمه الله: «وفي نص القرآن دليل على صحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، وعلى وجوب

(٤) مناهج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين (٣٣٥) [دار غراس، ط١، ١٤٢٧هـ].

الطاعة لهم؛ وهو أن الله تعالى قال مخاطبًا لنبيِّه ﷺ في الأعراب: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة]، وكان نزول براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك، التي تخلَّف فيها الثلاثة المعذورون، الذين تاب الله عليهم في سورة براءة، ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك، إلى أن مات ﷺ، وقال تعالى أيضًا: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح]، فبيَّن أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك أبدًا، ثم عطف سبحانه عليهم، إثر منعه إياهم مع الغزو مع رسول الله ﷺ، وغلق لهم باب التوبة فقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح] فأخبر تعالى أنه سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم، وتوعدهم على عصيان الداعي لهم إلى ذلك العذاب الأليم، وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم؛ فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب؛ بني حنيفة، وأصحاب الأسود، وسجاح، وطليحة، والروم والفرس، وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس، والترك، فوجبت طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلًا، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضًا فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم»[1].

وقال ابن تيمية في وصف خلافة علي رضي الله عنه: «ولكن اعتقاد خلافته، وإمامته ثابتة بالنص، وما ثبت بالنص وجب اتباعه»[2].

- **المسألة الثانية: خلافة أبي بكر الصديق** رضي الله عنه:

اختلف فيها أهل العلم: أكانت بالنص الجلي، أم بالنص الخفي والإشارة، أم أنها ثبتت بالاختيار، وأن النبي ﷺ لم يستخلف أصلًا، **فهذه ثلاثة أقوال**[3]:

(١) الفصل في الملل والأهواء (٤/ ٨٩) [دار الجيل، ط١٤٠٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٠).

(٣) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (٢٢٣) =

القول الأول: وهو أن خلافة أبي بكر الصديق ثبتت بالنص الجلي، وهو قول لبعض أصحاب الحديث، وغيرهم، وكان ممن نصره ابن حزم الظاهري.

واستدل هؤلاء من السُّنَّة بأحاديث منها: ما رواه جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[١].

وعن عائشة؛ أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢].

قال ابن حزم: «فهذا نصٌّ جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده»[٣].

القول الثاني: وهو أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، وإلى هذا القول ذهب جماعة من أهل الحديث، والمتكلمين، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، ويروى عن الحسن البصري، وغيرهم.

واستدلوا بما استدل به الأولون، وزادوا عليهم الأحاديث الواردة في تقديم أبي بكر للصلاة في آخر حياة النبي في مرضه الذي مات فيه[٤]، وبأحاديث الرؤيا[٥]، وغيرها.

القول الثالث: وهو أنها ثبتت بالاختيار، وهو قول جمهور العلماء، والفقهاء، وأهل الحديث، والمتكلمين، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

واستدلوا من السُّنَّة بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أنه قال: «قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله فأثنوا عليه. فقال: راغب راهب، وددت أني نجوت منها كفافًا لا ليَ ولا عليَّ لا أتحملها حيًّا ولا ميتًا». قال عبد الله رضي الله عنه: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف[٦].

= [دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/١٧٦) [دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٩٦)، ومنهاج السُّنَّة (١/٤٨٦)، ومجموع الفتاوى (٣٥/٤٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم ٣٦٥٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٦٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٧) واللفظ له.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٣٠٣)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤١٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم ٣٦٦٤)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧٢١٨)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٣).

وعن ابن أبي مليكة قال: «سمعت عائشة وسئلت: من كان رسول الله مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة ابن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»[(١)].

والصواب: هو كما قال ابن تيمية: «والتحقيق أن النبي ﷺ دلَّ المسلمين على خلافة أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله، وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعوا عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره، والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبيَّنه النبي ﷺ بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: عدم النص الصريح على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

عدول النبي ﷺ عن النصِّ الصريح في تعيين خلافة أبي بكر رضي الله عنه له مسوغات شرعية؛ **منها:**

١ ـ بيان منزلة أبي بكر الصديق حينما يختاره المسلمون من غير عهد، وقد دلَّت النصوص على صوابهم، ورضا الله ورسوله بذلك، ففي هذا دليل على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص، كما قال النبي ﷺ لما أراد أن يكتب لأبي بكر كتابًا فقال لعائشة: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(٣)].

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**لقد هممت** ـ أو **أردت** ـ **أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد: أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**»[(٤)].

فبيَّن ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابًا خوفًا، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه، والأمة حديثة عهد بنبيِّها، وهم خير أمة أخرجت للناس، وأفضل قرون هذه الأمة، فلا يتنازعون في هذا الأمر الواضح الجلي،

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٥).
(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧).
(٣) تقدم تخريجه قريبًا.
(٤) أخرجها البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٦٦).

فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم، أو لسوء القصد، وكلا الأمرين منتف؛ فإن العلم بفضيلة أبي بكر جلي، وسوء القصد لا يقع من جمهور الأمة الذين هم أفضل القرون، ولهذا قال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستحقاقه لهذا الأمر يغني عن العهد، فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة وظهور فضيلة الصديق واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد[(١)].

٢ ـ علمه عليه الصلاة والسلام بوقوع خلافة أبي بكر، وأن المؤمنين يختارونها، فاكتفى به عن النص، وترك النص مع العلم بوقوع خلافة أبي بكر أفضل؛ لأن الأمة إذا ولَّته طوعًا منها بغير التزام وكان هو الذي يرضاه الله ورسوله ﷺ كان أفضل للأمة، ودلَّ على علمها ودينها، فإنها لو ألزمت بذلك لربما قيل: إنها أكرهت على الحق، وهي لا تختاره، كما كان يجري مثل ذلك لبني إسرائيل، ويظن الظان أنه كان في الأمة بقايا جاهلية من التقديم بالأنساب.

وقد يقول القائل: إنهم كانوا في الباطن كارهين لمن يأمرهم بمثل ما أمرهم به الرسول ﷺ، لكن لما ألزمهم بذلك احتاجوا إلى التزامه.

(١) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٥٢٤).

لو لم يقدح فيهم بذلك لم يمدحوا إلا بمجرد الطاعة للأمر، فإذا كانوا برضاهم واختيارهم؛ اختاروا ما يرضاه الله ورسوله ﷺ من غير إلزام، كان ذلك أعظم لقدرهم، وأعلى لدرجتهم، وأعظم في مثوبتهم، وكان ما اختاره الله، ورسوله ﷺ للمؤمنين به؛ هو أفضل الأمور له ولهم[(٢)].

٣ ـ قد يحتج بالنص على وجوب اتباعه في كل ما يقول ولا يمكن أحد بعد موت الرسول ﷺ أن يراجع الرسول ﷺ في أمره ليرده أو يعزله، فكان أن لا ينص على معين أولى من النص، وهذا بخلاف من يوليه في حياته، فإنه إذا أخطأ أو أذنب أمكن الرسول ﷺ بيان خطئه، ورد ذنبه وبعد موته لا يمكنه ذلك، ولا يمكن الأمة عزله لتولية الرسول ﷺ إياه فكان عدم النص على معين مع علم المسلمين بدينهم أصلح للأمة وكذلك وقع[(٣)].

٤ ـ لو نص على معين؛ لكان من يتولى بعده؛ إذا لم يكن منصوصًا عليه، يظن الظان أنه لا تجوز طاعته إذ طاعة الأول، إنما وجبت بالنص ولا نص معه.

وإن قيل: كل واحد ينص على الآخر فهذا إنما يكون إذا كان الثاني معصومًا،

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة (٦/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).
(٣) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٥٠).

والعصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ[(١)].

وأما خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت بالعهد من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، واتفاق الأمة عليه.

قال موفق الدين: «وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه، وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر، فصار إمامًا لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له»[(٣)].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «ونثبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه»[(٤)].

وأما خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت بمبايعة الناس له، ولم يتخلف عنها أحد.

قال الإمام أحمد: «ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان، كانت بإجماعهم»[(٥)].

قال ابن تيمية: «عثمان لم يصر إمامًا باختيار بعضهم؛ بل بمبايعة الناس به، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عنه أحد»[(٦)].

وأما خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد اختلف الناس فيها، واضطربوا على أقوال متعددة أظهرها **ثلاثة أقوال**[(٧)]:

القول الأول: أن زمانه كان زمان فتنة، فلم يكن هناك خليفة عام، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين، وغيرهم.

القول الثاني: وهو أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان خليفة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان خليفة، وقالوا: يصح أن يولى خليفتان، وهذا يحكى عن الكرامية، وغيرهم.

القول الثالث: وهو أن علي بن أبي طالب كان هو الخليفة والإمام، وتنازع أصحاب هذا القول فيمن كان مصيبًا في قتاله؛ أهو علي بن أبي طالب وأصحابه، أم معاوية بن أبي سفيان وأصحابه، إلى أقوال متعددة.

والصحيح الذي عليه الأئمة أن عليًّا رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، فزمان علي كان يسمي نفسه أمير المؤمنين، والصحابة تسميه بذلك، قال الإمام أحمد: «من لم يربِّع بعلي رضي الله عنه في الخلافة فهو أضل من حمار أهله»[(٨)].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٥١).
(٢) المغني (١٢/ ٢٤٣).
(٣) منهاج السُّنَّة (١/ ٥٣٢).
(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ].
(٥) نقلًا من: منهاج السُّنَّة (١/ ٥٣٢).
(٦) منهاج السُّنَّة (١/ ٥٣٢).
(٧) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٥٣٧ - ٥٤٠)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٩).
(٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٧٩).

وقال عبد الله بن أحمد: «سألت أبي رَحِمَهُ اللهُ عن التفضيل بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضوان الله عليهم؟ فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي الرابع من الخلفاء. قلت لأبي: إن قومًا ما يقولون: إنه ليس بخليفة؟! قال: هذا قول سوء رديء. وقال: أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، أفنكذِّبهم، وقد حج، وقطع، ورجم، فيكون هذا إلا خليفة»[1].

ـ المسألة الرابعة: هل يجوز أن يقال للسلطان والملك: خليفة الله؟

اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال[2]:

القول الأول: وهو القول بالجواز؛ لقيام الخليفة بحقوق الله في خلقه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، واستدلوا من السُّنَّة بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ما تعملون**»[3].

القول الثاني: وهو المنع مطلقًا، وهو قول جمهور العلماء، وقد نسبوا القائل بذلك إلى الفجور.

واستدلوا على المنع[4]: بأن الله تعالى لا يجوز أن يكون أحد خلفًا له، ولا يقوم مقامه؛ لأنه لا سمي له، ولا كفء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك.

وقالوا: إن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت، أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وهذه المعاني كلها منتفية عن الرب عَزَّ وَجَلَّ، وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم، شهيد، لا يموت ولا يغيب، وهو غني يرزق ولا يرزق.

ولهذا لما قالوا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا خليفة الله! قال: «أنا خليفة رسول الله ﷺ، وأنا راض به»[5]؛ بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل**»[6]؛ وذلك لأن الله عَزَّ وَجَلَّ حي شهيد، مهيمن، قيوم، رقيب، حفيظ، غني عن العالمين، ليس

(١) السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٧)، والأحكام السلطانية للماوردي (٢٢)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ٥٠٩)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٤٧١) [دار ابن عفان، ط١]، والمناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٢٥٢) [دار العاصمة].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الرقاق، رقم ٢٧٤٢).

(٤) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٧)، والأحكام السلطانية للماوردي (٢٢)، ومجموع الفتاوى (٣٥/ ٥٤)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ٥١٠).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٥، ٢٢٧، رقم ٥٩، ٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، قال ابن حجر: وهو منقطع. إتحاف المهرة (٨/ ٢٤٥).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحج رقم ١٣٤٢).

له شريك، ولا ظهير، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه

وقالوا في توجيه الآيات القرآنية التي استدل بها أصحاب القول الأول[١]: أن المراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، فآدم عليه السلام جعله الله خليفة في الأرض عمن كان قبله من الملائكة، أو الجن، والله جعل الناس يخلف بعضهم بعض، كلما هلك قرن خلفه قرن إلى أن تقوم الساعة، وكذلك تأويل الحديث الذي استدلوا به فالمراد به أن الله مستخلفكم عن الأمم التي هلكت، فتكونون خلفاء من بعدهم.

وقيل لأبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ؛ لأنه خلفه على أمته بعد موته، وكما كان النبي إذا سافر لحج، أو عمرة، أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة.

القول الثالث: وهو القول بالتفصيل الذي ذهب إليه ابن قيم الجوزية رحمه الله: وهو أنه إن أريد بالإضافة أنه خليفة عن الله تعالى، فالقول بالمنع هو الصواب، وأما إن أريد بالإضافة أنه استخلف عن غيره ممن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفًا عن غيره[٢].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٥٤)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ٥١٠)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٤٧١).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٤٧٢).

ـ المسألة الخامسة: هل الخليفة من أسماء الله تعالى؟

الخليفة ليس من أسماء الله الحسنى لعدم ورود دليل صحيح صريح به على سبيل التسمية، ومن عدَّه فيها وهو القرطبي فقد احتج له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ «كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ﴿...سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف]! **اللَّهُمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللَّهُمَّ هوّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنّا بُعده، اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: **آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[٣].

وهذا كما ترى أيها القارئ الكريم ورد مقيدًا فلا يتجاوز فيه النص، وعليه فإنه يُخبر به عن الله فيقال: هو الخليفة في الأهل، والصاحب في السفر، وهكذا، ولا يطلق عليه منهما اسم فلا يقال: من أسمائه تعالى الخليفة والصاحب.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٤٢).

وسُئلت اللجنة الدائمة: هل الخليفة والصاحب من أسماء الله تعالى؟ فأجابت: «ليس الخليفة ولا الصاحب من أسماء الله سبحانه، وقوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»** من باب الإخبار لا من باب التسمية»(١).

المصادر والمراجع:

١ ـ «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.

٢ ـ «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد بن حنبل.

٣ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.

٤ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

٥ ـ «الأحكام السلطانية»، لأبي يعلى الفراء.

٦ ـ «الأحكام السلطانية»، للماوردي.

٧ ـ «مفتاح دار السعادة»، لابن القيِّم.

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

الخُلَّة

التعريف لغة:

الخُلَّة: والخِلالة والخَلالة والخُلالة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله؛ أي: في باطنه. والخُلّة تجمع على: خِلال، يُقال: فلان كريم الخِلِّ والخُلَّة؛ أي: كريم الإخاء والمُصادَقة، والخليل: الصَّديق، ويُقال للأنثى: خليلة.

والخُلَّة: هي نهاية المحبة وكمالها.

وإنما قيل: خليل الله؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهاد، فإن الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(٢).

التعريف شرعًا:

الخلة: هي كمال محبة العبد لربه ونهايتها وتوحيدها ـ المستغرقة للمحب، والتي تخللت جميع أجزاء روحه وقلبه بحيث لم يبق فيها موضع ومسلك لغير المحبوب ـ، وكمال محبة الرب جل جلاله لخليله، المستلزمة من العبد كمال العبودية لله تعالى، ومن الربِّ سبحانه وتعالى كمال

(١) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٤٠) (العقيدة، توحيد الأسماء والصفات).

(٢) انظر: لسان العرب (١١/ ٢١٧) [دار صادر، ط٣]، ومقاييس اللغة (٢/ ١٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٤/ ١٦٨٧) [دار العلم للملايين، ط٤]، وتهذيب اللغة (٦/ ٥٦٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (١٢٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه.

فالخلة تكون من جانب الرب تعالى، ومن جانب العبد؛ فالخليل هو: المحب لله محبة تامة كاملة، المحبوب له سبحانه وتعالى محبة تامة كاملة[1].

سبب التسمية:

الخلة: أعلى درجات ومقامات المحبة، وسميت بهذا؛ لأن محبة صاحبها لمحبه تخللت جميع أجزاء روحه وقلبه فصارت خلاله ـ أي: في باطنه ـ؛ فلم تدع فيه خللًا إلا ملأته؛ بحيث لم يبق فيها موضع خال من حبه، فضلًا عن أن يكون محلًّا لمحبة غيره، فضلًا عن أن يكون له فيها منازع![2].

هذا من حيث إضافة الخلة إلى المخلوق. أما معنى الخلة في حق الله تعالى؛ فيجب إثباتها على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته وكماله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

الحكم:

فالخُلَّة صفة تضاف إلى الله تعالى وتضاف إلى المخلوق:

فيجب على المسلم أن يعتقد: أن الخلة صفة فعلية اختيارية لله (متعلقة بمشيئته وقدرته عز وجل)، خبرية (سمعية، نقلية)، ثابتة بالكتاب والسُّنَّة، وأن الله يحب ويخالل ويصطفي من يشاء من خلقه، كما أنه يكره ويبغض من يشاء منهم. والواجب: إثبات هذه الصفة لله ـ كسائر صفاته جل جلاله ـ على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله وعظمته، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، وإثبات لوازمها كالرضا، واستجابة الدعوة، والنصر، ونحو هذا. فالخليلان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ كانا محبين لله، محبوبين له سبحانه وتعالى.

أما إثبات الخلة للمخلوقين؛ فيدخل ويجوز عليها الكيف؛ فيقال ـ مثلًا ـ: تخللت محبة العبد لربه جميع أجزاء روحه وقلبه إلخ.

وأما خلة المخلوق للخالق: فهي ليست لأي أحد، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الحقيقة:

الخلة: أعلى وأرفع درجات ومقامات المحبة، وهي رتبة لا تقبل المشاركة

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٧٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٧، ٢٠٣)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٠) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]، وروضة المحبين (٤٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري لابن رجب (٢/ ٥٥٢) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: المراجع السابقة، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٤٠٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ].

والمزاحمة؛ والخلة لله هي نهاية مدارج السالكين إلى ربِّ العالمين وغاية ما يصل إليه المحبون منها؛ ولذا لم يصل إلى هذا المنصب أحد من العالمين على الكمال إلا أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم، وخاتمهم المصطفى محمد صلى الله عليهما وسلم (وهو ﷺ الأفضل مقامًا)؛ فهو منصب خالص لهما خاص بهما دون غيرهما، لا يناله أحد بكسب أو اجتهاد؛ فكانا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ محبان لله سبحانه وتعالى محبة تامة كاملة، محبوبان له سبحانه محبة تامة كاملة.

الأدلة:

الخلة: صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بنص الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع أهل السُّنَّة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء].

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ سئل: من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**»؛ فقالوا: ليس عن هذا نسألك! قال: «**فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**» الحديث[1]؛ فيوسف عليه السلام هو: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عليهم السلام.

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٨).

وصح عنه ﷺ؛ أنه قال: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**»[2]، وفي رواية ابن مسعود: «**ولكن صاحبكم خليل الله**»[3]، وفي رواية: «**ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلًا؛ ولكن أخوة الإسلام ومودته**»[4].

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم الله موسى تكليمًا؛ إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا»[5].

وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: «ونعتقد أن الله تعالى اتخذ

(٢) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٢) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.
وأخرج البخاري منه فقرة أبي بكر رضي الله عنه، من أحاديث: أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم؛ انظر: صحيح البخاري (كتاب الصلاة، برقمي ٤٦٦، ٤٦٧)، و(كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٣٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وفي رواية ابن عباس عند البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٧): «**ولكن خلة الإسلام أفضل**».

(٥) العقيدة الطحاوية (٢٠) [دار ابن حزم ببيروت، ط١، ١٤١٦هـ].

إبراهيم خليلًا، واتخذ نبيِّنا محمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة: الفقر والحاجة. والخلة والمحبة صفتان لله، هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه؛ فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط»[1].

وقال ابن تيمية: «الخلة أخص من مطلق المحبة؛ بحيث هي من كمالها وتخللها المحب؛ حتى يكون المحبوب بها محبوبًا لذاته لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لشيء غيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير! ومن كمالها: لا تقبل الشركة والمزاحمة ـ لتخللها المحب ـ؛ ففيها كمال التوحيد وكمال الحب؛ فالخلة تنافي المزاحمة وتقدم الغير؛ بحيث يكون المحبوب محبوبًا لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره، وهذه محبة لا تصلح إلا لله؛ فلا يجوز أن يشركه غيره فيما يستحقه من المحبة، وهو محبوب لذاته، وكل ما يحب غيره ـ إذا كان محبوبًا بحق ـ فإنما يحب لأجله، وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة»[2].

(١) نقله عن كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات: ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٨٠)، وانظر منه: (٥/ ٧١، ٧٧).

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من كان خليلًا لله فلا يصلح أن يخالل أحدًا من الناس:

سبق تقرير القول بأن: الخلة لما كانت هي كمال الحب المستلزم استيعاب القلب له؛ لم يصلح لمن كان خليلًا لله تعالى أن يخالل أحدًا من الناس كائنًا من كان؛ ولذا تبرأ النبي ﷺ ونفى أن يكون له خليل من أهل الأرض. ولكن وردت بعض الأحاديث فيها إثبات الخلة من جانب بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ؛ كقول أبي هريرة رضي الله عنه: «أوصاني خليلي بثلاث» الحديث[3]، وقول أبي ذر رضي الله عنه: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع» الحديث[4]، ونحو هذا من الأحاديث.

وهذا مشكل، وأجيب عنه[5]: بأن ما نفاه النبي ﷺ من أن يكون له خليل غير الله تعالى، هو غير ما أثبته هؤلاء

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٧٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٢١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٣٧).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢٣٤، ١٥/ ١٥١) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٥٧) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ]، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين لسليمان بن محمد الدبيخي (٤٧٧).

الصحابة رضي الله عنهم؛ فالممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلًا، ولا يمنع هذا اتخاذ الصحابة النبي ﷺ خليلًا! وقيل: إن قول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر**»؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلًا لا العكس، ولا يقال: إن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك[1].

كما ثبت أيضًا في القرآن إمكان وقوع الخلة من المخلوق للمخلوق، كما قال تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان]. ومما سبق من الأحاديث آنفًا تؤكد ذلك أيضًا، والله أعلم.

ـ المسألة الثانية: وصف الخلة أكمل من وصف المحبة:

ثبت في حديث الشفاعة الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «**ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا**»، وفي رواية للبخاري: «**ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن**»، وفي ثالثة لمسلم: «**ولكن عليكم بإبراهيم** عليه السلام؛ **فإنه خليل الله** ـ وفي رواية: **خليل الرحمٰن** ـ»[2]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهي تدل على[3]: أن الخلة أعلى وأرفع مقامات المحبة، وأنها أخص من مطلق المحبة، وأن الخليل أفضل من الحبيب خلافًا لما يعتقده بعض الغالطين من أن مقام المحبة أفضل؛ فالله تعالى يحب أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين والمحسنين وغيرهم، ومع هذا لم يخص بالخلة أحدًا من العالمين غير رسوليه محمد وإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ! والنبي ﷺ كان يحب أبا بكر وعائشة وأسامة بن زيد وأباه ومعاذًا والأنصار وغيرهم رضي الله عنهم، وقد نفى عن أبي بكر ـ وهو أحب الرجال إلى قلبه ـ الخلة، وتبرأ من خلة المخلوقين من أهل الأرض، وأخبر أنه لو كان يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلًا لاتخذ أبا بكر خليلًا ولكان أحق الناس بذلك! وذلك لأن الخلة هي كمال الحب المستلزم استيعاب القلب له؛ وهذا لا يصلح إلا لله تعالى؛ فمن كان خليلًا لله فلا يصلح له أن يخالل أحدًا من الناس، كائنًا من كان! وإنما يصلح

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/٥٧)، وانظر: شرح مسلم للنووي (١٥/١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٥)، و(كتاب التوحيد، برقمي ٧٤١٠، ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٦٧، ١٠/٦٨، ٢٠٤)، ومنهاج السُّنَّة (٥/٣٥٢، ٧/٣٧٥)، وروضة المحبين (٤٩)، والداء والدواء (٤٤٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٦٤)، وفتح الباري لابن رجب (٢/٥٥٢).

للمخلوق: المحبة ـ التي هي دون الخلة ـ؛ ولهذا اقتصر ﷺ في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه عليها، وعبَّر عنها بقوله: «**ولكن أخوة الإسلام ومودته**»[(١)].

«وهذا هو السر الذي لأجله ـ والله أعلم ـ أمر الخليل بذبح ولده وثمرة فؤاده وفلذة كبده؛ لأنه لما سأل الولد فأعطيه؛ تعلقت به شعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة؛ فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره؛ فأمره بذبح الولد؛ ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك، وعزم عليه عزمًا جازمًا؛ حصل مقصود الأمر؛ فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة! فحال بينه وبينه، وفداه بالذبح العظيم»[(٢)]؛ فكان المقصود هو: «تفريغ محل الخلة منه؛ حتى لا تزاحم خلة الواحد الأحد محبة الولد»[(٣)]!

وذهب بعض الصوفية والمتكلمين إلى: أن الخلة والمحبة بمعنى واحد؛ فلا يكون الحبيب إلا خليلًا، ولا يكون الخليل إلا حبيبًا! وذهب بعضهم إلى: أن المحبة أعلى وأرفع من الخلة، ولذا خص هؤلاء الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؛ فيقولون: إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله[(٤)]!

واستدل لقول هؤلاء ببعض الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة! كحديث: «إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» الحديث[(٥)]، وحديث: «اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وموسى نجيًّا، واتخذني حبيبًا، ثم قال: وعزتي وجلالي؛ لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي»[(٦)]، وحديث: «إن العباس يحشر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠)، وانظر: روضة المحبين (٤٨)، وزاد المعاد (١/ ٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ]، وجلاء الأفهام (٣١٣) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، وبدائع الفوائد (٣/ ١١٩٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٣)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ٢٠٢، ٥/ ٣٥٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٩٧)، وتفسير السعدي (٧٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٥٥٣).

(٤) انظر: بحر الفوائد للكلاباذي (٢٧٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ]، وإكمال المعلم (٧/ ٣٨٥)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٨٤، ٢٨٧)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٤)، والداء والدواء (٤٤٦)، وروضة المحبين (٤٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٠)، وروح المعاني للآلوسي (٣/ ١٤٣) [إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٦) وقال: هذا حديث غريب، والدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ٤٨)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفيه قصة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٠٧٧) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ].

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، وأشار إلى ضعفه، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٠) [مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ]، وقال: لا يصح، وحكم بوضعه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦٠٥). وانظر: فيض القدير للمناوي (١/ ١٠٩).

بين حبيب وخليل»[١]، ونحوها من الأحاديث التي لا تثبت ولا يصلح الاعتماد عليها في هذه القضية.

وقد تقدم تقرير أن الخلة أخص من مطلق المحبة، وأنها أعلى وأرفع مقاماتها، وأن الخليل أفضل من الحبيب، وأن الخلة ثابتة لنبيِّنا محمد ﷺ، كما هي ثابتة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

- المسألة الثالثة: اتخاذ الله تعالى إبراهيم ومحمدًا ﷺ خليلين دون غيرهما:

على المسلم أن يعتقد: أن الخلة الإلٰهية لم يصل إليها أحد من العالمين على الكمال إلا: خليل الله إبراهيم أبا الأنبياء، وخاتم النبيين محمدًا صلى الله عليهما وسلم؛ فهو مقام خالص لهما خاص بهما، لا يناله أحد بكسب أو اجتهاد.

فإن الخليلين إبراهيم ومحمدًا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لم يصلا إلى مرتبة الخلة (التي هي أشرف وأرفع مقامات المحبة) إلا بكثرة طاعتهما لربهما، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، والقيام بجميع مقامات العبادة التي يحبها الله تعالى ويرضاها، والمسارعة إلى رضاه ومحبته عز وجل؛ فكان جزاؤهما أن الله اصطفاهما فصارا خليلين له عز وجل محبوبين له[٢].

فهذا هو السر في اتخاذ الله لهما خليلين، لا من حاجة به سبحانه وتعالى إليهما أو إلى خلتهما ـ حاشا لله ـ؛ ولذا قال عز وجل بعد قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء]؛ تنبيهًا على هذه النكتة[٣]، وأنه سبحانه وتعالى الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي يحتاج إليه الناس ولا يحتاج إليهم. والله أعلم.

قال حافظ الحكمي:

وفضل اللَّه بعض المرسلين على
بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا
من ذاك أعطى لإبراهيم خلته
كذا لأحمد لم يشركهما أحد[٤].

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على إثبات صفة الخلة لله تعالى، وأن الله سبحانه وتعالى يحب

(١) أخرجه القاضي أبو يعلى في ستة مجالس من حديثه (٦٩، رقم ٣٨) [دار البشائر ودار الصديق، ط١]، وفي سنده: عبد الصمد بن موسى وعبد الصمد بن علي الهاشميان، وهما ضعيفان، ولهما مناكير.
وقد ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٤)، وقال عنه وعن أمثاله في الباب: «أحاديث موضوعة، لا تصلح أن يعتمد عليها».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٣٠) [دار هجر، ط١]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٢، ٤٢٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٣٠)، وتفسير الرازي (١١/ ٢٢٨).

(٤) الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة للحكمي (٣٨) [مطابع البلاد السعودية بمكة، ١٣٧٣هـ].

ويحب لذاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، دون تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، وعدم تعدي ذلك بوصف الله تعالى بأوصاف المحبة ومعانيها التي لم ترد في الكتاب والسُّنَّة.

ومن الثمرات أيضًا: حض المكلف وحثه وتحريضه على تتبع ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال ـ الظاهرة والباطنة ـ فيتحرى العمل بها، وما يكرهه منها فيتجنبه؛ رجاء الوصول إلى درجة المحبوبية بعد المحبة؛ فيكون حبيبًا لله بعد أن كان محبًّا له ﷻ.

ومن الثمرات أيضًا: أن في إثبات الخلة لإبراهيم ونبيّنا محمد ﷺ دليل على القول المشهور ـ وحكي إجماعًا ـ بأن: إبراهيم هو أفضل الرسل والخلق بعد نبيِّنا محمد ﷺ.

مذهب المخالفين:

يمكن تقسيم المخالفين في مسألة الخلة إلى قسمين:

١ ـ المخالفون في إثبات حقيقة الخلة.

٢ ـ المخالفون في منزلة الخلة.

القسم الأول: المخالفون في إثبات حقيقة الخلة:

أنكرت الجهمية حقيقة المحبة بين الله وخلقه من الطرفين؛ فلا يكون الله عندهم محبًّا ولا محبوبًا! زعمًا منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة ومشاكلة بين المحب والمحبوب؛ كمحبة البشر للبشر مثلًا، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث (الخالق والمخلوق) توجب المحبة! وأنكروا تبعًا لذلك الخلة، فهي محبة خاصة وأن يكون لله خليل من عباده! وفسروها من قبل العبد بالحاجة والفقر؛ فالخليل عندهم: الفقير المحتاج؛ فالخلة ـ على هذا ـ يشترك فيها جميع الخلائق حتى عابدو الأوثان والأصنام، في كل نفس وطرفة عين! ولا مزية للخليلين عليهما السلام على أحد من الخلق؛ فكل الخلق أخلاء الله عند الجهمية! ثم إن الخلة تكون من الجانبين: جانب الرب وجانب العبد، فالخليل محب لله ﷻ، محبوب له، «ولا يتصور الحاجة من الجانبين»[(١)]!

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام: الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية ـ وعنه أخذه الجهم بن صفوان ـ، فكان يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا؛ فضحى به أمير العراق والمشرق بواسط خالد بن عبد الله القسري، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان!

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٩٢) [دار طيبة، ط٤].

وأصل هذا القول مأخوذ عن المشركين والصابئة، عبدة الكواكب والنجوم من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب، الذين يزعمون أن الربَّ ليس له صفة ثبوتية أصلًا! وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا وموسى كليمًا!

وأخذ هذا المذهب المبتدع عن الجهمية: المعتزلة، ثم الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، ومن وافقهم[(١)].

وتأول هؤلاء محبة الله للعبد ـ خوفًا من تمثيل وتشبيه الخالق بالمخلوقين ـ بأنها[(٢)]: إرادة الإحسان له، ورضاه، وتيسير الخير له، وتوفيقه، ونحو ذلك من المعاني. ومحبة العبد للربِّ بأنها: انفعال النفس نحو تعظيمه وطاعته وامتثال أمره وإرادة عبادته، ونحو هذا، أو: محبة الثواب وما يخلقه الله لهم من النعيم، لا محبة ذاته سبحانه وتعالى! فأثبتوا لوازم المحبة ونفوا حقيقتها.

وتأولوا الخلة أيضًا بإرادة لوازمها[(٣)]؛ كالرضا، وإيصال الخير والنفع له، واستجابة الدعوة، والذكر بالخير، والنصر، والمعونة، ونحو ذلك؛ زعمًا منهم بأن الخلة الحقيقية تستحيل على الله؛ فأريد بها ـ ولا بد ـ لوازمها لا حقيقتها!

وهم بذلك قد وقعوا في نظير ما فروا منه! فهذه اللوازم هي مما يتصف به المخلوق أيضًا، فإن كان إثباتها لله تعالى لا يقتضي تمثيلًا ولا تشبيهًا فكذلك المحبة والخلة، وإلا لزم المحظور ووقعوا في التناقض لا محالة!

فالواجب ـ وهو المذهب الحق، مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأمة ـ: إثبات المحبة والخلة حقيقة، وأن الله نفسه عز وجل يحب عباده المؤمنين

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٣٧، ٦/ ٦٩، ١٠/ ٦٦، ١٣/ ١٧٧)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ٣٠٩، ٥/ ٣٩٢، ٣٩٩)، والنبوات (١٠١)، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٣٧)، ومدارج السالكين (١/ ٩١، ٢/ ٢٩٢)، والصواعق المرسلة (٣/ ١١٥٣) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٩٥)، وشرح ابن عيسى على نونية ابن القيم (١/ ٥١) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح النونية لهراس (١/ ٢٥) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر ـ مثلًا ـ: الكشاف (٢/ ٢٥٥) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٧/ ٣٨٥) [دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ١٤١٩هـ]، والشفا له (١/ ٢٨٥) [طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، والمفهم لأبي العباس القرطبي (١/ ٢١٢، ٦/ ٥٤٣، ٦٤٣)، وتفسير الرازي (٤/ ١٧٤)، وتفسير البحر المحيط (١/ ٦٤٤، ٣/ ٥٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، والتحرير والتنوير (٢/ ٩٠، ٦/ ٢٣٦).

(٣) انظر ـ مثلًا ـ: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٣)، وتفسير الرازي (١١/ ٢٢٨)، وتفسيرالبحر المحيط (٣/ ٣٧٢)، وتفسير الخازن (١/ ٦٠٣) [دار الفكر ببيروت، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٨٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٥/ ٤١٤) [دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة]، وفيض القدير للمناوي (١/ ١٠٩) [دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٣٩١هـ]، والتحرير والتنوير (٥/ ٢١١).

محبة حقيقية، ويحب لذاته محبة حقيقية، وإثبات لوازم تلك المحبة من الجانبين ـ أيضًا ـ.

وقد سبقت الأدلة الكثيرة على إثبات المحبة والخلة لله تعالى، واتصافه بهما ﷻ، على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وأنه تعالى يحب ويحب لذاته ﷻ، فلا ترد بالعقل والأقيسة والحجج الواهية الباطلة!

ثم إنه يلزم من نفي المحبة لوازم باطلة ينزه عنها الشرع؛ فآخر أمر هؤلاء النفاة المعطلة أو المؤولة: «أنه لا يبقى عندهم فرق ـ بالنسبة إلى الله ـ بين أوليائه وبين أعدائه، ولا بين الإيمان والكفر، ولا بين ما أمر به وما نهى عنه، ولا بين بيوته التي هي المساجد، وبين الحانات ومواضع الشرك! وغاية ما يثبتونه من الفرق: أن هذا علم على لذة تحصل للإنسان، وهذا علم على ألم يحصل للإنسان!»[١].

هذا مع أن ما استندوا إليه في نفي المحبة والخلة بقولهم: «المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمحدث» يجاب عنه: بأن لفظ (المناسبة) لفظ مجمل؛ فإن كان المراد بأن أحدهما أعظم من الآخر؛ فلا ينسب هذا إلى هذا؛ فهذا معنى صحيح، ولكن «المحبة ليست مستلزمة لهذه النسبة! وإن أريد: أنه ليس في القديم معنى يحبه لأجله المحدث؛ فهذا رأس المسألة. فلم قلت: إنه ليس بين المحدث والقديم ما يحب المحدث القديم لأجله؟! ولم قلت: إن القديم ليس متصّفًا بمحبة ما يحبه من مخلوقاته؟! والمحبة لا تستلزم نقصًا؛ بل هي صفة كمال؛ بل هي أصل الإرادة؛ فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة؛ فإن الشيء إنما يراد لأنه محبوب أو لأنه وسيلة إلى المحبوب، ولو قدر عدم المحبة لامتنعت الإرادة؛ فإن المحبة لازمة للإرادة، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، وكذلك المحبة مستلزمة للإرادة؛ فمن أحب شيئًا فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته، ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة، والحكمة مرادة محبوبة، فهو خلق ما خلق لمراد محبوب كما تقدم، وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين فيريد الإحسان إليهم، وهم يحبونه فيريدون عبادته وطاعته»[٢].

القسم الثاني: المخالفون في منزلة الخلة:

وهؤلاء طوائف وأقسام كثيرة:

١ ـ ذهب بعض غلاة الصوفية إلى

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٢٥).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٤٠٠)، بتصرف يسير.

تقديم بعض أوليائهم في المنزلة على منزلة الخليلين ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، اللذين اصطفاهما الله تعالى وخصهما بالخلة من دون العالمين؛ فكانا أفضل الخلق على الإطلاق! فذهب هؤلاء إلى تقسيم مقامات الأولياء إلى أربعة مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)[1]! فمقام بعض الأولياء عند هؤلاء الغلاة يكون فوق مقام الخليلين ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فضلًا عن باقي أولي العزم من الرسل، فضلًا عن مقام النبوة والرسالة! فالله المستعان، وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

٢ ـ وقد تجرأ غلاة الشيعة أيضًا على نظير هذا؛ فنص بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل[2]! وهذا كفر بالإجماع، لا يمتري فيه أحد[3].

ومن أعجب أعاجيبهم: أنهم أوردوا في كثير من تفاسيرهم المعتمدة، في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [الصافات]، عن جعفر الصادق ـ كذبًا وافتراء ـ أنه قال: «أي: إن إبراهيم من شيعة علي»[4]! وهذا مبني على عقيدتهم السابقة في تفضيل الأئمة على الأنبياء، وفساده يغني عن إفساده!

المصادر والمراجع:

١ ـ «جامع الرسائل» (ج٢)، لابن تيمية.

٢ ـ «الداء والدواء»، لابن القيِّم.

٣ ـ «روضة المحبين»، لابن القيِّم.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

٥ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

(١) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (٥) [المطبعة الوهيبية بطرابلس، ١٣٩٨هـ]، والفتوحات الإلٰهية لابن عجيبة الحسيني (٢٦٤) [عالم الفكر بالقاهرة، ١٩٨٣م].

(٢) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفار (٥/ ٢٤٧) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (١/ ٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [نشر الحركة الإسلامية بإيران، ومطبعة الخليج بالكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٦١٣).

(٣) راجع: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٨)، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [مطابع الصفا بمكة، ١٤٠٢هـ].

(٤) راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني (٤/ ٢٠) [طبعة طهران، ط٢]، وتفسير القمي (٢/ ٣٢٣) [بتصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، ط٢، ١٣٨٧هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٦٨/ ١٢) [دار إحياء التراث، ط٣]، بواسطة: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣٤).

٦ ـ «فتح الباري» (ج٢)، لابن رجب.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج٣)، لابن القيِّم.

٩ ـ «مفتاح دار السعادة» (ج٢)، لابن تيمية.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٥)، لابن تيمية.

الخَلْق

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء واللام والقاف **أصلان**: **أحدهما**: تقدير الشيء، **والآخر**: مَلاسَة الشيء.

فأمّا الأوّل: فقولهم: خَلَقْت الأديم للسِّقاء، إذا قَدَّرْتَه وقال زهير:

ولأَنْت تَفْرِي[1] ما خلَقْت وبَعـ
ـضُ القَوم يخلُق ثمَّ لا يَفْرِي

والخلق: خلق الكذب وهو اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. **وأمّا الأصل الثاني**: فصخرة خَلْقَاء؛ أي: مَلْساء»[2].

(١) يقول الأزهري في تفسير هذا البيت: «يمدح رجلًا فيقول له: أنت إذا قدرت أمرًا قطعته وأمضيته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه؛ لأنه غير ماضي العزم، وأنت مضاء على ما عزمت عليه». تهذيب اللغة (٧/١٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٢١٣ ـ ٢١٤) [دار الجيل، ط٢].

«والْخَلْقُ في كلام العرب: ابتداعُ الشيء على مثالٍ لم يُسْبَقْ إليْه. وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ الأَنْبَارِيِّ: الْخَلْقُ في كلام العرب على **ضربين**، **أحدهما**: الإنشاء على مثالٍ أبدعه، **والآخر**: التقدير»[3].

فالخلق في اللغة يطلق على المصدر بمعنى: التقدير، والإنشاء، والإيجاد، والإبداع، وقد يراد به المخلوق.

التعريف شرعًا:

الخلق: وصف لله ذاتي فعلي و«هو إبداع الكائنات من العدم»[4].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد والإبداع تارة، ويأتي بمعنى التقدير تارة أخرى، والمعنى الشرعي موافق لهذا غير أن الشارع قيده فجعل الإيجاد خاصًّا بالله تعالى؛ لأنه لا يمكن للخلق جميعًا أن يوجدوا مخلوقًا مهما كان ضعيفًا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا

(٣) تهذيب اللغة (٧/١٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، وينظر: الصحاح (٣١٤) [دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٣٥٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج] وأما التقدير فيوصف به المخلوق كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون]؛ أي: أحسن المقدرين[(١)]. وقوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧].

كما أن الخلق يطلق لغة وشرعًا بمعنى المخلوق.

الأسماء الأخرى:

الفطر، والإيجاد.

الحكم:

الخلق: صفة لله ذاتية فعلية فيجب الإيمان بها لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة عليها.

الحقيقة:

إن صفة الخلق تتضمن إبداع الكائنات وإخراجها من العدم إلى الوجود، واختراعها، وأن ذلك إليه وحده سبحانه بلا شريك ولا معين.

كما يتضمن الخلق معنى التقدير[(٢)].

الأدلة:

دلَّت النصوص على إثبات صفة الخَلْق لله سبحانه؛ منها: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: **قال الله ﷻ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة**»[(٣)].

وقوله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه** - وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش - **إن رحمتي تغلب غضبي**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بأن الله خالق الموجودات، وأنه متصف بصفات الكمال المطلق أزلًا وأبدًا، ومنها اتصافه بصفة الخلق؛ لأنه تعالى فعّال لما يريد فالخلْق صفته والمخلوق مفعوله فهو سبحانه يتصف بفعله وخلقه لا بمفعولاته ومخلوقاته.

قال البخاري: «وقال أهل العلم: التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة؛ لقوله

---

(١) انظر: تفسير الآية في أضواء البيان (٥/ ٣٢٥، و٦/ ٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٥٧)، وبغية المرتاد لابن تيمية (٢٤٠)، وبدائع الفوائد (٤/ ٩٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك]؛ يعني: السر والجهر من القول، ففعل الله، صفة الله، والمفعول غيره من الخلق»[1].

وقال ابن منده: «ولم يزل موصوفًا بالخالق البارئ المصور قبل الخلق، بمعنى: أنه يخلق ويصور»[2].

وقال ابن تيمية: «ومذهب الجمهور أن الخلْق غير المخلوق، فالخلق فعل الله القائم به، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه»[3].

وقال أيضًا: «فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته»[4].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (الخالق):

فهو اسم من أسماء الله الحسنى دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنه قال: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو سعَّرْت فقال: **إن الله هو الخالق القابض الباسط الرّزّاق المسعِّر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**»[5].

- المسألة الثانية: من أسماء الله الحسنى (الخلّاق):

فهو اسم من أسماء الله الثابتة له تبارك وتعالى في كتابه العزيز، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر]. والخلاق صيغة مبالغة في الخلق[6].

- المسألة الثالثة: اختلف العلماء في عدِّ ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ وغيره من الأسماء المضافة وأسماء أفعل التفضيل اسمًا لله تعالى على قولين:

فذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري (٢/٢٩٩ ـ ٣٠) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) التوحيد لابن منده (٢/٧٦) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]. وانظر: قطف الجنى الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني ضمن كتب ورسائل عبد المحسن العباد (٤/٩٣) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

(٤) المصدر السابق (٢/١١٨ ـ ١١٩).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٢٠/٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).
وأصل الحديث عند أبي داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١) وغيره، دون ذكر لفظة: (الخالق) في متنه.

(٦) انظر: تعليق الشيخ علي فقيهي على كتاب التوحيد لابن منده (٢/١١٦) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١].

الأسماء المضافة وأسماء أفعل التفضيل وعدِّها من ضمن الأسماء الحسنى[(١)]، وممَّن عدَّه ابن الوزير[(٢)]، قال شيخ الإسلام: «ترتيب أسماء الله ﷻ الظاهرة نحو مائة وخمسين موجودة في كتاب الله: مفردة، ومفرقة، ومضافة، ومشبهة بالمضافة»[(٣)]، وقال: «ومن أسمائه التي ليست في التسعة والتسعين: اسمه السبوح وكذلك أسماؤه المضافه مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»[(٤)].

وأغلب من عدَّ أسماء الله تعالى لم يذكر هذه الأسماء ضمن أسماء الله تعالى بل عدُّوها صفات لله تعالى، فقالوا: أحسن الخالقين صفة وليس اسمًا[(٥)].

وقد استدل من أثبت هذا الاسم بوروده في الكتاب والسُّنَّة؛ قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات].

ومن السُّنَّة: حديث علي رضي الله عنه؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبَّر وإذا سجد قال: «**اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»[(٦)].

وجاء اسم ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ مدعوًّا به فيما أخرجه اللالكائي بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها، ثم عرج بها إلى الرحمٰن تبارك وتعالى، فيقول: اخلقها يا أحسن الخالقين»[(٧)].

---

(١) انظر ترجيح هذا القول في: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥)، والمواقف (٣/ ٣١٣) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، والقواعد المثلى (١٦) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ]، والمنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٦٦ ـ ٦٧) [مكتبة العواصم، ط١٠، ١٤٢٢هـ].

(٢) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م]، وأثبته من المعاصرين الشيخ عبد الرحمٰن البراك فقال في شرح الواسطية (٨١) [شرح صوتي مفرّغ ولم يطبع] فقال: «لكن يمكن أن يقال: إن من أسمائه أنه تعالى أحسن الخالقين، وأنه خير الراحمين... فهل يقال لأحد: إنه أرحم الراحمين، إلا هو، وهل يقال لأحد: إنه خير الرازقين إلا الله، فهذا كله ألفاظ تختص بالرب ﷻ فيمكن أن يدعى بها تقول: يا خير الراحمين، يا خير الرازقين».

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٤) [ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٣)، وانظر منه: (١٦/ ٤٤٩)، ومختصر الفتاوى المصرية (١/ ٩٥) [دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ]، والنبوات له (٢٤١) [المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ].

(٥) انظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة (٦١) [مكتبة سلسبيل، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٦٧٥، =

ـ المسألة الرابعة: الخلق غير المخلوق:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومذهب الجمهور أن الخلْق غير المخلوق فالخلْق فعل الله القائم به، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه»[(١)].

وقال أيضًا: «والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلْق غير المخلوق؛ فالخلق فعل الخالق، والمخلوق مفعوله؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بأفعال الرب وصفاته كما في قوله ﷺ: «**أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٢)]، فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه»[(٣)].

وقال أيضًا: «والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته؛ بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السُّنَّة وغيرهم ويقولون: إن خلق الله للسماوات والأرض ليس هو نفس السماوات والأرض؛ بل الخلق غير المخلوق لا سيما مذهب السلف والأئمة وأهل السُّنَّة الذين وافقوهم على إثبات صفات الله وأفعاله»[(٤)].

وقال أيضًا: «فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته»[(٥)].

ـ المسألة الخامسة: إطلاق الخلق على غير الله:

ورد في «صحيح البخاري»: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة**»[(٦)] الحديث.

وقد ذكر بعض أهل العلم جواز إطلاق الخلق على غير الله تعالى، ولكن معناه مما يناسب المخلوق، ولله تعالى ما يختص به من الأسماء والصفات ومعانيها[(٧)].

الفروق:

الفرق بين الفطر والفعل:

«الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنه شق عنه فظهر، وأصل الباب الشق ومع الشق الظهور ومن ثمّ قيل: تفطر الشجر إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق أظهرهم بإيجاده إياهم كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل وهو الإظهار

= رقم ١٢٣٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤١١هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/١٢٦).

(٥) المصدر السابق (٢/١١٨ ـ ١١٩).

(٦) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٧) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/٣٢٤).

بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور ولا يستعمل فيه الوجود»[(١)].

الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرب:

«الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حق الله تعالى عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات، وأما كونه فاطرًا فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع، فكونه تعالى خالقًا إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطرًا إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى ربًّا ومربّيًا على الأمرين فكان ذلك أكمل»[(٢)].

الثمرات:

١ ـ تعميق الإيمان بتوحيد الربوبية، بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ومدبر أموره، وأن إيجاده للمخلوقات على أبدع ما يكون وأحكم وأتقن.

٢ ـ الإيمان بالمعاد؛ بأن الذي فطر ابتداء قادر على البعث والإعادة.

٣ ـ التفكر في خلق الله تعالى المحكم، وصنعه المتقن، بما يجعل العبد معظِّمًا لربِّه، معلق القلب به.

٤ ـ تحقيق توحيد الألوهية الدال عليه فطر الله تعالى للسماوات والأرض وسائر المخلوقات؛ فهو المستحق للعبادة وحده دونما سواه؛ لما له من صفات الكمال والجلال، وأفعال الحمد والإحكام.

٥ ـ الردُّ على الشبه التي يوردها المبطلون على توحيد الربوبية والألوهية؛ بأننا وهذه المخلوقات التي نشاهدها موجودون على غاية الإتقان في الإيجاد والتصوير، وهذا مستلزم أن يوَحَّد فاطرها في العبادة.

الآثار:

١ ـ أن العبد حينما يعتقد أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، يستشعر كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، فيزداد لربِّه محبة وتوكلًا عليه وطلبًا لهدايته، ويبرأ من كل ما يعبد من دون الله كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

٢ ـ وكذلك يُسلم وجهه لربِّه فيخلص عمله له، كما قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]. وكما في دعاء الاستفتاح في الصلاة، ويحمد الله تعالى كما حمد سبحانه نفسه فله الحمد فاطر السماوات والأرض.

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (٤٠٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١].

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٨/٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

كما أنه لا يشك ولا يرتاب في ربِّه كفعل المشركين الذين جادلوا رسلهم؛ بل هو على يقين بربوبيته وألوهيته.

٣ ـ وعلى العبد ألا يتخذ وليًّا من دون الله الذي فطره والذي يطعمه ويسقيه، وهو منزه عن الطعام والشراب؛ بل يتخذه وليًّا فهو نعم المولى والولي ونعم النصير؛ كدأب الرسل عليهم السلام، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

٤ ـ الاقتداء برسول الله في توسله بفاطر السماوات والأرض، فيتوسل به لأن يهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ فإن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويتوسل به بأن يعيذه من شرور نفسه من رياء وشرك وحقد وحسد وغيرها من الشرور، ومن شر الشيطان وشركه.

٥ ـ الموافقة الظاهرة لكل عاقل بين ما أنزله الله تعالى وشرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام والفطرة التي يجدها كل إنسان في نفسه مما فيه أبين الدلالة على صدق ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

مذهب المخالفين:

١ ـ يرى كثير من طوائف المتكلمين أن الخلق هو المخلوق، وبعضهم يرى أنه معنى آخر غير المخلوق كالإرادة مثلًا، وليس الخلق ـ بزعمهم ـ صفة قائمة بذات الرب، يقول الجويني: «ولا ترجع من الخلق صفة متحققة إلى الذات، فلا يدل الخالق إلا على إثبات الخلق، ولذلك قال أئمتنا: لا يتصف الباري تعالى في أزله بكونه خالقًا، إذ لا خلق في الأزل، ولو وصف بذلك على معنى أنه قادر كان تجوُّزًا»[(١)]. والماتريدية يجعلون الخلق من متعلقات التكوين، وليس صفة حقيقية تعود على الذات بمعنى[(٢)]. أما المعتزلة فمذهبهم نفي الصفات ومنها الخلق، واختلفوا في معنى الخلق، هل هو المخلوق أم إرادة الشيء، على قولين[(٣)]. وقد ذكر شيخ الإسلام والإمام ابن القيِّم شبهة المتكلمين في ذلك، وردُّوا عليهم[(٤)].

وقد بيَّن ابن تيمية المذهب الصحيح بقوله: «وأما جمهور الفقهاء، وأهل الحديث، والصوفية، وطوائف من أهل

---

(١) الإرشاد (١٤٣)، وانظر: الأسماء والصفات (١٣٨) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: شرح الفقه الأكبر (٣٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ].

(٣) مقالات الإسلاميين (٢/٥١ ـ ٥٢) [مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٣٨٩هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥٢٨ ـ ٥٣٦)، ومجموعة الرسائل (٥/٣٢٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٥٣) [مكتبة الرياض الحديثة، ط١].

الكلام، فيقولون: إن الفعل نفسه والخلق من صفاته، ولكن المخلوق ليس من صفاته»(١).

وفي التفريق بين الخلق والمخلوق يقول البخاري: «باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون»(٢).

وقال ابن تيمية: «لفظ الخلق المراد به الفعل الذي يسمى المصدر، كما يقال: خلق يخلق خلقًا؛ كقوله عز وجل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] وليس الكلام في لفظ خلق المراد به المخلوق ومنه قوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]»(٣).

وأما قول الفلاسفة في الخلق فيقول ابن سينا: «حد الخلق: هو اسم مشترك، فيقال: خلق لإفادة وجود كيف كان، ويقال: خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان، ويقال: خلق لهذا المعنى الثاني، بعد أن يكون لم يتقدمه وجود بالقوة؛ كتلازم المادة والصورة في الوجود»(٤).

وبتأمل معاني الخلق التي ذكرها ابن سينا، والغزالي على أنها حد للخلق عند الفلاسفة، نجد أنها مبهمة، ليس فيها توضيح لمعنى الخلق؛ بل فيها أن الخلق؛ يعني: إفادة الوجود، دون سبق بالعدم، أو ذكر للخالق، وهذا ظاهر البطلان. فهم يريدون بخلق الملائكة وهي التي يسمونها العقول والنفوس، أنها صادرة عن الله ومعلولة له، والمعلول ملازم للعلة غير متأخر عنها، فهي ليست مخلوقة ومسبوقة بالعدم، وهذا مناقض لما ورد عن خلق الملائكة في الكتاب والسُّنَّة.

ومن وجوه الرد على الفلاسفة في تحريفهم لمعنى لفظ الخلق ما يلي:

أولًا: أن القرآن والتوراة قد نصَّا أنه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وتواترت بذلك الأحاديث، ثم اتفق عليه أهل الملل، فكيف يجوز أن

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٤٦) [مؤسسة قرطبة]، وانظر: الاستقامة (١/١٨٣) [مكتبة ابن تيمية].

(٢) فتح الباري (١٣/٤٤٧) [دار الفكر]، وانظر: خلق أفعال العباد ١٨٨) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٤٦).

(٤) الحدود لابن سينا ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب (٢٦٢) [المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٧م]، وانظر: معيار العلم (٢٨٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].

يفسر بالاختراع اللازم لذاته من غير سبق مادة؟ كما ذكروه في المعنى الثالث[1].

ثانيًا: أن لفظ الخلق المذكور في القرآن، يتضمن معنيين، كلاهما يناقض قولهم، يتضمن الإبداع والإنشاء المعروف، ويتضمن التقدير، وعندهم العقول والنفوس ليس لها مقدار، ولا هي أيضًا مبدعة الإبداع المعروف، والسماوات ليست مبدعة الإبداع المعروف، وقد قال عزّ وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان][2].

ثالثًا: أن المعنى الثاني وهو قولهم: «يقال: خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان»؛ يشير إلى قولهم بقدم المادة وهو قول باطل، وينفي صفة الخلق عن الله، وهذا تضليل بيِّن، وتحريف ظاهر، يريدون به ستر قولهم بأن العالم قديم؛ يعني: غير مخلوق الخلق المعروف.

٢ ـ أن معرفة الله عزّ وجل من الأمور التي فطر الله عزّ وجل الناس عليها، فمعرفته سبحانه مركوزة في النفس الإنسانية، منذ أخذ الله الميثاق والعهد على بني آدم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، ووجوده سبحانه لا يحتاج إلى دليل، فهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، فهو فاطر السماء والأرض، لذلك قالت الرسل لأقوامها: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ [إبراهيم: ١٠] إلا أن الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ـ متأثرين بالفلاسفة ـ خالفوا ذلك، ووضعوا أصولًا وسنُّوا قوانين لإثبات وجود الخالق مثل دليل حدوث الأجسام والأعراض وغيرها[3]. وجعلوا النظر في ذلك أوجب الواجبات وأولها، ويكفي لبطلانها أنها أصول وقواعد جرَّتهم إلى نفي صفات الله تعالى، ولوازم فاسدة، ومخالفة لطريق الرسل وسلف الأمة، فصعَّبوا ما هو سهل ومعروف لدى العام والخاص؛ إذ إن «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»[4].

ويقول ابن القيِّم رحمه الله: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي

---

(١) انظر: بغية المرتاد (٢٣٩).

(٢) انظر: بغية المرتاد (٢٤٠ ـ ٢٤١)، والصفدية (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر أقوالهم والرد عليها في: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله عزّ وجل والرد عليها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ج١ و٢ و٣) لعبد القادر عطا صوفي [أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٦هـ].

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٢)، وانظر: شفاء العليل (٢٥٣) [دار الفكر].

﴿أَللَّهِ شَكٌّ﴾؟ [إبراهيم: ١٠]. حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى ثم نبهوا على الدليل بقولهم: فاطر السماوات والأرض. وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء!؟ وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢، ٦، ٨، ١٢)، لابن تيمية.

٢ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لمحمد النجدي.

٣ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٤ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي.

٥ ـ «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لمحمد زين.

٦ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٧ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٨ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.

٩ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

١٠ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

خلق القرآن

يراجع مصطلح (القرآن).

الخليفة (من أسماء الله)

يراجع مصطلح (الخلافة الراشدة).

خليفة الله

يراجع مصطلح (الخلافة الراشدة).

الخَليل

التعريف لغة:

الخَليل: الصَّديق، ويُقال للأنثى: خليلة، مُشتَقٌّ من (الخُلَّة)؛ وهي: الخَليلة والصَّداقة المختصَّة لا خللَ

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٠).

فيها، والجمع: خِلال، يُقال: فلان كريم الخِلِّ والخُلَّة؛ أي: كريم الإخاء والمُصادَقة، والخِلالة والخَلالة والخُلالة: الصداقة والمودَّة. والخُلَّة أيضًا تُطلق على: الصديق والخليل للذكر والأنثى، والواحد والجميع.

والخَليل أيضًا: الفقير المُختَلّ الحال، مُشتَقٌّ من (الخَلَّة) ـ بالفتح ـ بمعنى: الحاجة والفقر، يُقال: ما أخلَّك إلى هذا؟ يعني: ما أحوجَك إليه[(١)].

التعريف شرعًا:

الخليل: هو المحب الكامل المحبة والعبودية لله تعالى الذي تخللت محبته لخليله ﷻ جميع أجزاء روحه وقلبه؛ فلم يكن فيه مسلك لغيره، والمحبوب الموفي حقيقة المحبة من قبل الله تعالى، اللذان ليس في حبهما نقص ولا خلل.

فخليل الله: هو المحب لله محبة تامة كاملة، المحبوب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محبة تامة كاملة؛ «لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها»[(٢)]؛ فهو محب ومحبوب؛ فيقال: الله ﷯ خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله تعالى.

فمعنى قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء] أي: واتخذ الله إبراهيم محبًّا له خالص الحب، ومحبوبًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، محبة لا نقص فيها ولا خلل.

ولم يصل إلى هذا المنصب أحد من العالمين على الكمال إلا: خليل الله إبراهيم أبا الأنبياء، وخاتم النبيين محمدًا صلى الله عليهما وسلم (وهو ﷺ الأفضل مقامًا)؛ فهو منصب خالص لهما خاص بهما، لا يناله أحد بكسب أو اجتهاد[(٣)].

سبب التسمية:

الخليل (فعيل) يأتي بمعنى (الفاعل)؛

---

(١) انظر: الصحاح (٤/ ١٦٨٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (٦/ ٥٦٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (١٢٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج (٢/ ١١٢) [عالم الكتب، ببيروت، ط١، ١٤٠٨هـ]، والزاهر في معاني كلام الناس (١/ ٤٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ]، والتفسير البسيط للواحدي (٧/ ١١٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٧٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٥١) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٤١، ١٠/ ٦٧، ٢٠٣)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٠) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]، وروضة المحبين (٤٧، ٤٩) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، والداء والدواء (٤٤٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٣٨٣) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ]، والبداية والنهاية (١/ ١٩٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٦٤، ٢/ ٣٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري لابن رجب (٢/ ٥٥٢) [دار ابن الجوزي بالدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

كعليم بمعنى عالم، وبمعنى (المفعول)؛ كحبيب بمعنى محبوب، فهو محب لله، محبوب له ﷻ.

والخليل مشتق من (الخلة)، وهي أعلى درجات ومقامات المحبة.

وسمي الخليل بهذا؛ لأن محبته لمحبه تخللت جميع أجزاء روحه وقلبه؛ فصارت خلاله؛ أي: في باطنه، فلم تدع فيه خللًا إلا ملأته؛ بحيث لم يبق فيها موضع خال من حبه، فضلًا عن أن يكون محلًّا لمحبة غيره، فضلًا عن أن يكون له فيها منازع![1].

هذا من حيث إضافة الخلة إلى المخلوق. أما معنى الخلة في حق الله تعالى؛ فهي صفة فعلية اختيارية لله (متعلقة بمشيئته وقدرته ﷻ) خبرية (سمعية، نقلية) ثابتة بالكتاب والسُّنَّة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته وكماله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

وقيل: بل هو مشتق من الخَلة ـ بالفتح ـ بمعنى: الفقر والحاجة؛ فالمعنى: أن الخليل مفتقر ومحتاج إلى الله تعالى، أو: «لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله ﷻ، مخلصًا في ذلك»[2]، والمراد: «إني أبرأ من الاعتماد والافتقار إلى أحد غير الله تعالى»[3].

وهذا باطل، «والصواب الأول، وهو مستلزم للثاني؛ فإن كمال حبه لله هو محبة عبودية وافتقار، ليست كمحبة الرب لعبده؛ فإنها محبة استغناء وإحسان»[4]. ثم لو كان الاشتقاق من الثاني، وكان خليل الله هو المحتاج؛ «فكم على هذا لله من خليل! من بر وفاجر؛ بل مؤمن وكافر! إذ كثير من الفجار والكفار من ينزل حوائجه كلها بالله صغيرها وكبيرها، ويرى نفسه أحوج شيء إلى ربه في كل حالة»[5]. ثم إن الخلة تكون من الجانبين: جانب الرب وجانب العبد ـ فالخليل محب لله، محبوب له ﷻ، والله خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله تعالى ـ، ولا يتصور الحاجة من الجانبين![6].

---

(١) انظر: المراجع السابقة، تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٣/ ٣٦٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج (٢/ ١١٢). وانظر: الشفا للقاضي عياض (١/ ٢٨٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وتفسير البغوي (٢/ ٢٩٢) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وزاد المسير (٢/ ٢١١) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠).

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٢).

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٥١) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ]، بتصرُّفٍ يسير.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]، وانظر منه: (١/ ٩٢).

(٦) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٧/ ١١٥)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٩٢).

وفي اشتقاقه ومعناه أقوال أخرى ضعيفة[1]، والصحيح ما ذكرناه أولًا. والله أعلم.

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم الله موسى تكليمًا؛ إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا»[2].

وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: «ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبيّنا محمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة: الفقر والحاجة. والخلة والمحبة صفتان لله، هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه؛ فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط»[3].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء]: «إنما سمي خليل الله؛ لشدة محبة ربه ﷻ له؛ لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها»[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «معاني القرآن وإعرابه» (ج٢)، للزجاج.

٢ ـ «الزاهر في معاني كلام الناس» (ج١)، لابن الأنباري.

٣ ـ «التفسير البسيط» (ج٧)، للواحدي.

٤ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ج٢)، لابن الأثير.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

٦ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٥)، لابن تيمية.

٧ ـ «جامع الرسائل» (ج٢)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين»(ج٣)، لابن القيِّم.

٩ ـ «روضة المحبين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «الداء والدواء»، لابن القيِّم.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٤٨٠) [طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (٢/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٢/ ٢١١)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠).

(٢) العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٩٤)، مع شرح ابن أبي العز الحنفي [مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٩، ١٤١٧هـ].

(٣) نقله عن كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصِّفات: شيخُ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٨٠)، وانظر منه: (٥/ ٧١، ٧٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٣).

الخوف

التعريف لغة:

الخوف هو: الذعر والفزع. قال ابن فارس: «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال: خفت الشيء خوفًا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة. ويقال: خاوفني فلان فخفته؛ أي: كنت أشد خوفًا منه»[(١)].

التعريف شرعًا:

عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال[(٢)]. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف[(٣)].

والخوف من الله ﷻ: فزع القلب من الله تعالى ومن عقابه وهروبه إليه سبحانه بابتغاء مرضاته[(٤)].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٧/ ٥٩٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والصحاح (٤/ ١٣٥٩) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٨٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٣٠٢) [دار البيان، دمشق ١٣٩٨هـ].

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٢)، وانظر: الخوف والرجاء للشمسان (١٠).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (١/ ١٦١) [دار المعرفة]، وإحياء علوم الدين (٤/ ١٣٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، ومدارج السالكين (١/ ٦٥٧ ـ ٦٦١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وبصائر ذوى التمييز (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩) [المكتبة العلمية].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تضمن المعنى الشرعي للخوف معنى الخوف في اللغة وهو الذعر والفزع كما هو ظاهر.

الأسماء الأخرى:

للخوف أسماء مقاربة مثل: الوجل، والخشية، والرهبة، وهي ألفاظ متقاربة غير مترادفة[(٥)].

الحكم:

الخوف من الله ﷻ: واجب من الواجبات، وهو من لوازم الإيمان فلا يتخلف عنه، وهو أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها، وهي: الخوف والرجاء والمحبة.

وقد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، فجعل الخوف منه شرطًا في تحقيق الإيمان، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافوني[(٦)].

وفي هذه الآية نهى الله ﷻ عن الخوف من غيره مع الأمر بالخوف منه سبحانه، فالمؤمن لا يجوز له أن يخاف أولياء الشيطان، ولا يخاف الناس، كما

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٥٧).

(٦) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦١٣ ـ ٦١٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

قال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

فيكون خوف الله مأمور به، وخوف أولياء الشيطان منهيٌّ عنه(١).

فلا بدَّ من إخلاص هذا الخوف لله لأنّه من الفرائض(٢).

الحقيقة:

حقيقة الخوف تدور حول: ذعر القلب وفزعه من الله سبحانه وسخطه وعقابه؛ المثمر لتحريك القلب والجوارح بامتثال الأوامر واجتناب المناهي تعبُّدًا لله ﷻ حبًّا له، ورجاء مغفرته وعفوه وثوابه، والنجاة من غضبه وعذابه.

المنزلة:

منزلة الخوف من الله ﷻ من أجلّ منازل الطريق إلى الله والدار الآخرة وأنفعها للقلب، وهي ركن من أركان التعبد، وفرض على كل أحد. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [المائدة: ٣]. ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون](٣).

والله سبحانه إنما خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة على عظمته وكبريائه ليهابوه، ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدَّها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال؛ ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، ولهذا قال بعض السلف: خوف الله تعالى حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات(٤).

الأدلة:

الآيات في الخوف من الله وعقابه كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٥٧ ـ ٥٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٨) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٥٧)، وطريق الهجرتين (٢/ ٦١٣ ـ ٦٣٨).

(٤) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٤/ ٩٣ ـ ٩٤) [الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٥هـ].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصدّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من خاف الله أخاف اللهُ منه كلَّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء»(٤).

وقال ابن أبي مليكة رحمه الله: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»(٥).

وبوّب البخاري في «صحيحه» بابًا فقال(٦): «باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر».

الشروط:

يشترط في الخوف المفروض على أهل الإيمان: ألا يفضي إلى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته، ولذلك قيل في حد الخوف المطلوب شرعًا:

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٧٥)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٩٨)، وأحمد (١٥٦/٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفي سنده انقطاع، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء (١٥١١) [دار ابن حزم، ط١]، لكن له شاهد يعتضد به، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٥٠) وحسَّنه، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٥١)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤/٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) معلَّقًا مجزومًا، ووصله الحافظ في فتح الباري (١٤٨/١).

(٦) صحيح البخاري (١٨/١) [دار طوق النجاة، ط١].

ما حملك على أداء الفرائض وحجزك عن المحارم. فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلًا مستحبًّا محمودًا[(١)].

۞ الأقسام:

الخوف على أربعة أقسام:

الأول: أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه لا يقدر عليه إلا الله، من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، وهذا الخوف خوف السر لا يجوز تعلقه بغير الله؛ لأنه من لوازم الإلٰهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عبّاد القبور والأضرحة؛ فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد.

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوّفون بها أولياء الرحمٰن، كما خوفوا إبراهيم الخليل ﷺ فقال لهم: ﴿...وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام]

الثاني: أن يترك الإنسان ما أوجب الله عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحق بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرم.

الثالث: أن يخاف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان.

الرابع: أن يخاف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، وهو الخوف الطبيعي، وهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى ﷺ في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ﴾ [القصص: ٢١][(٢)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الغلو في الخوف:

إذا زاد الخوف عن حدّه المطلوب شرعًا، بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن محمودًا؛ فلا يحتاج إليه؛ وذلك لأنه يصل بصاحبه إلى إيقاعه في اليأس والقنوط وسوء الظن بالله سبحانه، وهذا الخوف الموقع في الإياس إساءة أدب

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥)، والتخويف من النار لابن رجب ضمن مجموع رسائله (٤/ ١١٢).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٦ ـ ٤٠٨).

على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه، وجهل به[(١)].

ولذلك؛ فإنّ خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو سبب يحمل على الطاعة، ويسوق المتواني إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه.

فالقدر النافع من الخوف ما كان عونًا على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه.

ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذورًا، وقد كان في السلف من حصل له من خوف النار أحوال شتى؛ لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وربما اضطرب أو غشي عليه إذا سمع ذكر النار[(٢)].

- المسألة الثانية: ألفاظ في الخوف لا يجوز إطلاقها:

بعض الناس يقول: يا رب إني أخافك وأخاف من لا يخافك، فهذا كلام ساقط لا يجوز؛ بل على العبد أن يخاف الله وحده ولا يخاف أحدًا، فإن من لا يخاف الله أذل من أن يُخاف، فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان، فالخوف منه قد نهى الله عنه، وإذا قيل: قد يؤذيني، قيل: إنما يؤذيك بتسليط الله له، وإذا أراد الله دفع شره عنك دفعه، فالأمر لله، وإنما يسلط على العبد بذنوبه، وأنت إذا خفت الله فاتقيته وتوكلت عليه كفاك شر كل شر ولم يسلطه عليك، فإنه قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وتسليطه يكون بسبب ذنوبك وخوفك منه. فإذا خفت الله وتبت من ذنوبك واستغفرته لم يسلط عليك، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال]»[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله وحده؛ كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»[(٤)].

الفروق:

الفرق بين الخوف والخشية:

«الخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون.

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥)، والتخويف من النار لابن رجب ضمن مجموع رسائله (٤/ ١١٢).
(٢) انظر: التخويف من النار لابن رجب، ضمن مجموع رسائله (٤/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٥٧ ـ ٥٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].
(٤) طريق الهجرتين (٢/ ٦٣٤).

فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له **حالتان**:

إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية»[(١)].

الفرق بين الخوف والرهبة:

الرهبة: هي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه[(٢)].

الفرق بين الخوف والوجل:

الوجل: رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته[(٣)].

الفرق بين الخوف والهيبة:

الهيبة: خوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة.

والإجلال: تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية[(٤)].

الفرق بين الخوف والإشفاق:

الإشفاق: رقة الخوف؛ وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة؛ فإنها ألطف الرحمة وأرقها[(٥)].

الثمرات:

للخوف من الله ﷻ ثمار عظيمة كثيرة؛ منها:

١ ـ تصحيح الإيمان بالله وتحقيقه وزيادته.

٢ ـ القرب من الله ﷻ واستشعار عظمته وكبريائه.

٣ ـ فرار القلب إلى الله سبحانه وتعلقه به، وعدم الخوف ممن سواه.

٤ ـ الجد في تحصيل مرضاة الرب والتفاني في الوصول إلى عفوه وجنته بتحقيق التقوى التي جماعها فعل المأمورات واجتناب المحرمات.

٥ ـ الإخبات لله والانكسار والتذلل والتضرع بين يديه رجاء رحمته وخوف عقابه.

٦ ـ الخوف يثمر الورع.

٧ ـ والاستعانة.

٨ ـ وقصر الأمل[(٦)].

٩ ـ دخول جنات النعيم.

١٠ ـ صلاح القلب وعبوديته لله وحده[(٧)].

١١ ـ الخوف علامة صحة الإيمان

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٦٥٨).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه (١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٦٦٥).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٣٥).
(٧) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦٣٤).

وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه[1].

١٢ ـ تحقيق الخشية والرهبة والهيبة والإجلال للعظيم ذي الجلال سبحانه.

الحكمة:

الخوف من الله سبحانه: سوط يُقَوِّم به الشاردين عن بابه؛ ليفروا منه إليه، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله ﷻ فإنك إذا خفته هربت إليه. ولذلك قيل: ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب. وقيل: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها[2].

مذهب المخالفين:

ضلَّ في فهم الخوف طائفتان[3]:

الأولى: الخوارج: الذين غلبوا نصوص الخوف والوعيد وضيقوا باب الرجاء والوعد؛ حتى كفروا بفعل المعاصي التي دون الكفر، وكذلك طوائف من العبّاد الذين غلبوا جانب الخوف حتى وقعوا في القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف].

وهؤلاء لم يلتزموا بشرط الخوف الشرعي؛ بل تجاوزوه وغلوا فيه، ولم يقرنوا خوفهم برجاء الله واستشعار نصوص الوعد؛ فوقعوا في الخوف المذموم الذي حقيقته يأس وقنوط من رحمة الله.

الطائفة الثانية: المرجئة: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهونوا من شأن العمل، ومنهم الجبرية القدرية، وفيهم قوم من غلاة المتصوفة الذين يزعمون أنهم ما يعبدون الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته؛ وإنما يعبدونه حبًّا فيه!

وتبع هؤلاء من تأثر بهم في هذا الباب من العصاة والمغرورين؛ حيث اتكلوا على سعة رحمة الله ورجاء ما عنده ففرطوا في فعل الطاعات وقارفوا المنكرات، وإذا نُصحوا في ذلك وخُوِّفوا من مكر الله وعقابه سردوا ما يحفظونه من نصوص الوعد بالرحمة والمغفرة، وقالوا: الإيمان بالقلب.

وهؤلاء لم يأتوا بشرط الرجاء المحمود من بذل الجهد في فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ومن قرن رجائهم بالخوف من الله واستشعار نصوص الوعيد. فوقعوا في الرجاء المذموم الذي حقيقته تمنٍّ كاذب وغرور شيطاني، واستمرؤوا التفريط في جنب الله، فأمنوا من مكره، ولم يخافوه

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٦٢).
(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠).
(٣) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ١٤٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦١ ـ ٨٣، ٢٣٩ ـ ٢٤٣)، والداء والدواء (٣٦ ـ ٧٩)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٥٠ ـ ٨٥٣)، وإغاثة اللهفان (٣٩٤) [دار الحديث ـ ط١٤٢٣هـ].

حق خوفه، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

والحق وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين؛ وهو: مذهب أهل الحق أهل السُّنَّة والجماعة الذين جمعوا بين نصوص الوعد ونصوص الوعيد، وجعلوا الخوف والرجاء متلازمين، فعبدوا الله بالخوف والرجاء والحب، فلم يأمنوا مكر الله، ولم يقنطوا من رحمة الله، ولم ييأسوا من روح الله، فإن «القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»[1].

فلا بدَّ من اجتماع هذه الأركان الثلاثة في عبادة العبد لربِّه، فمن لم تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض السلف: «من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَدَه بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَدَه بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[2].

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).
(٢) نسبه إلى بعض السلف شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).

المصادر والمراجع:

١ ـ «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، لابن القيِّم.
٢ ـ «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
٣ ـ «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار»، لابن رجب.
٤ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
٥ ـ «طريق الهجرتين» (ج٢)، لابن القيِّم.
٦ ـ «كلمات في المحبة والخوف والرجاء»، للحمد.
٧ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيِّم.
٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.
٩ ـ «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.
١٠ ـ «الخوف والرجاء في الكتاب والسُّنَّة»، لعبد الرحمٰن الشمسان، [رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية].

خير الناصرين

يراجع مصطلح (النصير).

خير الوارثين

يراجع مصطلح (الوارث).



حرف الدال

الدابَّة

التعريف لغة:

الدَّبُ والدَّبيب: المشي الخفيف، ويستعمل ذلك في الحيوان، **والدابة**: كل ما يدب على الأرض، وغلب على الحيوان الذي يركب ويحمل عليه، وتطلق على المذكر والمؤنث[(١)]. قال ابن فارس: «الدال والباء أصل واحد صحيح منقاس، وهو حركة على الأرض أخف من المشي. تقول: دب دبيبًا. وكل ما مشى على الأرض فهو دابة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

دابة من الأرض يخرجها الله للناس في آخر الزمان عند فسادهم وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، تكلّم الناس وتسمهم على خراطيمهم[(٣)].

(١) ينظر: لسان العرب (١/٣٦٩) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٣٠٦) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٢٦٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/٢١١) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط٤، ١٤٢٨هـ].

الحكم:

يجب الإيمان بظهور الدابة في آخر الزمان، وأنها من أشراط الساعة الكبرى، والإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة:

تبيِّن النصوص أن الدابة تخاطب الناس مخاطبة في عدم يقينهم بآيات الله، وتكذيبهم بالقرآن، وبمحمد ﷺ، وإنكارهم للبعث، وتسمهم على أنوفهم بالإيمان أو الكفر[(٤)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلًّا تفعل»؛ يعني: هذا وهذا[(٥)]. والآية تشهد لهذا المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ [النمل]، قرأ العامة: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بتشديد اللام من الكلام وهي القراءات المتواترة، وقرئ: تَكْلُمهم؛ بفتح التاء وإسكان الكاف وضم اللام، من الكَلْم؛ أي: الجرح؛ أي: تجرحهم. وبها قرأ ابن عباس وابن

(٤) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/١٣٣٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/٢١٢).

جبير ومجاهد وأبو زرعة والجحدري، والقراءتان تدلان على **معنيين مختلفين**:

١ ـ المعنى الأول: أنها تكلم وتحدث الناس، وهي آية، والعادة في الحيوان أنه لا يكلم الناس، فهي تكلم الناس بلغاتهم وبما يفهمون عنها.

٢ ـ المعنى الثاني: أنها تكلْم الناس بمعنى أنها تسم الناس، والوسم سماه الله عزّ وجل هنا كلْمًا؛ لأنه يكون معه كلم الجلد والتأثير فيه كما يحصل في وسم الدواب، فإنه لا بد فيه من جرح فيها أو من أثر فيها، فتسم الناس: هذا مؤمن، وهذا كافر[1].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل]، قال القرطبي: «أي: دابة تعقل وتنطق، وذلك ـ والله أعلم ـ ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة، فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[3].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة... الحديث[4].

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»[5]. وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك خروج الدابة، تخرج من الصفا بمكة، وتكلم الناس

(١) ينظر: المحتسب لابن جني (٢/ ١٨٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وروح المعاني (٢٠/ ٣٠٨ ـ ٣١٠) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]، وشرح الطحاوية (٢/ ٤٦٤) [دار الآثار، ط١].

(٢) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٣١) [دار المنهاج، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٥) شرح الطحاوية (٧٦٠) [مؤسسة الرسالة العالمية، ط٢].

بلسان عربي مبين»[(١)]. وقال السفاريني: «خروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسُّنَّة»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: هل الدابة هي الجسّاسة؟

ذهب بعض العلماء إلى أن الدابة هي الجساسة، التي ورد ذكرها في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: سمعت نداء المنادي ـ منادي رسول الله ﷺ ـ ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**»، ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة؛ ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًّا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا فى البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة**»[(٣)]. وهذا القول ينسب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[(٤)]. وجمهور العلماء على خلافه، كما أن طبيعة عمل الدابتين يختلف، فالجساسة تنقل الأخبار إلى الدجال، والدابة تعنف الناس على كفرهم، وتوبخهم، على عدم يقينهم بآيات الله، وتكذيبهم بالقرآن، وبمحمد ﷺ، وإنكارهم للبعث، وتسمهم على أنوفهم بالإيمان أو الكفر[(٥)]، والله أعلم.

ـ المسألة الثانية: صفة الدابة:

لم يثبت في صفة الدابة أو مكان خروجها دليل يعتمد عليه، قال السعدي رحمه الله: «لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين

---

(١) الرسالة الوافية (٢٤٣ ـ ٢٤٤) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٤٦) [المكتب الإسلامي].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٠١) [بيت الأفكار الدولية]. ووقع فيه: عبد الرحمٰن بن عمرو بن العاص، وهو تصحيف.

(٥) ينظر: أشراط الساعة (٤٠٩) [ابن الجوزي، ط٢٧، ١٤٣٠هـ].

وحجة على المعاندين»[(١)].

وقال أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة)، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، ووردت آثار أخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلِّغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها»[(٢)].

- المسألة الثالثة: وقت خروجها:

تخرج على الناس ضحًى، عقب طلوع الشمس من مغربها، كما دلَّ عليه حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»[(٣)]، وفي رواية: قال عبد الله: وأظن أولهما خروجًا طلوع الشمس من مغربها[(٤)]، وهي أول الآيات غير المألوفة خروجًا، قال ابن أبي العز عن الدابة: إنها «أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج: كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة. وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[(٥)].

لعل من الحكمة في خروج الدابة: تمييز المؤمن من الكافر، فإن خروجها يكون مع خروج الشمس من مغربها الذي به يغلق باب التوبة، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدم، يقول ابن حجر: «الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه. قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة»[(٦)].

---

(١) تفسير السعدي (٨٥٢) [جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط٤، ١٤٣٣هـ].

(٢) مسند أحمد بتحقيق: أحمد شاكر (٨/ ٦٠ ـ ٦١) [دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٤) أخرجها أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣١٠) واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وأخرجها ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (١١/ ٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩): رجاله رجال الصحيح.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٦) فتح الباري (١١/ ٣٦١) [المطبعة السلفية، ط٢].

مذهب المخالفين:

قال القرطبي: «هذه الأحاديث وما تقدم من ذكر العلماء في الدابة، ترد قول من قال من المفسرين المتأخرين: إن الدابة إنما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم؛ لينقطعوا فيهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حي عن بيِّنة. قال شيخنا أبو العباس: «وعلى هذا فلا يكون في ذلك آية خاصة خارقة للعادة. ولا تكون من جملة العشر الآيات المذكورة في الحديث؛ لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة، فلا ينبغي أن تذكر مع العشر». قلت: فساد ما قاله هذا المتأخر واضح وأقوال المفسرين بخلافه»[١].

وزعم بعض المعاصرين أن الدابة هي الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته وأمواله[٢]. وهذا زعم باطل، وتأويل فاسد، وهو من جنس تأويلات القرامطة الباطنية. **وهو مردود من وجوه**[٣]:

أولًا: أن النصوص بيَّنت أن هذه الدابة تكلم الناس وتخاطبهم وتعنفهم، وتكتب على جبين الكافر: كافر، وعلى جبين المؤمن: مؤمن.

ثانيًا: أن الجراثيم التي تفتك بالإنسان وصحته موجودة من أول الدنيا ومنتشرة في جميع الأرض، وأما دابة الأرض فإنما تخرج في آخر الزمان عند اقتراب الساعة.

ثالثًا: أن الجراثيم أنواع لا تحصى، وأما دابة الأرض فإنما هي دابة واحدة.

رابعًا: أن الدابة التي أخبر الله بخروجها ليست من الدواب التي يعرفها الناس فضلًا عن أن تكون من الجراثيم ونحوها، وإنما هي خلق عظيم هائل، من خوارق العادات؛ ولهذا تفزع الناس وتزعجهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (ج٣)، لحمود التويجري.

٢ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.

٣ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٤ ـ «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٥ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٣٤ ـ ١٣٣٥).

(٢) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٨٣) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٣) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٤).

٦ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.

٧ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٨ ـ «تفسير السعدي».

٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

١٠ ـ «فقد جاء أشراطها»، لمحمود عطية محمد علي.

١١ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١٢ ـ «مسند الإمام أحمد»، بتحقيق أحمد شاكر (ج٨).

١٣ ـ «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

داود عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: داود عبد الله ونبيّه عليه السلام[١]، وخليفته في أرضه بيت المقدس، قيل هو: ابن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم الخليل[٢].

وقيل: هو إيشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق[٣].

نبوته:

ذكر الله نبوة داود عليه السلام بقوله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وبقوله: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [صٓ]، فالمراد بالحكمة هنا النبوة[٤]، وهكذا جمع الله له بين النبوة والملك.

وبقوله سبحانه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [صٓ: ٢٦].

دلائل نبوته:

لقد أيد الله نبيَّه داود عليه السلام، وأكرمه بجملة من الدلائل البينة والمعجزات الباهرة على نبوته، وهي: تسخير الجبال، وحشر الطيور للتسبيح معه في أول النهار وآخره، وتليين الحديد له،

---

(١) صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، للهلالي (٤٠٥) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٦٥) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١]، والبداية والنهاية (٢/٣٠٠) [دار هجر، ط١]، وقصص الأنبياء ومناقب القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢١٣) [المكتبة المكية، ومؤسسة الريان، ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/١٦٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/٥١٣) [دار هجر، ط١]، وتفسير ابن كثير (١/٦٦٩، و٧/٥٩) [دار طيبة، ط٢]، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (٣١١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣].

قال الله تعالى: ﴿...وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [صٓ]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ].

كتابه:

لقد أنزل الله عز وجل على نبيِّه داود عليه السلام كتابه الزبور، وقد جاء ذكره في كتاب الله مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء]

والثانية: في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وقد جاء في السُّنَّة ما يبين تحديد وقت نزوله، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[(١)]. والزبور كان مشتملًا على حكم ومواعظ[(٢)].

وفاته:

توفي نبي الله داود عليه السلام بعد أن أكمل مائة عام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلًا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أَوَلم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم**

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٩١، رقم ١٦٩٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٧) [مكتبة القدسي]: «فيه عمران بن داور القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات»، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ١٧) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ].

فخطئت ذريته»[١].

وجاء في كيفية وفاته حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع... فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبًا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا»**[٢].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥/ ٢٥٤، رقم ٩٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص١٨٤٣) أخرجه أحمد بإسناد جيد، وقال ابن كثير: «إسناده جيد». البداية والنهاية (٢/ ٣٢٠) [دار هجر، ط١].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: نبأ الخصم:

لقد نسجت حول هذه القصة حكايات غريبة نسبت إلى نبي الله داود عليه السلام، وهي لا تليق بحالٍ بمقام الأنبياء عليهم السلام؛ إذ فيها غمز ولمز بهذا النبي الكريم، ولقد أجاد الإمام ابن كثير إجادة عظيمة حين قال: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصدًا؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٣].

وعليه؛ فأسعد الناس بالصواب من اكتفى باستقاء القصة من قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ

(٣) البداية والنهاية (٢/ ٣٠٩).

﴿عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ٢٥﴾ [ص].

وأصح ما في قصة الآية ـ الذي عليه الجمهور ـ ملخصه: أن ملكين من الملائكة تسورا المحراب على داود عليه السلام دون علمه بهما، وأتياه على هيئة الخصمين، فسأله أحدهما من باب الفتنة والاختبار؛ أيجيب ويحكم قبل أن يستمع إلى الطرف الثاني أم لا؟ وذكر له أن صاحبه ظلمه بطلب نعجته الواحدة، فأجاب قبل أن يسمع من الطرف الآخر، فاختفيا عنه، فعلم داود عليه السلام أنهما ملكان أرادا اختباره فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب.

وهناك احتمال آخر لتفسير هذه الفتنة، يلي التفسير السابق في القوة، وهو أنهما رجلان من بني آدم، دخلا عليه مباغتة فشكا إليه أحدهما ظلم صاحبه إياه في النعاج، فحكم قبل أن يستمع من الطرف الثاني، فعوتب داود على هذا الصنيع وكان عليه أن يستمع من الطرفين، فاستغفر ربه فغفر له[(١)].

ـ المسألة الثانية: قتله لجالوت:

كان جالوت رجلًا قد أعطي بسطة في الجسم، وقوة في البطش، وشدة في الحرب، مذكورًا بذلك في الناس، وكان ملك العمالقة، وكانت بنو إسرائيل تقاتلهم، ثم ظهر جالوت وقومه على بني إسرائيل، فضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم، وكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيًّا ليجاهدوا معه في سبيل الله جالوتَ وجنودَه[(٢)]، وتقدم ملأ منهم بطلب إلى نبي لهم من بعد موسى أن يبعث لهما ملكًا يقاتلون معه، وأعطوه عهودًا ومواثيقَ على الوفاء بذلك، فبعث الله لهم طالوت ملكًا، فنكث كثير منهم عن عهده في القتال معه، متشبثين ببعض الاعتراضات الواهية، ولم يثبت منهم معه إلا عدد قليل[(٣)]، عددهم كعدد أصحاب بدر[(٤)]، وكان من هؤلاء الثابتين نبي الله داود عليه السلام، وذلك قبل نبوته، فشرعوا مستعينين بالله في الجهاد في سبيل الله، فقتل داودُ جالوتَ ملك الكفار فهُزموا، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو

(١) انظر: فبهداهم اقتده قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام لعثمان الخميس (٢٩٨ ـ ٢٩٩) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/٤٤١، و٤٦٢).

(٣) راجع الآيات: من (١٤٦ ـ ١٤٩) من سورة البقرة.

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب المغازي، الأرقام: ٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩).

فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة].

قال السمعاني: «فبرز جالوت وطلب البِراز، وخرج إليه داود، ورماه بالمقلاع الحجرَ بين عينيه، وخرج من قفاه، وأصاب قومًا آخرين وقتلهم»[1].

ـ المسألة الثالثة: في جملة من فضائله وأحواله:

أ ـ أنه كان أعبد البشر:

فقد جاء من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه قال: «**كان أعبد البشر**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن رسول الله ﷺ قال له: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا**»[3].

ب ـ كان جميل الصوت في قراءة الزبور:

فقد كان مضرب المثل في حسن الصوت في قراءة القرآن، لما ثبت من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا موسى؛ لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[4].

ج ـ تخفيف قراءة الزبور عليه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**خُفف على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه**»[5].

والمراد بالقرآن هنا مصدر القراءة، لا القرآن الكريم[6].

د ـ أنه كان يأكل من عمل يده:

فعن المقدام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأكل من عمل يده**»[7].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير الطبري» (ج٤).

٢ ـ «قصص الأنبياء المسمى بالعرائس»، للثعلبي.

٣ ـ «تفسير القرطبي» (ج٦).

٤ ـ «تفسير ابن كثير» (ج١).

(١) تفسير السمعاني (١/ ٢٥٤) [دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٩٠) وحسَّنه، وأخرجه البزار، كشف الأستار (٣/ ١٠٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٦): رواه البزار وفيه حديث طويل وإسناده حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢٤، رقم ٧٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٣١)، ومسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١٧).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٩٧).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٧٢).

٥ ـ «قصص الأنبياء» (ج٢)، لابن كثير.

٦ ـ «صحيح (قصص الأنبياء) لابن كثير»، لسليم الهلالي.

الدخان

التعريف لغة:

الدخن: عدم الصفاء والفساد والخبث، وأصل الدخن: أن يكون في لون الدابة أو الثوب كدرة إلى سواد. قال ابن فارس: «الدال والخاء والنون أصل واحد، وهو الذي يكون عن وقود، ثم يُشبَّه به كلُّ شيء يشبهه من عداوة ونظيرها»[(١)].

الدخان: هو المستصحب للهيب. ووضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا فيقولون: كان بيننا أمر ارتفع له دخان[(٢)].

التعريف شرعًا:

الدخان: من علامات الساعة الكبرى التي دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة المطهرة، يأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، ويأخذ الدخان بأنفاس الكفار وأسماعهم، ويغشى أبصارهم[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن السماء بأمر الله جَلَّ وَعَلَا سوف تأتي بدخان في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرى.

الحقيقة:

الدخان: الذي يكون قبل يوم القيامة هو من علامات الساعة الكبرى، وهو دخان حقيقي، ليس خيالًا في أعين الكفار؛ بل هو عذاب على الكفار، لا يصيب المؤمن منه إلا كهيئة الزكام، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام وليس كما روي عن ابن مسعود؛ أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع[(٤)]، قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان]؛ أي: واضح جلي، وليس خيالًا من شدة الجوع، ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ [الدخان]؛ أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء، يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا وارتقبوا ما وعدوا من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة

---

(١) مقاييس اللغة (٣٥٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٣١٠) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٣/١٤٩) [دار صادر].

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦٨٢) [بيت الأفكار الدولية].

(٤) ثبت ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٩٣)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٨).

والإنابة، والله أعلم»[١].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدخان].

وعن حذيفة بن أَسِيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»[٣].

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي ـ وهو يذكر أشراط الساعة الكبرى ـ: «يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم»[٤].

وقال السفاريني: «هو ثابت في الكتاب والسُّنَّة، قال ابن عباس، والحسن، وزيد بن علي: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، ولم يأت بعد، وهو آت»[٥]. وقال القنوجي: «من أشراط الساعة الدخان ويمكث في الأرض أربعين يومًا، قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسُّنَّة»[٦].

المسائل المتعلقة:

ـ وقت وقوع الدخان:

اختلف العلماء رحمهم الله في الدخان الوارد في النصوص المتقدمة؛ أوقع وانتهى وقته أم لا؟ **على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: ذهب عبد الله بن

---

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٧٢) [دار الكتب الحديثة، ط١].
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧).
(٤) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٤٨) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].
(٥) البحور الزاخرة في علوم الآخرة (١/ ٥٦١) [غراس للنشر، ط١، ١٤٢٨هـ].
(٦) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (٢١٤) [الجفان والجابي، ودار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ].

مسعود رضي الله عنه ـ وتبعه جماعة من السلف واختاره الطبري[(١)] رحمه الله ـ إلى أن هذا الدخان قد وقع في عصر النبي محمد ﷺ، وهو ما أصاب قريشًا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان. ودليلهم ما جاء في حديث مسروق رحمه الله، قال: «بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا، فأتيت ابن مسعود وكان متكئًا، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [صٓ]، وإن قريشًا أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ، فقال: «**اللَّهُمَّ أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**» فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان. فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد! جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله. فقرأ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان]، إلى قوله: ﴿عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [الدخان]. أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم»[(٢)].

القول الثاني: أن الدخان من علامات الساعة التي لم تقع بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإليه ذهب جمع من الصحابة، وكثير من التابعين، وعليه أكثر العلماء. ومن أدلتهم ما سبق ذكرها، وهي قوله ﷺ: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**». فذكر الدخان[(٣)]. وقوله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان**»[(٤)]. ومما استدلوا به أيضًا ما رواه الطبري عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[(٥)]. قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما، حبر

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٥/ ١١٢) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، والقناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٤)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها، التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة. مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان]؛ أي: بيّن واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الدخان: ١١]، يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمرًا خياليًّا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾»[١].

القول الثالث: وهو الجمع بين الأحاديث والآثار الثابتة، وهو ما قرره النووي وغيره من العلماء بأن قالوا: هما دخانان. ظهر أحدهما وهو ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وبقي الآخر الذي هو من أشراط الساعة، وسيقع في آخر الزمان[٢]. قال ابن جرير الطبري: «وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلًّا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح»[٣].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان القنوجي.

٢ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٣ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٤ ـ «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٥ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج١)، للسفاريني.

٦ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٧ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

٨ ـ «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

(١) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٩) [دار طيبة، ط٤]، وينظر: شرح صحيح مسلم (١٨/٣٧) [مؤسسة قرطبة، ط١].

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٨/٣٧)، والتذكرة للقرطبي (٣/١٢٦٦)، والبحور الزاخرة (١/٥٦٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٥/١١٤ ـ ١١٥).

الدعاء

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد؛ وهو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ، وكلام يكون منك؛ تقول: دعوت أدعو دعاءً»[1].

والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دُعاوٌ؛ لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت، ويصلح أن تكون الدعوى بمعنى الدعاء. ويقال: دعا الرجل يدعو دعوة ودعوًا ودعاءً؛ أي: ناداه، ويشمل الدعاء في اللغة عدة معاني: كلها ترجع إلى معنى النداء، والطلب، والسؤال[2].

التعريف شرعًا:

الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، والتوجه إليه في تحقيق المطلوب أو دفع المكروه، والابتهال إلى الله في ذلك إما بالسؤال، أو بالخضوع، والتذلل والرجاء والخوف والطمع[3].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٦/ ٢٣٣٦ ـ ٢٣٣٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، وتهذيب اللغة ٣/ ١١٩ ـ ١٢٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].
(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (١/ ٤٨) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٣٢هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بينهما والمناسبة واضحة جدًّا؛ فإن الدعاء في اللغة كما تقدم آنفًا يطلق على الطلب والسؤال والعبادة والرغبة، وهذه المعاني موجودة في المعنى الشرعي؛ إذ الداعي سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة طالب للأجر والثواب أو طالب لحاجته من نيل مرغوب أو دفع مرهوب، فأغلب المعاني اللغوية التي للدعاء لها مناسبة جلية للمعنى الشرعي[4].

الحكم:

اختلف العلماء في حكم الدعاء، فهناك من أوجبه، وهناك من استحبه، فأما من أوجبه؛ فلأنه من أهم الواجبات وأعظم المفروضات كما دلَّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ ووجه الدلالة على الوجوب هو الأمر في قوله: ﴿ادْعُونِي﴾ والأمر للوجوب ولا صارف له، والآية تدل على أن ترك العبد دعاء ربه من الاستكبار، وهو كفر، وتجنب ذلك واجب لا شك فيه[5].

(٤) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (١/ ٤٨ ـ ٤٩).
(٥) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (ص٢٨) [دار الكتب العلمية]، والأزهية في أحكام الأدعية للزركشي (٣٣) [دار الفرقان، ط١، ١٤٠٨هـ].

وأما من استحبه ـ وهم جمهور العلماء[1] ـ فاستدلوا بما استدل به القائلون بالوجوب، إلا أن تلك الأدلة محمولة على الاستحباب، لا على الوجوب، فقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ المراد بالدعاء هنا: العبادة كما يدل عليه آخر الآية: ﴿عَنۡ عِبَادَتِي﴾، وليس المراد بها دعاء المسألة، والوعيد في الآية خاص بمن ترك الدعاء استكبارًا، وأما من تركه ولم يقصد الاستكبار فلا تشمله الآية.

كما أنه لم يعهد من السلف من قال بوجوب الدعاء المطلق، وكذا لم يجب منه دعاء مفرد أصلًا، إلا أنه وجب ضمن الذكر والثناء مثل دعاء الفاتحة وما اختلف فيه من الدعاء بعد التشهد، وأما الدعاء المفرد فلم يجب[2].

والراجح: أن الدعاء تجري منه الأحكام الخمسة فتارة يجب، وتارة يستحب، وتارة يباح، وتارة يكره وتارة يحرم، فتختلف فيه الأحكام بحسب الاعتبارات، والأصل فيه الاستحباب[3].

المنزلة:

جاءت النصوص الشرعية مبيِّنة علو شأن الدعاء وسمو مرتبته وشرف مكانته، وعظيم قدره، ولهذا ذكر في القرآن الكريم في نحو ثلاث مئة موضع، وسماه عبادة، وتوعّد من تركه استكبارًا بدخول جهنم ذليلًا حقيرًا، ولعظم شأنه سماه الله تعالى صلاةً، كما في قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وسماه دينًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ومن أشهر الأحاديث المشيرة إلى شأن الدعاء وعظيم قدره ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدعاء هو العبادة**»[4].

يقول الخطابي رحمه الله مبيِّنًا معنى هذا الحديث: «إنه معظم العبادة أو أفضل العبادة كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل»[5].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ

---

(١) الأذكار المنتخبة للنووي (٣٥٣) [المكتبة الإسلامية، ط٤، ١٣٧٥هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٣٠) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٧٩، ٣٨١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: الدعاء ومنزلته (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٤٨١)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٦٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٢٨)، وأحمد (٣٠/ ٢٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٢٩) [مؤسسة غراس، ط١].

(٥) شأن الدعاء للخطابي (٤ ـ ٥) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر]، وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص].

ومن السُّنَّة: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(١).

وعن النعمان بن بشير؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»(٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتَّبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»... وقوله: «**الدعاء هو العبادة**» معناه: أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة»(٣).

وقال الحليمي رحمه الله: «والدعاء في الجملة من جملة التخشع والتذلل؛ لأن كل من سأل ودعا، فقد أظهر الحاجة، وباح واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله، فكان ذلك في العبد نظير العبادات التي يتقرب بها إلى الله ـ عزَّ اسمه ـ، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، فأبان أن الدعاء عبادة، والخائف فيما وصفنا كالراجي؛ لأنه إذا خاف خشع وذل لمن يخافه، وتضرع إليه في طلب التجاوز عنه»(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا؛ الدعاء بمعنى العبادة، أو الدعاء بمعنى المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة، فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب؛ من النصر، والرزق، والعافية مطلقًا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل، ومعرفته، ومحبته، والتنعم

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٤٩٧).
(٢) تقدم تخريجه قريبًا.
(٣) شأن الدعاء للخطابي (٤ ـ ٥).
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/٥١٧) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ].

بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي أهمته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية»[(١)].

الأقسام:

قسَّم المحققون من أهل العلم الدعاء إلى نوعين[(٢)]:

النوع الأول: دعاء عبادة.

والنوع الثاني: دعاء مسألة.

وهما متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة؛ فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود، ولا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء مسألة، ويدعو خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان[(٣)].

ووجه انقسام الدعاء إلى نوعين: أن القصد إلى المدعو يكون لذاته، وهذا دعاء العبادة والثناء، ويكون القصد إلى المدعو لمسألته، وهذا دعاء المسألة، وكلا النوعين فيه خاصية وفائدة لا تكون في النوع الآخر، ففي الثناء والعبادة تمتلئ القلوب بالرغبة بعظمة الله وجلاله، وفي السؤال والطلب تمتلئ بالرغبة والانطراح بين يدي الله ﷻ[(٤)].

وكلا نوعي الدعاء حق لله تعالى يختص بهما لا يصلحان لغيره، وصرف أي منهما لغير الله شرك ينافي أصل التوحيد.

ومن استقرأ آيات القرآن العظيم في التحذير من الشرك بالله تعالى، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في الدعاء، ومن هنا صار الدعاء من صميم الاعتقاد، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله تعالى فقد دعاه دعاء عبادة، وهذا كفر مخرج من الملة، ومن دعا ميتًا أو سأل أحدًا شيئًا لا يقدر عليه إلا الله فإن هذا الدعاء والسؤال شرك مخرج من الملة.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: آداب الدعاء:

للدعاء آداب عدة ينبغي للداعي أن يتصف بها حال دعائه وتضرعه وابتهاله وسؤاله، وقد اجتهد العلماء في تتبعها وحصرها، فمنهم من عدَّها شروطًا، ومنهم من عدَّها أركانًا، ومنهم من عدَّها

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٧) [مكتبة الرشد].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧، ٢٥٨) (١٥/ ١٠) (٢٢/ ٤٩٨)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٣٥) [دار عالم الفوائد].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧، ٢٥٨) (١٥/ ١٠) (٢٢/ ٤٩٨)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٣٥).

(٤) الدعاء ومنزلته (١/ ١١٤).

سُننًا، ومنهم من عدَّها آدابًا، والسبب في ذلك أنها ليست على مرتبة واحدة في الأهمية، وهي في جملتها آداب ثبوتية، وعدمية، فأما الآداب العدمية فهي على سبيل الإجمال ثلاثة: عدم الاعتداء في الدعاء، وعدم التلبس بالحرام، وعدم الاستعجال، ونحوها.

وأما الآداب الثبوتية فهي كثيرة، وأهمها وأصحها: الإخلاص، والتوبة، والتضرع والخشوع، والإلحاح، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، واستقبال القبلة، ونحوها.

فهذه هي الآداب العدمية والثبوتية على سبيل الإيجاز والإجمال وبسطها وتفصيلها بكيفياتها وأدلتها يرجع إليه في مظانها من كلام أهل العلم في كتب الأدعية والأذكار[(١)].

ـ المسألة الثانية: حكم دعاء غير الله:

يختلف حكم دعاء غير الله باختلاف الأحوال، فإن كان المدعو حيًّا حاضرًا قادرًا فجائز، وإن كان المدعو ميتًا فيحرم سؤاله؛ بل هو شرك بالله، وإن كان المدعو حيًّا قادرًا لكنه غير حاضر فيحرم سؤاله أيضًا بل فيه إشراك بالله في صفة السمع، وإن كان المدعو حيًّا حاضرًا لكن السؤال فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو أيضًا من الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد مضت السُّنَّة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: الدعاء عند القبور:

الأصل في الدعاء أنه لا يختص بمكان معين، والمساجد بيوت بنيت لعبادة الله وحده فهي أولى الأمكنة بأن يدعى فيها؛ إذ دعاء الله وحده من أجلِّ الطاعات، وأما الدعاء عند القبور فإن كان ذلك تبعًا للزيارة الشرعية كأن دعا لنفسه بعدما دعا للميت كقوله: اللَّهُمَّ اغفر له ولنا فلا بأس بذلك، وإن كان الداعي يقصد القبور ليدعو الله عندها فلا شك أن هذا منكر يخشى أن يؤدي إلى الشرك.

ـ المسألة الرابعة: طلب الدعاء من الأموات:

إن من يأتي القبور سواء كانت للأنبياء، أو الصالحين، أو نحوهم ويدعوهم، ويناديهم بأن يدعو الله له، ويقول: يا فلان اسأل الله لي، أو ادعوا الله لي، ونحو ذلك، فعلى الصحيح من أقوال أهل العلم أنه شرك أكبر؛ بل هو أم لعدة أنواع من الإشراك بالله تعالى.

(١) الدعاء ومنزلته (١/ ١٦٣ ـ ٢٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٤)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن أثبتُّم وسائط بين الله، وبين خلقه؛ كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده، ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس؛ لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبت وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادًا»[(١)].

الفروق:

الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

الاستغاثة خاصة بما إذا كان المطلوب رفع الشدة الواقعة، أما الدعاء فيشمل ما إذا كان المطلوب حصول منفعة أو دفع شدة، كما أنه يشمل طلب منع الشدة التي لم تقع ويشمل أوقات الشدة والرخاء فهو أعم، فعلى هذا فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة[(٢)].

الثمرات:

ثمرات دعاء الله تعالى كثيرة جدًّا، فمن أعظم ثمراته امتثال أمر الله تعالى، وطاعته حين أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالاستجابة، وفي ذلك الأجر الكبير، والثواب الجزيل، في العاجل والآجل.

ومنها: سلامة الداعي من الكبر، المؤدي إلى جهنم، كما دلَّت على ذلك آية غافر.

ومنها: أنه يجلب على الداعي مصالح دنيوية وأخروية، لا تعد ولا تحصى، فيفتح له من أبواب الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومعرفته، ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي أهمته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية، وغير ذلك من الثمرات الجليلة، والمنافع العظيمة.

الآثار:

الآثار المترتبة على إفراد الله تعالى بالدعاء: أنه تحقيق للتوحيد الخالص، الذي هو أعظم مأمور، وأجل مقصود

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦)، وانظر: المصدر نفسه (١/ ١٥٨)، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٣/ ١٤٨٧) [دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: القول السديد للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة (٣/ ٢٢) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٣، ١٤١٢هـ].

وغاية خلق لأجلها الإنس والجن.

ومنها: أنه من أعظم الأسباب في حصول المطلوب الدنيوي والأخروي.

ومنها: أنه يجلب الراحة القلبية، والسعادة والطمأنينة للعبد الداعي؛ حيث جمع قلبه على مقصود واحد، ولم يشتت قلبه، ويصرف نظره لغيره تعالى.

ومنها: أنه يجلب أنواعًا من العبادات: كالتوكل، والخضوع، والذلة، والمحبة، والاستكانة، ونحوها، وفي ذلك الفوز العظيم، والثواب الجزيل، وغيرها من الآثار الظاهرة.

وأما عن الآثار المترتبة على صرف الدعاء لغير الله تعالى: فمنها: ظهور الشرك وانتشاره، الذي هو أقبح الذنوب على الإطلاق، وبسببه يحل العقاب، وتتنزل المصائب الدنيوية والأخروية.

ومنها: ضيق القلب، وتشتته، وعدم طمأنينته وراحته، وحصول الشقاوة في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا الداعي قد فرق عليه أمره؛ حيث صرف حق خالص الله تعالى إلى معبودات، لا تنفعه؛ بل تضره، ولا تجلب له رزقًا ولا تملك له حياة ولا نشورًا، وهذا مشاهد معلوم.

حلول المصائب والعقوبات، على الأفراد والمجتمعات، وذلك بما كسبت أيدي الناس؛ إذ إن دعاء غير الله تعالى من أعظم أنواع الشرك وأخطرها، والشرك عمومًا آثاره وخيمة، ومفاسده عظيمة، وهي مشاهدة ومعلومة.

مذهب المخالفين:

١ ـ خالف بعض الطوائف وقالوا: لا حاجة إلى الدعاء، ولا فائدة منه؛ لأن الأقدار سابقة، والأقضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئًا منها[(١)].

وهذا المذهب باطل، وحكايته تغني عن سقوطه؛ لأن القرآن والسُّنَّة قد حضّا على الدعاء، وأمرا به، وأجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على أن الدعاء هو من أفضل القربات والطاعات.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «فأمَّا من ذهب إلى إبطال الدعاء، فمذهبه فاسد، وذلك أن الله أمر بالدعاء وحض عليه، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان: ٧٧] في آي ذوات عدد من القرآن، ومن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن، وردَّه، ولا خفاء بفساد قوله، وسقوط مذهبه»[(٢)].

٢ ـ خالف بعض الطوائف في أن الدعاء لا يكون عبادة، إلا إذا اعتقد في

(١) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦).
(٢) المصدر السابق (٨).

المدعو شيئًا من الربوبية أو التأثير: والمقصود: أن دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، ونحوه لا يعتبر شركًا أكبر عندهم إلا إذا كان يعتقد فيهم التأثير، أو أنهم يخلقون، أو يرزقون، ونحو ذلك من أفراد الربوبية[(١)].

وهذا من أبطل الباطل؛ يوضحه: أن كفار قريش الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يدعون آلهتهم وأصنامهم من دون الله تعالى، وهم يقرون بأن الله هو الخالق، والرازق، والمدبر، ونحوه، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف]، وأمثال ذلك كثير في القرآن، فكفرهم كان من جهة صرفهم لأنواع العبادة من دون الله تعالى، ومن أعظمها الدعاء، ولم يكن كفرهم وشركهم لأنهم كانوا يعتقدون فيها التأثير، أو الربوبية، كما زعم هؤلاء.

ثم ليس يخفى وجود التلازم بين دعاء غير الله تعالى، واعتقاد النفع والضر فيه، وإلا فما الذي جرأ هؤلاء على دعائهم من دون الله تعالى، لولا أنهم يعتقدون فيهم شيئًا من الربوبية، أو شيئًا من أفرادها، وأنواعها.

(١) انظر: الدرر السَّنية لزيني دحلان (١٥، ٣٤ ـ ٣٥) [مكتبة الحقيقة بإسطنبول]، وشواهد الحق ليوسف بن النبهاني (٦٩) [المطبعة الميمنية لمصطفى البابي الحلبي]، وبراءة الأشعريين لابن مرزوق (١/٣٨٨) [مطبعة العلم بدمشق، ١٣٨٨هـ].

يقول أبو الثناء الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل: يا سيدي فلان أغثني، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عدَّه أناس من العلماء شركًا، وأن لا يكنه فهو قريب منه، ولا أدري أحدًا ممَّن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب، أو الميت المُغيَّب، يعلم الغيب، أو يسمع النداء، ويقدر بالذات، أو بالغير على طلب الخير، ودفع الأذى، وإلا لما دعاه، ولا فتح فاه، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، فالحزم التجنب عن ذلك، وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوي الغني الفعال لما يريد»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

٢ ـ «تحفة الذاكرين»، للشوكاني.

٣ ـ «تصحيح الدعاء»، لبكر أبي زيد.

٤ ـ «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية»، لأبي عبد الرحمٰن جيلان العروسي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

(٢) روح المعاني (٦/١٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

٧ ـ «فقه الأدعية والأذكار»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.

دعاء العبادة

يراجع مصطلح (الدعاء).

دعاء المسألة

يراجع مصطلح (الدعاء).

دلائل النبوة

يراجع مصطلح (النبوة).

دليل الإحكام والإتقان

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحُكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْت الدابة وأَحْكَمتها. ويقال: حَكَمت السفيه، وأحكمته: إذا أخذت على يديه»[١]. وقال الخليل: «الحِكْمَة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال: أحكمته التجارب، إذا كان حكيمًا، وأَحْكم فلان عني كذا؛ أي: منعه... وكل شيء منعته من الفساد فقد حَكَمته، وحَكَّمته وأحْكمته»[٢]. وقال الجوهري: «والحكيم المتقن للأمور»[٣].

والإتقان في اللغة: الإحْكام[٤]، وفي اللسان: «وأتقن الشيء أَحْكمه، وإتقانه إحكامه، والإتقان الإحكام للأشياء»[٥]. فالإحكام والإتقان معناهما واحد، وهو ضبط الشيء ومنع وقوع الفساد والخلل فيه.

التعريف اصطلاحًا:

أن إحكام وإتقان خلق السماوات والأرض، وما فيها، وخلق الإنسان، وغيره من المخلوقات، يدل على وجود خالق عليم حكيم.

الأسماء الأخرى:

يسمي الكثيرون هذا الدليل: دليل العناية، والبعض يرى أن دليل العناية زائد على الإتقان[٦]. كما يسمى دليل النظام أو التناسق[٧].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٩١) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) العين (٣/ ٦٧) [دار مكتبة الهلال].

(٣) الصحاح (٥/ ١٩٠١) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٤) انظر: العين (٥/ ١٢٩).

(٥) لسان العرب (١٣/ ٧٣) [دار صادر].

(٦) انظر: العقيدة الإسلامية لعبد الرحمٰن حبنكة (١٣٠) [دار القلم، ط٦، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: عقيدة التوحيد لملكاوي (١٤٧) [دار ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ].

الحكم:

هذا دليل شرعي على وجود الله ووحدانيته[(١)].

الحقيقة:

يقول الرازي في شرح هذا الدليل: «وهي[(٢)] الاستدلال بما في العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل، والذي يدل على علم الفاعل هو بالدلالة على ذاته أولى»[(٣)]. وما في العالم من عجيب الصنع، وعظيم القدرة، يدل على وجود خالق عظيم منفرد بالخلق والربوبية.

المنزلة:

إتقان الخلق وإحكامه من أعظم الأدلة على وجود الله، يتفق في هذا الدليل أهل السُّنَّة والفلاسفة والمتكلمون، وهو يدل على علم الفاعل وحكمته، والفلاسفة والمتكلمون يلزمهم الإقرار بثبوت ذلك لله من غير تقصير في مدلول العلم والحكمة والإرادة؛ لأنه من لوازم هذا الدليل.

الأدلة:

قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

وقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقوله عز وجل: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «أفعاله المحكمة المتقنة دلَّت على علمه، وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء، فإنهم يسلمون أن الإحكام والإتقان يدل على علم الفاعل، وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبوت مدلولها، والإحكام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب، لتحصل به الحكمة المقصودة منه»[(٤)].

وقال ابن القيِّم: «ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل، علم قطعًا أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام»[(٥)].

الآثار:

١ ـ الإيمان بقدرة الرب، وعلمه، وانفراده بالربوبية.

٢ ـ زيادة الإيمان، باستشعار قدرة الرب وعظمته في خلقه وإحكامه للمخلوقات.

---

(١) انظر: التوحيد لابن منده (١/٩٧) [مطابع الجامعة الإسلامية].

(٢) الضمير هنا يعود إلى الطريقة الخامسة في إثبات وجود الله.

(٣) نقله ابن تيمية في درء التعارض (٣/٨٧) [مكتبة ابن تيمية]، وانظر: المطالب العالية (١/٢٣٣) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) النبوات (٣٧٦).

(٥) الصواعق المرسلة (٤/١٥٦٧).

٣ ـ الحث على التفكر والتدبر في آيات الله في الأنفس والآفاق.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

٢ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو.

٣ ـ «توحيد الخالق»، لعبد المجيد الزنداني.

٤ ـ «درء التعارض» (ج٣)، لابن تيمية.

٥ ـ «العقيدة الإسلامية»، لعبد الرحمٰن حبنكة.

٦ ـ «عقيدة التوحيد في القرآن الكريم»، لمحمد ملكاوي.

٧ ـ «قلب الأدلة على الطوائف المخالفة في توحيد المعرفة والإثبات»، لتميم القاضي.

٨ ـ «المطالب العالية» (ج١)، للرازي.

دليل الاختصاص

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء والصاد أصلٌ مطّرد منقاس، وهو يدلُّ على الفُرْجة والثُّلمة. فالخَصَاص الفُرَج بين الأثافيّ. ويقال للقمر: بدا من خَصَاصة السّحاب، ومن الباب: خَصَصْت فلانًا بشيءٍ خَصُوصِيَّةً، بفتح الخاء، وهو القياس لأنّه إذا أُفرِد واحدٌ فقد أوقَع فُرْجَةً بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك»[(١)].

فالاختصاص يدل على إفراد الشيء بأمر ما، يقال: تخصَّص فلان بالأمر واختصّ به، إذا انفرد به، وخَصَّ غيرَه واختصّه بِبِرّه[(٢)].

التعريف اصطلاحًا:

دليل الاختصاص: من الأدلة التي سلكها بعض الأشاعرة في إثبات وجود الله، وهو مبني على أن الأجسام متماثلة في الماهية، وأما صفات الأجسام فمختلفة، واستنتجوا من تخصيص كل جسم بصفته أنه ممكن ويحتاج لمخصص، ولا بد من وجوب المخصص وأنه ليس بجسم؛ منعًا للتسلسل، يقول الرازي: «قد دللنا على أن الأجسام بأسرها متساوية في تمام الماهية، وإذا كانت كذلك، كان اختصاص جسم الفلك بما به صار فلكًا، واختصاص جسم الأرض بما به صار أرضًا، أمرًا جائزًا، فلا بد له من مخصص، وذلك المخصص؛ إن كان جسمًا افتقر في تركبه، وتألفه، إلى نفسه، وهو محال، وإن لم يكن جسمًا،

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٥٢٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٧/ ٢٤) [دار صادر].

فهو المطلوب»[١]. وقد ورد الاستدلال بالتخصيص بشكل مختصر عند المعتزلة في أثناء شرحهم لدليل حدوث الأجسام، وبنائه على حدوث الأعراض[٢]. وقد ورد دليل الاختصاص عند متقدمي الأشاعرة بصيغة أخرى، هي اختصاص الممكن بالوجود بدل العدم، حيث يقول البغدادي: «والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث، أنه يحدث في وقت ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر، فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه، لوجب أن يحدث في وقته كل ما هو من جنسه، وإذا بطل اختصاصه بوقته لأجل الوقت، صح أن اختصاصه به لأجل مخصص خصصه به، لولا تخصيصه إياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك، أو بعده»[٣]. ويقول الجويني: «والحادث جائز الوجود، إذ يجوز تقدير وجوده بدلًا عن عدمه، ويجوز تقدير عدمه بدلًا عن وجوده، فلما اختص بالوجود الممكن بدلًا عن العدم الجائز افتقر إلى مخصص، وهو الصانع تعالى»[٤]، وهذه الصيغة أقرب لدليل إمكان الأجسام الذي يقول به ابن سينا[٥]. ثم تلتها المرحلة الأخرى وهي القول بتخصيص الصفات وحاجتها لمخصص.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي للاختصاص هو إفراد الشيء بأمر ما عن غيره، وهو المعنى المراد في الاصطلاح، إذ فحوى الدليل حول انفراد جسم ما بهيئته وصفته عن غيره، رغم تماثل الأجسام في الماهية عندهم، أو انفراد الشيء بالوجود مع احتمال أن يكون عدمًا كغيره من المعدومات.

الأسماء الأخرى:

يعرف هذا الدليل بدليل إمكان الصفات[٦]، ودليل إمكان الأعراض[٧]. وقد سبق عند شرح دليل حدوث الأعراض، دخول الاستدلال بإمكان

(١) معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، وانظر: المطالب العالية (١/ ١٨٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ]، والمواقف (٢٦٦) [عالم الكتب].

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٩٦) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) أصول الدين للبغدادي (٦٩) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ].

(٤) لمع الأدلة (٩١) [عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وانظر: الإرشاد للجويني (٢٨) [مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ].

(٥) انظر: الإشارات والتنبيهات (٣/ ١٩ ـ ٢٠) [دار المعارف، ط٣]، والمطالب العالية (١/ ٧٢)، وانظر تعليق ابن تيمية في: درء التعارض (٣/ ٧٤) [مكتبة ابن تيمية].

(٦) انظر: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١/ ١٨٤).

(٧) انظر: المواقف (٢٦٦).

الصفات فيه، وأنه أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل الأعراض[(١)].

الحكم:

هذا الدليل باطل عند أكثر العقلاء[(٢)]، لأمور:

أولًا: أن هذا الدليل غير وارد في الكتاب والسُّنَّة، والمتكلمون يقولون عنه: إنه مقدمة شريفة، يفرع عنها القول في الإلٰه، والقول بالنبوة، والقول بأحوال الآخرة، والقيامة[(٣)]، فكيف لا يذكر الرسول شيئًا في غاية الأهمية ـ كما يزعمون ـ؛ بل يكون الرسول لم يبلغ البلاغ الكامل، وهذا أمر بيّن البطلان.

ثانيًا: هذا الدليل مبني على القول بتماثل الأجسام، ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل، وقد بنوا ذلك على تركبه من الجواهر المفردة، وعلى أنها متماثلة، وهذا يبنى على صحة ذلك، وعلى إثبات الجوهر الفرد، وعلى أنه متماثل، وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك[(٤)]. وقد أثبت العلم الحديث اختلاف ذرات الأجسام، وأنها غير متماثلة فذرات الماء ليست مماثلة لذرات الحديد، وذرات الحديد لا تماثل ذرات النحاس ولا الذهب وغيرها. فكل جسم له ذراته الخاصة به، كما أن ارتباط الذرات المختلفة ببعض، ينتج أنواعًا مختلفة من المواد[(٥)].

ثالثًا: أن هذا الدليل مبني على دليل حدوث الأعراض والأجسام، وحقيقته نفي الصفات الفعلية[(٦)].

فهذا الدليل فاسد، ولا أدلَّ على بطلانه من اضطراب منظريه في كثير مما يبنى عليه هذا الدليل كالقول بتماثل الأجسام، وتعريف الممكن، والجسم، كما لم يمكنهم إقامة دليل صحيح على ما ادعوه.

الحقيقة:

فكرة هذا الدليل مأخوذة من دليل إمكان الأجسام الذي يقول به ابن سينا وأتباعه، وهو باختصار: أن الأجسام ممكنة، وكل ممكن فوجوده من غيره، والذي أفاده الوجود إن كان ممكنًا وتسلسل فالسلسلة واجبة بغيرها، وإن لم تتسلسل الممكنات انتهت إلى واجب الوجود وهذا هو المطلوب[(٧)]. وهذا

---

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ٨٢) (٥/ ٢٩٤) (٧/ ١٤١)، ومن كتب المتكلمين: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١/ ١٨٤).

(٢) درء التعارض (٥/ ٢٩٣).

(٣) انظر: المطالب العالية (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: التدمرية (١٢١ ـ ١٢٢) بتصرف [العبيكان، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية، النظريات الذرية والكوانتم والنسبية، لعبد الفتاح غنيمة (٦٣ ـ ٦٥)، وانظر: مصطلح الجوهر الفرد وموقف العلماء منه.

(٦) انظر: درء التعراض (٥/ ٢٩٤، ٢٩٨).

(٧) انظر: الإشارات والتنبيهات (٣/ ١٩ ـ ٢٠)، =

الدليل مبني على دليل حدوث الأعراض والأجسام، وحقيقته نفي الصفات الفعلية.

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام عن هذا الدليل: «وهو مبني على تماثل الأجسام، وهو باطل عند أكثر العقلاء، وهو مبني على **مقدمتين**: **إحداهما**: أن اختصاص كل جسم بما له من الصفات لا يكون إلا لسبب منفصل. **والثانية**: أن ذلك السبب لا يكون إلا مخصصًا ليس بجسم. قلت: وهاتان المقدمتان قد عرف نزاع العقلاء فيها، وما يرد عليهما من النقض والفساد، ومخالفة أكثر الناس لموجبهما»[1]. بل من كبار الأشاعرة من نقضها كالآمدي[2].

الفروق:

الاستدلال بالاختصاص وهو ما يسمى بدليل إمكان الصفات، أو دليل إمكان الأعراض؛ هو أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل حدوث الأعراض[3].

كما أن قولهم باختصاص الذات الممكنة بالوجود بدل العدم هو أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل حدوث الأجسام[4].

ويفرق الرازي بين دليل حدوث الصفات ودليل إمكانها وهو الاختصاص بقوله: «والفرق بين الاستدلال بإمكان الصفات وبين الاستدلال بحدوثها؛ أن الأول يقتضي أن لا يكون الفاعل جسمًا، والثاني لا يقتضي ذلك»[5].

الآثار:

١ ـ أن هذا الدليل يفضي إلى نفي الصفات، وتعطيل الرب ﷻ عن كماله.

٢ ـ تهميش نصوص الكتاب والسُّنَّة وتقديم العقل عليها.

٣ ـ التشكيك في الاعتقاد، بما فيها من شبهات، وكلام مجمل يحمل معان باطلة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي [رسالة دكتوراه].

٢ ـ «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.

= والمطالب العالية (١/ ٧٢)، وانظر تعليق ابن تيمية في: درء التعارض (٣/ ٧٤).

(١) درء التعارض (٥/ ٢٩٣)، وتفصيل نقض هاتين المقدمتين في الدرء (٣/ ٧٨ ـ ٧٩، ٣٥١ ـ ٣٨٧).

(٢) انظر: أبكار الأفكار (٣/ ٣٠٩ ـ ٣٣٥) [مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: درء التعارض (٣/ ٨٢) (٥/ ٢٩٤) (٧/ ١٤١)، ومن كتب المتكلمين: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١/ ١٨٤).

(٤) انظر: التمهيد (٤٤)، والإنصاف (١٧)، وانظر من كتب أهل السُّنَّة: درء التعارض (٣/ ٧٢).

(٥) نقلًا عن درء التعارض (٣/ ٨٢ ـ ٨٣) (٥/ ٢٩٤).

٣ ـ «درء التعارض» (ج٣، ٥، ٧)، لابن تيمية.

٤ ـ «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].

٥ ـ «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٦ ـ «أبكار الأفكار» (ج٣)، للآمدي.

٧ ـ «المطالب العالية» (ج١)، للرازي.

دليل الإمكان

التعريف لغة:

هذا المصطلح مركّب من كلمتين؛ الدليل، والإمكان، **أمّا الدليل**: فمن مادة: (دلل)، قال ابن فارس: «الدال واللام **أصلان**؛ **أحدهما**: إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، **والآخر**: اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة»[1].

وقال الأزهري: «الدليل يسمى هاديًا؛ لأنه يتقدم القوم ويتبعونه ويكون أن يهديهم للطريق»[2].

وقال الجوهري: «الدليل: ما يستدل به. والدليل: الدالّ. وقد دلَّه على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى»[3].

وأما الإمكان: فمن مادة: (مكن)، قال الجوهري: «مكنه الله من الشيء وأمكنه منه، بمعنى. واستمكن الرجل من الشيء وتمكن منه، بمعنى. وفلان لا يمكنه النهوض؛ أي: لا يقدر عليه»[4]. فالممكن هو الشيء المقدور عليه.

التعريف اصطلاحًا:

هو الاستدلال بوجود الممكنات على أن لها خالقًا ومُوجِدًا[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يمكن أن يقال بوجود علاقة بين المعنيين؛ فإن الممكن في اللغة هو الشيء المقدور عليه، والممكنات هي الموجودات التي أوجدها الله بقدرته العظيمة، وهي دالة على خالقها وموجدها.

الحكم:

دليل الإمكان باطل؛ لأنه دليل مبتدع

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٥٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) تهذيب اللغة (٦/٢٠٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].
(٣) الصحاح (٤/١٦٩٨) [دار العلم للملايين، ط٤].
(٤) الصحاح (٦/٢٢٠٥).
(٥) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد لإبراهيم البريكان (٢/٤٨٠) [دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ].

محدث، ولا يثبت الذات الإلٰهية ولا يدل على وجود خالق أبدع السماوات والأرضين وما بينهما، وفيه تعقيد وطول ممل، ثم أخيرًا يقرر حقيقة لا اختلاف فيها بين العقلاء المعتبرين، وهي إثبات وجود الله(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية في دليل الإمكان: «فهذا الدليل مبني على **مقدمتين**؛ **إحداهما**: أن الممكنات موجودة. **والثانية**: أن الممكن لا يوجد إلا بواجب الوجود.

والمقدمة الأولى: لم يقررها بحال، ولا يمكن أن يسلك في ذلك طريقة ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة، الذين قالوا: نفس الوجود يشهد بوجود واجب الوجود؛ فإن الوجود إما ممكن، وإما واجب، والممكن مستلزم للواجب، فثبت وجود الواجب على هذا التقرير، فإن هذه الطريقة وإن كانت صحيحة بلا ريب، لكن نتيجتها إثبات وجود واجب، وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين، ولا هو من المطالب العالية، ولا فيه إثبات الخالق، ولا إثبات وجود واجب أبدع السماوات والأرض، كما يسلمه الإلٰهيون من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه المشائين، وإنما فيه أن الوجود وجود واجب، وهذا يسلمه منكرو الصانع كفرعون والدهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم، ويقولون: إن هذا الوجود واجب الوجود بنفسه»(٢).

وقال الشيخ أحمد بن عطية الغامدي: «الفلاسفة: وقد سلكوا في إثبات وجود الله تعالى طريق الوجوب والإمكان، وقسموا الموجودات إلى واجب، وممكن، بدلًا من قديم وحادث، وذلك نظرًا لأنهم لا يقولون بحدوث العالم، فاستدلوا بالإمكان بدل الحدوث»(٣).

الآثار:

من الآثار السيئة التي ترتبت على الاستدلال بدليل الإمكان الذي ابتدعه الفلاسفة والمتكلمون: نفي صفات الكمال عن الله تعالى، حيث كان من نتائج هذا الدليل قولهم بإمكان الذوات وإمكان الصفات، بناء على أن الأجسام عندهم متماثلة(٤)، ذكر شيخ الإسلام في ردِّه على الفلاسفة أن هذا الدليل «لا يفيد إلا إثبات وجود واجب فقط، وأنها

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (٣٢ ـ ٣٣) [مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (٣٢ ـ ٣٣).

(٣) البيهقي وموقفه من الإلٰهيات (١١٩) [عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢].

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٣٠٧) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

لا تفيد أنه مباين للعالم إلا بطريقة نفي الصفات، وهي باطلة»[(١)].

۞ مذهب المخالفين:

جعل المتكلمون إثبات وجود الخالق أول واجب على المكلف، واستدلوا على وجود الله بما يسمونه بدليل الإمكان، وخلاصته: أن العالَم ممكن، وكل ممكن محدَث، فالعالم محدَث، وكل حادث لا بد له من محدِث، وهو الله؛ إذن: الله موجود[(٢)]. وبعبارة أخرى: أن العالم ممكن؛ لكونه مركبًا وكثيرًا، وكل ممكن فله علة مؤثرة، وهو الله[(٣)]. فجعلوا الممكنات دليلًا على وجود الله؛ لاستحالة وجودها بنفسها أو بممكن آخر؛ لاستغنائها به عن كل ما سواه، وافتقار الممكن إلى علته[(٤)].

وهذا الدليل متفق عليه بين الفلاسفة والمتكلمين[(٥)]، مع اختلافهما في مفهوم الممكن، فهو عند المتكلمين: ما يجوز عليه الوجود والقدم، في حين أنه عند الفلاسفة: ما وجب وجوده بغيره[(٦)].

وهذا الدليل له مقدمتان ونتيجتان:

أما **المقدمتان** فهما: «**الأولى**: أن الممكنات موجودة، **والثانية**: أن الممكن لا يوجد إلا بواجب الوجود»[(٧)].

والنتيجتان: إمكان الذوات، وإمكان الصفات[(٨)].

۞ الرد عليهم:

لا شكَّ أن هذا الدليل غير صحيح، **لما يأتي**:

أولًا: أنه خالٍ عن إثبات الخالق.

الثاني: أنه خالٍ عن إثبات وجود الذات الإلٰهية.

الثالث: اشتماله على ألفاظ مبتدعة مجملة، مثل: واجب الوجود، والافتقار، والتركيب، ونحوها.

الرابع: ليس فيه إثبات وجود واجب مباين للمخلوقات، منفصل عنها.

الخامس: أن هذا الطريق فيه تطويل وتعقيد، بحيث إنه يحتاج إلى تعلم خاص يمكّن صاحبه من إدراك ترابط

---

(١) الصفدية لابن تيمية (٢/١٩) [مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني [مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ]، ونهاية العقول في دراية الأصول للرازي (١/٣٤٤) [دار الذخائر، بيروت].

(٣) انظر: المواقف للإيجي (٣/٧) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م]، وانظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (١٦٥) [دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢].

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٣٢).

(٥) انظر: البيهقي وموقفه من الإلٰهيات (١١٩).

(٦) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد لإبراهيم البريكان (٢/٤٨١).

(٧) شرح العقيدة الأصفهانية (٣٢).

(٨) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٢/٤٨٢).

المقدمات بعضها ببعض، فلا بد له من إثبات إمكانها بحدوثها، ثم الاستدلال بإمكانها على وجود الواجب.

السادس: أن هذا الدليل يثبت وجود واجب، وهذا القدر لا نزاع فيه بين العقلاء المعتبرين.

السابع: أن هذا الدليل ليس فيه إثبات موجود مباين للسماوات والأرض، فضلًا عن مباينة الله للخلق.

الثامن: أن هذه الطريقة إن صحت فهي من قبيل الاستدلال بالخفي على الجلي، ومعلوم أن مناط الاستدلال هو التلازم بين الدليل والمدلول، فإذا كان المدلول أوضح من الدليل صار خطأ في البيان والدلالة، فيكون الدليل باطلًا[(١)].

قال ابن تيمية: «إن طريقة ابن سينا وأتباعه في الوجود الواجب لا يفيد إلا إثبات وجود واجب فقط، وأنها لا تفيد أنه مباين للعالم إلا بطريقة نفي الصفات وهي باطلة، ولو صحت لم تفد إلا إثبات هذا الوجود المطلق، لا تفيد وجودًا مباينًا للمخلوقات منفصلًا عنها، فتفيد إثبات وجود في الذهن، أو إثبات وجود مشترك بين الموجودات، لا تفيد إثبات وجود مباين لوجود الممكنات.

وهو إنما أخذه من كلام المعتزلة لما قسموا الموجود إلى محدث وقديم، وبيَّنوا ثبوت القديم، أخذ هو يقسمه إلى واجب وممكن، وغرضه: إثبات وجود الواجب بدون إثبات حدوث العالم، وجعل وجود العالم ممكنًا، وخالف بذلك طريقة سلفه الفلاسفة كأرسطو وأتباعه، فإن الممكن عندهم لا يكون موجودًا»[(٢)].

وبهذا يتبين بطلان استدلال المتكلمين والفلاسفة على إثبات الخالق بهذا الدليل وأمثاله مما عندهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن الدليل الصحيح على إثبات الخالق هو ما توفر فيه **شرطان**؛ **أحدهما**: أن يكون مما اتفقت عليه العقول؛ أي: الفطرة العامة التي فطر الله الناس عليها ولم تفسدها الأهواء على صحته. **وثانيهما**: أن يكون شرعيًّا، بمعنى: أن الشرع استدل به وأمر الناس أن يستدلوا به؛ كالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان[(٣)].

وأما قولهم بإمكان الصفات فهذا مبني على قولهم بتماثل الأجسام[(٤)]، وهو باطل؛ لأن لغة القرآن لا «تطلق لفظ المثل على كل جسم، ولا أن اللغة التي

---

(١) انظر: شرح الأصفهانية (٣٢ ـ ٣٤)، ومنهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

(٢) الصفدية لابن تيمية (٢/ ١٩).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ]، وابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس (٧٩ ـ ٨٠) [المطبعة اليوسفية بطنطا، ط١].

(٤) انظر: درء التعارض (١/ ٣٠٧).

نزل بها القرآن تقول: إن السماء مثل الأرض، والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال، والجبال مثل البحار، والبحار مثل التراب، والتراب مثل الهواء، والهواء مثل الماء، والماء مثل النار، والنار مثل الشمس»[(١)]. وإنما جاء المتكلمون بهذا لنفي الصفات عن الله، ولذا قال ابن تيمية: «صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئًا من الصفات، كان ذلك مستلزمًا لأن يكون الموصوف عندهم جسمًا ـ وعندهم الأجسام متماثلة ـ فصاروا يسمونه مشبهًا بهذه المقدمات التي تُلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم، وهي متناقضة، لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «ابن تيمية السلفي»، لمحمد خليل هراس.

٢ ـ «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، للجويني.

٣ ـ «البيهقي وموقفه من الإلٰهيات»، لأحمد الغامدي.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج١)، لابن تيمية.

٥ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٦ ـ «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.

٧ ـ «الصفدية» (ج٢)، لابن تيمية.

٧ ـ «منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد» (ج٢)، لإبراهيم بن محمد البريكان.

٨ ـ «النبوات» (ج١)، لابن تيمية.

٩ ـ «المواقف» (ج٣)، لعضد الدين الإيجي.

١٠ ـ «نهاية العقول في دراية الأصول» (ج١)، للرازي.

دليل التطبيق

التعريف لغة:

التَّطبيق: في اللغة من مادة: (طَبَق)، ومعناها كما يقول ابن فارس: «الطاء والباء والقاف أصلٌ صحيح واحد، وهو يدل على وَضْع شيءٍ مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطبَق. تقول: أطْبَقت الشيء على الشيء، فالأول طِبَقٌ للثاني؛ وقد تطابقا. ومن هذا قولهم: أَطْبق الناس على كذا؛ كأن أقوالهم تساوت حتى لو صُيِّر أحدهما طِبقًا للآخر لصلح»[(٣)]. فمطابقة الشيء للشيء

(١) انظر: المصدر السابق (١/١١٥)

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية (٧٣ ـ ٧٤) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٣٩٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٤٣٩) [دار الجيل، ط١].

مساواته له، وتطبيق الشيء على الآخر وضعه عليه من أوله حتى يساويه.

التعريف اصطلاحًا:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي، ويقوم على فرض سلسلتين زمنيتين غير متناهيتين في الأزل، إحداهما تزيد على الأخرى، بأن نفرض أن رأس الأولى يبدأ من عام ١٤٣٠هـ، إلى غير بداية في الماضي، والثانية تبدأ من ١٤٢٩هـ، إلى غير بداية في الماضي، ثم نطابق بين هاتين السلسلتين من الأعلى، وهما عام ١٤٣٠هـ وعام ١٤٢٩هـ، ذاهبين بالتطبيق نحو الماضي، فلا يخلو الأمر: إما أن يستمر التطبيق بلا نهاية فيترتب على ذلك مساواة الزائد للناقص، وهذا ظاهر البطلان، أو تنتهي الناقصة وهي ١٤٢٩هـ، فيلزم أيضًا انتهاء الزائدة؛ لأنها قد زادت عليها بقدر متناهٍ، وبذلك ينقطع التسلسل، وهو المطلوب إثباته[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي موافق للمعنى الاصطلاحي للفظ التطبيق، إلا أن المتكلمين ركبوا منه دليلًا، كما أن المثال الذي ذكروه يمتنع التطبيق عليه؛ لأن فيه مساواة ما لا يتساوى.

سبب التسمية:

مأخوذ من مطابقة الشيئين ببعضهما، ووضع كل جزء بمحاذاة ما طبق عليه.

الأسماء الأخرى:

يسمى: برهان القطع والتطبيق[٢]، والبرهان التطبيقي[٣]، ودليل التطبيق والموازنة والمسامتة[٤].

الحكم:

أولًا: أنّا لا نسلم إمكان التطبيق مع التفاضل، وإنما يمكن التطبيق بين المتماثلين لا بين المتفاضلين[٥].

ثانيًا: أن التطبيق هنا يستلزم التفاضل بين الجانب المتناهي، لا بين الجانب الذي لا يتناهى، وهذا لا محذور فيه، فالجملتان اللتان طبقت إحداهما على الأخرى مع التفاوت في أحد الطرفين، وعدم التناهي في الآخر، هما متفاضلتان في الطرف الواحد، وتنطبق إحداهما على الأخرى في الطرف الآخر، فلا يصدق ثبوت مطابقة إحداهما للأخرى

(١) انظر هذا الدليل في: شرح المقاصد (٣/ ١١٣ - ١١٤) (٢/ ١٢٠) [عالم الكتب، ط١]، والمواقف (٩٠) [عالم الكتب]، والتعريفات (٦٩)، والمطالب العالية (١/ ١٥١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر: شرح المقاصد (٢/ ١٢٠).

(٣) انظر: التعريفات (٦٩).

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٤٣٢).

(٥) انظر: درء التعارض (١/ ٣٠٤).

مطلقًا، ولا نفي المطابقة مطلقًا؛ بل يصدق ثبوت الانطباق من أحد الطرفين وانتفاؤه من الآخر، وحينئذ فلا يكون الزائد مثل الناقص، ولا يكونان متناهيين[١].

ثالثًا: أن التطبيق هنا أمر يقدر في الذهن لا حقيقة له في الخارج، والاشتراك في عدم التناهي لا يستلزم المساواة في المقدار؛ كتضعيف الأعداد، فإن تضعيف الواحد أقل من تضعيف العشرة، وتضعيف العشرة أقل من تضعيف المائة، وكل ذلك لا نهاية له، لكن ليس هو أمرًا موجودًا في الخارج[٢]. وقد اعترف بعض الأشاعرة بضعف هذا البرهان، ومن ذلك قول التفتازاني بعد عرضه للدليل: «والحق أن تحصيل الجملتين من سلسلة واحدة، ثم مقابلة جزء من هذه بجزء من تلك، إنما هو بحسب العقل دون الخارج، فإن كفى في تمام الدليل حكم العقل بأنه لا بد أن يقع بإزاء كل جزء جزء أو لا يقع، فالدليل جار في الأعداد، وفي الموجودات المتعاقبة والمجتمعة المترتبة، وغير المترتبة؛ لأن للعقل أن يفرض ذلك في الكل، وإن لم يكن ذلك؛ بل اشتراط ملاحظة أجزاء الجملتين على التفصيل لم يتم الدليل في الموجودات المترتبة، فضلًا عما عداها؛ لأنه لا سبيل للعقل إلى ذلك إلا فيما لا يتناهى من الزمان»[٣].

الحقيقة:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي، وفي شرحه يقول التفتازاني: «طريق التطبيق وهو أن تفرض جملة من الحوادث المتعاقبة من الآن، وأخرى من يوم الطوفان كل منهما لا إلى نهاية، ثم نطبق بينهما بحسب فرض العقل إجمالًا، بأن تقابل الأول من هذه بالأول من تلك وهكذا، فإما أن يتطابقا فيتساوى الكل والجزء، أو لا فتنقطع الطوفانية، ويلزم انتهاء الآنية؛ لأنها لا تزيد عليها إلا بقدر متناه»[٤]. ويوضحه شيخ الإسلام بقوله: «وعمدة من يقول بامتناع ما لا نهاية له من الحوادث، إنما هي دليل التطبيق والموازنة والمسامتة، المتقضي تفاوت الجملتين، ثم يقولون: والتفاوت فيما لا يتناهى محال، مثال ذلك: أن يقدروا الحوادث من زمن الهجرة إلى ما لا يتناهى في المستقبل أو الماضي،

(١) انظر: درء التعارض (١/٣٠٤، ٣٩٠).

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة (١/٤٣٥) بتصرف، وشرح المقاصد (٢/١٢٠).

(٣) شرح المقاصد (٢/١٢٣).

(٤) شرح المقاصد (٣/١١٣ ـ ١١٤)، وانظر: المرجع نفسه (٢/١٢٠)، والمواقف (٩٠)، والتعريفات (٦٩)، والمطالب العالية (١/١٥١).

والحوادث من زمن الطوفان إلى ما لا يتناهى أيضًا، ثم يوازنون الجملتين، فيقولون: إن تساوتا لزم أن يكون الزائد كالناقص، وهذا ممتنع، فإن إحداهما زائدة على الأخرى بما بين الطوفان والهجرة، وإن تفاضلتا لزم أن يكون فيما لا يتناهى تفاضل وهو ممتنع»[(١)].

الأهمية:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي.

أقوال أهل العلم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال هذا الدليل: «لا نسلم إمكان التطبيق؛ فإنه إذا كان كلاهما لا بداية له، وأحدهما انتهى أمس، والآخر انتهى اليوم، كان تطبيق الحوادث إلى اليوم على الحوادث إلى الأمس ممتنعًا لذاته، فإن الحوادث إلى اليوم أكثر، فكيف تكون إحداهما مطابقة للأخرى؟ فلما كان التطبيق ممتنعًا جاز أن يلزمه حكم ممتنع»[(٢)].

الفروق:

الفرق بين دليل الأعراض ودليل التطبيق:

١ ـ دليل الأعراض يقوم برهانه على حدوث الأعراض والأجسام، في حين أن برهان التطبيق يقوم على التطبيق الوهمي الزمني بين سلسلتين زمنيتين.

٢ ـ أن دليل الأعراض لإثبات وجود الله، ودليل التطبيق لمنع التسلسل في الماضي، ومنع حوادث لا أول لها.

٣ ـ دليل الأعراض أعظم مكانة عند المتكلمين من دليل التطبيق؛ لأنه دليل إثبات وجود الرب عندهم.

٤ ـ تضعيف بعض الأشاعرة لبرهان التطبيق كالتفتازاني، بخلاف دليل الأعراض[(٣)].

الآثار:

١ ـ استخدام أدلة ضعيفة كدليل التطبيق في العقيدة، يؤدي إلى التشكيك في العقيدة، ويلقي الشبهات في نفوس من بضاعته في العلم قليلة.

٢ ـ إبطال تسلسل الحوادث في الماضي بهذا الدليل يؤدي إلى تعطيل الرب عن كماله المقدس من صفات الأفعال.

المصادر والمراجع:

١ ـ «درء التعارض» (ج١)، لابن تيمية.

٢ ـ «قدم العالم وتسلسل الحوادث»، لكاملة الكواري.

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ٤٣٢)، وانظر: درء التعارض (١/ ٣٠٤).

(٢) درء التعارض (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

(٣) انظر: شرح المقاصد (٢/ ١٢٣).

٣ ـ «شـرح الـمـقـاصـد» (ج٢)، للتفتازاني.

٤ ـ «موسوعة مصطلحات جامع العلوم»، لأحمد نكري.

٥ ـ «موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي»، لسميح دغيم.

دليل التمانع

التعريف لغة:

قال الخليل بن أحمد: «مَنَعْتُه أَمْنَعُه مَنْعًا فامتنع؛ أي: حُلتُ بينه وبين إرادته، ورجل منيع لا يخلص إليه، وهو في عز ومَنَعَةٍ، ومنعة يخفف ويثقل، وامرأة منيعة، متمنّعة، لا تُؤاتى على فاحشة، قد مَنُعَت مناعة، وكذلك الحصن ونحوه، ومَنُعَ مَناعةً إذا لم يُرَمْ»[(١)]. فمادة: (منع) تدل على عدم حصول الشيء، وعدم وقوعه، فمنعت الرجل فلم تحصل إرادته، والحصن المنيع لا يمكن الحصول على من بداخله.

التعريف اصطلاحًا:

دليل التمانع: برهان عقلي على توحيد الربوبية، يقول ابن أبي العز شارحًا هذا الدليل: «وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل: أن يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه، والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كلٍّ منهما، والعاجز لا يكون إلٰهًا، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإلٰه القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلٰهية»[(٢)]. فهو استدلال على امتناع وجود ربين خالقين للعالم.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

الارتباط بينهما واضح، فالمعنى اللغوي يدل على عدم حصول ذلك الشيء، ودليل التمانع يدل على عدم وجود خالقين اثنين، وامتناع ذلك.

(١) العين (٢/١٦٣) [دار مكتبة الهلال]، وانظر: تهذيب اللغة (٣/١٩) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) شرح الطحاوية (١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وانظر: منهاج السُّنَّة (٣/٣٠٤ ـ ٣٠٥) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، ودرء التعارض (٩/٣٥٥ ـ ٣٥٩) [مكتبة ابن تيمية]، والصواعق المرسلة (٢/٤٦٣ ـ ٤٦٤) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومن كتب المتكلمين: التمهيد للباقلاني (٤٦) [دار الفكر العربي]، والإنصاف له (٣٤) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ]، وأصول الدين للرازي (٨٥ ـ ٨٦) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]، والإرشاد للجويني (٥٣ ـ ٥٤) [مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ]، وشرح الأصول الخمسة (٢٧٧) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، والمطالب العالية للرازي (٢/١٣٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

الحكم:

يرى أهل السُّنَّة أن دليل التمانع برهان تام على توحيد الربوبية، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين[(١)]، فهو دليل صحيح لإثبات انفراد الرب ﷻ بالربوبية والخلق.

الأدلة:

معنى هذا الدليل قد ورد موجزًا في قوله ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية مبيِّنًا صحة دليل التمانع: «بل هو برهان صحيح عقلي، كما قدره فحول النظار»[(٢)].

وقال ابن القيِّم شارحًا قوله ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون]: «فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز البيِّن، فإن الإِلٰه الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه ﷻ إِلٰه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإِلٰه الآخر معه؛ بل إن قدر على قهره، وتفرده بالإِلٰهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضًا بممالكهم. وإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إِلٰه بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكون كلهم تحت قهر إِلٰه واحد، وملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإِلٰه الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون»[(٣)].

وقال ابن أبي العز مبيِّنًا أدلة الربوبية وإثبات صنع واحد للعالم: «والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

يرى أهل السُّنَّة أن دليل التمانع برهان تام على توحيد الربوبية، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وأن معنى هذا الدليل قد ورد موجزًا في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٣٥٤)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٤)، وشرح الطحاوية (١/ ٢٨).
(٢) درء التعارض (٩/ ٣٥٤).
(٣) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، وانظر: درء التعارض (٩/ ٣٥٥ ـ ٣٥٩).
(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٨).

عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون][1]. ومن وجوه غلط المتكلمين في دليل التمانع أنهم يدللون على التمانع بقوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد غفلوا عن مضمون الآية، وإنما هي في توحيد الألوهية، وليست في توحيد الربوبية، فإنه ﷻ أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب.

وأيضًا فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما ـ وهما موجودتان ـ آلهة سواه لفسدتا.

وأيضًا فإنه قال: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا. ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة؛ بل لا يكون الإله إلا واحدًا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله ﷻ، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غير. فلو كان للعالم إلٰهان معبودان لفسد نظامه كله. وتوحيد الإلٰهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس[2]. أما الآية التي تدل على التمانع فهي قوله ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

مذهب المخالفين:

اعترض ابن رشد وغيره على دليل التمانع[3]، وقدحوا في دلالته، يقول شيخ الإسلام: «وليس الأمر كما ظنه هؤلاء؛ بل هو برهان صحيح عقلي، كما قدره فحول النظار»[4].

كما أبطل هذا الدليل القائلون بالتثنية، بناء على قولهم بفاعل للخير وفاعل للشر، وقولهم ظاهر البطلان، ومناقض للعقل، وقد رُدَّ عليهم في قدحهم في دليل التمانع[5].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي، رسالة دكتوراه.

٢ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٩)، لابن تيمية.

٣ ـ «شرح الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز الحنفي.

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٣٥٤)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٤).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٠ ـ ٤١)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).
(٣) انظر كتابه: مناهج الأدلة (١٥٧) [مكتبة الإنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م]، وانظر بعض الاعتراضات في: المطالب العالية (٢/ ١٣٥ ـ ١٤٤).
(٤) درء التعارض (٩/ ٣٥٤).
(٥) انظر: المطالب العالية (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩).

٤ ـ «الصواعق المرسلة» (ج٢)، لابن القيِّم.

٥ ـ «منهاج السُّنَّة» (ج٣)، لابن تيمية.

٦ ـ «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٧ ـ «الإرشاد»، لأبي المعالي الجويني.

٨ ـ «التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة»، لأبي بكر الباقلاني.

٩ ـ «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

١٠ ـ «اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع»، لأبي الحسن الأشعري.

١١ ـ «المطالب العالية» (ج٢)، للفخر الرازي.

دليل حدوث الأجسام

التعريف لغة:

الحدوث: مصدر من حَدَث، ومعناه كما يقول ابن فارس: «الحاء والدال والثاء أصلٌ واحد؛ وهو كون الشيء لم يكن، يقال: حَدَث أمر بعد أن لم يكن»(١). وحدث الشيء حُدوثًا: تَجدد وجوده، فهو حَادث وحَدِيث، ومنه يقال: حَدَث به عيب؛ إذا تجدد وكان معدومًا(٢). والحَدِيث نقيض القديم، والحَدِيث الخبر، واستحدثت خبرًا؛ أي: وجدت خبرًا جديدًا(٣). ويتضح مما سبق أن لفظ الحدوث؛ يعني: كون الشيء بعد أن لم يكن، كما يعني تجدد وجود الشيء، والحديث نقيض القديم، والحديث الجديد.

أما الجسم: فيقول الخليل: «الجسم يجمع البدن، وأعضاءه»(٤). وفي الصحاح: «الجسم الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان... والجثمان الشخص»(٥). والجسم كل شخص مُدْرَك(٦). وعلى هذا فالجسم في اللغة هو البدن والجسد والجثمان والشخص. وحدوث الأجسام لم يذكر بهذا التركيب في كتب اللغة.

التعريف اصطلاحًا:

يقوم هذا الدليل على أن كل جسم

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]، وانظر: الصحاح (١/٢٧٨) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٢) انظر: المصباح المنير (١/١٢٤) [دار القلم].

(٣) انظر: الصحاح (١/٢٧٨).

(٤) العين (٦/٦٠) [دار مكتبة الهلال]، وانظر: مقاييس اللغة (١/٤٥٧)، ولسان العرب (١٢/٩٩) [دار صادر].

(٥) الصحاح (٥/١٨٨٧)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/٩٩).

(٦) انظر: الجمهرة (٢/٩٤) [مكتبة الثقافة الدينية]، ومقاييس اللغة (١/٤٥٧).

مُحدَث، وكل مُحدَث فله علة وصانع، وذلك الفاعل إن كان مُحدَثًا لزم التسلسل أو الدور، وإن كان قديمًا فهو واجب الوجود لذاته. يقول الرازي في بيان هذا الدليل: «كل جسم محدث، وكل محدث فله علة وصانع، ينتج أن كل جسم فله فاعل وصانع. ثم هذا الدليل إنما يتم إذا قلنا: وذلك الفاعل إن كان محدثًا لزم التسلسل أو الدور، وإن كان قديمًا فهو واجب الوجود لذاته، وهو المطلوب»[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

هذا الدليل مبني على معنى الجسم في اصطلاح المتكلمين، وهو مغاير تمامًا لمعناه في اللغة، وهذا من أسباب بطلان هذا الدليل كما سيأتي.

الأسماء الأخرى:

هذا الدليل يسمى: دليل حدوث الذوات.

الحكم:

هذا الدليل باطل من عدة أوجه:

أولًا: أنهم يقولون: إن الإيمان بالربِّ موقوف على هذا الدليل، مع أنه لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين، ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب ﷻ والإيمان به موقوفة عليه، للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله، ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين. كما أن الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أحدًا بسلوك هذا السبيل[(٢)].

ثانيًا: أن الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات، المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها؛ على وجود الخالق ﷻ، لا يحتاج إلى أن يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له، والفرق بين الاستدلال بحدوثه، والاستدلال على حدوثه بيِّن[(٣)].

ثالثًا: أنهم بنوا دليلهم على أن الأجسام محدثة، وكل محدَث فله محدِث، أما المقدمة الأولى فقد تبين تناقضهم فيها، وأنهم التزموا لأجلها إما جحد صفات الله، وأفعاله القائمة به، وإما جحد بعض ذلك[(٤)]. فتعريفهم الجسم بالمعاني التي ذكروها، غير وارد في كتب اللغة، وليس هو معناه الذي قد ورد في كتاب الله[(٥)].

رابعًا: أن المقدمة الثانية في دليلهم

---

(١) المطالب العالية (١/ ٢٠٠) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، وشرح الأصول الخمسة (٩٤ ـ ٩٥) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٦١٩) [مؤسسة قرطبة].

(٣) انظر: درء التعارض (٧/ ٢١٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣/ ٧٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ١١٨ ـ ١١٩، ١٠/ ٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٦).

(وكل محدَث فله محدِث) أظهر وأعرف وأبْده في العقول من أن تحتاج إلى بيان، فبتقدير بيانهم للمقدمتين، يكونون قد طولوا، وداروا بالعقول دورة تبعد على العقول معرفة الله ﷻ، والإقرار بثبوته، وقد يحصل لها في تلك الدورة من الآفات ما يقطعها عن المقصود[1].

خامسًا: أن بعض الفلاسفة قد بيَّنوا فساد هذا الدليل، ومنهم ابن رشد، يقول في نقد هذا الدليل: «وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ ـ وهو الذي يسمونه الجوهر الفرد ـ، طريقة معتاصة، تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل، فضلًا عن الجمهور. ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية، ولا مفضية بيقين، إلى وجود الباري ﷻ»[2]. وبهذا يتبين أن دليل حدوث الأجسام، الذي يعول عليه جمهور المتكلمين في إثبات وجود الله، دليل غير صحيح.

الحقيقة:

هذا الطريق في الاستدلال هو طريق أكثر المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية[3]، **واستدلالهم بهذا الدليل من ثلاث طرق:**

١ ـ بعضهم يقول: الجسم حادث، والحادث لا بد له من محدث ضرورة.

٢ ـ وبعضهم يقول: الجسم حادث، والحادث ممكن، والممكن لا بد له من واجب.

٣ ـ الاستدلال على حدوث الأجسام بحدوث الأعراض[4].

المنزلة:

هذا الطريق في الاستدلال هو طريق أكثر المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية[5]، حيث إن جمهور المتكلمين لا يعولون إلا على هذا الطريق في إثبات وجود الله[6].

الآثار:

١ ـ أنهم التزموا لأجل هذا الدليل إما جحد صفات الله، وأفعاله القائمة به، وإما جحد بعض ذلك[7].

٢ ـ تهميش نصوص الكتاب والسُّنَّة وتقديم العقل عليها.

٣ ـ التشكيك في الاعتقاد، بما فيها من شبهات، وكلام مجمل يحمل معان باطلة.

---

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ٧٣، ٢٨٦).
(٢) مناهج الأدلة (١٣٥) [مكتبة الإنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م].
(٣) انظر: درء التعارض (٥/ ٢٩٢) [مكتبة ابن تيمية].
(٤) انظر: التمهيد (٤٤) [دار الفكر العربي]، والإنصاف (١٧) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ]، ودرء التعارض (٣/ ٧٢).
(٥) انظر: درء التعارض (٥/ ٢٩٢).
(٦) المطالب العالية (١/ ٢٠٠)، وشرح الأصول الخمسة (٩٤).
(٧) انظر: درء التعارض (٣/ ٧٣).

٤ ـ أنهم قد صعَّبوا على العقول الوصول إلى نتيجة بدهية، وهي أن لكل حادث محدث.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي [رسالة دكتوراه].

٢ ـ «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.

٣ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج١)، لابن تيمية.

٤ ـ «درء التعارض» (ج٣)، لابن تيمية.

٥ ـ «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].

٦ ـ «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

٧ ـ «الإنصاف»، لأبي بكر الباقلاني.

٨ ـ «التمهيد»، لأبي بكر الباقلاني.

٩ ـ «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

١٠ ـ «المطالب العالية» (ج١)، للرازي.

دليل حدوث الأعراض

التعريف لغة:

الأعراض: جمع عرض، قال الجوهري: «عَرَض له أمر كذا يعرض؛ أي: ظهر، وعرضت عليه أمر كذا، وعرضت له الشيء؛ أي: أظهرته له وأبرزته إليه»[١]. وعَرَض الدنيا ما كان من مال؛ قلَّ أو كثر[٢]. وعرض له خير أو شر: بدا[٣]. والعرض من أحداث الدهر؛ كالمرض ونحوه، سمي عرضًا؛ لأنه يعترض؛ أي: يأخذه فيما عرض من جسده[٤]. ويلاحظ أن الفعل (عَرَض) يكون بمعنى ظهر أو بدا أو مر. وأما الاسم (عَرَض) فقد جاء بمعنى المال، أو المرض، ونحوه.

ولم يأت في كتب اللغة مصطلح حدوث الأعراض، وقياسًا على معنى مفرداته في اللغة فقد يكون المعنى: كون ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه بعد أن لم يكن.

التعريف اصطلاحًا:

يقول الرازي في بيان هذا الدليل: «الاستدلال بحدوث الصفات، والأعراض، على وجود الصانع تعالى،

---

(١) الصحاح (٣/ ١٠٨٢) [دار العلم للملايين، ط٣]، وانظر: العين (١/ ٢٧١) [دار مكتبة الهلال].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]، والصحاح (٣/ ١٠٨٢ ـ ١٠٨٣).

(٣) انظر: العين (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٧٠).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٧٦، ٢٨٠)، ولسان العرب (٧/ ١٦٩ ـ ١٧٠) [دار صادر]، والمصباح المنير (٢/ ٤٠٢) [دار القلم].

مثل صيرورة النطفة المتشابهة الأجزاء إنسانًا، فإذا كانت تلك التركيبات أعراضًا حادثة، والعبد غير قادر عليها، فلا بد من فاعل آخر، ثم من ادعى العلم بأن حاجة المحدث إلى الفاعل ضروري، ادعى الضرورة هنا، ومن استدل على ذلك بالإمكان، أو بالقياس على حدوث الذوات، فكذلك يقول أيضًا في حدوث الصفات»[1].

فاستدلالهم بهذا الدليل من ثلاثة طرق:

١ ـ بعضهم يقول: الصفات حادثة، والحادث لا بد له من محدث ضرورة.

٢ ـ وبعضهم يقول: الصفات حادثة، والحادث ممكن، والممكن لا بد له من واجب.

٣ ـ وبعضهم يقول: الصفات حادثة، فلا بد لها من محدث قياسًا على حدوث الأجسام.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يريد المتكلمون بالأعراض الصفات، وهذا التسمية غير صحيحة لغة، فالمعنى الاصطلاحي محدث.

(١) درء التعارض (٣/ ٨٢) [مكتبة ابن تيمية]، وانظر: معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، والمطالب العالية (١/ ٢١٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

الأسماء الأخرى:

يسمى: دليل حدوث الصفات.

الحكم:

أولًا: هذه الطريقة جزء من الطريقة المذكورة في القرآن، وهي التي جاءت بها الرسل، وكان عليها سلف الأمة، وأئمتها، وجماهير العقلاء من الآدميين. فإن الله ﷻ يذكر في آياته ما يحدثه في العالم؛ من السحاب والمطر والنبات والحيوان، وغير ذلك من الحوادث، ويذكر في آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ونحو ذلك، لكن القائلين بإثبات الجوهر الفرد من المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم، يسمون هذا استدلالًا بحدوث الصفات؛ بناء على أن هذه الحوادث المشهود حدوثها لم تحدث ذواتها؛ بل الجواهر، والأجسام، التي كانت موجودة قبل ذلك؛ لم تزل من حين حدوثها، بتقدير حدوثها، ولا تزال موجودة، وإنما تغيرت صفاتها، بتقدير حدوثها، كما تتغير صفات الجسم إذا تحرك بعد السكون، وكما تتغير ألوانه، وكما تتغير أشكاله، وهذا مما ينكره عليهم جماهير العقلاء من المسلمين، وغيرهم[2].

(٢) انظر: درء التعارض (٣/ ٨٣)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٦) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

ثانيًا: أن الاستدلال بحدوث الصفات على طريقتهم، أخفى من الاستدلال بحدوث الأجسام، إذ حدوث الأجسام ظاهر، كما أن الصفة تبع للجسم، فإذا ثبت حدوث الجسم، ثبت حدوث الصفة.

ثالثًا: أن من اعتمد في حدوث الصفات، على أن هذا يدل على الإمكان، والممكن لا بد له من واجب، فقد أطال الدليل بدون حاجة، واستدل على الأظهر بالأخفى، وهذا بلا شك يبعد عن المقصود.

فالصواب إذًا: هو الاستدلال بحدوث المخلوقات على الخالق العظيم، وليس الاقتصار على حدوث صفاتها، كما ينبغي أن يكون الدليل خاليًا من الألفاظ المجملة؛ لأنها سبب الاضطراب والاختلاف.

الحقيقة:

حقيقة هذا الدليل: أن هذه الحوادث المشهود حدوثها لم تُحدث ذواتها؛ بل الجواهر والأجسام التي كانت موجودة قبل ذلك، لم تزل من حين حدوثها، ولا تزال موجودة، وإنما تغيرت صفاتها كما تتغير صفات الجسم إذا تحرك بعد السكون، وكما تتغير ألوانه، وأشكاله، وهذه الصفات الحادثة لا بد لها من محدث وهو الربُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وحقيقة قولهم: إن الربَّ لم يزل معطلًا: لا يفعل شيئًا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ثم إنه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئًا؛ بل إنما تحدث صفات تقوم بها، وهذا باطل أنكره عليهم جماهير العقلاء من المسلمين وغيرهم[1].

أقوال أهل العلم:

عن نوح الجامع قال: «قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»[2].

قال شيخ الإسلام: «أما أكابر أهل العلم من السلف والخلف فعلموا أنها طريقة باطلة في نفسها، مخالفة لصريح المعقول وصحيح المنقول، وأنه لا يحصل بها العلم بالصانع ولا بغير ذلك؛ بل يوجب سلوكها اعتقادات باطلة توجب مخالفة كثير مما جاء به الرسول، مع مخالفة صريح المعقول، كما أصاب من سلكها من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية، ومن تبعهم من الطوائف»[3].

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ٨٣ ـ ٨٤) بتصرف.
(٢) ذم الكلام وأهله (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤) [مكتبة الغرباء].
(٣) النبوات (٦٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٠٣) (٥/ ٥٤٣).

الآثار:

١ ـ أن هذا الدليل يفضي إلى نفي الصفات، وتعطيل الرب ﷻ عن كماله.

٢ ـ تهميش نصوص الكتاب والسُّنَّة وتقديم العقل عليها.

٣ ـ التشكيك في الاعتقاد، بما فيها من شبهات، وكلام مجمل يحمل معانيَ باطلة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي، رسالة دكتوراه.

٢ ـ «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٣)، لابن تيمية.

٤ ـ «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].

٥ ـ «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

٦ ـ «الإرشاد»، لأبي المعالي الجويني.

٧ ـ «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

٨ ـ «المطالب العالية» (ج١)، للرازي.

٩ ـ «معالم أصول الدين»، للرازي.

الديّان

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال: دان له يَدِين دِينًا، إذا أصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ؛ أي: مُطِيعون منقادون.

فأمَّا قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف ٧٦]، فيقال: في طاعته، ويقال: في حكمه. ومنه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة]؛ أي: يوم الحكم. وقال قومٌ: الحساب والجزاء. وأيُّ ذلك كان فهو أمرٌ يُنقاد له»[1].

وقال الأزهري: «والدَّيانُ من أسماء الله جلّ وعزّ، معناه: الحَكَمْ القاضي والدَّيان: القهّار ومنه قوله:

لاه ابن عَمِّك لا أُفْضِلْتَ في حَسَبٍ
يومًا ولا أنت ديَّاني فَتَخْزوني

أي: لستَ بِقاهرٍ فتسوسَ أمري»[2].

التعريف شرعًا:

الديان هو: الله الملك المهيمن على شؤون خلقه المتفرد بمجازاة عباده

(١) مقاييس اللغة (٢/٣١٩ ـ ٣٢٠) [دار الجيل، ط٢].

(٢) تهذيب اللغة (١٤/١٣٠ ـ ١٣١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

والحكْم بينهم بالعدل[1].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي منسجم تمامًا مع المعنى الشرعي؛ بل هو المعنى الشرعي بعينه.

الحكم:

يجب إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا، ومن هذا القبيل اسم الله (الديان) الذي سماه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه[2].

الحقيقة:

الديان: صيغة مبالغة، وهو من دان الناس إذا قهرهم على الطاعة، وحاسبهم وجازاهم على أعمالهم، فهو يتضمن عدة معانٍ، فيطلق ويراد به الملك المطاع، والقهار، والحاكم القاضي، والمجازي والمحاسب، والمهيمن على شؤون الخلق من فوق عرشه[3]. قال أبو القاسم الأصبهاني: «وأما الديان فمعناه، المجازي، يقال: دنت الرجل إذا جزيته، أدينه، والدين الجزاء، ومنه المثل: «كما تدين تدان». والديان أيضًا: الحاكم»[4].

هذه هي الحقائق اللغوية لاسم الديان، وكلها ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

الأدلة:

الديان: اسم من أسماء الله الحسنى سماه به رسوله ﷺ فقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن عبد الله بن أنيس الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يحشر الناس يوم القيامة** ـ أو قال: **العباد ـ عراة، غرلًا، بُهمًا**، قال: قلنا: ما بهمًا؟ قال: **ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قرُب: أنا الملك، أنا الديان**»[5].

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الديان: وهو المجازي، يقال: دِنْتُ الرجل إذا جزيتَه، أدينُه، والدَّيْن: الجزاء، ومنه المثل: كما

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٦) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: التوحيد لابن منده (٢/ ١١٨) [الجامعة الإسلامية، ط١]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣)، وقطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعبّاد (٨٧).

(٣) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لزين محمد شحاتة (١/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) [مكتبة العواصم، ط١٠، ١٤٢٢هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢٢٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٣٨) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٢٥) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

تَدِين تُدَان، والدَّيّان أيضا: الحاكم»[١].

وقال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ: والديان»[٢].

وقال عبد المحسن العباد: «وأسرد فيما يلي تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنى، مرتبة على حروف الهجاء، ومع كل اسم دليله من الكتاب أو السُّنَّة»[٣] ثم قال في حرف الدال: «الديان: دليله قول رسول الله ﷺ: «**يحشر الله العباد** أو قال: **الناس عراة غرلًا بهمًا**»»[٤].

الآثار:

الإيمان باسم الله الديان له أثر عظيم في النفوس المؤمنة؛ لأنه إذا كان العبد يؤمن بأن الله هو المجازي والمحاسب على الأعمال، وأنه سبحانه مالك يوم الدين، وأنه يضع الموازين بالقسط يوم القيامة كما قال الله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، كل ذلك يحفزه إلى إحسان العمل، والإخلاص فيه، والاجتهاد في الإكثار من الصالحات التي سيجازيه عليها الديان يوم القيامة، والبعد عن الكفر والشرك والظلم، والكف عن كل قول وعمل واعتقاد تكون عاقبته وخيمة، ونهايته سيئة[٥].

مذهب المخالفين:

الله سبحانه هو الديان سماه بذلك رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وكل اسم من أسماء الله يدل على صفة من صفات الله العليا كما هو معلوم من دلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد خالف في هذا الجهمية منكروا الأسماء والصفات، ومن تأثر بهم كالمعتزلة نفاة الصفات، حيث جعلوا أسماء الله أعلامًا مجردة عن صفات الكمال، فعلى مذهبهم: اسم الديان علم مجرد لا يدل على صفة كمال، ولا يتضمنها، وقلدهم الأشاعرة في أصلهم هذا[٦].

وأما بخصوص اسم الله (الديان) فلم أقف لهم على كلام خاص به، ولكن منهجهم المتقدم يدلنا على أنهم يعطلون

(١) شأن الدعاء (١٠٥) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٢) التوحيد لابن منده (٢/١١٨)، وانظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٧٧).

(٣) قطف الجنى الداني (٨٥) [دار الفضيلة، الرياض، ط١].

(٤) قطف الجنى الداني (٨٧)، والحديث تقدم تخريجه.

(٥) وانظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٥٩٤) [الناشر: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٢، ١٤٣٠هـ].

(٦) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢/٣ ـ ٧) [تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: دار المدني للنشر والتوزيع، جدة].

الصفة التي دلَّ عليها اسمه الديان.

الرد عليهم:

لا شكَّ أن نفي صفات الله تعالى تعطيل واضح وإلحاد بين نهى الله عنه وتوعد عليه بالعقاب، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]

المصادر والمراجع:

١ ـ «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، لعبد المحسن العباد.

٢ ـ «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله بن صالح الغصن.

٣ ـ «المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لزين محمد شحاتة.

٤ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج٣)، لمحمد الحمود.

٥ ـ «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٦ ـ «التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٧ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم الأصبهاني.

٨ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٩ ـ «جامع الرسائل» (ج٢)، لابن تيمية.

١٠ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٣)، لابن تيمية.

الدِّين

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو: جنسٌ من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة. يُقال: دانَ له يدين دينًا: إذا أصحب وانقاد وطاع»[(١)].

ومنه: الدِّين، وجمعه الأديان، يقال: دان بكذا ديانة فهو دَيِّن، وتَدَيَّن به فهو مُتَدَيِّن. والدِّين أيضًا: العادة والشأن. والدين: الجزاء والمكافأة، يقال: دنته بفعله دينًا: جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء[(٢)].

التعريف شرعًا:

الدين له إطلاق عام وإطلاق خاص:

أ ـ **الإطلاق العام**، وهو: ما يعتقده الإنسان ويدين به من أمور الغيب والشهادة. وهذا الإطلاق يشمل الأديان الصحيحة، والباطلة، سواء كانت الباطلة ديانة سماوية محرفة؛ كالديانة اليهودية أو

(١) مقاييس اللغة (٢/٣١٩) [دار الجيل، ط٢].

(٢) انظر: مختار الصحاح (٩١) [مكتبة لبنان ناشرون، ط١٤١٥هـ]، ولسان العرب (١٣/١٦٧) [دار صادر].

النصرانية بعد تحريفهما ونسخهما بالشريعة الإسلامية، أو كانت ديانة وضعية غير سماوية؛ كالوثنية والبوذية[(١)].

ومما يدل على هذا الإطلاق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون]، والخطاب في هذه السورة كان لمشركين وثنيين، ومع ذلك سماه دينًا.

٢ ـ **الإطلاق الخاص**، فيطلق ويراد به دين الإسلام، وهذا هو الأصل في إطلاق كلمة (الدين). ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وقد جاء ذكر الإطلاقين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة][(٢)].

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٠) [دار الصميعي، ط١]، ودراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية (٩، ١٢) [دار أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: جامع الرسائل (١/٢١٨، ٢٢٣) [دار المدني]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٣٣٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، ونزهة الأعين النواظر (٢٩٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي راجع إلى الأصل اللغوي المذكور، وهو الانقياد والذل، حيث ينقاد الإنسان لأمر من يدين له، ويكون له في غاية الذل والخضوع[(٣)].

الأسماء الأخرى:

الملة.

الحقيقة:

إن حقيقة الدين قائمة على تحقيق كمال الخضوع والذل لله، وذلك متضمن لعبادة الله وطاعته، ولذا جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه جاء لتعليم الدين، وهو قد ذكر في هذا الحديث الإسلام والإيمان والإحسان، وهي مراتب الدين، ولذا كان الدين مشتملًا على أعمال الظاهر والباطن، وكانت حقيقة الدين متفاضلة ومتفاوتة زيادة ونقصانًا في القائمين بها، تبعًا لما ثبت من تفاضل مراتب الدين الثلاث[(٤)].

الأهمية:

تظهر أهمية الدين للبشر من خلال أمور منها:

١ ـ أن العقل البشري بمفرده قاصر

(٣) مقاييس اللغة (٢/٣٢٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٦٣) (١٠/١٥٢)، والفتاوى الكبرى (٢/٣٦٣)، والجواب الكافي (١٤٦) [دار الكتب العلمية].

عن معرفة الخير والشر بذاته في جميع الأمور، مجملها ومفصلها، فهو وإن أدرك شيئًا يسيرًا من ذلك، إلا أن الإحاطة به مما لا تصل إليه طاقة العقل البشري، فكان من حكمة الله أن شرع لعباده الشرائع، وأنزل عليهم دينه الحق، بواسطة الرسل الذين يبلغون ذلك الدين، وأنزل عليهم الكتب التي تقودهم إلى المنهج الحق من أقرب الطرق وأيسر السبل.

٢ ـ أن الالتزام بالدين الحق يضمن للإنسان سعادته في دنياه وأخراه، فلا سبيل إلى السعادة والفلاح الدنيوي والأخروي إلا بالتزام الدين الذي أتى به رسل الله، وبالدين الحق توزن جميع الأقوال والأعمال والأخلاق، فضرورة الإنسان إلى الدين أعظم من ضرورة البدن إلى الروح، والجسم إلى الغذاء؛ بل هي أعظم الضرورات على الإطلاق[1].

وهذه السعادة لا تكون بمجرد العلم بالدين الحق، ولا بمجرد العمل بشرائعه؛ بل بهما معًا، كما قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[2]، فكل من أراد الله به خيرًا فلا بد أن يفقهه في الدين، ولكن لا بد مع الفقه في الدين من العمل به، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح، فلا بد من معرفة الرب تعالى، ولا بد مع معرفته من عبادته[3].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أنّه قال: «**والّذي نفس محمّدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثمّ يموت ولم يؤمن بالّذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النّار**»[4].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى ﷺ حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[5].

(١) انظر: زاد المعاد (١/٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١٤].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧١)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).
(٣) انظر: الصفدية (٢/٢٦٦) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/٣٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، وحسَّنه الألباني بشواهده انظر: إرواء الغليل (٦/٣٨) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢].

أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «أوجب النبي ﷺ الإيمان به على من سمع بأمره ﷺ، فكل من كان في أقاصي الجنوب والشمال والمشرق وجزائر البحور والمغرب وأغفال الأرض من أهل الشرك فسمع بذكره ﷺ ففرض عليه البحث عن حاله، وإعلامه والإيمان به»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن رسالة محمد بن عبد الله لجميع الناس، عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم، وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة؛ بل عامة الثقلين الجن والانس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سَنَّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات؛ بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعة ومطاوعته... فإذا كان يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء فكيف بمن دونهم.

بل مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره؛ كموسى وعيسى، فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول فكيف بالخروج عنه»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «الدين هو الطاعة والعبادة والخلق، فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة، ولهذا فسر الخلق بالدِّين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، قال الإمام أحمد: عن ابن عيينة، قال ابن عباس: لعلى دين عظيم»[(٣)].

الأقسام:

من الممكن تقسيم الديانات ـ بالنظر إلى الحق والباطل منها ـ **إلى أقسام ثلاثة**:

١ ـ الدين الحق، وهو دين الإسلام، الذي أنزله الله على رسله كلهم، من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام.

٢ ـ دين باطل محرف، بأن يكون أصله من رسالة سماوية صحيحة مما أنزل على نبي من الأنبياء، ثم حرف من بعد ذلك النبي؛ كاليهودية والنصرانية.

٣ ـ دين وضعي أرضي؛ كالوثنية والهندوسية والبوذية ونحوها.

المراتب:

الدين الذي أنزله الله على نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام له **ثلاث مراتب**:

١ ـ مرتبة الإسلام.

٢ ـ وأعلى منها: مرتبة الإيمان.

(١) الإحكام (٥/١٠٩) [دار الحديث، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٤٢٢ ـ ٤٢٤).

(٣) الجواب الكافي (١٤٦).

٣ ـ وأعلى منها: مرتبة الإحسان.

وهذه المراتب تشمل الدين الحق كله أصوله وفروعه، ظاهره وباطنة، وكل واحدة منها إذا أطلقت ولم تقترن بالأخرى فإنها تشمل الدين كله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، فجعل الدين كله هو الإسلام، وفي حديث جبريل جعل الإسلام واحدًا من مراتب ثلاثة، هي بمجموعها دين الله.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: دين الأنبياء واحد، وهو دين الإسلام العام:

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]

فهذا «إخبارٌ من الله تعالى بأنّه لا دين عنده يقبله من أحدٍ سوى الإسلام، وهو اتّباع الرّسل فيما بعثهم الله به في كلّ حينٍ، حتّى ختموا بمحمّدٍ ﷺ، الّذي سدّ جميع الطّرق إليه إلا من جهة محمّدٍ ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمّدًا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبّلٍ»[1].

فهذه الآية تتناول دين الإسلام الذي بعث به جميع الرسل، وليست خاصة في الإسلام الذي بعث به نبيّنا محمد ﷺ.

ومن الأدلة على أن الإسلام دين الأنبياء جميعًا:

قوله تعالى ـ في ذكر قول نوح عليه السلام ـ: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [إبراهيم]. والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأدلة من السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى النّاس بعيسى ابن مريم في الدّنيا والآخرة، والأنبياء إخوةٌ لعلاتٍ، أمّهاتهم شتّى ودينهم واحدٌ**»[2].

«ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام، كما في «الصحيحين» ـ وساق الحديث السابق ـ وقد أخبر تعالى في القرآن عن نوح وإبراهيم وإسرائيل وأتباع موسى والمسيح وغيرهم أنهم كانوا مسلمين متفقين على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعبد بما أمر هو سبحانه وتعالى، فلا يعبد

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/٤٨٩) [دار المعرفة].

غيره، ولا يعبد هو بدين لم يشرعه فمن كان متبعًا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يبدل ولم ينسخ فهو على دين الإسلام... وأما من اتبع دينًا مبدلًا ما شرعه الله، أو دينًا منسوخًا، فهذا قد خرج عن دين الإسلام؛ كاليهود الذين بدلوا التوراة وكذبوا المسيح عليه السلام، ثم كذبوا محمدًا ﷺ، والنصارى الذين بدلوا الإنجيل وكذبوا محمدًا ﷺ، فهؤلاء ليسوا على دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء؛ بل هم مخالفون لهم فيما كذبوا به من الحق، وابتدعوه من الباطل»[1].

وبهذا يعلم أن موسى وعيسى عليهما السلام وجميع أنبياء الله قد جاءوا بدين واحد، اسمه الإسلام، أصوله واحدة، وإنما اختلفت شرائعه.

وأن أتباع موسى وعيسى قد حرفوا ذلك الدين من **جهتين**:

١ ـ **تحريف الاسم**، فاستبدلوا اسم (الإسلام) الذي جاء به أنبياؤهم إلى اسم اليهودية والنصرانية، فاليهودية والنصرانية تسميات من صنع البشر، لذا نفاهما الله عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران].

هذا هو القول الصحيح في المسألة[2].

٢ ـ **تحريف المضمون**، بالتبديل والتغيير لما جاء في شرعهم ولنصوص كتبهم المقدسة[3].

ـ المسألة الثانية: وجوب الالتزام بدين النبي محمد ﷺ:

إن من الأمور المعلومة بالضرورة من الدين أن لا مناص لأحد من اتباع دين الإسلام الخاص الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ، وأنه لا يحل لأحد الخروج عن هذا الدين بعد بعثته ﷺ، وقد قال ﷺ: «**والذي نفس محمّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة يهودي ولا نصراني ثمّ يموت ولم يؤمن بالّذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النّار**»[4].

وقد تواترت النصوص بعموم بعثته ﷺ للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم**

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، وانظر: نفس المرجع (٣/ ٩٠).

(٢) وفي المسألة قول آخر لبعض العلماء، وهو أن اسم (الإسلام) مختص بهذه الأمة، ذكر هذا القول السيوطي في رسالته (إتمام النعمة باختصاص الإسلام بهذه الأمة).

(٣) انظر: الدين: مفهومه وحقيقته لبهجت عبد الرازق [بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الخامس، العدد الثاني، ١٤٢٥هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[(١)].

وقد علم بالضرورة من الدين وباتفاق جميع المسلمين أن من ظن أن بعض الناس يسعه الخروج عن شرعة محمد ﷺ إلى أي دين آخر فقد أتى بناقض من نواقض الإسلام[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: علم دراسة الأديان:

علم الأديان مصطلح عرف في العصور المتأخرة بهذا الاسم، وإن كان أصله قديمًا، وهو علم يشتمل على **ثلاثة مباحث:**

الأول: تاريخ الأديان: ويدرس في هذا القسم نشأة الدين وتطوره وتأثيره في المجتمع.

وقد امتاز هذا المبحث عند المسلمين بالمنهج العلمي الدقيق للتحقق من المعلومات التاريخية وصحتها، وذلك باعتماد الإسناد للتحقق من تلك الروايات، سواء في المصادر الأصلية للدين وأحكامه، وهي القرآن والسُّنَّة، وكذلك ما سواهما من الأحداث، وذلك بخلاف الديانات الأخرى، حيث لا يوجد سند متصل لكتبها المقدسة، سواء في ذلك كتب اليهود؛ كالتوراة، أو النصارى؛ كالإنجيل، أو الأديان الوضعية الكبرى؛ كالهندوس والبوذيين ونحوهم.

الثاني: فلسفة الأديان: والمراد بها: الأسس والمبادئ التي يستند إليها الدين من عقيدة وشريعة، وأخلاق ومعاملات، ومن أهم مسائل هذا القسم: مسائل ما وراء الطبيعة التي تسمى على لسان الدين: موضوع الألوهية، أو: اللاهوتية.

الثالث: مقارنة الاديان: فيدرس في هذا القسم الخصائص والمميزات لغرض المقارنة فيما بينها[(٣)].

الفروق:

الفرق بين الدين والملة:

الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينًا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبًا.

وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب إلى الله

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤) (٢٨/ ٥٢٤)، ومجموع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب (١/ ٦٨)، ونواقض الإسلام له في نفس المجموع (١/ ٢١٤).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند لمحمد الأعظمي (١٨ ـ ٢٠) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٤هـ] باختصار.

تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول ﷺ، والمذهب منسوب إلى المجتهد[(١)].

مذهب المخالفين:

إن من أشهر المخالفات المتعلقة ببحث (الدين) الدعوات المنادية بتوحيد الديانات، وكذا الدعوات إلى التقريب بين الديانات، وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير، والصهيونية العالمية[(٢)]، وإن كانت لها بعض الجذور القديمة، **وفيما يلي بيانٌ لهما:**

أولًا: الدعوة إلى وحدة الأديان:

إن من الدعوات الباطلة المناقضة لأصل الدين، ما نادى به بعض أهل الضلال من الدعوة إلى وحدة الأديان، وهو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينيّة، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة، أو أنها كالمذاهب في الدين الواحد[(٣)].

وقد اختلفت طرق الداعين إلى هذا المذهب، بين من يدعو إلى الوحدة بين أديان الملل السماوية الثلاث، تحت مسمَّى: (الإبراهيمية)، أو: الديانة العالمية، وبين من يعممها على كل الديانات الإنسانية، كما اختلفت مبادئهم في هذه الدعوة، بين من ينطلق من منطلق إنساني، ومن ينطلق من منطلق صوفي قائم على فكرة الوحدة والاتحاد، وهم الذين يرون العالم كله هو الإلٰه، وأن أفراده مثل موج البحر متعدد، ولكنه من البحر نفسه، وبناءً على ذلك فكل الأديان صحيحة لأنها صادرة عن الإلٰه تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا[(٤)].

وقد عمد هؤلاء إلى العمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعباداتهم ومساجدهم وصلاتهم مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى.

ولا شك أن هذه الدعوة كفر خالص، ورِدَّة عن الدين، لأمور كثيرة؛ **منها:**

أولًا: أنه تكذيب للقرآن والسُّنَّة في إكفار اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان.

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة].

ثانيًا: أنه طعن في نبوة محمد ﷺ من

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والكليات للكفوي (٤٤٣ ـ ٤٤٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين (٢/٣١٨ ـ ٣٢٠) [دار النهضة العربية، ط٣، ١٣٩٢هـ]، والإسلام والأديان لمحمد عوض (٣٥) [دار البشير].

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان لأحمد القاضي (١/٣٣٩) [دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: الصفدية (١/٢٦٨)، والرد على المنطقيين (٢٨٢) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى (١٤/١٦٥)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/٣ ـ ٦).

حيث شمولها وكفايتها وختمها لسائر النبوات، ونسخها لما قبلها من الشرائع.

ثالثًا: أنه طعن في أصول الإسلام وجذوره الأساسية مثل شهادة ألا إلٰه إلا الله التي تقتضي الكفر بالطاغوت، والذي هو من أبرز شروطها، ودعوة وحدة الأديان تتضمن تجويزًا وتسويغًا لاتباع غير دين الإسلام، وهذا كفر مناقض لأصل الإيمان(١).

ثانيًا: التقارب بين الأديان:

من الدعوات التي كان لها انتشار واسع: الدعوة إلى التقارب بين الأديان، حيث عقد من أجلها المؤتمرات في العديد من الدول، وكان لها الكثير من المناصرين.

وأصحاب هذه الدعوة متفاوتون في مرادهم من ذلك التقارب، فمنهم من يبالغ إلى حد الاندماج الكامل والوحدة التامة بين الأديان، ودون ذلك مراتب عديدة من الدعوة للتقارب والتواصل ونبذ الخلاف واطِّراح عقيدة البراء بين الأديان والملل.

ومن أبرز خصائص دعوة التقارب:

- أن يعتقد كل طرف إيمان الطرف الآخر، وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو، وكثير منهم من يمتنع عن القول بكفر الطرف الآخر.

- الاعتراف بالآخر، واحترام عقائده وشعائره، والتعرُّف على الآخر كما يُريد هو أن تعرفه، وتجنب البحث والمناقشة في المسائل العقدية الشائكة، ونسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه.

- إبراز أوجه التشابه والاتفاق، والقضاء على أوجه الاختلاف والافتراق، والعمل على تحقيق القيم المشتركة، وتبادل التهاني والزيارات في المناسبات الدينية، والمشاركة في عباداتهم أحيانًا(٢)، ويدخل في ذلك التأكيد على المحبة والمودة والإخاء والصداقة والثقة والاحترام المتبادل معهم.

- ويؤكدون كثيرًا على أن يبتعد كل طرف عن أن يجعل الحوار دعوة مبطنة لدينه، سواء للإسلام أو النصرانية(٣).

ويتبين بهذا أن التقارب أمرٌ نسبي، فيمكن حصول التقارب إلى درجة الوحدة ويمكن الاكتفاء بالتفاهم العام القريب من حوار التعايش.

---

(١) انظر: الشفاء للقاضي عياض (٢/ ١٠٧١)، والإبطال لنظريه الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد (١٣ ـ ٢٤، ٩٣ ـ ٩٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ]، ودعوة التقريب بين الأديان (٤/ ١٤٣٦، ١٤٦٥ ـ ١٤٩٢)، ونواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (٣٧٧) [مدار الوطن، ط٣، ١٤٢٧هـ]، وفتوى اللجنة الدائمة في (وحدة الأديان) برقم (١٩٤٢)، وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: الحوار مع أهل الكتاب لخالد القاسم (١٢٤) [دار المسلم، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٣٣٥).

حكم دعوة التقارب:

بناء على اختلاف المضامين المندرجة تحت دعوات التقارب، فإن حكم الدعوة إلى التقارب بين الأديان يختلف بحسب المعاني المندرجة تحت كل دعوة:

- فمن كفّر أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى، مع القول بالتقريب على نحوِ ما سبق: فقوله بدعة مخالفة لمنهج النبي ﷺ في حواره مع أهل الكتاب.

- ومن لم يكفّرهم، فقوله كفرٌ؛ لأنه تكذيب لأمرٍ قطعي في القرآن والسُّنَّة كما تقدم تفصيله.

فهي على الحالين محرمة، وذلك لأمور؛ **منها**:

- أنه موالاة للكفار ومخالفة لعقيدة الولاء والبراء الثابتة بالضرورة من الدين، والمودة والموالاة في «حوار التقريب» هو الشعار البارز الذي يردد في اللقاءات والبيانات المشتركة[(١)].

- أنه مخالفة لمنهج النبي ﷺ في حوار الأديان، وأصحابه، وأهل الإسلام قاطبة.

فأصحاب التقارب يتركون نقاط الاختلاف، ولا سيما مسائل العقائد، وهذه مناقضة لمنهج الدعوة النبوية، فإن الرسول ﷺ دعا أهل الكتاب وغيرهم من أهل الأديان إلى تحقيق التوحيد، ونبذ الشرك، وجادلهم على ذلك، ولم يرد تركه لمخاطبتهم في العقائد والإعراض عن ذلك إلى قضايا مشتركة أخرى.

- أنه يتضمن المساواة بين الكافرين والمسلمين، يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥﴾ [القلم].

ودعوة التقريب في أساسها تقرر مبدأ المساواة الدينيّة، وهذا رفع لما وضعه الله، وتنزيل لما رفعه الله تعالى. فالتقارب يفترض المساواة بين الأديان وعدم امتلاك الحقيقة المطلقة لأي منها، وهذا شك في الإيمان والإسلام وتوسط بين الأديان[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ - «إتمام النعمة باختصاص الإسلام بهذه الأمة»، للسيوطي.

٣ - «أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل»، للخلال.

٤ - «الإسلام والأديان»، لمحمد عوض.

٥ - «دراسات في اليهودية والمسيحية

(١) انظر: أولويات الحركة الإسلامية في الرحلة القادمة للقرضاوي (١٧٦) [مكتبة وهبة، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (١٤٤٨/٤).

وأديان الهند»، لمحمد الأعظمي.

٦ ـ «دعوة التقريب بين الأديان»، لأحمد القاضي.

٧ ـ «الدين»، لمحمد عبد الله دراز.

٨ ـ «الدين، مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسُّنَّة»، لبهجت عبد الرازق.

٩ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.



الذَّات

التعريف لغة:

الذات: تأنيث ذو، «قال الليث: (ذو): اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذلك؛ كقولك: فلان ذو مال؛ أي: صاحب مال وتقول في تأنيث (ذو): ذات، تقول: هي ذات مال، قال الأزهري: وذات الشيء: حقيقته وخاصته»[(١)].

فتبين أن لفظ ذات يأتي بمعنى الحقيقة والخاصة. ويأتي بمعنى الصاحبة، وعلى هذا المعنى لا يقال: «ذات الشيء» إلا لما له ذات ونعوت تضاف إليه، فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت[(٢)].

التعريف اصطلاحًا:

الذات: لفظ أطلقه المتكلمون، يريدون به النفس والحقيقة، ويعنون بذلك: صاحبة الصفات، ويقولون ذات الباري هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته[(٣)].

وقيل: الذات: لفظ مولَّد يقتضي وجود صفات تضاف الذات إليها فيقال: ذات علم وذات قدرة وذات كلام[(٤)].

الحكم:

يجب على المسلم الالتزام بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسُّنَّة، وأن يتوقف في إطلاق الألفاظ التي لم ترد في النصوص، لا سيما إذا أُريد بها عند الإطلاق معنى غير صحيح.

ولفظ: (الذات) لم يرد في النصوص الشرعية إلا مضافًا، فيجوز إثباته على الوجه الذي ورد، أما وروده معرّفًا بأل، فلم يجئ في كلام السلف إلا في معرض الرد على أهل التعطيل ممن نفوا علو الله تعالى على عرشه، وقالوا: المقصود به علو القهر والقدر فقط. فأثبت السلف علو ذاته تعالى على العرش.

الحقيقة:

لفظ ذات في لغة العرب: تأنيث ذو،

(١) تهذيب اللغة (١٥/٣٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/٧) [دار الكتاب العربي]، ومجموع الفتاوى (٥/٢٨٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٢/٦)، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٩٨).

وأصل الكلمة ذات الصفات؛ أي: النفس ذات الصفات.

وقد أطلق هذا اللفظ في الشرع؛ كقول النبي ﷺ في قصة إبراهيم: «**لم يكذب إبراهيم النبي** عليه السلام **قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله**»[(١)]. وكقول خبيب: «وذلك في ذات الإله»[(٢)].

والمعنى في جهة الله وناحيته؛ أي: لأجل الله ولابتغاء وجهه؛ ليس المراد بذلك النفس. ونحوه في القرآن: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣﴾ [الأنفال]؛ أي: الخصلة والجهة التي هي صاحبة بينكم وعليم بالخواطر ونحوها التي هي صاحبة الصدور. فلفظ: (الذات) في كلام النبي ﷺ والصحابة والعربية المحضة بهذا المعنى.

أما المتكلمون فقد أطلقوا هذا اللفظ وأرادوا به: النفس صاحبة الصفات، ولما وجدوا الله قال في القرآن: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨] و﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ [الأنعام: ١٢] وصفوها، فقالوا: نفس ذات علم وقدرة، ورحمة ومشيئة ونحو ذلك، ثم حذفوا الموصوف وعرفوا الصفة. فقالوا: الذات[(٣)].

أقوال أهل العلم:

- قال القاضي عياض: «وقد استعمل الفقهاء والمتكلمون الذات بالألف واللام وغلطهم في ذلك أكثر النحاة، وقالوا: لا يجوز أن تدخل عليها الألف واللام؛ لأنها من المبهمات، وأجاز بعض النحاة قولهم الذات وأنها كناية عن النفس وحقيقة الشيء أو عن الخلق والصفات»[(٤)].

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولفظ: (ذات) تأنيث (ذو)، وذلك لا يستعمل إلا فيما كان مضافًا إلى غيره، فهم يقولون: فلان ذو علم وقدرة، ونفس ذات علم وقدرة. وحيث جاء في القرآن أو لغة العرب لفظ: (ذو) ولفظ: (ذات) لم يجئ إلا مقرونًا بالإضافة، لكن لما صار النظار يتكلمون في هذا الباب قالوا: إنه يقال إنها ذات علم وقدرة، ثم إنهم قطعوا هذا اللفظ عن الإضافة وعرفوه؛ فقالوا: (الذات) وهي لفظ مولَّد ليس من لفظ العرب العرباء، ولهذا أنكره طائفة من أهل العلم؛ كأبي الفتح بن برهان وابن الدهان وغيرهما،

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧١).

(٢) كما في قصة مقتله: التي أخرجها البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢)، وانظر: درء التعارض (٥/ ٥٤).

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٧٣) [المكتبة العتيقة].

وقالوا: ليست هذه اللفظة عربية، وردَّ عليهم آخرون كالقاضي وابن عقيل وغيرهما. وفصل الخطاب: أنها ليست من العربية العرباء بل من المولّدة؛ كلفظ الموجود، ولفظ الماهية، والكيفية ونحو ذلك، فهذا اللفظ يقتضي وجود صفات تضاف الذات إليها فيقال: ذات علم وذات قدرة وذات كلام»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «فإذا أطلقوا لفظ الذات من غير تقييدها بإضافة معين دلَّت على ماهية لها صفات تقوم بها، فكأنهم قالوا: صاحبة الصفات المخصوصة القائمة بتلك الماهية، فدلوا بلفظ الذات على الحقيقة وصفاتها القائمة بها، ومحال أن يصح وجود ذات لا صفات لها ولا قدر وإن فرضها الذهن فرضًا لا وجود لمتعلقه في الخارج إلا كما يفرض سائر الممتنعات، فالذات هي قابلة للصفات والموصوفة بالصفات القائمة بها ومنه ذات الصدور؛ أي: ما فيها من خير وشر»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المراد بذات الله الوارد في النصوص:

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل**»[(٣)].

وجاء في قصة مقتل خبيب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال:

«ما أُبالي حين أُقتلُ مُسلمًا
على أيّ شِقٍّ كان للَّه مصْرَعِي
وذلك في ذات الإلٰه وإن يشأ
يُبارِك على أوصَالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ»[(٤)].

والمعنى: في أمر الله وطاعته؛ أي: لأجل الله ولابتغاء وجهه؛ وليس المراد بذلك النفس، كما يريده المتكلمون. فاسم (ذات) في كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والعربية المحضة: بهذا المعنى[(٥)].

مذهب المخالفين:

يطلق المتكلمون هذا اللفظ في معنى النفس والحقيقة، ويقولون: ذات الباري هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم في قصة إبراهيم: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل**»[(٦)].

وليست هذه اللفظة في اللغة والشريعة كما زعموا، ولو كان كذلك لجاز أن يقال: عند ذات الله، واحذر ذات الله، كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وذلك غير مسموع، ولا

(١) مجموع الفتاوى (٦/٩٨ ـ ٩٩).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/١٣٨٢).
(٣) تقدم تخريجه قريبًا.
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٥).
(٥) مجموع الفتاوى (٦/٣٤١ ـ ٣٤٢)، وانظر: درء التعارض (٥/٥٤).
(٦) تقدم تخريجه قريبًا.

يقال إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء وهو معنى مستحيل على نفس الباري تعالى. إذا قلت: جاهدت في الله تعالى، وأحببتك في الله تعالى، محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء، وإنما هو على حذف المضاف؛ أي: في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف على بابه؛ كأنك قلت: هذا محبوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله وطاعته، وأما أن تدع اللفظ على ظاهره فمحال، وإذا ثبت هذا، فقول خُبيب: «وذلك في ذات الإلٰه»[(١)]. إنما يريد في الديانة والشريعة التي هي ذات الإلٰه.

فقد بان غلط من جعل هذه اللفظة عبارة عن نفس ما أضيف إليه، والذات هنا كالجنب في قوله تعالى: ﴿يَحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال هاهنا: فرطت في نفس الله وحقيقته، ويحسن أن يقال: «فرط في ذات الله» كما يقال: فعل كذا في ذات الله، وقتل في ذات الله تعالى، وصبر في ذات الله، فتأمل ذلك[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد» (ج٢)، لابن القيِّم.

٢ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ ـ «تفسير الطبري» (ج١٣).

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، لقوام السُّنَّة.

٥ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٣)، لابن تيمية.

٦ ـ «الصفات الإلٰهية: تعريفها، أقسامها»، لمحمد خليفة التميمي.

٧ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي

٨ ـ «الصواعق المرسلة» (ج٤)، لابن القيِّم.

٩ ـ «فتح الباري» (١٣)، لابن حجر.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥، ٦)، لابن تيمية.

الذَّبح

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الشق؛ فالذبح مصدر ذبحت الشاة ذبحًا، والذِّبح المذبوح»[(٣)].

والذبح: الشق، وكل ما يُشق فقد ذُبح، وكذلك كل ما فُتَّ وقُلع فقد ذُبح، والذبيحة: الشاة المذبوحة، وهي اسم

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/٦ ـ ٨)، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤٢).

(٣) مقاييس اللغة (٢/٣٦٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

لما يذبح من الحيوان، وأُنث؛ لأنه ذهب به مذهب الأسماء لا النعت. ويطلق على الذبيحة: النسك، وهي التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وتسمى بالنسيكة، ويسمى الذبح أيضًا نحرًا، وإن كان النحر يطلق على نحر الإبل: وهو طعنها في منحرها[١].

التعريف شرعًا:

هو إزهاق الروح، بإراقة الدم، على وجه مخصوص، ويقع عبادة: إما وجوبًا، أو استحبابًا، ويقع عادة[٢].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي حيث أن كل منهما يدل على الشق والقطع، إلا أن المعنى الشرعي مخصوص بالذبح الشرعي، الذي يقع على وجه القربة لله تعالى، أو على وجه التمتع، أو الاتجار، ونحوه.

الأسماء الأخرى:

النسك، النحر، الذكاة.

الحكم:

يختلف حكم الذبح بحسب القصد والنية، فيقع على **ثلاثة أوجه**[٣]:

أحدها: الذبح التعبدي، وهو ما يطلق عليه بالنسك: وهو ما يقع عبادة لله تعالى، فيقصد بذبحه التقرب إلى الله تعالى، وتعظيمه، والتذلل إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغيره تعالى شرك أكبر.

الثاني: أن يقع بقصد إكرام الضيف، أو لوليمة العرس، ونحوه، فهذا مأمور به إما وجوبًا، أو استحبابًا.

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل، أو التوسيع على العيال، أو الاتجار به، ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح.

المنزلة:

الذبح أفضل العبادات المالية؛ لأنه يجتمع فيه **أمران**: **الأول**: أنه طاعة لله تعالى. **والثاني**: أنه بذل ماله، وطابت به النفس، والبذل مشترك في جنس المال، لكن زاد الذبح على غيره؛ من حيث إن الحيوانات محبوبة إلى أربابها، يوجد لذبحها ألم في النفوس؛ لشدة محبتها، فإذا بذله لله تعالى، وسمحت

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) (٥/ ١٠) (١٠/ ٧٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٢٠)، ولسان العرب (٥/ ٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٦٦ ـ ٦٧) [دار إحياء الثريا]، وانظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥) [دار الراية، ط١، ١٤٢٢هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (١٣٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٦٦ ـ ٦٧)، وحصول المأمول بشرح ثلاثة أصول لعبد الله الفوزان (٩٨ ـ ٩٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ].

نفسه بإيذاق الحيوانات الموت، صار أفضل من مطلق العبادات المالية[(١)].

الأهمية:

الذبح: عبادة عظيمة من أعظم العبادات، وشعيرة من أظهر شعائر الدين، قرن الله تعالى ذكرها في كتابه العزيز بالصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الدين، ومبانيه العظام تنبيهًا على عظم شأن القرابين وإعلامًا لعباده بأن الذبح لله وحده، ولم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله وحده مشروعًا في جميع الملل، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]: أمره أن يجمع بين هاتين العبوديتين: وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع، والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته وأمره، وفضله، وخلفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، وتركًا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام]»[(٢)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ومن السُّنَّة: عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيَّر منار الأرض**»[(٣)].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقُدِّمت إلى النبي سفرة فأبى أن

(١) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم (٤٤) [ط٥، ١٤٠٧هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣١ ـ ٥٣٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤٢٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الأضاحي، رقم ١٩٧٨).

يأكل منها. ثم قال زيد: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه». وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!». إنكارًا لذلك وإعظامًا له[(١)].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحدَّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»[(٢)].

وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة. فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «والنسك: هي الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجلّ ما يتقرب به إلى الله تعالى، فإنه أتى فيها بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر، سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فشكر المنعم عليه، وعبادته أعظمهما هاتان العبادات وأجلّ العبادات المالية: النحر، وأجلّ العبادات البدنية: الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحيّة، أصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص»[(٤)].

وقال السعدي رحمه الله: «فإن نصوص الكتاب والسُّنَّة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢٦).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصيد والذبائح، رقم ١٩٥٥).
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٣١٣)، وصحَّحه ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٤٣٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧٢).

وجملة: «**وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك**» رواها البخاري في صحيحه (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).
(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٢).

أجلِّ العبادات، وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر، مخرج عن دائرة الإسلام؛ فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعًا، أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله»[(١)].

وقال عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله ـ تحت ترجمة: باب من ما جاء في الذبح لغير الله ـ: «أي: من الوعيد على ذلك، وبيان أنه شرك أكبر ناقل عن الملة؛ لأنه عبادة من أجلِّ العبادات، وقربة من أفضل القربات المالية، فصرفه لغير الله شرك؛ كمن يذبح لقبر، أو شجر، أو حجر، أو ملك، أو نبي، أو جني، أو لطلعة سلطان، أو للزيران، أو غير ذلك»[(٢)].

الشروط:

شروط الذبح: أن يكون الذبح لله تعالى، وأن يكون باسمه تعالى، فإن اختل أحد الشرطين، حرمت الذبيحة، ولم يجز أكلها.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وهناك شروط يذكرها أهل الفقه خاصة بالذابح، والذبيحة، وآلة الذبح.

الأقسام:

ينقسم الذبح إلى قسمين ظاهرين، وكل قسم ينقسم إلى أنواع[(٣)]:

القسم الأول: ذبح عبادة وقربة، وهو على أنواع **ثلاثة**:

١ ـ **ذبح النسك**: وهو ما يتقرب به إلى الله تعالى، تعظيمًا له، وطاعة، وهو إما مطلق؛ أي: ليس له سبب معين، إلا مجرد التقرب والطاعة، وإما لسبب: كالهدي، والأضحية، والنذر، والعقيقة، ونحوها، وهذه منه ما هو واجب، ومنها ما هو سُنَّة مؤكدة، أو مستحب.

٢ ـ **الذبح البدعي**: وهو أن يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى، أو يذبح عند القبور، وإن كان الذابح قصده التقرب إلى الله تعالى، وذبح باسمه تعالى؛ لأنه وسيلة من وسائل الشرك بالله تعالى، كما سيأتي بيانه.

٣ ـ **الذبح الشركي**: وهو من يذبح

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٢١) ـ ضمن المجموعة الكاملة ـ [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٢) حاشية كتاب التوحيد (٩٦) [ط٥، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وشرح ثلاثة لابن عثيمين (٦٦ ـ ٦٧)، وانظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٣٩ ـ ١٤٢).

لغير الله تقربًا، أو يذكر غير اسم الله تعالى على الذبيحة؛ كمن يذبح للأنبياء، أو للملائكة، أو للجن، أو يذبح لأهل القبور، وأمثال ذلك.

القسم الثاني: **الذبح المباح**، وهو ما يقصد فيه التمتع باللحم، والتوسيع على الأهل والعيال، أو الاتجار به، أو نحو ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الذبح لغير الله:

هو إراقة دم حيوان على وجه التقرب لغير الله تعالى، أو ذكر غير اسمه تعالى عليه، ويشمل الذبح للأنبياء، والملائكة، والأولياء، وغيرهم، أو بأسمائهم. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به: أن يذبح باسم غير الله تعالى؛ كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو لموسى أو لعيسى صلّى الله عليهما، أو للكهنة ونحو ذلك»[(١)].

والذبح لغير الله تعالى تقربًا وتعظيمًا من الشرك الأكبر المناقض لملة الإسلام، وهو مما أُهِلّ به لغير الله تعالى، وتحريمه معلوم من الدين بالضرورة؛ فإن الذبح من أعظم العبادات التي شرعها الله تعالى لعباده، وأمرهم بإخلاص القصد له فيها كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر].

قال ابن تيمية: «والمسلم لو ذبح لغير الله، أو ذبح باسم غير الله لم يبح، وإن كان يكفر بذلك، فكذلك الذمي ولأن الذبح لغير الله، وباسم غيره: قد علمنا يقينًا أنه ليس من دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهو من الشرك الذي أحدثوه»[(٢)].

- المسألة الثانية: حكم الذبح لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله، أو بمكان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية:

لما كان الذبح لله تعالى عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى، فقد احتاط لها الشرع المطهر لأدائها على أكمل الوجوه، وأظهرها عبودية وإخلاصًا لله تعالى وذلك بالنهي عن الذبح لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، أو بمكان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية؛ سدًّا لذريعة الشرك وحماية لجناب التوحيد، ومباعدة لأهل التوحيد عن مشابهة المشركين في الذبح لمعبوداتهم، كما دلَّ على ذلك حديث ثابت بن الضحاك المتقدم.

والشاهد من الحديث لهذه المسألة قوله ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**»، «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**».

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/١٤١) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٧هـ].

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٦٢) [مكتبة الرشد].

والحكمة من النهي عن ذلك تتجلى في الآتي:

الأول: أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار، وقد نهي عن التشبه بهم، ولو كان قصد الذابح وجه الله تعالى.

الثاني: أن في ذلك إحياء للمحل الشركي، وتعظيمًا له، فيكون من أكبر الوسائل إلى وجود الشرك، ورجوعه.

الثالث: أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل؛ لأن من رأى مسلمًا يذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز؛ لأن صورة الفعلين واحدة.

الثالث: أن المشركين سوف يقوون على فعلهم، إذا رأوا من يفعل مثلهم[(١)].

ـ المسألة الثالثة: حكم الذبح عند القبور:

كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد؛ زعمًا منهم أن ذلك مجازاة لهم على فعله الذي كان يفعله قبل موته، وهو عقر الإبل للأضياف، وإطعامهم إياها، فيعقرون عند قبره فتأكلها السباع والطير لتكون مطعمًا بعد مماته، كما كان مطعمًا في حياته، فجاء الإسلام وأبطل سُنَّة الجاهلية.

فعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا عقر في الإسلام**»[(٢)].

والعقر: هو قطع إحدى قوائم البعير أو الناقة، أو الشاة بالسيف لأجل نحره يفعل ذلك كيلا يشرد عند النحر، والمراد من الحديث النهي عما كان يفعله أهل الجاهلية عند القبور فكان من سُنَّتهم أنهم يعقرون الإبل على قبور الموتى؛ أي: ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان للأضياف في أيام حياته فنكافئه مثل صنيعه بعد وفاته.

وفسّره الإمام أحمد بأنهم كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزورًا على قبره، فنهى النبي ﷺ عن ذلك.

وقد جاء اليوم في بلاد المسلمين من يحيي هذا السُّنَّة الجاهلية، وذلك بالذبح عند قبور الأولياء وأضرحتهم؛ بدعوى أنها تنحر باسم الله ولله وبقصد نفع الفقراء والمساكين، وهذا فعل منكر وعمل محرم وحرمته **من عدة أوجه:**

أولها: أنه قد نهى النبي ﷺ عن ذلك بخصوصه وذلك في قوله ﷺ: «**لا عقر في الإسلام**»، وهذا الفعل مشابه لما كان يفعله أهل الجاهلية.

---

(١) انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (١٠٣)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٢)، وأحمد (٢٠/ ٣٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال البوصيري: «وهو إسناد صحيح على شرط مسلم». إتحاف الخيرة المهرة (٤/ ١٠٢، رقم ٣٢٣٦) [دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ]، وصحَّحه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٤٣٦).

الثاني: لو كان هذا الفعل جائزًا لفعله سلف هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دلَّ هذا على بطلانه.

الثالث: ذكر اسم الله عند الذبح عند القبر ليس هو المسوغ لجواز هذا الفعل؛ بل إن الذبح في أماكن يعظم فيها غير الله محرم وهو من البدع العظيمة والوسائل المفضية إلى الشرك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا يذبح عند القبر أضحية ولا غيرها، وكان المشركون يذبحون للقبور ويقربون لها القرابين، وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم عظيم ذبحوا عند قبره الخيل والإبل وغير ذلك؛ تعظيمًا للميت، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله، ولو نذر ذلك نذرًا لم يكن له أن يوفي به، ولو شرطه واقف لكان شرطًا فاسدًا، وكذلك الصدقة عند القبر كرهها العلماء، وشرط الواقف ذلك شرط فاسد، وأنكر من ذلك أن يوضع على القبر الطعام والشراب ليأخذه الناس، فإن هذا ونحوه من عمل كفار الترك لا من أفعال المسلمين»[1].

الرابع: أن الواقع يكذب دعوى هؤلاء فلو كان قصده الذبح لله ثم لنفع الفقراء فإن الله يذبح له في كل مكان لم ينه عنه، والفقراء يوجدون في أماكن عدة، فلماذا يذبح عند القبر دون سواه؟!

يقول الصنعاني رحمه الله: «فإن قال: إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه، فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره عند باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ إن قال: نعم، فقل: هذا النحر لغير الله؛ بل أشركت مع الله تعالى غيره وإن لم ترد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه؟ أنت تعلم يقينًا أنك ما أردت ذلك أصلًا ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قصدًا له، ثم كذلك دعاؤهم له، فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب»[2].

وبالجملة؛ فالذبح عند القبر وإن ذكر عليه اسم الله من أعظم المنكرات، وهو وسيلة من وسائل الشرك المفضية إليه، ومن تأمل حال من يذبح عند القبر لم يخرج فعلهم عما وصفه الصنعاني رحمه الله من حالهم.

ـ المسألة الرابعة: ما يذبح بعد الفراغ من بناء البيت:

ما يذبح في الدور والمساكن بعد الفراغ من بنائها وكمالها، **له صورتان**:

الأولى: أن تذبح الذبائح خوفًا من

(١) مجموع الفتاوى (٢٦/٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (٦٣) [ط١، ١٤٢٤هـ].

الجن، فهذا شرك؛ وتحرم هذه الذبائح، ولو ذكر عليها اسم الله؛ لأنه مما أُهِلَّ به لغير الله.

الثاني: أن تذبح الذبائح، ويقصد بها الفرح والسرور، وشكر النعمة على اكتمال البناء، فهذا ليس محرمًا، ولا بأس به.

قال الفوزان: «ويدخل في الذبح لغير الله أصناف: ما ذبح لغير الله على وجه التقرب، ولو قيل عليه: بسم الله، وهذا حرام بإجماع المسلمين، وهو شرك بالله ﷻ. وما يذبح عند أول نزول البيت؛ خوفًا من الجن، وهذا شرك؛ لأنه مما ذبح لغير الله ﷻ، أما ذبح ذبيحة عند نزول البيت من باب الفرح والسرور ودعوة الجيران والأقارب فهذا لا بأس به»[(١)].

ـ المسألة الخامسة: ما يذبح عند قدوم السلطان:

ما يذبح عند قدوم السلطان **له صورتان:**

الأولى: أن تذبح الذبائح عند قدومه تعظيمًا له، وتقربًا إليه، فهذا شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وإن سمى الله عليها، ومن علامات ذلك: أن تذبح في وجهه، ثم تترك.

الثاني: أن تذبح الذبائح عند قدومه إكرامًا له، وضيافة لقدومه، ثم تطبخ وتؤكل فلا بأس بها؛ لأنها من باب الإكرام وليس شركًا.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربًا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أُهِلَّ به لغير الله، قال الرافعي: هذا إنما يذبحونه استبشارًا بقدومه، فهو كنوع العقيقة لولادة المولود»[(٢)].

قال سليمان بن عبد الله معلقًا على هذه المسألة: «إن كانوا يذبحونه استبشارًا كما ذكر الرافعي فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا يذبحونه تقربًا إليه فهو داخل في الحديث ـ يعني: حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»»[(٣)].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو قدم السلطان إلى بلد، فذبحنا له: فإن كان تقربًا وتعظيمًا فإنه شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وعلامة ذلك: أننا نذبحها في وجهه، ثم ندعها. أما لو ذبحنا له إكرامًا وضيافة، وطبخت، وأكلت فهذا من باب الإكرام، وليس بشرك»[(٤)].

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ٢٣٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٤١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٦).

(٤) القول المفيد (١/ ٢١٤)، وانظر: إعانة المستفيد للفوزان (١/ ٣٣٣)، والتمهيد لصالح آل الشيخ (١٤٠).

الآثار:

من آثار الذبح لله تعالى: ظهور نعمة الله على العباد؛ إذ الذبح محفوف بنعم قبله ونعم بعده، إذ إن القيام به سبب لإنعام الله على عباده، وسعة رزقه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

وإخلاص الذبح لله تعالى يورث الوثوق فيما عند الله تعالى، والزهد فيما عند الناس، فيجتمع للعبد فيه من إيثار الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان، وصدق التوجه.

مع ما في ذلك كله من الأجر الجزيل، والثواب العظيم من الله تعالى في الآخرة.

وأما آثار الذبح لغير الله تعالى: فهي على النقيض من ذلك، فيجتمع للعبد من الفقر والذلة والهوان، الشيء الكثير؛ لأن كل من أنفق ماله في غير مرضاته كان عليه حسرة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ويحصل للذابح سوء ظن بالله تعالى، ويضعف يقينه وإيمانه بربه تعالى، ولا يثق في شيء مما عند الله تعالى، ويجتمع فيه البخل، والعجب، والكبر، ونحو ذلك من الصفات الذميمة، والأخلاق الرديئة، فيوبق دنياه وأخراه.

الحكمة:

الحكمة في التقرب إلى الله تعالى بالقرابين، والذبائح: هو الحصول على تقوى الله تعالى، وإقامة ذكر الله تعالى، بالتسمية عليها، كما قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إغاثة المستفيد على كتاب التوحيد»، للفوزان.
٢ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
٣ ـ «بدع القبور»، لصالح العصيمي.
٤ ـ «تطهير الاعتقاد»، للصنعاني.
٥ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
٦ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.
٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الذبح لغير الله

يراجع مصطلح (الذبح).

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

أبو ذر جندب بن جنادة بن كعيب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[(١)]. هكذا ساقه ابن سعد، ثم أشار إلى وجود اختلاف في هذا النسب.

ولا شكَّ أنه اختلف في اسمه واسم أبيه وأجداده، والمحفوظ في اسمه واسم أبيه أنه جندب بن جنادة[(٢)] بن قيس بن عمرو بن صعير بن عبيد بن حرام بن غفار. وقيل: ابن صعير بن عبيد بن حرام بن غفار. وقيل: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار[(٣)]، واسم أمه: رملة بنت الوقيعة الغفارية[(٤)].

مولده ووفاته:

ولد أبو ذر رضي الله عنه قبل الإسلام، وتوفي بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، وعليه الأكثر. وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وصلّى عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما[(٥)].

إسلامه:

أسلم أبو ذر رضي الله عنه قديمًا، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، ثم رجع إلى بلاد قومه بعد إسلامه، وأقام بها ثم قدم المدينة بعد غزوة الخندق، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه حتى الممات، وبعد وفاة أبي بكر قدم الشام وأقام بها حتى وقع اختلاف بينه وبين معاوية، فدعاه الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى المدينة، ثم استأذن أبو ذر الخليفةَ عثمانَ بن عفان رضي الله عنهما في الانتقال إلى الربذة، فأذن له، وانتقل إليها، وفيها عاش حتى مات[(٦)].

وبهذا يتضح أنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقصة إسلامه جاءت في «الصحيح» على صفتين متباينتين[(٧)]؛ فقد

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٠٥) [مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٢٥٢) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٦/١٧٤) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/١٢٥) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٢١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٧، و٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/١٢٩).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢١١ ـ ٢١٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٢ ـ ٢٥٣)، وتاريخ دمشق (٦٦/١٧٤) وما بعدها. وسير أعلام النبلاء (٢/٤٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٥٦) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/١٢٩).

ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدِمَه وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة[١] له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل فاضطجع، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما نالَ[٢] للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليّ على مثل ذلك، فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لتُرشِدَنّي فعلتُ، ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل. فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**»، قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشأم؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه»[٣].

وجاء من حديث عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: «خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمُّنا، فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم

(١) **الشنّة**: واحدة الشنان، وهي الأسقية المتخذة من القِرب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ١٢٣٧) [تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ].

(٢) أي: حان، يقال: نال له بمعنى: آن له، انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٤).

أنيس، فجاء خالنا فنثا[١] علينا الذي قيل له، فقلت: أمّا ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد، فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيسًا فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها، قال: وقد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين، قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء، حتى تعلوني الشمس، فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث علي، ثم جاء، فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلًا بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، ـ وكان أنيس أحد الشعراء ـ قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون، قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر، قال: فأتيت مكة فتضعّفت رجلًا منهم، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشار إلي فقال: الصابئ، فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم، حتى خررت مغشيًّا عليّ، قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، قال: فأتيت زمزم، فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع، قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان، إذ ضرب على أسمختهم[٢]، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان إسافًا ونائلة، قال: فأتتا عليّ في طوافهما، فقلت: أنكحا أحدهما الأخرى، قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا عليّ، فقلت: هَنٌ مِثلُ الخَشَبَةِ، غير أني لا أكني، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ها هنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان، قال: «**ما لكما؟**» قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قال: «**ما قال لكما؟**» قالتا: إنه قال: لنا كلمة تملأ الفم، وجاء رسول الله ﷺ، حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى،

(١) أي: أظهره لنا وحدثنا به. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٠).

(٢) **أسمختهم**: جمع سماخ، وهو ثقب الأذن الذي ينفذ فيه الصوت. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٠٠) [دار الفكر]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٩٢).

فلما قضى صلاته، قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «**وعليك ورحمة الله**»، ثم قال: «**من أنت؟**» قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده، فقدعني[(١)] صاحبه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه، ثم قال: «**متى كنت ها هنا؟**» قال: قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: «**فمن كان يطعمك؟**» قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة[(٢)] جوع، قال: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أول طعام أكلته بها، ثم غبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم**»، فأتيت أنيسًا، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت، قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت، فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا، فأسلم نصفهم، وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري، وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله أخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**»»[(٣)].

والجمع بين الحديثين ممكن، وهو أن كلًّا من الصحابيين حفظ عنه ما لم يحفظه الآخر، كما أفاده الحافظ ابن حجر بقوله: «ويمكن التوفيق بينهما بأنه لقيه أولًا مع علي، ثم لقيه في الطواف، أو بالعكس، وحفظ كل منهما عنه ما لم يحفظ الآخر»[(٤)].

فضائله:

- أنه الصادق اللهجة:

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت

(١) أي: كفَّني ومنعني، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٤٣).

(٢) يعني: هزال الجوع ورقته، والسَّخَف بالفتح: رقة العيش، وبالضم: رقة العقل. وقيل: هي مطلق الخفة الناتج عن الجوع، سواء في العقل أو في غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٣).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٧٥).

رسول الله ﷺ يقول: «**ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر**»[(١)].

ـ كثرة علمه:

فعن علي رضي الله عنه قال: «أبو ذر وعاء مُلئ علمًا، ثم أوكئ عليه»[(٢)].

ـ من فضائله:

ما تقدم في كيفية إسلامه، وقد جعله الإمام النووي من فضائله، حيث بوّب لـ«صحيح مسلم» بابًا فقال: «باب من فضائل أبي ذر»[(٣)]، ثم أورد تحته الحديثين السابقين في كيفية إسلامه.

قال الإمام الذهبي: «وكان رأسًا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوّالًا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه»[(٤)].

مكانته:

كان أبو ذر ذا مكانة عالية ومنزلة سامية، وشهد أصحاب النبي ﷺ بأنه «كان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق، سئل علي عن أبي ذر رضي الله عنهما فقال: ذلك رجل وعى علمًا عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه، ولم يخرج شيئًا منه»[(٥)].

وهذا عبد الله بن مسعود لما دعي للصلاة على جنازة أبي ذر قال: «من هذا؟ قيل: أبو ذر. فبكى بكاء طويلًا. وقال: أخي وخليلي، عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له»[(٦)].

وعن عبد الرحمٰن بن غنم قال: «كنت عند أبي الدرداء إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله فقال: أين تركت أبا ذر؟ قال: بالربذة. فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون. لو أن أبا ذر قطع مني عضوًا لما هِجْتُه[(٧)]، لِما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيه»[(٨)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: سبب انتقال أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة:

قد جاء بيان سبب هذا الانتقال عن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٠١) وحسَّنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٥٦)، وأحمد (١١/ ٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٦٨) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ١٠٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقال: «أخرجه أبو داود بسند جيد»، ولم نظفر به في سنن أبي داود.

(٣) صحيح مسلم (ص١٠٠٢) [ط. بيت الأفكار الدولية].

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٥٥).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب المغازي والسرايا، رقم ٤٣٧٣).
وانظر: الطبقات الكبرى (٤/ ٢٢١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧).

(٧) أي: لما أثرته. يقال: هِجْتُه فهاج. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ١٨٥).

(٨) أخرجه أحمد (٣٦/ ٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبزار في مسنده (١/ ٣٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، .

أبي ذر نفسه، فقد روى البخاري بسنده عن زيد بن وهب قال: «مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشأم فاختلفت أنا ومعاوية في: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن اقدم المدينة، فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريبًا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشيًّا لسمعت وأطعت»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «وإنما سأله زيد بن وهب عن ذلك؛ لأن مبغضي عثمان كانوا يشنعون عليه، أنه نفى أبا ذر، وقد بيَّن أبو ذر أن نزوله في ذلك المكان كان باختياره»[(٢)].

وأما ما نقل من أن خروج أبي ذر إلى الربذة كان تنفيذًا منه لوصية رسول الله إياه، حيث قال له: «إذا بلغ البنيان سلْعًا فاخرج منها»[(٣)] فليس بصحيح.

وقد كان الناقمون على عثمان يستثيرون أبا ذر على الخروج عليه ومحاربته، ولكنه لم يعطهم أذنًا صاغية، وذات مرة قدم ناس «من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إن هذا الرجل فعل بك وفعل، هل أنت ناصب لنا راية ـ يعني: فنقاتله ـ فقال: لا، لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت»[(٤)].

وهنا لا بدّ من التنبيه على **أمرين**:

الأول: لعل المقصود بالآثار التي فيها التصريح بأن عثمان رضي الله عنه أخرج أبا ذر إلى الربذة، هو إذنه له بذلك؛ لما طلب هو الانتقال إليها، خصوصًا لما رأى استغراب الناس فيه وتجمعهم عليه[(٥)]، كما في أثر زيد بن وهب المذكور، وكلام الحافظ هنا يلتقي معه، وتؤيده آثار أخرى، منها قول عثمان لأبي ذر لما قدم من الشام إلى المدينة باستدعائه: «أحببت أن أجعلك مع أصحابك، وخفت عليك جهال الناس»[(٦)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٦).
(٢) فتح الباري ابن حجر (٣/ ٢٧٤) [دار المعرفة].
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٤٦٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢/ ٤٨٩، رقم ٥٧١٩) [دار المعارف، الرياض، ط١]، وبيّن وهْم الحاكم في تصحيحه.
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٢٧) [دار صادر، ط١].
(٥) انظر إضافة إلى ما تقدم نقله عن صحيح البخاري: التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ١٥١ ـ ١٥٢) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب].
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٧١)، والأثر قال فيه محققو السير: «رجاله ثقات».

ولا سيما أن تلك الآثار التي فيها الأمر بإخراج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة ضعيفة؛ كالأثر الذي ساقه الإمام الذهبي، وفيه: «وأمره أن يخرج إلى الربذة»[(١)].

ومنها: ما رواه ابن إسحاق بسنده فقال: حدثنا بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن مسعود، قال: «لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة، وأصابه بها قدره، لم يكن معه إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني، وكفناني، وضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم قولوا: هذا أبو ذر، فأعينونا عليه. فوضعاه، وأقبل ابن مسعود في رهط من العراق عمّارًا، فلم يرعهم إلا به، قد كادت الإبل أن تطأه...»[(٢)].

- المسألة الثانية: مذهب أبي ذر رضي الله عنه في مسمى الكنز وما قيل من منعه من الإفتاء بسببه.

كان أبو ذر رأسًا في العلم والزهد والورع، وكان يرى ضرورة إنفاق ما بقي عن الحاجة على الفقراء والمساكين، وأنه رضي الله عنه ما كان يرى ادخار النقدين[(٣)]؛ بل ولا غيرهما؛ لأن هذا هو الكنز المتوعَّد عليه حسب اجتهاده، وهو أهل للاجتهاد رضي الله عنه، فقد جاء في «الصحيحين» عن الأحنف بن قيس قال: «قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم فقال: بشِّر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم، حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، قال: فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا، قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم، قال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئًا، إن خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم دعاني فأجبته، فقال: «**أترى أُحُدًا؟**» فنظرت ما علي من الشمس وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقلت: أراه، فقال: «**ما يسرني أن لي مثله ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير**». ثم هؤلاء يجمعون الدنيا لا يعقلون شيئًا، قال: قلت: ما لك ولإخوتك من قريش لا تعتريهم وتصيب منهم، قال: لا وربك لا أسألهم عن

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٧١)، وذكر محققو السير أن في إسناده عبد الله بن سيدان، ولا يتابع على حديثه كما قال البخاري، ومجهول لا حجة فيه، كما نقله الذهبي عن اللالكائي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب المغازي والسرايا، رقم ٤٣٧٣)، وسنده ضعيف، وفيه انقطاع أيضًا.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٧٥).

دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «وكان أبو ذر رضي الله عنه يحمل الحديث على إطلاقه، فلا يرى بادخار شيء أصلًا. قال ابن عبد البر: وردت عن أبي ذر آثار كثيرة، تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع، يفضل عن القوت وسداد العيش، فهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة»[(٢)].

ومما يدل على ما ذهب إليه جمهور الصحابة رضي الله عنهم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أوسق صدقة»**[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: «مفهومه أن ما زاد على الخمس ففيه الصدقة، ومقتضاه أن كل مال أخرجت منه الصدقة فلا وعيد على صاحبه، فلا يسمى ما يفضل بعد إخراجه الصدقة كنزًا»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٧، ١٤٠٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٢).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٧٣).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٥)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٧٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٧٢).

ولما كان ذلك الرأي الذي تبناه أبو ذر رضي الله عنه مخالفًا لما عليه جمهور الصحابة، شكاه معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما فاستدعاه عثمان إلى المدينة كما تقدم؛ حسمًا لمادة النزاع والفرقة بين الناس، وطلب منه الكف عن الإنكار على الناس فيما عندهم من المتاع الحلال، قال الحافظ ابن حجر: «نعم، أمره عثمان بالتنحي عن المدينة؛ لدفع المفسدة التي خافها على غيره من مذهبه المذكور، فاختار الربذة»[(٥)].

ويدل على هذا المخوف ما جاء عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه قال: «دخلت مع أبي ذر على عثمان رضي الله عنهما، فلما دخل حسر عن رأسه، وقال: والله، ما أنا منهم يا أمير المؤمنين - يريد الخوارج، قال ابن شوذب: سيماهم الحلق -، قال له عثمان: صدقت يا أبا ذر! إنما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة. قال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي إلى الربذة. قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك، يكفي أبا ذر صريمته. فلما خرج قال: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعذموها[(٦)]، ودعونا وربنا. قال:

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٧٤).
(٦) أي: خذوها، وأصل **العذم**: العض. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٥٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٤٢٣).

ودخل عليه وهو يقسم، وعبد الرحمٰن بن عوف بين يديه، وعنده كعب، فأقبل عثمان على كعب، فقال: يا أبا إسحاق، ما تقول فيمن جمع هذا المال، فكان يتصدق منه ويصل الرحم؟ قال كعب: إني لأرجو له. فغضب ورفع عليه العصا، وقال: وما تدري يا ابن اليهودية، ليودَّنَّ صاحب هذا المال لو كان عقارب في الدنيا تلسع السويداء من قلبه»[١].

ويدل على منع أبي ذر المذكور من الإنكار على الناس قول البخاري: «وقال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها»[٢]. وقال الحافظ ابن حجر: «هذا التعليق رويناه موصولًا[٣] في مسند الدارمي[٤] وغيره من طريق الأوزاعي، حدثني أبو كثير؛ يعني: مالك بن مرثد عن أبيه قال: «أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع عليه الناس يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، ثم قال: ألم تُنهَ عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أرقيب أنت عليَّ! لو وضعتم الصمصامة...» فذكر مثله، ورويناه في الحلية[٥] من هذا الوجه، وبيّن أن الذي خاطبه رجل من قريش، وأن الذي نهاه عن الفتيا عثمان رضي الله عنه، وكان سبب ذلك أنه كان بالشام فاختلف مع معاوية في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]... وفيه دليل على أن أبا ذر رضي الله عنه كان لا يرى بطاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا؛ لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه؛ لأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه كما تقدم، ولعله أيضًا سمع الوعيد في حق من كتم علمًا يعلمه»[٦].

ولم يمنع أبا ذر من الفتوى بصفة عامة ـ فيما يظهر لي ـ؛ لما ذكره الإمام الذهبي من أن أبا ذر رضي الله عنه كان يفتي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[٧].

ويمكن أن يقال: إنه كان يفتي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حتى حصل الاختلاف بينه وبين معاوية في تفسير الكنز المتوعَّد عليه، ثم منع بعد ذلك، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٣٢) [دار صادر، ط١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/ ١٩٧)، واللفظ له، وسند ابن سعد صحيح.
(٢) صحيح البخاري (كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل).
(٣) انظر: تغليق التعليق لابن حجر (٢/ ٧٩) [المكتب الإسلامي، ودار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ].
(٤) سنن الدارمي (كتاب العلم، رقم ٥٦٢).
(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٦٠) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤].
(٦) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦١).
(٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦).

ـ المسألة الثالثة: في بيان نوع الضعف الذي وُصف به أبو ذر في بعض الأحاديث:

فقد ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه؛ أن رسول الله قال: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تولَّينَّ مال يتيم**»[(١)].

ومعلوم من سيرة أبي ذر رضي الله عنه أنه كان قويًّا في دينه وبدنه، ولذا تكلم العلماء في شرح هذا الحديث وبيان المقصود به، قال الإمام النووي في شرحه هذا الحديث: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها، أو كان أهلًا ولم يعدل»[(٢)].

وقال الإمام الذهبي: «فهذا محمول على ضعف الرأي؛ فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا، فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حدة ـ كما ذكرناه ـ فنصحه النبي ﷺ»[(٣)].

ولا شكَّ أن الأمور تسند إلى من يجيدها وتوكل إلى من يحسن القيام بها، ومن ليس كذلك فلا تسند إليه مهما كان صالحًا تقيًّا؛ لأن الولاية أمانة، وقد دلَّت السُّنَّة الصحيحة على ذلك، منها حديث أبي ذر هذا[(٤)]، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: «**أين أراه السائل عن الساعة؟**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»»[(٥)].

موقف المخالفين منه:

وهم أنواع:

الفريق الأول: الروافض، وهؤلاء لهم مسالك في الافتراء:

المسلك الأول: ربطهم كل ما حصل بين أبي ذر من جهة وبين معاوية والخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنهم من جهة أخرى بمعتقدهم القائمة على

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢].
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٧٥).

(٤) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية (١٢ ـ ١٣) [دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٣هـ].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٥٩).

التشنيع في الصحابة، ولا سيما الشيخين وعثمان ومعاوية، فزعموا أن معاوية وعثمان ومن معهم ظلمة وأهل دنيا، وأنه لا همَّ لهم سواها، وأن عليًّا كان مع أبي ذر في هذا الرأي، وكان يحثه على الثبات فيما هو فيه، ويسوقون روايات منسوبة إلى علي[(١)].

المسلك الثاني: زعمهم أن عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة.

الفريق الثاني: من يقول بأن أبا ذر رضي الله عنه كان اشتراكيًّا تقدُّميًّا:

افترى بعض الكتّاب على أبي ذر رضي الله عنه، فنسبوا إليه موافقة المذهب الاشتراكي في بعض مبادئه؛ كالقول بأن المال للجميع، وأخذوا يحملون بعض مواقفه ما لا تحتمل، ومن هؤلاء: الزِّرِكْلي، فقد ترجم لأبي ذر ترجمة سيئة، حيث وصفه بما لا يليق بالصحابة، ثم خلص أخيرًا إلى أنه أول اشتراكي حورب من قبل الحكومات، فقال: «فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية ـ وكان والي الشام ـ إلى عثمان (الخليفة)، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الرَّبَذَة ـ من قرى المدينة ـ فسكنها إلى أن مات. وكان كريمًا لا يخزن من المال قليلًا ولا كثيرًا، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. ولعله أول اشتراكي طاردته الحكومات»[(٢)].

الرد عليهم:

لا شكَّ أن من تأمل ما سبق ذكره في هذا البحث من بيان سبب الاختلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية رضي الله عنهما، ثم ما تلى ذلك من استدعاء الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه لأبي ذر إلى المدينة، وما دار بينهما من الحديث، ثم اختيار أبي ذر الانتقال إلى الربذة؛ لأسباب ذكرها للخليفة فاقتنع وأذن له بذلك، وبقائه بها حتى الممات، من اطلع على هذا كله ـ ولا حاجة لتكراره هنا ـ يعلم يقينًا أن هذه الدعاوى جميعها محض تخرصات وفرى؛ بل هي خرافة نسجها الكذابون وحاكها المبطلون، لتحقيق أغراض دنيئة؛ إما النيل من هؤلاء الصحابة كمعاوية وعثمان رضي الله عنهم، كما هو هدف الروافض وديدنهم، وإما تسويغ بعض مبادئ المذهب الاشتراكي

(١) انظر: الكافي للكليني (٨/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨) [تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤]، وانظر: نهج البلاغة (٢/ ١٢ ـ ١٣) [تحقيق: محمد عبده، دار الذخائر، قُم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) الأعلام للزركلي (٢/ ١٤٠) [دار العلم للملايين].

الماركسي الإلحادي بقصد أو غير قصد ولو في جزئية معينة تتعلق بالمال[(١)].

وأبو ذر رضي الله عنه ليس عنده شيء من هذا؛ بل كل ما في الأمر أنه اجتهد في فهم آية من كتاب الله، وهو من ذوي الاجتهاد، فرأى أن المال الزائد عن الحاجة ولو زكاه صاحبه لا يخرج عن كونه كنزًا متوعدًا عليه، وعليه فلا بد أن يوزع على الفقراء والمساكين، وليس على جميع الناس، ولكن لم يوافقه على هذا الصحابة الآخرون، منهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وغيرهما، وهو لم يقل بسحب أموال الناس، والعبث بها كما يفعل الاشتراكيون؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة]، ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[(٢)].

فأين هذا من ذاك؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج].

(١) انظر: الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة لعبد الله بن زيد (٤، و٤١) [رئاسة المحاكم الشرعية في قطر، ط٣، ١٤٠٧هـ] وغيره مما كتب في هذا الصدد.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٤١)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٩).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٧)، لابن حجر.

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج١٠)، لابن كثير.

٤ ـ «تاريخ دمشق» (ج٦٦)، لابن عساكر.

٥ ـ «التمهيد» (ج١٧)، لابن عبد البر.

٦ ـ «السياسة الشرعية»، لابن تيمية.

٧ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٢)، للذهبي.

٨ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٢)، للنووي.

٩ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٤)، لابن سعد.

١٠ ـ «فتح الباري» (ج٣)، لابن حجر.

ذرائع الشرك

التعريف لغة:

ذرائع الشرك مصطلح يتألف من كلمتين هما:

أولًا: ذرائع:

والذرائع جمع ذريعة، **والذريعة في اللغة**: الوسيلة التي يتوصل بها إلى الشيء، والذريعة أيضًا: السبب إلى

الشيء، يقال: فلان ذريعة فلان إلى كذا؛ أي: سببه إليه، قال ابن منظور: «الذَّرِيعة: الوسيلة، وقد تَذَرَّع فلان بذَريعةٍ؛ أَي: توسَّل، والجمع: الذرائعُ والذريعةُ السبَبُ إلى الشيء وأَصله من ذلك الجمل، يقال: فلان ذَرِيعتي إِليك؛ أَي: سَبَبي ووُصْلَتي الذي أَتسبب به إِليك»[1].

ثانيًا: الشرك:

الشرك لغة: قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف **أصلان**، **أحدهما:** يدل على مقارنة وخلاف انفراد، **والآخر:** يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا؛ إذا جعلته شريكًا لك»[2]، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءُ، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

١ ـ المخالطة، والمشاركة[3].

٢ ـ التسوية بين شيئين[4].

٣ ـ النصيب والحظ[5].

(١) لسان العرب (٨/٩٣)، وانظر: القاموس المحيط (٩٢٧).
(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).
(٣) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)، ولسان العرب (٧/٩٩).
(٥) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ ـ ١٠٠).

التعريف شرعًا:

هي الوسائل المفضية إلى الشرك[6].

ومن أقوال العلماء في تعريفها ما يلي:

١ ـ قال ابن تيمية: «الذريعة ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء، لكنها صارت في عُرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم»[7].

٢ ـ وقال الشوكاني: «الذريعة: هي المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور»[8].

الحكم:

لمّا كان الشرك بالله تعالى هو أعظم الذنوب على وجه الإطلاق؛ إذ هو أعظم ما نهى الله تعالى عنه، كان النهي عن كل ما يفضي إليه من أقوال وأفعال ونحوهما من أعظم الواجبات، وذلك لحرص النبي ﷺ على سدِّ كل الطرق الموصلة إلى الشرك بالله تعالى، وحمايته لحمى التوحيد.

قال ابن تيمية ـ في كلامه على النهي عن اتخاذ القبور مساجد ـ: «وصاحب الشريعة ﷺ حسم المادة وسد الذريعة، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلى عندها لله، ولا

(٦) انظر: الشرك بالله أنواعه وأحكامه (٧٠٢).
(٧) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/١٧٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].
(٨) إرشاد الفحول (٢/١٩٣).

يسأل إلا الله، وحذَّر أمته ذلك، فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك، وأسباب الشرك»[(١)].

الحقيقة:

حقيقة ذرائع الشرك، هي: ما يتوصل به إلى الشرك بالله تعالى، من الأقوال والأفعال التي ليست بشرك في الحقيقة.

وإنما جاء الشرع بسدِّها لخطورة الشرك بالله وكثرة النصوص في التحذير منه، ولذا قال ابن القيِّم ـ بعد كلامه عن بعض مسائل التوحيد وسد ذرائع الشرك ـ: «وإنما نبهنا هنا على رؤوس المسائل، وجنس الدلائل، والتنبيه على مقاصد الشريعة، وما فيها من إخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وما سدته من الذريعة إلى الشرك، دقه وجله؛ فإن هذا هو أصل الدين، وحقيقة دين المرسلين، وتوحيد ربِّ العالمين»[(٢)].

الأهمية:

باب سدِّ الذرائع المفضية إلى المحرمات باب عظيم في الشريعة، له مسائله وأحكامه كبقية أبواب الشريعة؛ بل هو ربع تكاليفها كما قال ابن القيِّم: «وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف؛ فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان؛ أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان؛ أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين»[(٣)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فنهى تبارك وتعالى عن سب آلهة الكفار لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب الله تعالى.

وكما أنه سبحانه وتعالى نهى عن كلمة (راعنا) بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، لئلا يكون ذلك ذريعة لليهود إلى سب النبي ﷺ، وأمر سبحانه وتعالى نبيَّه محمد ﷺ أن يقول لقومه: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن]؛ لئلا يظن أن النبي ﷺ ينفع ويضر فيغلوا الناس فيه.

ومن السُّنَّة: تحذيره ﷺ عن الغلو في شخصه الكريم، بقوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(٤)].

ونهى عن البناء على القبور وتعظيمها،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٤) [ط١، ١٤٠٤هـ].
(٢) المرجع السابق (٢/ ٨٤٤).
(٣) إعلام الموقعين (٣/ ١٧١) [دار الباز، مكة المكرمة].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

واتخاذها أعيادًا؛ وذلك سدًّا لذريعة التعلق بأربابها، وعبادتهم من دون الله تعالى؛ كقوله ﷺ عن النصارى: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[١]، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[٢].

أقوال أهل العلم:

قال الشافعي: «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدًا؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[٣].

وقال ابن تيمية ـ في كلامه على النهي عن اتخاذ القبور مساجد ـ: «وصاحب الشريعة ﷺ حسم المادة وسدِّ الذريعة، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلى عندها لله، ولا يسأل إلا الله، وحذر أمته ذلك، فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك، وأسباب الشرك»[٤].

وقال القرطبي: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[٥].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٢ ـ «إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين»، لابن القيِّم.

٣ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٤ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٥ ـ «سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسُّنَّة الصحيحة»، لعبد الله الجنيدي.

٦ ـ «الشرك بالله أنواعه وأحكامه»، لماجد الشبالة.

٧ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٨ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٩ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٤)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٢).

(٣) المهذب في فقه الإمام الشافعي (١/ ٢٥٩) [دار الكتب العلمية].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٤).

(٥) المفهم شرح صحيح مسلم (٢/ ١٢٨) [دار ابن كثير، ط١، ١٤١٧هـ].

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الذِّكر

التعريف لغة:

أصل الذكر لغة: التنبيه على الشيء[1]، قال ابن فارس: «الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كلم الباب والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته. ثم حمل عليه الذكر باللسان»[2].

الذِّكر: خلاف النسيان، والذِّكر والذُّكر بمعنى واحد، يقولون: اجعله منك على ذُكر بضم الذال؛ أي: لا تنسه، ويطلق على معان عدة، منها: الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ويطلق على الصيت، والثناء، والعلاء، والشرف[3].

التعريف شرعًا:

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «الذكر: ثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه»[4].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها، مثل: الباقيات الصالحات؛ وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه؛ كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم»[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

هناك ترابط وثيق بين معنى الذكر لغةً وشرعًا، فالمعنى الشرعي جزء من اللغوي، وقد ورد في اللغة معنى الثناء، والذكر باللسان ونحوها مما هو في معنى الذكر شرعًا.

الحكم:

تجري على الذكر الأحكام التكليفية الخمسة[6]، **بيان ذلك فيما يلي**:

الواجب: ومن ذلك تكبيرة الإحرام،

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١١١) [دار الكتب العلمية].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٣٥٨) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٣٥٨)، والصحاح للجوهري (٢/٦٦٤ ـ ٦٦٥) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٥/٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٤) الوابل الصيب (٨٩) [دار الحديث، القاهرة، ط٣].

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/٢٠٩) [دار المعرفة].

(٦) انظر: المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار لعلي بن عبد الحفيظ الكيلان (١/٢٩٩) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ].

وقراءة الفاتحة في الصلاة[١].

الحرام: وذلك كونه يتضمن شركًا، أو نقصًا، أو لكونه يصحبه اعتقادات فاسدة وبدع ومحدثات؛ كالذكر بعد الجنازة بالبردة ونحوها[٢].

المستحب: وهو غالب الأذكار المأثورة؛ كأذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ ونحوها.

المكروه: وذلك كالذكر حال قضاء الحاجة[٣].

المباح: أن يذكر ربه ذكرًا مطلقًا بغير الوارد شرعًا، وهذا جائز بشروط ذكرها أهل العلم[٤].

الحقيقة:

حقيقة الذكر هو ما واطأ ذكر اللسان بالقلب، وهو يتضمن عدم الغفلة عن ذكر الله تعالى، وحضور القلب، واستشعار عظمة الرب تعالى، والثناء عليه بكل أنواع الذكر، المتضمنة لأنواع الكمالات، ويتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وأمره ونهيه، ونحو ذلك.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وليس المراد بالذكر مجرد الذكر باللسان بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه؛ وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح؛ وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه»[٥].

المنزلة:

منزلة الذكر في الشريعة الإسلامية عظيمة جدًّا، ذلك لما للذكر من تعلق في كثير من العبادات والتي لا يصح بعضها بغير الذكر، وأما منزلته في باب الاعتقاد، فإنه منزلة جليلة فالذكر سبب لزيادة الإيمان وتقويته، وهو يقوي جانب الرجاء فيما عند الله تعالى، والخوف من عقابه، ويقرب العبد إلى ربِّه تعالى، فيصير أعظم محبوب، كما هو أعظم مذكور، وبالجملة فهو يستلزم معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته[٦].

الأدلة:

ورد الحث على الذكر وبيان فضله في

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٢١٢) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب]، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) (١٠/ ٥٥٥) (٢٢/ ٣٨٣)، والسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد الحوامدي (١٠٨).

(٣) المجموع شرح المهذب للنووي (٢/ ٨٨) [دار الفكر، ط١].

(٤) انظر في ذلك: تصحيح الدعاء لبكر أبي زيد (٤٢) [دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ].

(٥) الفوائد لابن القيم (١٢) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٦) انظر: الفوائد (١٢)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي، ضمن مجموع مؤلفاته (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٢هـ].

نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه].

ومن السُّنَّة: حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت**»[(١)].

وفي رواية أخرى: قال صلى الله عليه وسلم: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»[(٣)] الحديث.

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أنّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبّث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال النووي رحمه الله: «الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفًا من أن يظن به الرياء؛ بل يذكر بهما جميعًا، ويقصد به وجه الله تعالى»[(٥)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «الذكر: عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة؛ بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قيامًا وقعودًا، وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها، وأساسها»[(٦)].

وقال السعدي رحمه الله: «فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها. وكلما ازداد العبد ذكرًا لله قوي

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٨) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٧٥ وقال: «هذا حديث حسن غريب»)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٩٣)، وأحمد (٢٩/٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٨١٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٠هـ].

(٥) الأذكار النووية (٦) [دار الملاح، ١٣٩١هـ].

(٦) مدارج السالكين (٢/١٤٣) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].

إيمانه، كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر. فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومحبة الله هي الإيمان؛ بل هي روحه»[(١)].

الأقسام:

ينقسم الذكر إلى قسمين ظاهرين، وكل منهما مما يدخل تحت الذكر المشروع[(٢)]:

الأول: الذكر المطلق، الذي لم يخصص له الشارع وقتًا معينًا، ولم يقيده؛ كقول: لا إله إلا الله مطلقًا، أو قول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، وأمثال ذلك، دون التقيد بزمان معين، أو حالة معينة.

الثاني: الذكر المقيد، أو المؤقت، وهو المقيد بزمان، أو بعدد معين، أو كيفية أو صفة معينة؛ كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات، والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل، والشرب، واللباس، وغيرها، وقد صنفت فيه المصنفات المسماة بعمل اليوم والليلة.

المراتب:

الذكر على ثلاثة مراتب متفاوتة[(٣)]:

الأولى: ما تواطأ فيها القلب واللسان جميعًا، وهو المأمور به، وهي أعلى المراتب.

الثانية: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالثة: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر الله.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الأذكار توقيفية:

الذكر عبادة، والعبادات بابها توقيفي، فعن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللَّهُمَّ أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللَّهُمَّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**». قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: اللَّهُمَّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «**لا؛ ونبيّك الذي أرسلت**»[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأولى

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠ ـ ٦٦١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٥٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي: أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به»[1].

فلا يجوز أن تُسن أذكار وتجعل عبادة راتبة، لم يسنّها الشرع، قال شيخ الإسلام: «وليس لأحد أن يسنَّ للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به؛ بخلاف ما يدعو به المرء أحيانًا من غير أن يجعله للناس سُنَّة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرمًا لم يجز الجزم بتحريمه؛ لكن قد يكون فيه ذلك، والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت، فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي، واستنان ذكر غير شرعي: فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد»[2].

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٢).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٢١٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

- المسألة الثانية: حكم الذكر الجماعي: لم يرد الذكر الجماعي في سُنَّة صحيحة عن النبي ﷺ، وقد أنكره جماعة من أئمة السلف:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم ينقل أحد أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعًا لا في الفجر، ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات؛ بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه، ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة»[3]. بل وأنكره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين أخبر أن قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيسبحون مائة، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: «ما هذا الذي أراكم تصنعون؟» قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: «فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٠٥).

لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة». قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن، ما أردنا إلا الخير. قال: «وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم»، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[(١)].

- المسألة الثالثة: بدع الذكر:

أولع كثير من الناس - إلا من رحم الله - بالابتداع في الأدعية، وأدخلوا في الأدعية والأذكار الشرعية بدعًا كثيرة مخالفة للأوامر الشرعية الناهية عن الابتداع.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أذِن الله في دعائه، وعلَّم الدعاءَ في كتابه لخليقته، وعلَّم النبيُّ ﷺ الدعاءَ لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ. وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيَّض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الإحالة أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر، فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح»[(٢)].

ومن بدع الأذكار على سبيل المثال: الذكر بالاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا؛ كقولهم: الله الله، أو هو هو هو.

قال ابن تيمية: «الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلامًا تامًّا مفيدًا مثل: لا إلٰه إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله والحمد لله، ومثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأما الاسم المفرد مظهرًا مثل: الله الله، أو مضمرًا مثل: هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سُنَّة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين. وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه، مثلما يروى عن الشبلي أنه كان يقول: الله الله. فقيل له: لم لا تقول لا إلٰه إلا الله؟ فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات. وهذه من زلات الشبلي التي تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده وغلبة الحال عليه، فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته»[(٣)].

(١) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٢١٠)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/١٢).

(٢) الفتوحات الربانية لابن علان (١/١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦)، وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٢/٧٣٨ - ٧٣٩) [دار عالم الفوائد، ط١].

الآثار:

آثار الذكر كثيرة، وجليلة وعظيمة؛ **منها:**

- سبب للفلاح والنجاح؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال].

- نيل مغفرة الله تعالى، ودخول جنته؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

- يورث القلوب جلاء وصفاء وطمأنينة؛ ويذهب قسوتها وجفاءها؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

- ذكر الله تعالى للذاكرين؛ إذ الجزاء من جنس العمل؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فهذه فيض من غيض، وقد ذكر ابن القيِّم جملة صالحة منها في كتابه «مدارج السالكين»[(١)].

مذهب المخالفين:

عرف مذهب الصوفية واشتهر ببدع الأذكار والأوراد، فاخترعوا وابتدعوا أذكارًا ما أنزل الله بها من سلطان، وغالبها مليئة بأنواع من الألفاظ الشركية، والمنكرة، كما أنهم حرّفوا كثيرًا من الأذكار الشرعية، فزادوا فيها ونقصوا، فلم يلتزموا بالسُّنَّة فيما شرع من الأذكار.

ومذهبهم باطل بنص القرآن والسُّنَّة والإجماع:

فمن القرآن: قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الإسلام، أخبر الله نبيّه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]. قال الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى العمل الصالح: «أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله، والصَّواب إذا كان على السُّنَّة»[(٣)].

وأما من السُّنَّة: فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٤)]، وفي لفظ آخر

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/١٤٢ فما بعد) [دار المغني، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) رواه أبو نُعيم في الحِلية (٨/٩٥) [دار الفكر].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، =

لمسلم جاء فيه: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)].

وعن الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعملُ به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأذكار»، للنووي.

٢ ـ «الأدعية والأذكار»، لعبد الرزاق البدر.

٣ ـ «الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية»، لجيلان العروسي.

٤ ـ «الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع»، لمحمد بن عبد الرحمٰن الخميس.

٥ ـ «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات»، لمحمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

٦ ـ «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

٧ ـ «الوابل الصيب»، لابن القيِّم.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار»، لعلي بن عبد الحفيظ الكيلاني.

ذو الطول

يراجع مصطلح (الغنى).

ذو الكفل عليه السلام

اسمه ونسبه:

قيل: إنه من أولاد أيوب، وقيل: إنه يوشع بن نون، وقيل: إنه اليسع بن أخطوب، وكان قبل داود، وقيل: إنه زكريا[(٣)]، والذي يظهر أنه غير هؤلاء، والله أعلم.

معنى اسمه لغة:

قيل في سبب تسمية ذي الكفل عليه السلام: إنه تكفل بعمل من الأعمال، فقام به خير قيام، فأثنى الله عليه لحسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله. وقيل في هذا العمل: إنه كان قد تكفل لنبي قومه أن يكفيهم أمرهم، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل فسمي ذا الكفل، وقيل: إن الله تكفل له في سعيه، وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء، وقيل غير

= ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٨).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخُمس، رقم ٣٠٩٣)، ومسلم (كتاب الجهاد، رقم ١٧٥٩).

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٨٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير للبغوي (٥/٣٤٨) [دار طيبة، ط١]، وتفسير القرطبي (١٤/٢٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

ذلك، والله تعالى أعلم[(١)].

نبوته:

اختلف أهل العلم في نبوته، هل كان نبيًّا مرسلًا، أو كان عبدًا صالحًا على قولين:

أحدهما: أنه كان نبيًّا مرسلًا من جملة أنبياء الله ورسله؛ وهو المشهور؛ لأن الله تعالى أثنى عليه في القرآن الكريم مقرونًا بالأنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

ومال إلى هذا القول ابن كثير من المتقدمين، والشوكاني والسعدي وحافظ الحكمي وغيرهم من المتأخرين؛ وقالوا: الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، عليه من ربه الصلاة والسلام، مع أمر الله لرسوله ﷺ بأن يذكرهم ليسلك مسلكهم في الصبر، وكذلك جعله الله من الأخيار؛ أي: ممن اختاره لنبوته، واصطفاه من خلقه[(٢)].

الثاني: أنه لم يكن نبيًّا مرسلًا، وإنما كان عبدًا صالحًا، وحكمًا مقسطًا عدلًا، تكفل من بعض الناس بعمل من الأعمال، إما بعد نبي من الأنبياء، وإما بعد ملك من صالح الملوك، وهذا الذي ذهب إليه ابن جرير الطبري، رواه عن مجاهد بن جبر، وغيره، ونسبه القرطبي إلى الجمهور[(٣)].

واستدلوا ببعض الأخبار الواردة عن بعض سلف الأمة، لكن المتبادر من سياق القرآن العظيم يثبت أنه من الأنبياء العظام الذين أمر الله رسوله ﷺ أن يتأسى بهم؛ إذ قرنه في سورة الأنبياء بجملة من عظماء المرسلين، ثم قرنه في سورة (ص) بجملة من هؤلاء السادة المرسلين بعد أن أمر محمدًا ﷺ بالصبر تأسيًا بهؤلاء، ومنهم ذو الكفل عليه السلام، والقاعدة عند الأصوليين أن الأصل وجوب العمل بظاهر اللفظ حتى يرد دليل يصرفه عن هذا الظاهر، ولم يرد دليل صحيح ينفي نبوة ذي الكفل عليه السلام[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٦٨) [دار هجر، ط١]، وتفسير البحر المحيط (٦/٣١٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٨٨)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/٥١٦) [دار هجر، ط١]، وفتح القدير (٤/٥٧٦) [دار الوفاء ودار الندوة العالمية، ط٣]، وتفسير السعدي (٤٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومعارج القبول (٢/٨٣٢) [دار ابن الجوزي، ط٦].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٦٨)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٦٦).

(٤) انظر: قصص الأنبياء القصص الحق (٢١٦) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٢٢هـ].

دعوته:

لم يرد شيء في بيان دعوته، إلا ما نقل عن ابن عباس أن ذا الكفل بعث إلى أهل الشام داعيًا إلى توحيد الله تعالى[(١)]، وهذا أصل دعوة الأنبياء والرسل جميعًا.

وفاته:

يذكر أن ذا الكفل أقام عمره كله بالشام إلى أن توفّي بها، وهو ابن خمس وسبعين سنة[(٢)]، والله أعلم.

المسائل المتعلقة:

هل ذو الكفل عليه السلام هو الكفل من بني إسرائيل الذي كان لا يتورع من الذنوب، إلى أن تاب في آخر عمره؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يحدث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرَّة أو مرَّتين حتى عدَّ سبع مرات، ولكنِّي سمعته أكثر من ذلك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان الكفل - وفي رواية: ذو الكفل - من بني إسرائيل، لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلمَّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت. فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنَّه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك. وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: أن الله قد غفر للكفل**»[(٣)].

ورد في بعض طرقه: «ذو الكفل»، وهذا يشكل على نبي كريم أثنى الله عليه في كتابه، **والجواب من ثلاثة أوجه:**

أحدها: أن الحديث منكر وضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ بإسناد صحيح.

الثاني: أن لفظة: (ذو الكفل) وردت خطأ، كما نبَّه على ذلك العلامة الألباني؛ إذ الذي ورد من مجموع طرقه: (الكفل) دون إضافة.

الثالث: ليس ذو الكفل هو الكفل؛ إذ الكفل - دون إضافة - رجلٌ آخر غير المذكور في القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فهو حديث غريب جدًّا وفي إسناده نظر، فإن سعدًا[(٤)] هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان، ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي

---

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ٣٨٨).

(٢) انظر: المصدر نفسه (١/ ٣٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٩٦)، وأحمد (٨/ ٣٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٥١٩) [دار هجر، ط١]: «غريب جدًّا، وفي إسناده نظر»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩/ ٨٣، رقم ٤٠٨٣).

(٤) يقال له سعد أو سعيد مولى طلحة، ويقال: طلحة مولى سعد، مجهول من الرابعة، أخرج له الترمذي في سننه. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ].

هذا. فالله أعلم. وإن كان محفوظًا فليس هو ذا الكفل، وإنما لفظ الحديث الكفل من غير إضافة، فهو رجل آخر غير المذكور في القرآن. فالله تعالى أعلم»[١].

ولا يغتر بمن صحح إسناده[٢]؛ إذ هو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [صٓ: ٤٨].

المصادر والمراجع:

١ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٢ ـ «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن كثير»، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٣ ـ «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها»، لمحمد خليل هراس.

٤ ـ «فتح الباري» (ج٦)، لابن حجر.

٥ ـ «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للثعلبي.

٦ ـ «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ ـ «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

٨ ـ كتاب «تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج٢)، للحاكم النيسابوري.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

ذو المعارج

يراجع مصطلح (العلو).

(١) انظر: البداية والنهاية (١/٥١٩).

(٢) انظر: ضعيف موارد الظمآن للألباني (٢٠٧).



حرف الراء

الرؤى والأحلام

التعريف لغة:

الرؤى: جمع رؤيا، على وزن: فُعْلَى، وقد تُخفف الهمزة، فيقال بالواو: رُويا، وهي في الأصل مصدر كبُشْرَى، فلمَّا جُعلت اسمًا لِما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء[(١)].

والرؤيا في اللغة: ما يُرى في المنام[(٢)].

وأما الحُلُم، فيأتي في اللغة بمعنى التأني وترك العجلة، كما يأتي بمعنى الرؤيا، فيطلق على رُؤية الشيء في المنام[(٣)].

ولكن غلب استعمال الحلم فيما يراه من الشر والقبيح، كما غلب استعمال الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وإن كان قد يستعمل كل منهما موضع الآخر[(٤)].

التعريف شرعًا:

اختلفت أقوال العلماء في التعريف بالرؤيا:

- فمنهم من خصَّها بما يكون من الملك المرسل من الله، فقال في تعريفها إنها: «أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده وإلْفه على يد ملك الرؤيا، فمرة يكون مثلًا مضروبًا ومرة يكون نفس ما رآه الرائي، فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه»[(٥)].

ومنهم من عرَّفها بما يعم أنواعها، فقال: «الرؤيا: إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان إما بأسمائها؛ أي: حقيقتها، وإما بكناها؛ أي: بعبارتها، وإما تخليط»[(٦)].

والحلم: اسم لما يراه الإنسان

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/٣٥٢) [دار المعرفة].

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/٢٩٧) [دار صادر، ط١]، والمفردات للراغب (٢٠٩) [دار المعرفة].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٩٣) [دار الجيل، ط٢]، ولسان العرب (١٢/١٤٥).

(٤) انظر: لسان العرب (١٢/١٤٥)، والكليات للكفوي (٤٠٤).

(٥) الروح لابن القيم (١/٢٣٤ ـ ٢٣٥) [دار ابن تيمية، ط١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: إعلام الموقعين (١/١٩٥) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وقد قال ابن القيم بعد ذكر هذا التعريف: «وهذا أقرب.. ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه، بل لها أسباب أخر.. من ملاقاة الأرواح وأخبار بعضها بعضًا، ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروع، ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة».

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٥٢) [دار المعرفة]، والقائل: هو أبو بكر ابن العربي المالكي.

حال النوم[١].

سبب التسمية:

إنما سميت رؤيا المنام بذلك لحصول وجه من الشبه بينها وبين رؤية اليقظة، من حيث إن النائم تتمثل لذهنه صور وأشكال من جنس الصور التي تراها العين الباصرة، فالصور المرئية متقاربة، إلا أن رؤية اليقظة رؤية عينية، محل الإدراك فيها العين، وأما رؤيا المنام فرؤية يكون محل الإدراك فيها الذهن، والله أعلم.

وقد بيَّن القرطبي سبب تسمية الحُلُم بذلك، وذلك أن أصل مادة (الحلم) من الأناة، وهي ضد الطيش، ولذا قيل لما يراه النائم في النوم (حُلُمٌ)؛ لأن النوم حالة أناة وسكون، وراحة ودَعَة[٢].

الحقيقة:

ما يراه الإنسان في منامه من أشخاص وأحداث أو غيرها من الحقائق فإنما هي أمثلة لتلك الحقائق التي رآها، جعلها الله دليلًا على أمور ثانية تفسر بها مما وقع من قبل، أو كان سيقع لاحقًا، هذه حقيقته باعتبار ذاتها، ثم تختلف بعد ذلك بالنظر لمصدرها، وصدقها، ودلالتها، وحجيتها، ومن تقع له، بما سيأتي تفصيله.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٩٣) [دار الجيل، ط٢]، لسان العرب (١٢/ ١٤٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٠٠).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ...»[٣].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا،... والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**»[٥].

وعن جابر رضي الله عنه؛ أن الرسول ﷺ قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه، فزجره النبي ﷺ

(٣) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٩٢)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٣).

وقال: «**لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام**»[(١)]. وفي رواية في الصحيح: فضحك النبي ﷺ، وقال: «**إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدث به الناس**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «النائم يرى شيئًا، وتلك الأمور لها وجود وتحقيق، ولكن هي خيالات وأمثلة، فلما عزب [العقل] ظنها الرائي نفس الحقائق؛ كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أمواتًا ويكلمونه، ويفعل أمورًا كثيرة، وهو في النوم يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل؛ لأن عقله عزب عنه، وتلك الصورة التي رآها مثال صورته وخيالها، لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن أن ذلك المثال هو نفسه، فلما ثاب إليه عقله علم أن ذلك خيالات ومثالات»[(٣)].

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي؛ بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك»[(٤)].

وقال ابن جزي رحمه الله: «وحقيقتها [أي: الرؤى] عند المحققين أمثلة جعلها الله دليلًا على المعاني، كما جعلت الألفاظ دليلًا على المعاني، ولذلك منها ظاهر ومحتمل، كما في الألفاظ ظاهر ومحتمل»[(٥)].

الأقسام:

تنقسم الرؤيا إلى قسمين: خاص بالأنبياء، وعام لجميع الناس، وفيما يلي تفصيل ذلك:

القسم الأول: رؤيا الأنبياء:

رؤيا الأنبياء حق، وهي مصدر من مصادر الوحي؛ لأنهم معصومون، ورؤياهم معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٧٦)، وانظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٣٧٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ].
(٤) مدارج السالكين (١/٥١) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].
(٥) القوانين الفقهية لابن جزي (٢٩٠).
(٦) انظر: مدارج السالكين (١/٥١).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، قال: «كانت رؤيا الأنبياء وحيًا»[(١)].

ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الإسراء، وفيه: «**وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**»[(٢)].

ومثال ذلك ما رآه نبي الله إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، وما جاء في حق نبيِّنا ﷺ من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

القسم الثاني: رؤيا غير الأنبياء:

وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرؤيا الصادقة (الصحيحة)، وهي التي تكون من الله تعالى، وغالب ما تكون للمؤمنين، وهي بشرى من الله، وهي المرادة بقوله ﷺ: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[(٣)].

وصدق الرؤيا تكون بصدق الرائي، وتحريه أكل الحلال، والتزام الشرع، والنوم على الطهارة، واستقبال القبلة، وذكر الله قبل النوم[(٤)].

والرؤيا الصحيحة وإن اختصت غالبًا بأهل الصلاح، إلا أنها قد تقع لغيرهم، من أهل الفسوق؛ بل من أهل الكفر؛ كرؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ورؤيا عبد المطلب في حفر بئر زمزم، وغيرها[(٥)].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «والرؤيا الصحيحة **أقسام**:

- **منها**: إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

- **ومنها**: مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها.

- **ومنها**: التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم.

- **ومنها**: عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له.

- **ومنها**: دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها.

وغير ذلك»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/٢٠٢) [المكتب الإسلامي، ط١]، والطبري في تفسيره (١٥/٥٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسَّنه الألباني في ظلال الجنة (١/٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٨٧)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٥١ ـ ٥٢).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩/١٢٤) [دار الشعب]، فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٨١).

(٦) الروح (٢٩).

النوع الثاني: الرؤيا التي من الشيطان:

وقد جاء وصفها بأنها: «تحزين»[(١)] وأنها «تخويف»[(٢)] وأنها «أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم»[(٣)].

كما جاء وصفها بأنها: (تلاعب من الشيطان)، وبعض العلماء يجعل (تلاعب الشيطان) نوعًا آخر غير: (التخويف والتحزين من الشيطان)[(٤)].

وتدخل رؤيا الاحتلام في تلاعب الشيطان بالإنسان، ولهذا منع كثير من العلماء الاحتلام على الأنبياء، لامتناع تلاعب الشيطان بهم[(٥)].

كما يدخل في تلاعب الشيطان ما قد يراه الإنسان ويحسبه ملكًا أو وليًّا صالحًا، وأنه يأمره أو يخبره بما يخالف الشرع من فعل المحرمات أو ترك الواجبات[(٦)].

النوع الثالث: حديث النفس:

وهو ما يحدث الرجل به نفسه في اليقظة، أو ما يهم به فيها، أو ما يتمناه، فيرى ذلك في منامه، أو أن يرى ما يعتاده الرائي في اليقظة[(٧)].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠١٧).
(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب تعبير الرؤيا، رقم ٣٩٠٧)، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (١٢/٤٠٧) [دار المعرفة]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٨٧٠).
(٤) قال ذلك ابن حجر، كما في الفتح (١٢/٤٠٧).
(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٩٨).
(٦) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٥٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى قولنا عن الرؤيا الصادقة: إنها حق:

قولنا عن الرؤيا الصادقة: إنها حق وحقيقة، **يراد به ما يلي:**

- أنها من الله، وهي جزء من النبوة، فالتصديق بها حق، كما في الحديث: **«من رآني في المنام فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»**[(٨)]، فمن قال: إنه لم يره في المنام حقًّا فقد كذب قول النبي ﷺ.

- كما أن من معاني صدقها وكونها حقًّا: أنها قد تتحقق في الواقع؛ أي: يتحقق تأويلها.

- فهي صور وأمثال مضروبة تكون في الذهن، لا في الخارج والواقع، وتكون بواسطة؛ أي: من إلقاء الملك، فليست خيالًا باطلًا كحديث النفس.

- ولا يقصد بكونها حقيقة أنها مثل رؤية العين المباشرة في اليقظة، والتي تكون بلا واسطة، وإلا لكان من رأى النبي ﷺ في المنام صحابيًّا[(٩)].

(٧) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٥٤، ٤٠٨).
(٨) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).
(٩) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٢٧٨).

ـ وإنما يقال عنها (حقيقة) تقريرًا لكونها من الله، واحترازًا عن الرؤيا التي هي حديث النفس، والذي هو خيال باطل، وكذا احترازًا عن الرؤيا التي من الشيطان[(١)].

ـ وعلى هذا: فإذا قيل عن هذه الرؤيا: إنها (خيال)، **فهذا لفظ محتمل:**

أ ـ إن أراد القائل أنها أمثال مضروبة للذهن، وأن يفرق بينها وبين رؤيا العيان، فقوله صحيح، ولذا قال بهذه العبارة بعض علماء السُّنَّة، كما قالوا: هي خيالات وأمثلة[(٢)].

ب ـ وإن أراد أنها خيالات باطلة، لا حقيقة لها ولا تدل على شيء، وليست من الله، ولا صادقة، وأراد أن يسوي بينها وبين حديث النفس[(٣)] فقوله باطل، مناقض للكتاب والسُّنَّة.

فقد دلَّ كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ على أن الرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ومنها الرؤيا الصادقة، والتي منها رؤيا الأنبياء والتي هي من الوحي، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] ورؤيا الحق هي التي لا بد من وقوعها وصدقها، فهي ليست من قبيل أضغاث الأحلام.

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «**والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**»[(٤)].

وكذلك من قال عن هذه الرؤيا إنها حقيقة، **استفسرنا منه:**

أ ـ إن أراد أنها من الله، وقد تتحقق، وليست من حديث النفس، فهذا حق على ما تقدم تفصيله.

ب ـ وإن أراد: أن ما يراه النائم كرؤية اليقظة بالعين: فهذا لا يشك عاقل في بطلانه. كمن قال من المبتدعة: إذا رأى الإنسان في المنام كأنه بأفريقية وهو ببغداد فقد اخترعه الله سبحانه بأفريقية في ذلك الوقت[(٥)].

وهذا باطل، بالواقع والعقل؛ أما الواقع فنحن نشاهد أن النائم عندنا، ورأى نفسه في ذلك الوقت في أفريقية مثلًا. وأما العقل: فإن النائم يرى من الأحلام من كونه مقطوع الرأس مثلًا،

---

(١) قال ابن تيمية: «ولكن يقال: رآهم في المنام حقيقة فيحترز بذلك عن الرؤيا التي هي حديث النفس. فإن الرؤيا **ثلاثة أقسام**: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام». مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٧٦)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٢٧) [مطبعة المدني].

(٣) قال به بعض المعتزلة، وسيأتي ذكره.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: المواقف للإيجي (٦/ ١١٢)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ١٠٧) [مكتبة النهضة المصرية، ط١]، والفصل لابن حزم (٥/ ٧١، ١٢٣) [دار الجيل]، والأصول والفروع له (١/ ٢٤٣) [دار النهضة، ط١، ١٩٧٨م].

وهو حي. فهذا تفصيل القول في المسألة.

ومع هذا التفصيل في لفظي (الحقيقة) و(الخيال)، إلا أن لفظ الخيال والوهم كثيرًا ما يطلق على النوع الناقص، وهو الباطل الذي لا حقيقة له.

كما أن لفظ (الحقيقة) غالبًا ما يطلق على رؤيا الحق التي من الله.

قال شيخ الإسلام: «كثيرًا ما يخص بلفظ الوهم، والخيال النوع الناقص، وهو الباطل الذي لا حقيقة له، وأما ما كان حقًّا مما يتخيل ويتوهم، فيسمونه باسمه الخاص، من أنه حق وصدق ونحو ذلك، ومن أنه معلوم ومعقول، فإنه إذا كان حقًّا عقله القلب، فصار معقولًا، كما يعقل أمثاله»[١].

- **المسألة الثانية: رؤية الله في المنام:**

لقد ثبت أن النبي ﷺ رأى ربه في المنام، وذلك في حديث اختصام الملأ الأعلى، وفيه قوله ﷺ: «**فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي** ﷻ **في أحسن صورة...**»[٢]، فقد كانت هذه رؤيا منام[٣].

وأما رؤية غير النبي ﷺ من المؤمنين لربهم فهي ثابتة أيضًا، فقد نقل بعض العلماء الإجماع على جواز رؤية الله في المنام، ووقوعها، ولم ينقل إنكارها إلا عن بعض المعتزلة[٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة، على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه»[٥].

ونبه الشيخ إلى أن الإنسان إذا رأى ربه في المنام فإنه «لا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلًا، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقًا أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس»[٦].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٣١٨) [مجمع الملك فهد للطباعة، ط٢، ١٤٢٦هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥) وصحَّحه، ونقل عن البخاري تصحيحه أيضًا، وأحمد في مسنده (٣٦/٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

وصحَّحه الإمام أحمد أيضًا، وقوَّاه ابن خزيمة، كما في تهذيب التهذيب (٦/١٨٦) [دار الفكر، ط١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٣٣٦)، وزاد المعاد (١/١٣٦).

(٤) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (١٢/٢٢٧) [المكتب الإسلامي، ط٢]، وشرح مسلم للنووي (١٥/٢٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/٧٣) [مطبعة الحكومة، ط١، ١٣٩٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٢/٣٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٣٩٠)، وانظر منه: (١٠/٦١٢)، ومنهاج السُّنَّة (٥/٣٧٦).

(٦) بيان تلبيس الجهمية (١/٧٣).

ـ المسألة الثالثة: رؤية النبي ﷺ في المنام:

لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الذي يرى النبي ﷺ في المنام فإنه يراه حقيقة؛ لأن الشيطان لا يتمثل به.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**»[(١)]. وفي رواية: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي**»[(٢)]، وفي رواية: «**فإن الشيطان لا يتخيل بي**»[(٣)]، وفي رواية: «**وإن الشيطان لا يتراءى بي**»[(٤)]، وفي رواية: «**لا ينبغي للشيطان أن يتشبّه بي**»[(٥)]، وفي رواية: «**من رآني فقد رأى الحق**»[(٦)].

فدلت هذه الأحاديث على أن من رأى النبي ﷺ في المنام، فإنه سيراه في اليقظة.

ومعنى قوله ﷺ: «**من رآني فقد رآني**»؛ أي: أنه قد رآه حقيقة؛ لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي ﷺ.

ومعنى قوله ﷺ: «**فسيراني في اليقظة**»؛ أي: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها[(٧)]، ويعضد ذلك ما جاء في رواية: «**فقد رأى الحق**».

وقيل: إن معناه: أنه سيراه يوم القيامة بمزيد خصوصية، مما يتضمن زيادة إكرام للرائي، لا بمجرد الرؤية العامة التي يراها جميع المؤمنين ممن لم يره ﷺ في المنام[(٨)].

ولكن، يشترط لاعتماد الرؤية للنبي ﷺ في المنام **أمران**:

١ ـ أن يكون قد رآه على صفته الثابتة في السُّنَّة، ويستوي في ذلك أن يرى النبي ﷺ على صفته حال شبابه، أو رجوليته، أو كهولته، أو آخر عمره، وأما إن كان قد رآه على غير صفته، فلا يعتد بذلك[(٩)].

٢ ـ ألا يأمره بما يخالف الشرع[(١٠)].

ـ المسألة الرابعة: الرؤيا ليست مصدرًا من مصادر الاستدلال في الشريعة:

هذا ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة وغالب طوائف الأمة، فلا يستفاد منها شيء من الأحكام الشرعية؛ بل لا بد من عرضها على الوحي، فإن وافقته وإلا ردت على صاحبها.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورؤيا الأنبياء

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).
(٢) أخرجها البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٣)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).
(٣) أخرجها البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٤).
(٤) أخرجها البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٥).
(٥) أخرجها مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٨).
(٦) أخرجها البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٦)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٧).
(٧) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٨٥)
(٨) فتح الباري (١٢/ ٣٨٥).
(٩) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٨٧).
(١٠) انظر: فتح الباري (١٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩، ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي؛ بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك»[١].

- المسألة الخامسة: الرؤيا وعلم الغيب، ومعنى كون الرؤية جزءًا من النبوة:

تقدم ذكر الحديث الصحيح: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**»، ومعنى ذلك: أنها جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوة في صدق الخبر، فإن الرؤيا الصادقة خبر صادق من الله، لا كذب فيه، وكذلك النبوة، فشابهت الرؤيا النبوة من هذا الوجه، وليس المراد بهذا أن الرؤيا مصدر من مصادر التشريع[٢].

قال الخطابي رحمه الله: «الرؤيا تجيء على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة»[٣].

وعلى هذا؛ فإن القسم الثاني والثالث من الرؤى (ما كان من الشيطان أو من حديث النفس) لا يفيد شيئًا من علم الغيب ولا من غيره.

وأما القسم الأول (الرؤيا التي من الله) فإن الرائي يمكن أن يعرف من خلالها شيئًا مما سيقع في المستقبل أو ما غاب عنه عن طريق هذه الرؤى، ولكن ذلك جزء من الغيب النسبي لا المطلق.

وأما الغيب المطلق فلا يكون بالرؤيا أبدًا؛ لأنه مما يختص به الله[٤].

الفروق:

الفرق بين الرؤيا والحلم:

معنى الرؤيا في اللغة مرادف لمعنى الحلم، إذ كلاهما يطلق على ما يراه الإنسان في منامه.

إلا أن الاصطلاح الشرعي قد غلب عليه إطلاق الرؤيا على ما كان خيرًا وحسنًا، وإطلاق الحلم على الشر القبيح[٥].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١).
(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٦٣).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٦٣).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٢٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٠٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/ ٢١)، وعلم الغيب في الشريعة الإسلامية لأحمد الغنيمان (٢٢٢ ـ ٢٣٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١].
(٥) انظر: النهاية لابن الأثير (٤٣٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، والرؤى عند أهل السُّنَّة والمخالفين (٦٤).

وقد دلَّ على هذا التفريق قوله ﷺ: **«الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»**[(١)].

وقد يأتي الإطلاق بخلاف ذلك؛ كقوله ﷺ: **«الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»**[(٢)].

الفرق بين الرؤيا والرؤية:

الرؤيا والرؤية هما مصدران للفعل الثلاثي رأى، إلا أن الرؤيا تطلق على ما يراه الإنسان في حال المنام، بينما تطلق الرؤية على ما يراه الإنسان في اليقظة[(٣)].

هذا هو الغالب في الاستعمال، وقد تأتي (الرؤيا) ويراد بها رؤية العينين في اليقظة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فالمراد بها: رؤية العين، وهي ما رآه ﷺ ليلة الإسراء من الآيات والعبر، كما صرح بذلك ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)]، وحكى الإمام الطبري إجماع الحجة من أهل التأويل على هذا التفسير[(٥)].

مذهب المخالفين:

لقد تعددت أقوال الفرق المخالفة في التعريف بالرؤيا وبيان حقيقتها، **وأهم ما قيل في ذلك ما يلي:**

١ ـ قال أكثر المعتزلة: إن ما يراه الإنسان في منامه خيالات باطلة، لا حقيقة لها، ولا تدل على شيء[(٦)].

وهذا القول بيِّن البطلان، فإنه مخالف للأدلة الثابتة من القرآن والسُّنَّة المبيِّنة لحقيقة الرؤى، وقد تقدم بعضها، والتي تدل على أن من الرؤى ما هو من الله، وأنها جزء من النبوة، وأن فيها اطلاع من الرائي على بعض الأمور المستقبلية، سواء كان ذلك من الأنبياء أو من غيرهم؛ كرؤيا ملك مصر التي أوَّلها له يوسف عليه السلام، وغيرها.

٢ ـ وأما الأشاعرة فقد قال جمع منهم بأن الرؤيا خيالات باطلة، وهذا قريب من قول المعتزلة السابق، في حين قال بعضهم بأن الرؤى إدراكات حقيقية[(٧)].

ومن غلطهم في ذلك تعريفهم الرؤيا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٧)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ٦٦٤ ـ ٦٦٥)، والرؤى عند أهل السُّنَّة والجماعة والمخالفين (٦٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٨٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٣).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ١٠٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وتفسير القرطبي (٩/ ١٢٤)، أبكار الأفكار للآمدي (٢/ ٣٢٥) [دار الكتب والآثار القومية بالقاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ]، وشرح المواقف للجرجاني (٢/ ١٤٢) [دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ]، وجواهر الكلام للإيجي (١٧٣).

(٧) نقل ذلك عنهم: الإيجي الأشعري، انظر: شرح المواقف له (٢/ ١٤٢).

بأنها: علوم علقها الله في النفس ابتداء بلا سبب.

وقد نقل هذا القول الإمام ابن القيِّم، ثم قال: «وهذا قول منكري الأسباب والحكم والقوى، وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة»[(١)].

٣ ـ وأما المتصوفة فقد غلوا في الرؤى، وتضاربت أقوالهم فيها.

فمنهم من زعم في بيانها أن النفس من عالم المجردات والمعقولات، فهي تستطيع أن تدرك المدركات المجردة التي تكون من جنسها إذا لم يشغلها شاغل من علائق البدن، فإذا قويت بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية، اتصلت بأبيها المقدس وبالنفوس الفلكية، وتلقت عنها المغيبات في نومها، كما يقع لها في يقظتها[(٢)].

وهذا القول مقارب لقول الفلاسفة في الرؤى.

وذهب بعض المتصوفة إلى أن الرؤى هي صور تقع في القلب من اللوح المحفوظ في حالة النوم، كما تقع الصورة من مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما[(٣)].

وذهب القائلون بوحدة الوجود منهم إلى أن الرؤيا لا تهبط من خارج، وإنما تصدر من باطن النفس؛ لأن الوجود حقيقة واحدة عندهم[(٤)].

ومن ضلال المتصوفة في الرؤى زعمهم أنها مصدر يقيني من مصادر التلقي، لا يتطرق إليه الشك والغلط، فهم يبنون عليها كثيرًا من عقائدهم الباطلة، ويستندون إليها في تصحيح طرقهم، وتزكية مشايخهم وترويج كتبهم[(٥)]، ويستمدون منها العقائد والأحكام، حتى ما لم يكن موجودًا في الكتاب والسُّنَّة، وربما اعتمدوا عليها في تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة، واعتماد بعض البدعي من الأذكار[(٦)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإلهام والكشف والرؤى، هل تعد مصادر للأحكام الشرعية»، ليوسف القرضاوي.

٢ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٣ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٤ ـ «الرؤى الصادقة: حجيتها

(١) الروح (٣٠).
(٢) هياكل النور للسهروردي (٤٣ ـ ٤٤) [المطبعة التجارية، ١٣٧٧هـ].
(٣) إحياء علوم الدين (٤/٥٣٧) [دار القلم، ط١].
(٤) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (١٣٦ ـ ١٣٧) [دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ]، والفتوحات المكية له (٢/٤٩٤) [دار صادر]، وانظر حول قولهم: الرؤى عند أهل السُّنَّة والمخالفين (٢٩٦).
(٥) كزعم ابن عربي أنه ألَّف كتابه الكفري فصوص الحكم بإذن النبي ﷺ له في المنام: فصوص الحكم (١٧).
(٦) انظر تفصيل ذلك والرد عليه في: الرؤى عند أهل السُّنَّة والمخالفين (٢٩٦ ـ ٣٢٥).

وضوابطها»، لخالد بن بكر آل عابد.

٥ ـ «الرؤى عند أهل السُّنَّة والجماعة والمخالفين»، لسهل العتيبي.

٦ ـ «الرؤى والأحلام بين النصوص الشرعية ومدرسة التحليل النفسي»، لأسامة الريس.

٧ ـ «الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية»، لأسامة الريّس.

٨ ـ «علم الغيب في الشريعة الإسلامية»، لأحمد بن عبد الله الغنيمان.

٩ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الرؤوف

التعريف لغة:

الرؤوف: صيغة مبالغة من اسم الفاعل: الرائف، يقال: رؤُف يرْأُفُ رأْفَةً، ورآفة، ومن ليّن الهمزة قال: رَوُف، فجعلها واوًا[(١)]، قال ابن فارس: «الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقّةٍ ورحمة»[(٢)]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] قال الزجاج: «لا ترحموهما فتسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد»[(٣)].

التعريف شرعًا:

الرؤوف: بالغ الكمال في الرحمة واللطف[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

من خلال ما تقدم من التعريف اللغوي والشرعي يتبين بأن الرؤوف في كلٍّ منهما يدل على الرحمة والرقة، غير أن التعريف الشرعي يختص بكون الرؤوف اسمًا من أسماء الله تعالى، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال في حقه سبحانه.

الأسماء الأخرى:

الرحمان، اللطيف.

الحكم:

يجب إثبات اسمه تعالى الرؤوف، والإيمان بما تضمنه من صفة الرأفة والرحمة واللطف كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الحقيقة:

اسمه تعالى الرؤوف يدل على العلمية والوصفية، فيوصف الله ﷻ بالرأفة والرحمة والتعطف على عباده المؤمنين

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٧١) [دار الجيل]، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٧٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١].
(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٤٧١).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٨).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ]، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة لعلوي السقاف (١١٩) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ].

بحفظهم في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، وإن جاز تسمية غير الله بهذا الاسم كما في وصف الله لنبيّه ﷺ بذلك في قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة]، إلا أن لله ما يختص به، وللبشر ما يختص به، فالاتفاق في الاسم لا يلزم منه تماثل المسمى.

الأدلة:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في آيات كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥﴾ [الحج].

أقوال أهل العلم:

١ ـ قال ابن جرير الطبري: «إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة»[(١)].

٢ ـ قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ: الرؤوف الرحيم»[(٢)].

٣ ـ قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسمائه: الرؤوف، وهو (فعول) من الرأفة»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

يشتق من اسمه تعالى (الرؤوف) صفة الرأفة، وهي صفة خبرية فعلية ثابتة لله ﷻ، والرأفة: هي أشد الرحمة وأبلغها، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف[(٤)].

الفروق:

الفرق بين الرأفة والرحمة:

نظرًا لاقتران صفة الرأفة بالرحمة في جميع الآيات التي وردت فيها صفة الرأفة، فقد تعددت أقوال العلماء في بيان الفرق بينهما:

١ ـ قيل: إن الرأفة والرحمة بمعنى واحد لا فرق بينهما[(٥)].

٢ ـ وقيل: إن الرأفة أشد من الرحمة، وأنها منتهى الرحمة وأبلغها[(٦)].

٣ ـ وقيل: إن الرأفة أعم من الرحمة؛ إذ الرحمة قد تكون بشيء مكروه أو عقيب البلاء، والرأفة خير من كل وجه[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٧٠ ـ ١٧١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) كتاب التوحيد لابن منده (٣٦١) [دار الفضيلة، ط١].

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤) [دار الراية].

(٤) انظر: الصحاح (٥/ ٤٨) [دار العلم، ط٤]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢) [دار الثقافة العربية].

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢).

(٦) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٩١).

(٧) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٧٣).

والخلاصة: أن الرأفة هي غاية شدة الرحمة وأبلغها، وتعم الخير، وتختص به، بخلاف الرحمة فإنها تعم الخير والشر الذي عاقبته خير.

الآثار[(١)]:

من آثار اسمه تعالى الرؤوف على العباد ما يلي:

١ ـ تمام نعمته وفضله عليهم.

٢ ـ توفيقهم للقيام بحقوقه وحقوق عباده.

٣ ـ تسهيل الطاعات لهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقون.

٤ ـ تحذيرهم من نفسه وعقابه.

٥ ـ قبوله لأعمالهم وإثابتهم عليها.

٦ ـ قبوله توبة التائبين منهم.

٧ ـ تسخيره لما في السماوات وما في الأرض لمصلحتهم.

مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ بالرأفة والرحمة كما يليق بجلاله، فصرفوها عن ظواهرها وعطلوها عن حقائقها، وقالوا: إن الرأفة والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية والله منزه عنها، ثم أوّلوا رأفته ورحمته بمعنى إرادة إنعامه وإحسانه ولطفه على عباده[(٢)].

وهذا الذي قالوه باطل لمخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل الدَّالة على إثبات صفة الرأفة لله ﷻ كما يليق بجلاله. وأنه يلزمهم إن نفوا الرأفة والرحمة أن ينفوا كذلك ما أثبتوه من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «أسماء الله الحسنى»، لابن القيِّم.

٥ ـ «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

---

(١) انظر معظمها في: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٣١ ـ ٢٣٢) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (١/٤٥) [دار إحياء التراث]، والإنصاف للباقلاني (٣٩) [المكتبة الأزهرية، ط٢، ١٣٢١هـ]، وتفسير للرازي (١٤/٢٨٦) [دار التراث العربي]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٤٧١) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ].

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الرأي

التعريف لغة:

الرأي: مصدر: رأى رأيًا، وجمعها: آراء. قال ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة»[(١)]. وقال الليث: «الرَّأيُ: رأي القلب». ويقال: ما أَضَلّ آرَاءهم، وما أَضلَّ رَأْيَهم. ويقال من (رأي) القلب: ارتأيت.

قال الشاعر:

ألا أيّها المُرْتَئِي في الأُمُورِ
سَيَجْلو العَمَى عَنْك تِبْيانُها[(٢)].

ويقال للقضية المستنتجة من الرأي: رأيٌ، ولعل هذا هو الغالب في الاستعمال.

كما قد يقال لكل قضية فرضها فارض رأي أيضًا[(٣)].

التعريف شرعًا:

بيَّن ابن القيِّم أن الرأي هو: «ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات. فلا يقال لمن رأى بقلبه أمرًا غائبًا عنه مما يحس به: إنه رأيه، ولا يقال أيضًا للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارات: إنه رأي، وإن احتاج إلى فكر وتأمل؛ كدقائق الحساب ونحوها»[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بينهما بيِّنة؛ بل ربما كانت متطابقة، فكلاهما بمعنى نظر البصيرة، والتفكر في الأمور.

سبب التسمية:

كان إطلاق (الرأي) على القضية المستنتجة من الرأي من باب استعمال المصدر في المفعول، وذلك من باب استعمال المصدر في المفعول؛ كالهوى في الأصل مصدر: هويه يهواه هوى، ثم استعمل في الشيء الذي يهوى، فيقال:

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٧٢) [دار الجيل، ط٢].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/٦٦) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، الكليات للكفوي (٤٨٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].
(٤) إعلام الموقعين (١/٦٦).

هذا هوى فلان[١].

الحكم:

حكم الرأي واعتماده في معرفة الحقيقة إنما يتبين بذكر أقسام الرأي. (انظر فقرة: الأقسام).

الحقيقة:

الرأي يتناول جميع ما يكون في فكر الإنسان مما يستدعي التأمل والنظر للوصول إلى حكم في قضية من القضايا، وعليه فيكون الرأي شاملًا للاجتهاد في تفهم معنى النص الشرعي، وتفسيره، والتحقق من انطباقه على الواقعة المعينة[٢]، كما يشمل إعمال الذهن في الأقيسة الشرعية، التي تستدعي النظر في علل الأحكام ومناطاتها وتعديتها إلى نظائرها[٣]، ويتناول كذلك: إعمال الفكر للنظر في مآلات الأفعال وعواقبها[٤]، والموازنة بين المصالح الفردية والجماعية[٥].

الأقسام:

الرأي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: **الرأي الصحيح**، وهذا قد استعمله السلف ـ من الصحابة ﭫ، فمن بعدهم من أئمة المسلمين ـ حيث عملوا به، وأفتوا به وسوغوا القول به.

ومن ذلك؛ أن أبا بكر ﭬ قال في الكلالة: «أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمن الله»[٦].

القسم الثاني: **الرأي الباطل**، وهذا قد نهى عنه السلف، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

وفيما يلي تفصيل القسمين:

القسم الأول: **الرأي المحمود:**

وله عدة أنواع:

النوع الأول: رأي الصحابة رضوان الله عليهم.

وهم أفقه هذه الأمة، وأَعلَمها بمعاني نصوص الشرع، وأكثرهم تقى، وأصفاهم فهمًا وفطرة، وأبعدهم عن التكلف، وأعمقهم فهما لمقاصد الشرع، فرأيهم في أحكام الشريعة أعلى أنواع

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٦٦).

(٢) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٦٧١) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ٩٠) [دار المعرفة، ط٢].

(٤) انظر: العدة لأبي يعلى (١/ ١٨٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ]، الواضح لابن عقيل (١/ ٢٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي لفتحي الدريني (٣٦، ٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ]، والرأي وأثره في مدرسة المدينة، لأبي بكر إسماعيل (٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتعبير عن الرأي لخالد الشمراني (١/ ٢٢ ـ ٢٥) [أطروحة دكتوراه في جامعة أم القرى، قسم الشريعة].

(٦) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب الفرائض، رقم ٣٠١٥)، والطبري في تفسيره (٨/ ٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١].

الرأي بلا ريب[(١)].

النوع الثاني: الرأي الذي يفسر النصوص، ويبيِّن وجه الدلالة منها.

قال عبدان: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث»[(٢)].

النوع الثالث: الذي أجمعت عليه الأمة، فهذا لا يكون إلا صوابًا، إذ الأمة معصومة من الإجماع على الخطأ[(٣)].

النوع الرابع: الرأي الحاصل ممن كان أهلًا للاجتهاد من أهل العلم بالشرع، إذا نظر في المسألة ولم يجد فيها نصًّا ثابتًا، ولا أثرًا لصحابي، فيجتهد برأيه، في بيان معنى النص، واستنباط الحكم منه على ما تقتضيه لغة العرب، أو الاعتبار به والقياس عليه، فينظر في ذلك ما كان أقرب إلى موافقة كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأقضية أصحابه، فهذا هو الرأي الذي سوَّغه الصحابة واستعملوه حيث لم يجدوا في المسألة نصًّا، وأقر بعضهم بعضًا عليه، وهو رأي لا بد منه، لئلا تتعطل أحكام الشرع[(٤)].

القسم الثاني: **الرأي الباطل**:

وله عدة أنواع:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص أو الإجماع؛ كالقياس والاستحسان العقلي المعارضين للنصوص الثابتة، ولما أجمع عليه المسلمون.

النوع الثاني: إعمال الرأي في تفسير كلام الله وسُنَّة رسوله ﷺ على غير ما تقتضيه اللغة العربية، وعلى خلاف ما جرت عليه النصوص الشرعية، وإنما بمحض الرأي والظن والهوى[(٥)].

النوع الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم.

النوع الرابع: الرأي الذي يرجع إلى الابتداع في الدين، وتغيير السنن وهجرها[(٦)].

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٧٩ ـ ٨١).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٦٥)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٤٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٤) [دار الكتب العلمية]، والهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ١٨٦).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٤) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٥)، والموافقات للشاطبي (٣/ ٤٢١) [دار المعرفة].

(٥) انظر: جامع بيان العلم (٢/ ١٠٣٩).

(٦) انظر: جامع بيان العلم (٢/ ١٠٥٢ ـ ١٠٥٣) [دار ابن الجوزي، ط١]، والاعتصام (١/ ٩٩) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ]، والفقيه والمتفقه (١/ ٥٠٢) (٢/ ١٤١) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ]، روضة الناظر ٢٨٤) [جامعة الإمام، ط٢، ١٣٩٩هـ]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) [دار المعرفة]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، الموافقات للشاطبي (٣/ ٤٢١) [دار =

۞ أقوال أهل العلم:

لقد تواترت النقول عن السلف الصالح ـ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ـ في ذم الرأي الباطل، **فمن ذلك ما يلي:**

قال أبو بكر رضي الله عنه: «أيّ أرض تقلني وأيّ سماء تظلُّني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم»[(١)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «السُّنَّة ما سَنَّه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّة للأمة»[(٢)].

وقال أحمد بن حنبل: «لا تكاد ترى أحدًا نظر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دغل»[(٣)].

قال ابن القيِّم بعدما نقل هذه الأقوال وغيرها عن السلف: «والمقصود: أن السلف جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسُّنَّة، وأنه لا يحل العمل به، لا فتيا، ولا قضاء، وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته للكتاب والسُّنَّة ولا موافقته فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه، من غير إلزام ولا إنكار على من خالفه»[(٤)].

۞ الأدلة:

عقد البخاري في «صحيحه» بابًا سمَّاه: «باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تقل: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]».

ثم ساق فيه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون**»[(٥)].

وساق فيه قول سهل بن حنيف رضي الله عنه: ««يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ عليه لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا، إلا أسهلن بنا إلى أمر

= المعرفة]، الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (٣/ ١٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ]، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٤/ ٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ١٦٢) [دار المعرفة، ١٣٩١هـ].

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦٨) [دار الصميعي، ط١]، وابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٠١٠٧) [مكتبة الرشد، ط١]، والطبري في تفسيره (١/ ٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وهو حسن بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٧) [دار ابن الجوزي، ط١].

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢، ١٠٥٤) وحسّن سنده المحقق، والإحكام لابن حزم (٦/ ٢٢١)، وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة (٤١) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ]، والاعتصام (٢/ ٣٣٣)، وإعلام الموقعين (١/ ٧٦).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٣٠٧)، وأخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٣).

نعرفه، غير هذا الأمر»[(١)].

ثم ساق البخاري بابًا قال فيه: «باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: «**لا أدري**»، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ أهل الرأي، وذم السلف لهم:

لقد شاع استعمال مصطلح (أهل الرأي) أو (أصحاب) عند السلف.

وقد جاء ذكر هذا المصطلح عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: «أصحاب الرأي ـ وفي رواية: أهل الرأي ـ أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم»[(٣)].

ولقد اختلف المراد بمصطلح (أهل الرأي) باختلاف العلم الذي يورد فيه، حيث اشتهر إطلاقه في علمي: العقيدة، والفقه.

فأما في إطلاقه في علم الاعتقاد، فإن المراد بمصطلح (أهل الرأي): أهل الكلام المبتدع، ممن قدم عقله ورأيه على نصوص الشرع، فنفى من العقائد ما لم يثبت برأيه وعقله، وإن كان ثابتًا في الشرع، وأثبت منها ما دلَّ عليه عقله ورأيه، ولو لم يثبته النص، فيدخل فيه المعتزلة والأشاعرة ونحوهم.

وسبب الذم لهم هٰهنا بيِّن؛ فإن باب الاعتقاد مقول بالتوقيف، ومصدره النص، وإعمال الرأي فيه إثباتًا ونفيًا بلا نور من الوحي زيغ وضلال، وهل ضل أعداء الرسل إلا لما أعملوا آراءهم في مثل هذه الأبواب والأصول؟[(٤)].

قال أبو بكر بن أبي داود: «أهل الرأي هم أهل البدع»[(٥)].

وأما إطلاقه في علوم الفقه من العبادات والمعاملات وغيرها، فهو الإطلاق الأشهر والأكثر، حيث أطلق مصطلح (أهل الرأي) و(أصحاب الرأي) على أتباع المذهب الحنفي، ممن توسع

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٣٠٨)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٠٠) [دار طوق النجاة، ط١].

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤١ ـ ١٠٤٢) [دار ابن الجوزي، ط١]، من طرق متعددة، وذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقال بعدها: «وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة».

(٤) حول استعمال مصطلح (أهل الرأي) في علم العقائد، انظر: التبصير في الدين للاسفراييني (١١٤)، وشرح العقيدة الأصبهانية لابن تيمية (١٤٣) [مكتبة الرشد]، ومجموع الفتاوى (٢/ ٥٥) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٨)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٨)

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٣٥)

في باب القياس والحيل، حيث قدموا آرائهم على بعض النصوص الثابتة، وهم بالمقابل يحتجون على آرائهم بالواهي من النصوص، كما كثر في فقههم الجدال وتوليد المسائل قبل وقوعها[1]، وهؤلاء قد وجد في كلام جمع من السلف شيء من الذم لمخالفتهم تلك.

روى ابن بطه بإسناده عن أبي داود السجستاني قال: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] ـ وذكر الحيل عن أصحاب الرأي ـ، فقال: «يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ»[2].

قال ابن القيِّم: «كان [الإمام أحمد] يدل على أهل المدينة، ويدل على الشافعي، ويدل على إسحاق، ولا خلاف عنه في استفتاء هؤلاء، ولا خلاف عنه في أنه لا يستفتى أهل الرأي المخالفون لسُنَّة رسول الله ﷺ»[3].

إلا أن الذم لهم دون الذم لسابقيهم من أهل الرأي في العقائد، لكون أبواب الفقه العملي يسوغ فيها من النظر والرأي والقياس ما لا يسوغ في العقائد المبنية على النص والتوقيف.

الفروق:

بما تقدم من تقسيم يعلم الفرق بين الرأي المحمود والرأي المذموم، وبه يعلم الجمع بين ما نقل عن بعض السلف من ذم للرأي، وما أثر عن بعضهم من استعماله، **وذلك أن الرأي نوعان:**

أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه؛ بل هو خرص وتخمين، فهذا الذي ذمه السلف.

والثاني: رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه[4].

الآثار:

لقد خلَّف الرأي الفاسد والقياس الباطل في تاريخ الأمة آثارًا سيئة، ما زالت الأمة تعاني من ويلاتها، **ومن ذلك:**

١ ـ رد نصوص الكتاب والسُّنَّة، الصريحة والصحيحة، لمجرد شبه فاسدة، وخيالات وأوهام، فردوا الشرع

(١) حول استعمال مصطلح (أهل الرأي) في علم الفقه، انظر: سنن الترمذي (٣/ ٢٤٠، ٤٢٠) [البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ]، والطهور للقاسم بن سلام (٢٠٠) [مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٠٤هـ] واستعماله في هذا المعنى شائع جدًّا.

(٢) إبطال الحيل لابن بطة (٥٤) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، وانظر تفصيل ذلك في: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٦١، ١٠٢) وما بعدها [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١١/ ٣٤١)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط٧].

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ٢٠٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ٨٣).

الذي ضمنت لنا عصمته، وأمرنا الله بالرجوع إليه، واعتاضوا عنه بالرأي الذي لم تضمن لنا عصمته.

٢ ـ وتبعًا لذلك فقد أدخلوا بالرأي الفاسد كثيرًا من البدع والخرافات والشبه الباطلات، والتي أفسدت على المسلمين عقائدهم وعباداتهم.

٣ ـ إدخال الشكوك على عموم الأمة بدينها، فإذا ما فتح باب الرأي في مواجهة الشرع، لم يمكن أن يغلق ذلك الباب، فكلٌّ له رأيه، وكلٌّ معجب بعقله.

٤ ـ أنهم قد فتحوا الباب لغلاة الزنادقة والملحدين والفلاسفة ليتسلطوا على نصوص الشرع بالتأويل والإبطال بالرأي المجرد، والتلاعب بالنصوص والنبوات بدعوى الرجوع للرأي.

وغير ذلك من الآثار التي يطول تتبعها[(١)].

مذهب المخالفين:

لقد كان منشأ الضلال عند عامة الفرق الضالة هو انحرافهم في الموقف من الرأي، حيث أعملوا الرأي المنحرف والقياس الفاسد، وجعلوا ذلك حاكمًا على نصوص الوحيين، ولا غرو، فإمامهم في ذلك إبليس، الذي عارض أمر الله بقياسه الفاسد، حين لم يمتثل لأمر الله له بالسجود؛ لأنه رأى أنه خير من آدم، حيث خلق آدم من طين، وخلق هو من النار، والنار ـ في رأيه الفاسد ـ أشرف من الطين، وعلى هذا سار أهل الضلال من أعداء الرسل على مر الأزمان.

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما قرر مذهب السلف من عدم المصير إلى الرأي إلا بعد الرجوع للسنن والآثار:

«وأما المتعصبون فإنهم عكسوا القضية ونظروا في السُّنَّة، فما وافق أقوالهم منها قبلوه، وما خالفها تحيلوا في رده أو رد دلالته، وإذا جاء نظير ذلك أو أضعف منه سندًا ودلالة وكان يوافق قولهم قبلوه ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعيهم وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالته، فإذا جاء ذلك السند بعينه أو أقوى منه ودلالته؛ كدلالة ذلك أو أقوى منه في خلاف قولهم دفعوه ولم يقبلوه»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة»، لعبد الرحمٰن سنوسي.

٢ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيِّم.

٣ ـ «التعبير عن الرأي: ضوابطه ومجالاته في الشريعة الإسلامية»، لخالد الشمراني.

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/٦٨).

(٢) المرجع السابق (١/٧٦).

٤ ـ «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.

٥ ـ «حرية الرأي: ضوابطها ومجالاتها في الإسلام»، لعلي السحيباني.

٦ ـ «ذم الكلام وأهله»، للهروي.

٧ ـ «الرأي وأثره في الفقه الإسلامي»، لإدريس جمعة.

٨ ـ «الرأي وأثره في مدرسة المدينة»، لأبي بكر إسماعيل.

٩ ـ «المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي»، لفتحي الدريني.

١٠ ـ «الموافقات في أصول الفقه»، للشاطبي.

رؤية الله

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة. فالرَّأي: ما يراه الإنسانُ في الأمر، وجمعه الآراء. رأَى فلانٌ الشيءَ وراءه، وهو مقلوب. والرئي: ما رأت العين من حال حسنة. والعرب تقول: رَيته في معنى رأيته وتراءى القوم؛ إذا رأى بعضهم بعضًا. وراءى فلان يرائي، وفعل ذلك رئاء الناس؛ وهو أن يفعل شيئًا ليراه الناس. والرواء: حسن المنظر. والمرآة معروفة. والترئية وإن شئت لينت الهمزة فقلت التربة: ما تراه الحائض من صفرة بعد دم حيض، أو أن ترى شيئًا من أمارات الحيض قبل. والرؤيا معروفة، والجمع رؤى»[(١)].

التعريف شرعًا:

رؤية الله: هي رؤية المؤمنين ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأبصارهم يوم القيامة[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي هو المعنى اللغوي بعينه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا اختلاف بينهما بل هما متفقان.

الحكم:

يجب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة تصديقًا لخبر الله عَزَّ وَجَلَّ وخبر نبيّه الأمين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحقيقة:

حقيقة الرؤية: هي إبصار الرائي للمرئي بالعين. ورؤية الله: هي رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة عيانًا من غير إحاطة ولا إدراك.

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٧٢ ـ ٤٧٣) [دار الجيل، ط٢].

(٢) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (١٣٢) [دار الثبات، ط١، ١٤٢٤هـ]، والرؤية للدارقطني (٩١ ـ ٩٣) [مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤١١هـ]، والتوحيد لابن خزيمة (٢/٥٤٨) [مكتبة الرشد، ط٥، ١٤١٤هـ].

الأدلة:

دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة والإجماع على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة رؤية بصرية قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

وأما أحاديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فقد بلغت حد التواتر، كما قال ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

فمنها حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته**»[2].

وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّ وَجَلَّ» وزاد في رواية: «ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»[3].

وأما إجماع السلف على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فقد حكاه غير واحد من العلماء، منهم ابن خزيمة؛ إذ يقول: «أهل قبلتنا من الصحابة، ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانًا»[4].

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]. وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]. فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»[5].

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «مذهب أهل السُّنَّة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يكرم أولياءه بالرؤية، يرونه بأعينهم كما شاء فضلًا منه ومنّة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة]، وحكي عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين] لما

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢٠٥).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٧٣)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨١).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (٢/٥٤٨).
(٥) كتاب السُّنَّة لابن أبي زمنين (١٢٠) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ].

حجب عنه الكفار دلَّ على أن المؤمنين يرونه»[(١)].

وقال ابن قدامة: «والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]، فلما حجب أولئك في حال السخط، دلَّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: رؤية الله تعالى في الدنيا:

لا شكَّ أن الله لا يُرى في الدنيا، وكل من ادعاها فهو كاذب لما في ذلك من النص والإجماع، أما النص فقد ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**تعَلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عزّ وجل حتى يموت**»[(٣)].

وأما الإجماع فقد ذكره ابن تيمية بقوله: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم»[(٤)].

وقال أيضًا: «وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين إنه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان»[(٥)].

ـ المسألة الثانية: رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا:

اختلف أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية النبي محمد ﷺ ربه ليلة المعراج؛ أرآه أم لا؟ والصحيح: أنه لم ير ربه بعين رأسه، وإنما رآه بفؤاده، قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الرؤية؛ فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»[(٦)]، وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه وتارة يقول رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد؛ تارة يطلق الرؤية؛ وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين؛ كما

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٢٤) [دار الراية، ط٢].
(٢) لمعة الاعتقاد (٢٠) [الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ].
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥١٢).
(٥) المرجع السابق (٣/ ٣٩٠).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٦).

سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسُّنَّة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في «صحيح مسلم»[(١)]، «عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: **نور أنّى أراه**»»[(٢)].

وقال ابن أبي العز: «فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه؛ بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في «صحيحه»، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنّى أراه**». وفي رواية: «**رأيت نورًا**»[(٣)]. وقد روى مسلم أيضًا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور**» ـ وفي رواية: **النار** ـ «**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(٤)]. فيكون ـ والله أعلم ـ معنى قوله لأبي ذر: «**رأيت نورًا**»: أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «**نور أنّى أراه**»: النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنّى أراه؟ أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية. والله أعلم»[(٥)].

وقال أيضًا: «وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه»[(٦)].

وأما قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم] فالمراد بالمرئي جبريل عليه السلام، رآه مرتين في صورته التي خلق عليها[(٧)].

ـ المسألة الثالثة: مواضع رؤية الله عز وجل يوم القيامة:

دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم في الموقف وفي الجنة **وبيانه على النحو التالي:**

ـ رؤية المؤمنين ربهم في الموقف، ومما يدل عليها ما جاء في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن الناس

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).
(٣) أخرجهما مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).
(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٢٤).
(٦) المرجع السابق (١/ ٢٧٥).
(٧) المرجع السابق (١/ ٢٧٥).

قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**»[(١)].

- رؤية المؤمنين ربهم في الجنة ومما يدل عليها حديث صهيب المتقدم، ومنها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]. قال ابن خزيمة في هذه الآية: «وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جلّ ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة»[(٢)].

- المسألة الرابعة: رؤية الكفار والمنافقين ربهم في الآخرة، وهذا فيه ثلاثة أقوال لأهل السُّنَّة:

القول الأول: أنهم لا يرون الله مطلقًا؛ لصريح قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

القول الثاني: يراه المنافقون فقط في الموقف ثم يحتجب عنهم ودليلهم ما جاء في حديث أبي هريرة؛ أن الناس قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها** - شك إبراهيم - **فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**»[(٣)].

القول الثالث: أنهم يرون الله رؤية تعريف وتعذيب[(٤)]؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣١] وذكروا أن «اللقاء يدل على الرؤية والمعاينة»[(٥)].

ولعل الراجح هو القول الأول لصريح القرآن في حجب الكفار عن رؤية الله[(٦)]، وأما الأدلة الأخرى فليست نصًّا قاطعًا في الموضوع[(٧)].

- المسألة الخامسة: الرؤية القلبية:

وهي رؤية الله بالقلب، كما حصل للنبي ﷺ ليلة المعراج في أرجح الأقوال كما تقدم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٤٣).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) انظر هذه الأقوال في: مجموع الفتاوى (٦/٤٨٧ - ٤٨٨)، وشرح الطحاوية (١/٢٢١)، ورؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن ناصر (١٨٦) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤١١هـ].

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٤٨٨).

(٦) وانظر أيضًا: دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر لعبد العزيز الرومي (١٣٥ - ١٣٦) [مكتبة المعارف، الرياض]

(٧) انظر مناقشتها في كتاب: رؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن ناصر (١٨٦ - ١٨٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقلوب مفطورة على أن يتجلى لها من الحقائق ما هي مستعدة لتجليها فيها، فإذا تجلى فيها شيء أحست به إحساسًا باطنًا تجليه فيها.

وأيضًا فنفس مشاهدة القلوب لنفسه تبارك وتعالى أمر ممكن، وإن كان ذلك قد يقال: إنه مختص ببعض الخلق، كما قال أبو ذر وابن عباس وغيرهما من السلف: «إن نبيَّنا ﷺ رأى ربه بفؤاده». وقال ابن عباس: رآه بفؤاده مرتين.

فهذا النوع إذا كان ممكنًا، وقد قيل: إنه واقع، لم يمكن نفيه إلا بدليل»[1].

وقال ابن القيِّم: «وإن قال: إنما هو كشف العيان القلبي بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مرئي للعبد، كما قال النبي ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**» فهذا حق وهو قوة علم ومزيد يقين فقط»[2].

وأما الرؤية القلبية لغيره ﷺ من المؤمنين فقد ذهب غير واحد من أهل العلم إلى جواز وقوعها[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضًا من الرؤيا: نظير ما يحصل للنائم في المنام: فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم. وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا»[4].

- **المسألة السادسة: رؤية الله تعالى في المنام:**

دلَّت بعض النصوص على رؤية النبي ﷺ ربَّه في المنام، منها: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أنه قال: «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا فثوّب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم دعا بصوته فقال لنا: «**على مصافكم كما أنتم**»، ثم انفتل إلينا ثم قال: «**أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ربِّ، قالها ثلاثًا، قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات،**

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤١) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢١٦) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ]

(٣) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن ناصر (١٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٩٠).

والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات»»[1] **الحديث.**

ونقل ابن القيِّم عن شيخه ابن تيمية أنه قال: «وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**رأيت ربي تبارك وتعالى**» ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة، لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: نعم رآه حقًّا، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد»[2].

وهذه الرؤية المنامية يجوز وقوعها أيضًا للمؤمنين، فيرى المؤمن ربه منامًا في صور متنوعة على حسب قوة وضعف إيمانه. قال ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل؛ لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»[3].

وقال أيضًا: «وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلًا ينكر ذلك فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره»[4].

- المسألة السابعة: لقاء العباد لله تعالى:

ثبت في نصوص الكتاب والسُّنَّة أن العباد يلاقون الله تعالى، فمنهم يحب لقاء الله تعالى، ومنهم من يكرهه، فعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، قالت عائشة، أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: **ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[5].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي أقول

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٣٦/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، ونقل عن البخاري مثل ذلك.
وصحَّحه الإمام أحمد أيضًا، وقوَّاه ابن خزيمة، كما في تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٦) [دار الفكر، ط١].
وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٩٠).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٣) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٣).

في معنى هذا الحديث ما شهدت به الآثار المرفوعة، وهي الملجأ والحجة لمن لجأ إليها، وذلك والله أعلم عند معاينة الإنسان ما يعانيه عند حضور أجله، فإذا رأى ما يكره لم يحب الخروج من الدنيا، ولا لقاء ما عاين مما يصير إليه، وأحب لو بقي في الدنيا ليتوب ويعمل صالحًا، وإن رأى ما يحب أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته لحسن ما يعاين من ذلك»[(١)].

وقال ابن تيمية: «أما اللقاء فقد فسَّره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله عز وجل في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم.

وروي عن عبد الله بن المبارك؛ أنه قال في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف]، ولا يرائى أو قال: ولا يخبر به أحدًا، وجعلوا اللقاء يتضمن **معنيين:**

أحدهما: السير إلى الملك.

والثاني: معاينته كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق].

فذكر أنه يكدح إلى الله عز وجل فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن السلوك والسير إليه واللقاء يعقبهما.

وأما المعاينة من غير مسير إليه؛ كمعاينة الشمس والقمر فلا يسمى لقاء، وقد يراد باللقاء الوصول إلى الشيء، والوصول إلى الشيء بحسبه»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه أنه كراهة الموت، وأخبرهم أن هذا للكافر إذا احتضر وبشر بالعذاب؛ فإنه حينئذ يكره لقاء الله، والله يكره لقاءه، وأن المؤمن إذا احتضر وبشر بكرامة الله أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه»[(٣)].

الآثار:

الإيمان برؤية المؤمن لربه يوم القيامة، يبعث في النفس التأهب لملاقاة الله، وذلك بتحقيق العبادة لله والإكثار من الأعمال الصالحة؛ ليفوز برؤية الله التي هي أعلى مطلب للمؤمن؛ لأنه لا يرى الله إلا أهل الإيمان، وشوق أهل الإيمان إلى رؤية مولاهم الرحيم الرحمٰن البر الكريم الواسع العليم فوق كل وصف. فمن أيقن برؤية الله في الآخرة دفعه هذا الإيمان إلى السعي لها سعيها المطلوب، وصارت همه الأكبر.

---

(١) الاستذكار (٣/٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٣) إعلام الموقعين (١/٣٥١) [دار الجيل، ١٩٧٣].

۞ مذهب المخالفين:

المخالفون في الرؤية طائفتان:

الأولى: من ينفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وهم الجهمية[١] والمعتزلة[٢] والروافض[٣] والخوارج[٤] فقد ذهبوا جميعًا إلى إنكار رؤية الله في الآخرة، وعدم تجويزها بحال.

۞ الرد عليهم:

عمدة النفاة هو تعلقهم ببعض الشبه، ولعل أبرزها تعلقهم الهزيل بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ الآية، من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ يدل على نفي الرؤية. وهذا غير صحيح؛ بل الآية تدل على الرؤية **لما يلي:**

الأول: أن موسى كليم الله سأل ربه أن يراه، ولا يظن به أن يسأل ما لا يجوز على الله.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان سؤاله منكرًا لأنكره عليه كما أنكر على نوح سؤاله نجاة ابنه من الغرق، فدل ذلك على جواز الرؤية.

الثالث: أن الله أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل له: إني لست بمرئي أو: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، والفرق بين الإجابتين واضح لمن تأمله.

الرابع: أن الله علَّق رؤيته بأمر ممكن وهو استقرار الجبل، فإن الله قادر على أن يثبت الجبل مكانه، ولو كانت رؤية الله مستحيلة لما علقها به.

الخامس: أن الله تجلى للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف لا يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه المتقين؟[٥].

السادس: أن الرؤية المنفية هنا في الآية هي الرؤية الدنيوية، والرؤية التي أثبتها أهل السُّنَّة بناء على النصوص المتقدمة هي الرؤية الأخروية، فلا تعارض بين الآية وبين القول برؤية الله في الآخرة.

هذا كله إضافة إلى النصوص الصريحة التي تقدمت تحت فقرة (الأدلة) على ثبوت رؤية الله في الآخرة.

الطائفة الثانية: من يزعم أن الله يرى في الدنيا وأنه يسامر ويحاكي بعض الناس[٦].

---

(١) انظر: نقض الدارمي على المريسي (١/ ٣٥٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٣٢) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر على سبيل المثال: رسائل المرتضى (٣/ ١١) [مطبعة الخيام، قم].

(٤) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٢٤٢) [عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٥) انظر: حادي الأرواح (١٩٧) وما بعدها.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٧١).

الرد عليهم:

لا شكَّ أن هذا القول ـ وإن لم يذكر لنا أبو الحسن الأشعري قائله ـ فاسد؛ لمصادمته النص والإجماع، أما النص فلما ثبت عن المعصوم ﷺ؛ أنه قال: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه** ﷻ **حتى يموت**»[1].

وأما الإجماع فقد نقله بعض أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم»[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبيِّنا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ»[3].

فرؤية الله في الدنيا لا تقع لأحد في الدنيا، ومن ادعاها فهو كاذب.

وأما الأشاعرة وإن كانوا يثبتون الرؤية بشكل عام، إلا أن متأخريهم خالفوا معتقد أهل السُّنَّة من **وجهين**:

الوجه الأول: أنهم قيدوا الرؤية بما يدل على نفيها، وهو زعمهم أنه يرى لا في جهة، لا أمام الرائي ولا خلفه ولا يمينه ولا يساره ولا فوقه ولا تحته وهذا نفي محض.

الوجه الثاني: أن بعض الأشاعرة نفى كون الرؤية نعيمًا يتلذذ ويتنعم به المؤمنون.

وهذا كله مخالف لصريح الأدلة التي سار على مقتضاها سلف الأمة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «التوحيد» (ج٢)، لابن خزيمة.
٢ ـ «حادي الأرواح»، لابن القيِّم.
٣ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، لأبي القاسم الأصبهاني.
٤ ـ «رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها»، لأحمد بن ناصر آل حمد.
٥ ـ «رؤية النبي ﷺ لربه»، لمحمد بن خليفة التميمي.
٦ ـ «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.
٧ ـ «شرح الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.
٨ ـ كتاب «الرؤية»، للدارقطني.
٩ ـ كتاب «السُّنَّة»، لابن أبي زمنين.
١٠ ـ «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد» (ج١).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٥١٢).
(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٢٢).

الراجفة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الرادفة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الرافع الخافض

التعريف لغة:

الرافع: اسم فاعل من رَفَعَ، قال ابن فارس: «الراء والفاء والعين أصل واحد يدل على خلاف الوضع، تقول: رفعت الشيء رفعًا، وهو خلاف الخَفْض»[(١)].

والخافض: اسم فاعل من الخفض، وهو نقيض الرفع، وقيل: هو الانحطاط بعد الرفع[(٢)]. قال القرطبي: «الخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والإهانة، وربما ترتب أحدهما على الآخر بزيادة الدرجات في المكان بحسب الزيادة في المكانة»[(٣)].

التعريف شرعًا:

الخافض الرافع: هو الذي يرفع من يستحق الرفع من أوليائه، القائمين بالعلم والإيمان، ويخفض من استحق الخفض من أعدائه، وهو سبحانه المعز لأهل طاعته، والمذل لأهل معصيته، كما أنه سبحانه فضَّل بعض خلقه على بعض[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

إن المعنى اللغوي للخفض والرفع ثابت لله ﷻ على الإطلاق، وإن كان غيره يرفع ويخفض، لكن لله من هذين المعنيين الحظ الأكمل والأوفر.

الحكم:

يجب إثبات هذين الاسمين لله ﷻ على وجه الاقتران، ويجب الإيمان بأن الله هو الرافع الخافض؛ لأن الرافع الخافض: اسمان من أسماء الله المقترنة المتقابلة، فلا يطلقان على الله إلا مقترنين معًا، فهما بمنزلة الاسم الواحد؛ لأن الكمال في اقتران كل منهما بما يقابله[(٥)]، وإذا أفرد أحدهما أوهم نقصًا[(٦)].

الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه

---

(١) مقاييس اللغة (٤١٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (٧/ ١١٣) [الدار المصرية للتأليف]، والصحاح (٣/ ١٠٧٤) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) الأسنى (١/ ٣٦٥) [دار الصحابة بطنطا، ط١].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٩٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٤)، الحق الواضح المبين للسعدي (٨٩)، وراجع: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠) [دار الثقافة العربية].

(٥) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٢، و٣٢٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وانظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/ ١١٣) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: أعلام السُّنَّة المشهورة (٢٩) [دار الزاحم، ط١، ١٤٢٦هـ].

حقيقة، وحقيقة كون الله تعالى خافضًا رافعًا، يبيِّنها الأدلة الآتية في قسم الأدلة، فالله تعالى «يخفض من استحق الخفض من أعدائه، ويرفع من استحق الرفع من أوليائه وكل ذلك حكمة منه وصواب»[(١)]. وهو سبحانه «يخفض القسط، ويرفعه، أو يخفض الكفار بالخِزي، والصَّغار، ويرفع المؤمنين بالنصر والإعزار، أو يخفض أعداءه بالإبعاد، ويرفع أولياءه بالتقريب والإسعاد، أو يخفض أهل الشقاء بالطبع والإضلال، ويرفع ذوي السَّعادة بالتوفيق والإرشاد»[(٢)].

الأدلة:

من أدلة هذين الاسمين قول الله ﷻ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وقول النبي ﷺ: «**يد الله ملأى، لا يغيضها نفقةٌ سحّاءُ الليل والنهار**. وقال: **أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده**. وقال: **عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»[(٤)]، وقوله ﷺ: «**إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه**»[(٥)]، وفي رواية: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه**»[(٦)]، وقوله ﷺ: «**والميزان بيد الرحمٰن يرفع أقوامًا، ويخفِض آخرين إلى يوم القيامة**»[(٧)]، وقوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمٰن] قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويخفِض آخرين**»[(٨)]، وقوله ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**»[(٩)].

ونقل القرطبي إجماع الأمة على إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ[(١٠)].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٩٠٢).

(٣) هذه الجملة جزء من الآية (٨٣) في سورة الأنعام، و(٧٦) في سورة يوسف.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١١، ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٦) المصدر السابق.

(٧) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٩٩)، وأحمد (٢٩/ ١٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٤٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٦) وصحَّحه، وصحَّحه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٧٤٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠٢)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٦٨٩)، وحسَّن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٨) [دار العربية، ط٢].
وصوَّب الدارقطني وقفَه على أبي الدرداء ﵁. العلل (٦/ ٢٢٩).

(٩) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٨١٧).

(١٠) الأسنى (١/ ٣٦٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «أسماء الله المقترنة؛ كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز والمذل، الخافض الرافع، فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه؛ لأن اقترانها يدل على العموم»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «من أسمائه: الغفور، الرحيم، العفو، الحليم، الخافض الرافع، المعز المذل، المحيي المميت، الوارث، الصبور، ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء، فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وذريته دارًا يظهر عليهم فيها أثر أسمائه تعالى؛ فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء، ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء»[(٢)].

وقال السعدي: «القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، المانع المعطي، الضار النافع، هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق، والرحمة، والقلوب، وهو الرافع للأقوام القائمين بالعلم والإيمان الخافض لأعدائه»[(٣)].

وقال حافظ الحكمي: «إن من أسماء الله ﷻ ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله، فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا تعالى الله عن ذلك، فمنها: المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله ﷻ المانع الضار القابض المذل الخافض؛ كلًّا على انفراده؛ بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها؛ إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك»[(٤)].

الشروط:

يشترط في إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ أن يكونا مقترنين؛ لأن الكمال في اقتران كلٍّ منهما بما يقابله[(٥)]، وإذا أفرد أَوْهم نقصًا فلا يجوز إطلاق اسم: الضار، أو الخافض، أو المانع، أو المذل منفردًا بل يذكر مع مقابله، ولم يطلق قط شيء منها في الوحي كذلك، لا في الكتاب ولا في السُّنَّة[(٦)]، وقال البيهقي: «لا ينبغي أن يفرد الخافض عن الرافع في الدعاء»[(٧)].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٩٤).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣) [دار الكتب العلمية].
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧١) [مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٣٣، عام ١٤٢١هـ].
(٤) معارج القبول (١١٧) [دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ].
(٥) معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٢، و٣٢٧).
(٦) أنظر: أعلام السُّنَّة المشهورة (٢٩)، وانظر: أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١٣٠).
(٧) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٢).

المسائل المتعلقة:

اختلف أقوال أهل العلم في إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ، فمجموعة من العلماء أثبتوا الرافع دون الخافض[(١)]، ولم يذكرهما آخرون ضمن أسماء الله الحسنى[(٢)]، وذكرهما بعض العلماء وأثبتوهما لله سبحانه وتعالى[(٣)]، ومنهم من ذكرهما ولكن اشترطوا لإطلاق هذين الاسمين على الله أن يذكرا معًا ولا يفرد أحدهما عن الآخر[(٤)]، قال البيهقي: «لا ينبغي أن يفرد الخافض عن الرافع في الدعاء»[(٥)]. ولعل قول من أثبتهما بشرط أن يذكرا معًا، هو الراجح، والله أعلم.

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/١٢٨) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]، وابن الوزير في إيثار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) حيث ذكروا الأسماء الثابتة لله تعالى ـ عندهم ـ ولم يذكروا هذين الاسمين، انظر: فتح الباري (١١/٢٦٢) [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ]، والمحلى (٨/٣١) [المنيرية بمصر ١٣٥٢هـ]، واشتقاق أسماء الله (٢٣) وما بعدها [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين ضمن مجموع فتاويه (٣/٢٧٧) [دار الثريا، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١١٣، و١٣٠).

(٣) أحكام القرآن (٢/٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ]، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٣٧).

(٤) شأن الدعاء (٥٨)، والأسماء والصفات (١/١٩٢)، الحجة في بيان المحجة (١/١٥٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/٩٤) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٣/٣٠٠ ـ ٣٠١) [مجمع الملك فهد، ط١، ١٤٢٦هـ]، والجوائز والصلات (٧٩) [الفاروقية، الهند، ١٢٩٧هـ]، وأعلام السُّنَّة المشهورة (٢٩) [دار الزاحم، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٢).

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام القرآن»، لابن العربي.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، للقرطبي.

٤ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٥ ـ «إيثار الحق»، لابن الوزير.

٦ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

٧ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٨ ـ «الجوائز والصلات»، لنور الحسن.

٩ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، لقوام السُّنَّة.

١٠ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

الربّ

التعريف لغة:

يطلق الربّ في اللغة على معان منها: المالك، قال الله تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، والمصلح؛ ربَّ الشيءَ؛ أي: أصلحه[(٦)]، قال ابن الأثير: «الربّ يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي،

(٦) تهذيب اللغة (١٥/١٧٧) [دار الكاتب العربي، ١٩٧٦م].

والقيم، والمنعم»[١]. ومن المعاني: الخالق والصاحب، قال ابن فارس: «فالرب: المالك، والخالق، والصاحب»[٢].

التعريف شرعًا:

الربّ: هو المربي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النِّعم. وأَخَصُّ من هذا: تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»[٣].

قال ابن جرير الطبري في تعريف الربّ: «ربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»[٤].

وقال ابن تيمية: «الربّ: هو المربي، الخالق الرازق الناصر الهادي»[٥].

وقال السعدي: «الربّ: هو المربي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم. وأَخَصُّ من هذا: تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»[٦].

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٢١) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].
(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٣) تفسير السعدي (١/ ١) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٤) جامع البيان (١/ ١٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ١٣).
(٦) تفسير السعدي (١/ ١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

جميع المعاني اللغوية ثابتة لله تعالى وأنه الأكمل فيها على الإطلاق، وإن ثبت من المعاني شيء لغير الله فمقيدة أو مضافة.

الحكم:

وجوب إثبات اسم الربّ لله ﷻ، ووجوب الإيمان بأن له الربوبية العامة المطلقة.

الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه حقيقة، كما أن بعض معاني تلك الأسماء تطلق على المخلوق حقيقة، لكن الحقيقة تختلف بين الخالق والمخلوق، فكلٌّ له حقيقة تناسبه، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللربِّ تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به، ويتضمن اسم الرب من المعاني كمال المالكية، والسؤدد، والتدبير، والربوبية، والقيومية، والخالقية، فالله ﷻ هو على الحقيقة مدبر لخلقه، ومربيهم وجابرهم، القائم بأمورهم، قيوم الدنيا والآخرة، كل شيء خلقه، وكل مذكور سواه عبده، وهو ـ سبحانه ـ ربه، لا يصلح إلا بتدبيره، ولا يقوم إلا بأمره، ولا يربه سواه[٧].

(٧) الأسنى (١/ ٣٩٥).

الأدلة:

ورد هذا الاسم مضافًا في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، منها في بداية القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، ومنها في ختم القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس]، ومنها قوله تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [آل عمران: ٥١]، وهذا في القرآن الكريم كثير جدًّا، وورد غير مضاف في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس]، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ [سبأ]، وورد مضافًا وغير مضاف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وورد في السُّنَّة مضافًا في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح**»[(١)]، وورد محلى بأل في قوله ﷺ: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرب**»[(٢)]، غير مضاف ولا محلى بأل في قوله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**»[(٣)]، ونقل القرطبي إجماع الأمة على إطلاق الربّ على الله ﷻ[(٤)].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٤).
(٤) الأسنى (١/ ٣٩١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ: الربّ، ربّ كل شيء ومليكه وهو من الأسماء المستعارة لعبده إذا ملك قيل ربه»[(٥)]، ونقل القرطبي إجماع الأمة على إثبات اسم الرب لله تعالى، حتى قال: «عجبًا لمن سرد الأسماء في حديث أبي هريرة حيث أغفل عن هذا الاسم العظيم القدر وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم»[(٦)].

وقال ابن تيمية: «وجميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب ولهذا يقال في الدعاء: يا ربِّ يا ربِّ كما قال آدم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف] وكذلك سائر الأنبياء»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم إطلاق الرب على غير الله تعالى:

لا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة؛ فلا يقال (الربّ) معرّفًا بالألف واللام مطلقًا إلا لله ﷻ لأنه مالك كل شيء[(٨)]، وإذا أطلق على غيره أضيف كربّ الإبل وربّ الدار.

(٥) التوحيد لابن منده (٢/ ٥٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٣هـ].
(٦) الأسنى (١/ ٣٩١).
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٠٧).
(٨) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة (٢/ ١٢٥) [دار الرضوان، ط١، ١٤٢٥هـ].

ـ المسألة الثانية: الفرق بين الربّ والإلٰه:

الربّ لغة: تقدم معناه، **والإلٰه في اللغة:** هو المعبود، ويطلق الرب على الإلٰه لا العكس، فلا يطلق الإلٰه على معنى الرب، ومن أدلة إطلاق الرب على الإلٰه، قول القائل:

«أربًا واحدًا أم ألف رب
أدين إذا تقسّمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعًا
كذلك يفعل الرجل البصير»[(١)].

وقول القائل:

«أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب»[(٢)]

ففي البيتين معنى الرب هو الإلٰه المعبود، كما يدل عليه السياق، إذ لم يكن مشركو مكة يقرون بربوبية اللات والعزى بمعناه الخالق المالك المصلح، وإنما كانوا يعبدونها ويألهونها، كما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد جاء الربّ بمعنى الإلٰه المعبود في حديث سؤال الملكين في القبر: «**من ربك؟**»[(٣)]؛ أي: من إلٰهك الذي كنت تعبده؟ وليس السؤال عن الخالق المالك المدبر؛ إذ لا يوجد من ينكر ذلك؛ بل جميع الأمم متفقون على ربوبية الله ﷻ، وإنما الخلاف في إلٰهيته ومعبوديته.

ـ المسألة الثالثة: ربوبيته ﷻ عامة وخاصة:

قال السعدي: «وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. **فالعامة:** هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. **والخاصة:** تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة»[(٤)].

ـ المسألة الرابعة: هل الرب هو اسم الله الأعظم؟

قال القرطبي بعد أن نقل إجماع الأمة

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٤٤) [مؤسسة الحلبي].

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ١٩٤) (باب ما وقع في قدوم راشد بن عبد ربه) والبيت لراشد.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم ٢٨٧١) واللفظ له.

(٤) تفسير السعدي (٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وانظر: شرح العقيدة لابن عثيمين (٢٨٥) [دار ابن الجوزي، الرياض، ط٥، ١٤١٩هـ]، وشرح رياض الصالحين له (٢/ ٢٥٩) [دار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].

على إثبات اسم الرب لله تعالى: «قيل: إنه اسم الله الأعظم»[(١)] ولم أقف على أحد من أهل العلم المحققين ممن عدّه اسم الله الأعظم، ولم أقف على مستند لمن عدَّه من اسم الله الأعظم، قد ورد في بعض الأحاديث اسم الله الأعظم كحديث: «اللَّهُمَّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلـه إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»، قال: فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[(٢)]، وكذلك في حديث: «اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[(٣)]؛ ففي هذين الحديثين يوجد اسم الله الأعظم بنص صريح من النبي ﷺ، ولا يوجد فيه اسم (الربّ) فدل على أن اسم الله الأعظم هو غير اسمه (الربّ) سبحانه وتعالى.

الثمرات:

من ثمرات هذا الاسم المبارك: كثرة دعاء الداعي بهذا الاسم؛ لأنه من التربية كما تقدم، فيدعوه الداعي بهذا الاسم ليصلح حاله إلى أحسن الأحوال، ولذا كثرت الأدعية به في القرآن الكريم، وفي الحديث: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا ربّ! يا ربّ!**»[(٤)]، وإذا علم العبد وآمن بأن الله هو ربه؛ أي: مالكه ومعبوده، وسيده المطاع، ومدبر أمره كله، ومربيه من النطفة إلى أكمل الخلق ثم من الصغر إلى ما هو فيه، والمنعم عليه على الحقيقة، فلا يلتجئ في شيء من الأشياء لغير ربه، فيخلص له العبادة، بأخص أخصها وهو الدعاء.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
٢ ـ «الأسنى»، للقرطبي.
٣ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
٤ ـ «إيثار الحق»، لابن الوزير.

(١) الأسنى (١/ ٣٩١).
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد (٣٨/ ٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٢٩) [مؤسسة غراس، ط١].
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٣٣) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٥).

٥ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.
٦ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصفهاني.
٧ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.
٨ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.
٩ ـ «كتاب التوحيد»، لابن منده.
١٠ ـ «المحلى»، لابن حزم.

الرّبوبية

التعريف لغة:

يقول ابن فارس: «الراء والباء يدل على أصول. فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرّب: المالك، والخالق، والصاحب. والرّب: المصلح للشيء. يقال: ربَّ فلانٌ ضَيعَته؛ إذا قام على إصلاحها... والله جلّ ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه»[(١)].

وقال الجوهري: «ربُّ كل شيء مالكه، والرّب اسم من أسماء الله ﷻ ولا يقال في غيره إلا بالإضافة... ورَببت القوم سستهم؛ أي: كنت فوقهم... ورَبَّ الضيعة؛ أي: أصلحها وأتمها. ورَبَّ فلان ولده يربه ربًّا، وربَبه، وتربَّبه، بمعنىً؛ أي: رباه»[(٢)].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) [دار الجيل، ط١]، وانظر: الصحاح (١/ ١٣٠ ـ ١٣٢) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٣) [دار صادر].

(٢) الصحاح (١/ ١٣٠ ـ ١٣٢)، وانظر: العين (٨/ ٢٥٧) [دار مكتبة الهلال].

وقال ابن الأثير: «الرّب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم والمنعم»[(٣)]. فالربوبية تجمع الملك والسيادة والإصلاح والإنعام.

التعريف شرعًا:

الربوبية صفة ذاتية لله ﷻ، وهي بمعنى: السيد والمالك والمتصرف والمنعم والمربي والمصلح. يقول الإمام الطبري في معنى الربّ أنه: «السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»[(٤)].

قال ابن تيمية: «والرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله، من العبادة وغيرها»[(٥)]. وقال ابن القيِّم: «والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح»[(٦)].

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩) [المكتبة الإسلامية]، وانظر: اللسان (١/ ٤٠١).

(٤) جامع البيان (١/ ٦٢) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، وانظر: (١٠/ ٢٨٤) من المصدر نفسه.

(٦) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢) [مكتبة الرياض الحديثة]، وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، ومدارج السالكين (١/ ٣٤ ـ ٣٥) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ]، ومن كتب المتكلمين: أصول الدين للبغدادي (١٢٥) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]، والمطالب العالية (٩/ ٢٩١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

وقال السعدي: «الرب هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه؛ بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى متطابق لغةً وشرعًا، وقد خصص الشرع الربوبية لله ﷻ.

الحقيقة:

حقيقة الربوبية وخصائصها هي ما يختص الرب به من الصفات التي لا يوصف بها غيره، والكمال المطلق الذي يمتنع وجوده في غيره. فالصفات التي يختص بها كالخلق والإحياء والإماتة والملك والأمر والرزق والأولية والآخرية والغنى والقيومية، والعظمة والكبرياء، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير. واختصاصه بالكمال المطلق في جميع الصفات. يقول شيخ الإسلام: «والمخلوق لا يمكن أن يكون قديمًا واجبًا بنفسه، ربًّا غنيًّا عما سواه، إلى غير ذلك من خصائص الرب، فهذا الكمال اختص به الرب، كما اختص الرب تبارك وتعالى من الكمال الذي يوصف العبد بما يتفق فيه الاسم؛ كالحياة والعلم والقدرة، بما لا يماثله فيه المخلوق، فالرب مختص إما بنوع لا يوصف به غيره مثل كونه رب العالمين، ونحو ذلك، وإما بما لا يماثله فيه غيره كالحياة والعلم»[٢].

الأدلة:

الأدلة على انفراد الله بالربوبية كثيرة، **منها:**

قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات].

وقال تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

والفطرة من أدلة الربوبية.

الفروق:

الفرق بين الربوبية والألوهية:

١ ـ أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ لأن الذي يفرد الله بالعبادة فهو

(١) تفسير السعدي (١/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) الصفدية (٢/٣٩) [دار الكتب الإسلامية].

حتمًا يقر بربوبيته. لكن ليس كل من أقر بالربوبية أفرده بالعبادة، مثل مشركي العرب فقد أقروا بربوبيته، ولم يوحدوه بالعبادة، لكن يلزم من أقر بالربِّ الخالق أن يفرده بالعبادة فإقراره بالربوبية حجة عليه[(١)].

٢ ـ أن توحيد الألوهية توحيد عملي، فهو توحيد الله بأفعال العباد، فهو يعتمد على العبادات التي يؤديها العبد لله ﷻ، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته، فهو توحيد قولي اعتقادي.

٣ ـ أن بتوحيد الألوهية يكون العبد مسلمًا مؤمنًا، أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم ذلك في الإسلام[(٢)].

٤ ـ أن التوحيد المطلوب الذي أرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية[(٣)].

مذهب المخالفين:

المخالفون أصناف:

١ ـ الملاحدة من الدهرية والطبائعيين، ومن القائلين بوحدة الوجود، وقِدَم العالم، ونحوهم، من الذين حقيقة قولهم أو صريحه إنكار وجود الرب[(٤)].

٢ ـ المشركون في الربوبية؛ كالنصارى، والقائلون بالتثنية.

٣ ـ المخالفون في بعض صفات الربوبية؛ كنفاة القدر من المعتزلة[(٥)].

وقولهم ظاهر البطلان، ومخالف للفطرة، والعقل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج٤)، لابن القيِّم.

٣ ـ «حقيقة التوحيد»، لعلي العلياني.

٤ ـ «شرح الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز الحنفي.

٥ ـ «الصفدية» (ج٢)، لابن تيمية.

٦ ـ «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٨ ـ «معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها»، لمحمد الجهني [بحث منشور].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٥٤)، وشرح الأصبهانية (١٠٢، ١٣٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ]، وشرح الطحاوية (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) التدمرية (١٨٠)، وشرح الأصبهانية (١٢٣).

(٣) انظر: شرح الأصبهانية (١٠٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٨ ـ ٢٩، ٣٢، ٥٣).

(٤) انظر: بغية المرتاد (٢٣٨ ـ ٢٤٤، ٣٥٧، ٣٩٤ ـ ٣٩٦).

(٥) انظر: التدمرية (١٧٥ ـ ١٧٦، ١٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦ ـ ٢٧).

❁ الرجاء ❁

التعريف لغة:

رجاء الشيء هو: الأمل من ناحيته وجهته.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان، يدلُّ أحدُهما على الأمَل، والآخَر على ناحية الشيء. فالأول الرَّجاءُ، وهو الأمل. يقال: رجَوت الأمْرَ أرجُوه رجاءً»[١].

وقال الفيروزآبادي: «الرجاء: ضد اليأس؛ كالرجو والرجاة والمرجاة والرجاوة والترجي والارتجاء والترجية. والرجا: الناحية»[٢].

وقد يفسر الرجاء بالخوف، ووجهه: أن الرجاء والخوف يتلازمان[٣]. ولذلك كانت طريقة القرآن أن يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة][٤].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) القاموس المحيط (١٢٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٨١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٥٢) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٨٠)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ١٩٠) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: جلاء الأفهام (١٨٨) [دار عالم الفوائد، ط٢].

التعريف شرعًا:

عرّف الرجاء بعبارات متنوعة مرجعها إلى:

أمل العبد بربه وحسن الظن به في جلب الخير ودفع الشر مع بذل السبب[٥].

فهو طمع فيما عند الله من النّعيم المقيم بفعل الطاعات وترك المعاصي[٦].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الرجاء شرعًا فيه معنيا الرجاء لغة: الأمل، والتنحي، «فالراجي على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينه ورجاءه وأمله امتد إليها قلبه، وسعى لها سعيها، فإن الرجاء هو امتداد القلب وميله، وحقق رجاءه كمالُ التأهب وخوف الفوت والأخذ بالحذر. وأصله من التنحي، ورجاء البئر ناحيته، وأرجاء السماء نواحيها، وامتداد القلب إلى المحبوب منقطعًا عما يقطعه عنه هو تنح عن النفس الأمارة وأسبابها وما تدعو إليه، وهذا الامتداد والميل والخوف من شأن النفس المطمئنة»[٧].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ١٢٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، والمفردات في غريب القرآن للراغب (١/ ١٩٠)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٤٥، ٥٠).

(٦) الخوف والرجاء للشمسان (١٩٦).

(٧) الروح (٢٤٩ ـ ٢٥٠) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١].

الأسماء الأخرى:

الرغبة[(١)].

الحكم:

رجاء العبد لربه وتعليق قلبه به أصل من أصول الإيمان؛ وواجب من واجبات التوحيد، وعبادة من العبادات القلبية، وهو أحد أركان العبادة الثلاثة التي لا تقوم إلا عليها ولا تصح إلا بها. وتحقيق هذا الرجاء هو تحقيق لتوحيد الله في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

«فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق، ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى.

ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح]، فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]. فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج]»[(٢)].

ومن الشرك في الرجاء «الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كمَنْ يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر»[(٣)].

الحقيقة:

حقيقة الرجاء: أمل العبد بربه، وحسن ظنه به، واستبشاره بفضله مع محبته وتقواه والخوف منه. فحقيقة هذا الرجاء شموله للخوف والرجاء مع فعل السبب. فيفعل ما أمر به على نور الإيمان راجيًا للثواب، ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفًا من العقاب[(٤)].

المنزلة:

الرجاء: أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٦)، وانظر: (١٠/٣٣١ ـ ٣٣٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣١) [دار عالم الكتب، ط١].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٦٤٤).

جميعها، وهي الرجاء، والخوف، والمحبة[(١)]. وهو «عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه (المحسن، البر)، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله: هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه. ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا؛ بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات»[(٢)].

الأدلة:

آيات الرجاء في القرآن كثيرة[(٣)]؛ ومنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾ [النساء].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧﴾ [الإسراء].

وأما السُّنَّة: فمنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»[(٥)].

وعن أنس رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله! يا رسول الله! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما**

(١) انظر: طريق الهجرتين (٢/٦١٣) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].
(٢) مدارج السالكين (٢/٥١ ـ ٥٢).
(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢/٧٥٢).
(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٠) وحسَّنه، وقال ابن رجب: «إسناده لا بأس به». جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط٧]، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٧).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٦٣١).

يرجو وآمنه مما يخاف»[1].

أقوال أهل العلم:

قال لقمان لابنه: «يا بني خف الله خوفًا يحول بينك وبين الرجاء، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف. قال: فقال: أي أبه؛ إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف. قال: أي بني! إن المؤمن له قلب كقلبين، يرجو الله ﷻ بأحدهما ويخافه بالآخر»[2].

وقال ابن تيمية: «الخشية أبدًا متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطًا؛ كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنًا؛ فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله»[3].

وقال ابن القيِّم: «الرجاء ضروري للمريد السالك، والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد؛ فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها»[4].

الشروط:

شرط الرجاء أن يكون مقرونًا بأمور ثلاثة:

الأول: خوف من الله؛ حتى لا يصير أمنًا من مكره.

الثاني: محبة الله ﷻ ومحبة ما يرجوه منه.

والثالث: بذل الجهد في عمل الصالحات لله سبحانه وتعالى، حتى لا يكون تمنيًا وغرورًا مذمومًا.

قال أبو علي الروذباري: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت»[5].

وقال ابن القيِّم عن حدِّ الرجاء المحمود: «ومما ينبغي أن يعلم: أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه **أمورًا**:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف،

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٨٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦١)، وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (٣) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) حسن الظن بالله (١١٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٥١ ـ ٥٢).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٤٥).

والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن.

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير ـ بل التفريط ـ والأمن!»[١].

۞ الأقسام:

«**الرجاء ثلاثة أنواع**: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه.

ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف، ونظر إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره يفتح عليه باب الرجاء.

ولهذا قيل في حد الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله»[٢].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ أيهما يغلّب العبد: الخوف أم الرجاء؟

القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف.

وقيل: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنِّه وكرمه[٣].

---

(١) الداء والدواء (٨٧ ـ ٩١) [عالم الفوائد، ط١].

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).

«والتحقيق: أن ذلك على **حالين**:

الأولى: إذا كان العبد في حال الصحة والسلامة فإنه إما أن يكون مسددًا مسارعًا في الخيرات؛ فهذا ينبغي أن يتساوى في قلبه الخوف والرجاء، فيخاف ويرجو؛ لأنه من المسارعين في الخيرات. وإذا كان في حال الصحة والسلامة وكان من أهل العصيان، فالواجب عليه أن يغلب جانب الخوف حتى ينكف عن المعصية.

الحال الثانية: إذا كان في حال المرض المخوف فإنه يجب عليه أن يعظم جانب الرجاء على الخوف، فيقوم في قلبه الرجاء والخوف ولكن يكون رجاؤه أعظم من خوفه، وذلك لقول النبي ﷺ: «**لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه تعالى**»[1]، وذلك من جهة رجائه في الله ﷻ»[2].

الفروق:

الفرق بين الرجاء والتمني:

«أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع.

ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

وقال شاه الكرماني: «علامة صحة الرجاء: حسن الطاعة»»[3].

الثمرات:

فوائد الرجاء وثمراته كثيرة يطالعها من أحسن تأمله وتفكره في استخراجها.

ومن ذلك:

١ ـ إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه.

٢ ـ محبة الله من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[4]، والسائل راج وطالب، فمن لم يرج الله يغضب عليه.

٣ ـ التخلص به من غضب الله ﷻ.

٤ ـ الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب.

٥ ـ كل ما زاد رجاء العبد ازداد

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٨٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٤)، وانظر: الروح (٢٤٨ ـ ٢٥١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٧٣)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٢٧)، وأحمد (١٥/ ٤٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٠٧) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٤).

حبًّا لله تعالى وشكرًا له ورضا به وعنه.

٦ ـ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبد بها وداع بها.

٧ ـ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف.

٨ ـ أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه: كان ذلك ألطف موقعًا، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يرجه.

٩ ـ أن الله ﷻ يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته ومنها الرجاء.

١٠ ـ أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته وتنقل القلب في رياضها الأنيقة[١].

الحكمة:

العبد مأمور بعبادة الله ﷻ ودعائه، وذلك شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، وقد أمر الله سبحانه الداعي أن يدعوه خوفًا وطمعًا ـ أي: رجاء لما عنده سبحانه ـ فقال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف]. فذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء لأن الدعاء مبني عليه؛ فإن الداعي ما لم يطمع في سؤله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبة؛ إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع.

فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين[٢].

مذهب المخالفين:

ضل في فهم الرجاء طائفتان[٣]:

الأولى: المرجئة: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهوَّنوا من شأن العمل، ومنهم الجبرية القدرية، وفيهم قوم من غلاة المتصوفة الذين يزعمون أنهم ما يعبدون الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته؛ وإنما يعبدونه حبًّا فيه!

وتبع هؤلاء من تأثر بهم في هذا الباب من العصاة والمغرورين؛ حيث اتكلوا على سعة رحمة الله ورجاء ما عنده ففرطوا في فعل الطاعات وقارفوا المنكرات، وإذا نصحوا في ذلك وخُوِّفوا من مكر الله وعقابه سردوا ما يحفظونه

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٦٠ ـ ٦٣).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٨٥٣) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦١ ـ ٨٣، ٢٣٩ ـ ٢٤٣)، والداء والدواء (٣٦ ـ ٧٩)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٥٠ ـ ٨٥٣)، وإغاثة اللهفان (٣٩٤) [دار الحديث، ط١٤٢٣هـ].

من نصوص الوعد بالرحمة والمغفرة، وقالوا: الإيمان بالقلب.

وهؤلاء لم يأتوا بشرط الرجاء المحمود من بذل الجهد في فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ومن قرن رجائهم بالخوف من الله واستشعار نصوص الوعيد؛ فوقعوا في الرجاء المذموم الذي حقيقته تمنٍّ كاذب وغرور شيطاني، واستمرؤوا التفريط في جنب الله، فأمنوا من مكره، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

الطائفة الثانية: الخوارج: الذين غلبوا نصوص الوعيد وضيقوا باب الرجاء حتى كفروا بفعل المعاصي التي دون الكفر، وكذلك طوائف من العباد الذين غلبوا جانب الخوف حتى وقعوا في القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

والحق وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين وهو: مذهب أهل الحق أهل السُّنَّة والجماعة الذين جمعوا بين نصوص الوعد ونصوص الوعيد، وجعلوا الخوف والرجاء متلازمين، فعبدوا الله بالخوف والرجاء والحب، فلم يأمنوا مكر الله، ولم يقنطوا من رحمة الله، ولم ييأسوا من روح الله، فإن «القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»[1].

فلا بدَّ من اجتماع هذه الأركان الثلاثة في عبادة العبد لربه، فمن لم تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض السلف: «من عَبَد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.

٢ ـ «الخوف والرجاء في الكتاب والسُّنَّة»، لعبد الرحمٰن الشمسان، [رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية].

٣ ـ «بصائر ذوى التمييز» (ج١)، للفيروزآبادي.

٤ ـ «حسن الظن بالله»، لابن أبي الدنيا.

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).

(٢) نسبه إلى بعض السلف شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).

٥ ـ «الداء والدواء»، لابن القيِّم.

٦ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٧ ـ «طريق الهجرتين» (ج١)، لابن القيِّم.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيِّم.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

١٠ ـ «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

الرِّجل

يراجع مصطلح (القَدَم).

الرَّحمة

التعريف لغة:

الرّحمة: مصدر من الفعل: رَحِمَه يَرْحَمُه رَحْمَةً؛ إذا رقّ له وتعطف عليه.

قال ابن فارس: «الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه. والرُّحْم والمَرْحَمَة والرَّحْمة بمعنىً»[1].

وقال الجوهري: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رَحِمْتُه وتَرَحَّمْت عليه، وتَرَاحَم القَوْم: رَحِمَ بعضهم بعضًا»[2].

وقد سمّى الله الغيث رحمة؛ لأنه برحمته ينزل من السماء[3]، كما سمى سبحانه الرزق والمعاش رحمة، فقال سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

التعريف شرعًا:

الرحمة: صفة من صفات الله الثابتة له على ما يليق بجلاله، وهي صفة ذاتية باعتبار أن الله لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، وهي فعلية باعتبار أن الله يرحم برحمته من يشاء وكيف يشاء[4].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر مما تقدم اشتراك المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرحمة في الرأفة، حيث إن الله عزّ وجل وصف نفسه بالرحمة ووصف بها عباده، كما في قوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] غير أن المعنى الشرعي يختص بما يليق بالله عزّ وجل من صفة الرحمة، فاتفاق الاسم لا يلزم منه تماثل المسميات.

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٨) [دار الجيل].

(٢) الصحاح (٥/٢٠٧) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: لسان العرب (١٢/٢٣٠) [دار صادر، ط١].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٢٦٠) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ]، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/٢٨) [مكتبة نزار مصطفى، ط١، ١٤١٦هـ].

۞ الأسماء الأخرى:

الرأفة.

۞ الحكم:

يجب إثبات صفة الرحمة لله ﷻ على ما يليق بجلاله ويختص به من غير تحريف وصرف للنصوص عن ظاهرها، ولا تشبيه ولا تكييف.

۞ الحقيقة:

حقيقة رحمته ﷻ تدل على أن الله موصوف بها حقيقة لا تحتمل تأويل ولا تحريف ولا تعطيل؛ بل هي صفة قائمة بذاته لم يزل ولا يزال متصفًا بها، ومتعلقة بمشيئته حيث يرحم برحمته من يشاء ومتى يشاء.

۞ الأدلة:

دلَّ على ثبوت رحمة الله ﷻ الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: ٥٨].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[(١)].

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٢)].

وأما الإجماع: فقد نقله السعدي، فقال: «واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات، فيؤمنون مثلًا بأنه رحمٰن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى، فيقال عليم: ذو علم عظيم يعلم به كل شيء»[(٣)].

وأما الدليل العقلي على ثبوت الرحمة لله تعالى فهو ظاهر من خلال ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله ﷻ، وما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، فكل ذلك دالٌّ على إثبات الرحمة عقلًا[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، ٢٧٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٤١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١١/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٢٥)، ونقل عن العراقي وابن ناصر الدين تصحيحه أيضًا.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٠).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن العثيمين (١/٢٥٦) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ، فإن القول في جميع ذلك من جنس واحد، ومذهب سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والإثبات»[(١)].

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف]: «أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره»[(٢)].

وقال السعدي: «وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه وتدبيره، وهو تعالى قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتابًا أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم»[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٢٤ ـ ٣٢٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٠) [دار طيبة، ط٢].
(٣) تفسير السعدي (٢٥١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

الأقسام:

تنقسم رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ لخلقه إلى رحمة عامة ورحمة خاصة:

أما **الرحمة العامة**، فقد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فهذه الآية تدل على أن كل شيء وصله علم الله، فإن رحمته تصل إليه؛ لأن الله قرن بينهما، وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأنهم ممن يصل إليهم علم الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأما **الرحمة الخاصة**، ففي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب]. هذه رحمة خاصة بالمؤمنين؛ لأن تقديم المعمول يدل على الحصر، فيكون معنى الآية: وكان بالمؤمنين لا غيرهم رحيمًا، وهذه رحمة خاصة متصلة برحمة الآخرة لا ينالها الكفار، بخلاف الأولى[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله تعالى (الرحمٰن):

هو اسم من أسماء الله، يدل على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن العثيمين (١/٢٤٨ ـ ٢٥١).

المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة وأباها بتكذيبه للخبر وتوليه عن الأمر(١).

وقد ورد اسمه تعالى (الرحمٰن) في آيات كثيرة؛ **منها**:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وذكر ابن القيِّم في اقتران الرحمٰن بالعرش في هذه الآيات فائدة فقال: «ولهذا يُقرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات، قد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء»(٢).

وفي الحديث القدسي؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: أنا الرحمٰن، وهي الرحم شققت لها اسمًا من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته**»(٣).

ـ المسألة الثانية: من أسماء الله تعالى (الرحيم):

فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧﴾ [الشعراء].

وورد مقترنًا باسمه الرحمٰن في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، وذكر ابن القيِّم في الجمع بين الرحمٰن الرحيم معنى: هو أن الرحمٰن يدل على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم يدل على تعلقه بالمرحوم، فالأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دالٌّ على أن الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته(٤).

ـ المسألة الثالثة: (أرحم الراحمين):

(أرحم) هو أفعل تفضيل من (الرحمة) بمعنى الأفضل والأوسع والأكثر رحمة؛ أي: أفضل الراحمين(٥)، يقول شيخ الإسلام عند اسم الرحيم: «الرحيم جاء مفضَّلًا في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩﴾ [المؤمنون]، وفي قوله: ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف]»(٦)، فالاسم

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٠).

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (٣٧) [مكتبة الدراسات والبحوث العربية، ١٤١٠هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة، رقم ١٦٩٤)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٠٧) وصحَّحه، وأحمد (٣/٢١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٤٤٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥/٣٧٨) [مؤسسة غراس، ط١].

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (١/٢٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١٥٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٦) إحصاء الأسماء الحسنى في القرآن، ضمن المستدرك =

يدل على أن الله تعالى واسع الرحمة، وأكثر الراحمين رحمة، والأشد رحمة من كل راحم[(١)] ورحمته إذا أدركت أحدًا أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته[(٢)].

قال الطبري: «وهو أرحم الراحمين: والله أرحم راحم بخلقه»[(٣)]، وقال الشوكاني: «﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف] يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم فيجازي محسنهم ويغفر لمسيئهم»[(٤)].

والصفة التي دلَّ عليها اسم (أرحم الراحمين) هي وصف الله تعالى بغاية الرحمة[(٥)]، والرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمٰن، واسمه الرحيم: وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم، وقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف] يدل على أن المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضًا، ولا شك أن رحمة الله تخالف رحمة خلقه؛ كمخالفة ذاته وسائر صفاته لذواتهم، وصفاتهم[(٦)].

= على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٤٨) [ط١، ١٤١٨هـ].

(١) التحرير والتنوير (٩/١١٨) [الدار التونسية].

(٢) تفسير النسفي (٣/١٠٩) [دار النفائس، ٢٠٠٥م].

(٣) تفسير الطبري (١٦/١٦١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) فتح القدير (٣/٥٣) [دار الفكر، بيروت].

(٥) التفسير المنير (١٧/١٠٨).

(٦) انظر: أضواء البيان (٥/٣٧٨) [دار الفكر].

وقد ورد اسم (أرحم الراحمين) في القرآن في أربعة مواضع؛ هي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء].

وأما في السُّنَّة: فقد جاء في نصوص كثيرة؛ منها: ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**فيقول الله عزّ وجلّ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»[(٧)].

وفي رواية عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا**

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

جنتي من كان لا يشرك بالله شيئًا فيدخلون الجنة»[(١)].

وقد أثبت اسم (أرحم الراحمين) لله تعالى مجموعة من العلماء؛ منهم: النسائي[(٢)]، وابن منده[(٣)]، وقوام السُّنَّة الأصبهاني[(٤)]، والطيبي[(٥)]، وابن الوزير[(٦)].

قال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في التسعة والتسعين: اسمه السبوح وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»[(٧)].

وأما من لم يثبته فكل من ذكر أسماء الله تعالى لم يعد (أرحم الراحمين) اسمًا لله تعالى إلا ما تقدم ذكره.

ـ المسألة الرابعة: من الأسماء الواردة: (خير الراحمين):

فقد ورد ذكره في موضعين من القرآن: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون].

وورد ذكره في جمع ابن منده[(٨)]، وابن الوزير[(٩)]، وأبي القاسم الأصبهاني[(١٠)].

ومعنى خير الراحمين: أي: أن الله تعالى خير من رحم، ورحمته لعباده خير من رحمة العباد بعضهم لبعض؛ لأن رحمته كاملة لا نقص فيها، وقد وسعت كل شيء يقبل التوبة ويغفر الذنوب.

قال ابن جرير الطبري ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ ـ: «يقول: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقب على ذنبه»[(١١)].

ـ المسألة الخامسة: اسم (أرحم الراحمين) مما اختص الله به:

«كل ما ثبت للربِّ تعالى من الأسماء

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٣٨١) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٣٦) [مكتبة الرشد، ط٢]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٤٧٦)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٥) [مكتبة القدسي]، وحسَّنه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٣٨٢).

(٢) في كتابه: النعوت (١/ ٣٠٨).

(٣) في كتابه: التوحيد (١/ ٤٨٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٣) [دار الراية، ط١].

(٥) نقله ملّا علي قاري عن الطيبي في المرقاة (٨/ ٥١).

(٦) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٧) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٣)، وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٧٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وإحصاء الأسماء الحسنى في القرآن، ضمن المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٤، ٤٨).

(٨) كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ٢٠٤).

(٩) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (١٥٩).

(١٠) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٩).

(١١) تفسير الطبري (١٩/ ٨٥).

والصفات يختص به، مثل: أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أرحم الراحمين، وأنه خير الناصرين»[(١)].

- **المسألة السادسة: الدلالة على أنه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمصلحة تعود إليه، بخلاف غيره**[(٢)]:

«لأن كل راحم فمتصرف على إرادة الله وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة لأحد فيها، وأيضًا فرحمة كل راحم في أشياء، وبأشياء حقيرات، بالإضافة إلى المعاني التي تقع فيها رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار، وهيئة نعيم الجنة، وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم بمجموعها كلها جزء من مائة رحمة لله، جلت قدرته، إذ بث في العالم واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين»[(٣)].

- **المسألة السابعة: تعذيب الكفار والعصاة بالنار وعدم رحمتهم لا يتعارض مع رحمة أرحم الراحمين:**

كون الله تعالى أرحم الراحمين لا يعارض أنه لا يرحم بعض الناس؛ بل إن هناك من يدخلهم النار ولا يرحمهم، ولا يعني ذلك نقص في رحمته؛ بل إن رحمة الله تعالى مرتبطة بحكمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وروى ابن المبارك عن كعب؛ أنه قال: «إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه، فيأخذه مائة ألف ملك ويزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبًا لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار فيقول: ألا ترحموني، فيقولون: وكيف نرحمك؟ ولم يرحمك أرحم الراحمين»[(٤)].

الفروق:

الفرق بين اسمه: الرحمٰن واسمه: الرحيم

فرَّق بعض أهل العلم بين هذين الاسمين الكريمين **بالفروق التالية:**

١ - أن الرحمٰن اسم على وزن فعلان من صيغ المبالغة للدلالة على سعة الرحمة وكثرتها. والرحيم: اسم على وزن فعيل بمعنى فاعل، وهي من صيغ المبالغة للدلالة على الرحمة الواصلة.

٢ - أن الرحمٰن اسم من الأسماء المختصة بالله ﷻ لا يطلق على غيره سبحانه، والرحيم يطلق على الله وعلى

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٩٠) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ]، وانظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥١) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) انظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٥٧٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤٢).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٤) الزهد لابن المبارك (٨٣) [دار الكتب العلمية].

غيره، كما في قوله ﷻ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

٣ ـ وقيل: إن الرحمٰن: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

٤ ـ وقيل: إن الرحمٰن دالٌّ على الرحمة الذاتية، والرحيم دالٌّ على الرحمة الفعلية[1].

الفرق بين الرحمة والرأفة:

فقد تعددت أقوال العلماء في بيان الفرق بينهما:

١ ـ قيل: إن الرأفة والرحمة بمعنى واحد لا فرق بينهما[2].

٢ ـ وقيل: إن الرأفة أشد من الرحمة، وأنها منتهى الرحمة وأبلغها[3].

٣ ـ وقيل: إن الرأفة أعم من الرحمة إذ الرحمة قد تكون بشيء مكروه أو عقيب البلاء، والرأفة خير من كل وجه[4].

والخلاصة: أن الرأفة هي شدة الرحمة وأبلغها، وتعم الخير، وتختص به، بخلاف الرحمة فإنها تعم الخير والشر الذي عاقبته خير.

الثمرات:

١ ـ يجب على كل مكلف أن يعتقد بأن الله ﷻ موصوف بالرحمة كما يليق بجلاله، وأن رحمته لا تشبه رحمة المخلوق، وأنه أرحم على عباده من رحمة بعضهم لبعض.

٢ ـ ويجب عليه أن يرحم نفسه كما رحمها الله ﷻ ويسعى بها إلى النجاة من أسباب المهالك والفوز بالجنة بتقوى الله وحفظ حدوده.

٣ ـ ويجب عليه أن يكون رحيمًا بعباد الله ﷻ وأن لا يقسوا في تعامله معهم؛ لأن من لا يرحم عباد الله لا يكون له حظًّا من رحمة الله.

الآثار:

إن آثار رحمة الله العامة والخاصة ظاهرة في الوجود كظهور آثار ربوبيته، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، **فمن آثار رحمته ما يلي**:

١ ـ فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلَّمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.

٢ ـ وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا.

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٢٨) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء للخطابي (٣٨ ـ ٣٩) [دار المأمون، ط١، ١٤٠٤هـ]، وبدائع الفوائد (١/٢٨).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢).

(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٩١).

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٧٣).

٣ ـ وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا.

٤ ـ وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعته.

٥ ـ ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه.

٦ ـ وإذا أراد الله بأهل الأرض خيرًا نشر عليهم أثرًا من آثار اسمه الرحمٰن، فعمر به البلاد وأحيا به العباد، وإذا أراد بهم شرًّا أمسك عنهم ذلك الأثر فحل بهم من البلاء بحسب ما أمسك عن أهلها أثر هذا الاسم. وغيرها من الآثار التي لا يسع المقام بيانها[1].

مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ برحمة تليق بجلاله، وقالوا: إن الرأفة والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية والله منزَّه عنها، ثم أوَّلوا رحمته بمعنى إرادة إنعامه وإحسانه ولطفه على عباده[2].

وهذا الذي قالوه باطل لمخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل الدالة على إثبات صفة الرحمة لله ﷻ كما يليق بجلاله. وقد أورد ابن القيِّم قولهم هذا ورد عليه من وجوه كثيرة؛ **منها**:

١ ـ أن جحدهم لحقيقة الرحمة ونفيهم لهذه الصفة من جنس نفي المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان].

٢ ـ أن هذا الحامل لكم على دعوى المجاز في اسم (الرحمٰن) هو بعينه موجود في اسمه: العليم والقدير والسميع والبصير وسائر الأسماء؛ لأن القول في اسمه الرحمٰن كالقول في هذه الأسماء.

٣ ـ أن قولهم: الرحمة رقة القلب، هل المقصود هي رحمة المخلوق أم رحمة الخالق، أو كل ما سمي رحمة شاهدًا أو غائبًا؟ فإذا كان الأول صدقوا، ولم ينفعهم ذلك شيئًا، وإن كان الثاني أو الثالث، كانوا قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم، وهي في كل موصوف بحسبه، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٨١ ـ ٨٨٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٤٥) [دار إحياء التراث]، والإنصاف للباقلاني (٣٩) [المكتبة الأزهرية، ط٢، ١٣٢١هـ]، وتفسير الفخر الرازي (١٤/ ٢٨٦) [دار التراث العربي]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٧١) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ].

أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق.

٤ ـ أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازًا، ورحمة العبد الضعيفة المخلوقة القاصرة المستعارة من ربه التي من آثار رحمته حقيقة. وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟ فبهذه الأوجه وغيرها ثبت بطلان قول المعطلة في رحمة الله ﷻ وثبوت صفة الرحمة له كما تليق بجلاله[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم الأصبهاني.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن العثيمين.

٧ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد بن أمان الجامي.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ كتاب «التوحيد»، لابن منده.

١٠ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي.

(١) انظر: مختصر الصواعق (٣/ ٨٦٢ ـ ٨٧٠).

الرِّدَّة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الراء والدال أصل واحد مطرد منقاس، وهو: رجع الشيء. تقول: رددت الشيء أرده ردًّا. وسمي المرتد؛ لأنه رد نفسه إلى كفره»[2].

والارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة]؛ أي: لا ترجعوا.

والردة: اسم من الارتداد، وهو التحول والرجوع عن الشيء إلى غيره، ومنه الرجوع عن الإسلام.

والمرتد: أي: الراجع، وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه[3].

التعريف شرعًا:

الردة شرعًا هي: الخروج من الإسلام إلى الكفر الأكبر المخرج من الملة طوعًا، وذلك باعتقاد أو بقول أو بفعل يقتضي

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٦) [دار الجيل، ط٢].

(٣) انظر: لسان العرب (٣/ ١٧٢) [دار صادر، ط١]، والمفردات في غريب القرآن (١٩١) [دار المعرفة]، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٢١٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

الكفر، سواء كان هازلًا أو جادًا[(١)].

وقال الشربيني: «الردة هي قطع الإسلام بنيَّة، أو قول، أو فعل، سواء قاله استهزاءً، أو عنادًا، أو اعتقادًا»[(٢)].

وفي تعريف المرتد، قال البهوتي: «المرتد... شرعًا: الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا، أو اعتقادًا، أو شكًّا، أو فعلًا»[(٣)].

الحقيقة:

الردة هي قطع دين الإسلام، والدخول في الكفر بالله، وهي تحصل بالاعتقاد، أو بالقول، أو بالفعل.

فقد تكون الردة باعتقاد مناقض لما جاء به الدين، وعلم بالضرورة من الإسلام؛ كاعتقاد الشريك مع الله، أو تكذيب ما جاء به النبي ﷺ.

كما قد تكون الردة بالقول وحده، بالنطق لكلمة الكفر، سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء.

كما تكون الردة بالفعل؛ كالسجود للصنم وإهانة القرآن[(٤)].

الأدلة:

لقد جاء ذكر الردة في القرآن باللفظ الصريح، كما جاء ذكرها بالمعنى.

أما باللفظ الصريح؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وأما ذكرها بالمعنى، فقد ورد كثيرًا، **ومن ذلك:**

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١/ ١١٥) [دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ]، والصارم المسلول (٣/ ٨٦٥) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) مغني المحتاج (٤/ ١٣٣) [المكتبة التجارية، ط١٣٧٤هـ]، وانظر: نهاية المحتاج للرملي (٧/ ٤١٣) [مكتبة الحلبي]، وروضة الطالبين للنووي (١٠/ ٦٤) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ]

(٣) كشاف القناع (٦/ ١٣٦) [مطبعة أنصار السُّنَّة المحمدية]، وانظر: المبدع في شرح المقنع (٩/ ١٧٠) [المكتب الإسلامي]، والمغني (٨/ ١٢٣) [مكتبة الرياض الحديثة]، وشرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٨٦) [مطبوعات دار الإفتاء، الرياض]، وغاية المنتهى (٣/ ٣٣٥) [المؤسسة السعيدية، ط٢].

(٤) انظر: روضة الطالبين (١٠/ ٦٤) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ].

وحول تفاصيل الأقوال والأفعال والاعتقادات التي يكفر من قامت به، انظر: نواقض الإسلام، ومسائل الجاهلية، كلاهما لمحمد بن عبد الوهاب، وأبواب حكم المرتد في كتب الفقه إجمالًا، وانظر كذلك: أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية لنعمان السامرائي (٦١ ـ ١١٦) [دار العلوم، ط٢].

وأما في السُّنَّة: فعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ: قال: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2].

وفي «الصحيحين» أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة، قال: انزل، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديًّا فأسلم، ثم تهوَّد. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله ـ ثلاث مرات ـ فأمر به فقتل[3].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر: «من ارتد عن دينه حلَّ دمه، وضربت عنقه، والأمة مجتمعة على ذلك، وإنما اختلفوا في استتابته»[4].

وقال ابن قدامة: «وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد، وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وخالد، وغيرهم، ولم ينكر ذلك، فكان إجماعًا»[5].

وقال ابن تيمية: «وأما المرتد فالمبيح عنده ـ يعني: الإمام أحمد ـ هو الكفر بعد الإيمان، وهو نوع خاص من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإنَّ ذلك يمنع من النقص، ويمنعهم من الخروج عنه بخلاف من لم يدخل فيه»[6].

الشروط:

ذكر الفقهاء شروطًا للحكم على الشخص بالكفر إذا وقع منه أمر ثبت كونه مكفرًا، وهي شروط الأهلية، وهي:

١ ـ العقل، وضده الجنون. فالمجنون لا تصح ردته ولا تثبت أحكامها إجماعًا.

٢ ـ البلوغ، وضده الصغر، والصغير إما أن يكون صبيًّا لم يميز، وإما أن يكون مميزًا. فالصبي الذي لم يميز لا تصح ردته، وله حكم المجنون.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠١٧).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩٢٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٧٣٣).
(٤) التمهيد (٥/٣٠٦)، وانظر: (٥/٣١٩) [طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ط١٣٨٧هـ].
(٥) المغني (٩/١٦).
(٦) مجموع الفتاوى (٢٠/١٠٢).

واختلفوا في المميز الذي لم يبلغ، والأقرب أنه لا تثبت ردته، وإن كان يصح إسلامه، والله أعلم.

٣ ـ الاختيار، وضده الإكراه؛ فالمكره لا يحكم بردته، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل][1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ثبوت الردة:

لا تثبت الردة إلا من أحد **طريقين**:

الأول: إقرار المرتد، فإذا أقر المسلم ـ ممن توفرت فيه الشروط السابقة ـ أنه ارتد عن الإسلام إلى الكفر فقد ثبت حكم الردة في حقه.

الثاني: الشهادة بشروطها، فإذا شهد شاهدان على شخص بردته، ثبت حكم الردة على من شهدا عليه.

ويشترط أن يكون الشاهدان من أهل الشهادة، وذلك بأن يكونا عاقلين، بالغين، حرَّين، عدلين، ذكرين، وألا يرجعا عن شهادتهما.

فإن أنكر المشهود عليه، وقال: أنا لا أزال على إسلامي، قبل قوله، ونظر في صحة ادعائه، فإن أظهر ما يصير به الشخص مسلمًا ترك وشأنه، وإن تصرَّف تصرف الكافر، كان ذلك تأكيدًا لشهادة الشهود، فيكون مرتدًا[2].

ـ المسألة الثانية: حرية الاعتقاد:

حرية الاعتقاد يراد بها: أن يكون الشخص حرًّا في اختيار العقيدة التي يعتنقها ويقر بها، من غير إكراه أو منع خارجي[3].

ومصطلح (حرية الاعتقاد) قد جاءت به القوانين الغربية العلمانية، وقررته المواثيق الدولية، وقد احتوى مضمونه الفكري على حق وباطل، فكان الواجب تفصيل القول فيه، **فيقال**:

إن المعاني المندرجة تحت مبدأ (حرية الاعتقاد) على **قسمين**:

أولًا: المعاني الباطلة لمبدأ (حرية الاعتقاد)، ومنها:

١ ـ الزعم بأن للإنسان أن يختار من الأديان ما يشاء، ويعتقد ما يشاء، وأن لا تثريب عليه بذلك، وهذا ما ينادي به دعاة الحرية الاعتقادية المطلقة.

وبطلان هذا المعنى معلومٌ من الدين بالضرورة، وهو من الكفر بالله[4].

(١) انظر: أحكام المرتد في الإسلام لعبد الله حليم (٤٨ ـ ٨٧) [رسالة ماجستير من جامعة أم القرى]، وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (٤١)، والردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي لعبد الله قادري (٨٥) [مكتبة طيبة، ط٢، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: الردة عن الإسلام لعبد الله قادري (٨٩ ـ ٩٣).

(٣) انظر: الإسلام وحقوق الإنسان لمحمد زكريا [مجلة عالم الفكر، عدد ٤، ١٠٩].

(٤) انظر: المناهي اللفظية لابن عثيمين (١٣٠ ـ ١٣١)، =

فالأصل في الإنسان هو العبودية، لا الحرية، ولكنها عبودية لربّ العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

فهو ليس حرًّا في أن يعقد أن يتديَّن بما شاء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

ويقول النبي ﷺ كما في «الصحيح»: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»(١).

٢ ـ الزعم بإبطال حد الردة الثابت بإجماع المسلمين، مراعاةً لمبدأ (حرية الاعتقاد).

٣ ـ السماح للكفار أن يظهروا شعائرهم ويدعوا لعقائدهم في بلاد المسلمين.

فغير المسلمين أحرار في ممارسة شعائر دينهم، بشرط عدم إظهارها في المجتمع، ولكنهم لا يمكنون من إحداث أماكن جديدة لعباداتهم، ولا أن يُظهروا عباداتهم من نواقيس وصلبان، أو أن ينشروا عقائدهم الفاسدة بين المسلمين،

= والاستدلال الخاطئ بالقرآن والسُّنَّة على قضايا الحرية لإبراهيم الحقيل (٦٣ ـ ٧١) [مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

ففي الشروط العمرية: «شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها دَيْرًا، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا... وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضربًا خفيًّا في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبًا... وألا نخرج صليبًا ولا كتابًا في سوق المسلمين... ولا نظهر شركًا ولا نرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحدًا»(٢).

ثانيًا: المعنى المقبول لحرية الاعتقاد:

وهو أنه ليس لأحد من المسلمين أن يجبر غيره من الناس على امتثال دين معين، واعتقاد معين، فالإسلام لا يكره غير المسلمين على الدخول فيه؛ بل يُدعى الكافرُ إلى الإسلام، فإن أسلم وإلا ترك على دينه، بشرط أن يدفع الجزية للمسلمين، كما يتاح له أن يتعبد بدينه، بشرط ألا يظهره ولا يدعو إليه كما تقدم.

(٢) انظر: أهل الملل والردة والزنادقة من كتاب الجامع للخلال (٢/ ٤٣١) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٦هـ]، وتاريخ ابن جرير (٢/ ٤٤٩) [دار الكتب العلمية]، وذكرها ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٣/ ١١٦٤) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ]، ثم قال ابن القيم: «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها»، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢١) [مطبعة السُّنَّة المحمدية، ط٢].

- **المسألة الثالثة: توبة المرتد:**

المرتد إذا تاب إلى الله قبلت توبته، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقبول توبة المرتد ينظر إليها من **ناحيتين:**

الناحية الأولى: قبول توبته في الباطن، فيما بينه وبين الله، وذلك متعلق بأحكام الآخرة، فهو إذا تاب تاب الله عليه، إذا أتى بالتوبة بشروطها المعلومة، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء[(١)].

فقد قال الله تعالى في حق المنافقين - الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر -: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء].

الناحية الثانية: قبول توبته في الظاهر؛ أي: في الأحكام الدنيوية، ومعناه: أن تقبل عند الإمام، فيترتب على ذلك ثبوت أحكام الإسلام، وسقوط أحكام الردة عنه. فهذا قد وقع الخلاف في بعض صوره.

وقد وقع الاتفاق على أنه لا تقبل توبة المرتد إلا بأن يأتي بالشهادتين[(٢)]، فإذا أتى بالشهادتين ثبت له الإسلام وصح.

ثم إن كانت ردته ردة عامة مما لا تأويل له في كفره؛ كأن يرتد إلى عبادة الأوثان، فيكفيه أن يأتي بالشهادتين.

وإن كانت ردته بجحود أمر معين مما يكفر جاحده، فيشترط في توبته أن يأتي بالشهادتين، ويقرّ بذلك الذي جحده.

فمن زعم أن محمدًا ﷺ قد بعث إلى العرب خاصة دون العالمين، اشترط أن يأتي بالشهادتين، ويشهد أن محمدًا رسول الله إلى الخلق أجمعين، ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام، وإن كانت ردته بجحود فرض أو استباحة محرم: فيشترط في توبته أن يأتي بالشهادتين، ويرجع عما اعتقده، بأن يقر بوجوب ما جحد وجوبه، وتحريم ما استباحه[(٣)].

وثمة أصناف قد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر؛ أي: في أحكام الدنيا، وأما أحكام الآخرة فيما بينهم وبين الله فلا خلاف في قبولها، ومن هؤلاء: من تكررت ردته، والزنديق، والساحر[(٤)].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ٣١)

(٢) انظر: المجموع (١٨/ ١٢)، ومغني المحتاج (٤/ ١٤٠)، وفتح القدير لابن الهمام (٦/ ٧٠)، وشرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٠)،

(٣) انظر: المجموع (١٨/ ١٢)، والمغني (٩/ ٢١)، أحكام المرتد في الإسلام (٢١٦)، وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (١٧٢).

(٤) انظر تفصيل الخلاف في توبة هؤلاء: أحكام المرتد في الإسلام (٢١٨ - ٢٣٣).

ـ **المسألة الرابعة: عقوبة المرتد:**

المسلم إذا خرج عن الإسلام وارتد عنه ـ والعياذ بالله ـ أصبح عضوًا فاسدًا في المجتمع المسلم، يهز أركان المجتمع، ويزعزع بنيانه، وهذا الارتداد يعد ثورة وتمردًا على جماعة المسلمين، وتكثيرًا لسواد الأعداء، وإفشاء لأسرار المسلمين، كما أن فيه تهييجًا لضعاف الإيمان على أن يفعلوا كفعله، ويسلكوا دربه، وهو خيانة عظمى للأمة الإسلامية؛ بل هو أعظم من الخيانة العظمى التي اتفقت الأنظمة الوضعية على قتل صاحبها، ولهذا وضع الإسلام نظامًا وجزاءً لكل من تسول له نفسه أن يرتد عن دين الله، وذلك بأن شرع حكم القتل على المرتد الخارج عنه، بعد استتابته وإمهاله.

فإذا ارتد المسلم، ونكص على عقبيه ـ والعياذ بالله ـ فإنه يترتب عليه **عقوبتان**:

١ ـ **العقوبة الأخروية**، وهي: حبوط عمله، وخلوده المؤبد في النار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

٢ ـ **العقوبة الدنيوية**، وهي كما يلي:

أ ـ **القتل**، فقد أجمع العلماء على أن المرتد إذا كان رجلًا، عاقلًا، بالغًا، مختارًا غير مكره: أنه يقتل إذا أصر على ردته بعد الاستتابة[1]، ـ سبق ذكر الأدلة على ذلك ـ، وإن كانوا قد اختلفوا في قتل المرأة، والجمهور وهو الراجح أنها كالرجل، كما اختلفوا في ثبوت ردة الصبي.

ب ـ **التعزير**، وذلك فيما إذا أسقطت عقوبة القتل بالتوبة؛ كالضرب والجلد والحبس ونحو ذلك؛ كضرب من تكررت ردته، حتى يتبين خشوع التوبة وإخلاصه[2].

ويشار ههنا إلى أمر مهم، قد قرره عامة أهل العلم، وهو أن المسؤول عن قتل المرتد هو الإمام أو نائبه، ولا يتولاه سواهما، وأن من قتله بدون إذن الإمام فقد أساء، وعليه التعزير لإساءته وافتياته على الإمام[3].

مذهب المخالفين:

تقدم أن حدَّ الردة في أصله ثابت

(١) انظر: فتح القدير لابن همام (٦/ ٦٨) [مطبعة الحلبي، ط١]، وبدائع الصنائع (٩/ ٤٣٨٣) [مطبعة العاصمة، القاهرة]، والمجموع (١٨/ ١٠) [المكتبة العالمية]، والمغني (٩/ ٤) [مكتبة القاهرة، ط١٣٩٠هـ].

(٢) انظر: البحر الرائق لابن نجيم (٥/ ١٣٥) [دار المعرفة، ط٢].

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ٨ ـ ٩)، وشرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٨٨)، وفتح القدير لابن الهمام (٦/ ٩٨)، والمجموع (١٨/ ١٥)، وأحكام المرتد في الإسلام (١٩٧ ـ ٢٠٢)، وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (١٨٣).

بالنص الصريح، وبإجماع المسلمين.

وقد بزغت شراذم معاصرة أنكرت حد الردة في الإسلام، لمنطلقات شتى، فجعلوا حد الردة عقوبة تعزيرية، عائدة لرأي الإمام.

ومن شبهاتهم في ذلك:

- أن حد الردة لم يرد في القرآن.

وهذا مسلك فاسد، فالسُّنَّة وحي من الله كما أن القرآن كذلك: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، والقرآن قد دلَّ في مواضع كثيرة على لزوم الأخذ بالسُّنَّة، فالحديث حجة بنفسه، والعمل بما في القرآن دون السُّنَّة زندقة وكفر، وهو مفض إلى ترك العمل بالدين؛ لأن أركان الإسلام إنما جاء ذكر صفاتها بالسُّنَّة لا في القرآن.

- أن الردة وردت من طريق الآحاد، والحدود لا تثبت بالآحاد.

ويجاب عن قولهم بما تقدم بأن حد الردة محل إجماع، والإجماع يقطع الخلاف، ويرفع الحكم إلى القطعيات، ثم إنه قد ورد من عدة طرق وفي عدة أحاديث في «الصحيحين» وغيرهما، وعمل به الصحابة ومن بعدهم، وهذه قرائن ترفعه إلى إفادة العلم اليقيني[(١)].

ثم إن أحاديث الآحاد يجب العمل بها في العلميات والعمليات، حتى لو تكن في «الصحيحين»، ومن يلتزم ترك الآحاد في العمليات فسيؤول به الأمر إلى ترك جل الشريعة؛ لأن غالب السنن أو كلها كذلك[(٢)].

وثمة شبهات لمنكري حد الردة، يكفي في إبطالها ما سبق من ثبوته بالنص القطعي والإجماع[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام المرتد في الاسلام»، لعبد الله حليم.

٢ ـ «أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية»، لنعمان السامرائي.

٣ ـ «الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي»، لعبد الله أحمد قادري.

٤ ـ «شرح منتهى الإرادات»، للبهوتي.

٥ ـ «المجموع»، للنووي.

٦ ـ «المغني»، لابن قدامة.

٧ ـ «نواقض الإسلام»، لمحمد بن عبد الوهاب.

---

(١) انظر: نزهة النظر لابن حجر (٢٢٨).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١/١٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والفقيه والمتفقه (١/٢٨٦) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: الحرية الدينية وعقوبة الردة لعثمان علي حسن [منشور بحولية كلية الشريعة والقانون، جامعة قطر، العدد ٢٢، سنة ١٤٢٥هـ]، والردة بين الحد والحرية (قراءة نقدية في كتاب: لا إكراه في الدين) لصالح بن علي العميريني، والاستدلال الخاطئ بالقرآن والسُّنَّة على قضايا الحرية لإبراهيم الحقيل (٣٦٩) وما بعدها [طبعة مركز البحوث بمجلة البيان، ط١، ١٤٣٤هـ]، وجريمة الردّة لهاني الجبير [موقع صيد الفوائد].

٨ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي

٩ ـ «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

١٠ ـ «مسائل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب.

الرزّاق/الرّازق

التعريف لغة:

الرزّاق والرّازق: اسمان مشتقان من الفعل رَزق يرزقُ رَزقًا ورِزقًا، ومعناه: العطاء.

قال ابن فارس: «الراء والزاء والقاف أُصَيْلٌ واحدٌ يدلُّ على عَطاءٍ لوَقت، ثم يُحمَل عليه غير الموقوت، فالرِّزْق: عَطاء الله جلَّ ثناؤه، ويقال: رَزَقه الله رَزْقًا، والاسم الرِّزْق»[(١)].

وقال الجوهري: «الرِّزقُ: ما ينتفع به، والجمع الأَرْزاق، والرَّزْق: العطاء، وهو مصدر قولك: رَزَقه الله، والرَّزقة بالفتح: المرة الواحدة، والجمع الرزقات، وهي أطماع الجند. وارتزق الجند؛ أي: أخذوا أرزاقهم»[(٢)].

التعريف شرعًا:

الرزّاق والرازق: هو الذي يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها، وأوصلها إليهم[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر مما تقدم اشتراك المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرزق في العطاء، غير أن المعنى الشرعي يختص بما يليق بالله ﷻ من صفة الرزق، فالله ﷻ هو الرازق ومنه الأرزاق كلها.

الحكم:

يجب إثبات هذين الاسمين لله ﷻ والإيمان بأن الله هو وحده يرزق الخلائق، ويتفضل عليهم بالرزق.

الحقيقة:

حقيقة اسمه تعالى الرزاق والرازق هي أن الله موصوف بالرزق، فهو الرزاق والرازق لعباده، وهذا الرزق منه سبحانه على عباده **نوعان**: **فالأول**: رزق عام يشمل جميع عباده البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

والثاني: رزق خاص بالمؤمنين، وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان،

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٨٨) [دار الجيل].

(٢) الصحاح (٤/١٦٧) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٥٣٠) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

وهو الرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدنيا، وهذا الرزق يشمل ما يكرم به الله المؤمن يوم القيامة ويمنه عليهم بإدخالهم جنات النعيم، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق][١].

الأدلة:

ورد اسمه تعالى (الرزّاق) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وورد اسمه تعالى (الرّازق) مجموعًا مضافًا إلى اسم التفضيل (خير) في قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة].

وورد كلا الاسمين في السُّنَّة النبوية، ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، غلا السِّعر فسَعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرّازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحدٌ منكم يطالبني بمظلمة في دمٍ ولا مال»**[٢].

وفي سنن الترمذي؛ أنه ﷺ قال: **«إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرزّاق»**[٣].

وقد ذكر القرطبي إجماع الأمة على تسمية الله عز وجل بالرازق والرزّاق[٤].

أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾: «إن الله هو الرزّاق خلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوّة المتين»[٥].

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء]: «إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة»[٦].

وقال السعدي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾؛ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٥٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٧ ـ ٩٤٨)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٣٥٣) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ]، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (١٠٥ ـ ١٠٦) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٢٠/ ٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١/ ٤٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده صحيح أيضًا.

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٧٧) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٧١) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها»[١].

وقال أيضًا: «الرزّاق لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متمتع برزقه مغمور بكرمه»[٢].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ومن أسماء الله المتعلقة بالرزق: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة]:

وهو من الأسماء المضافة، وقد اعتبرها أهل العلم ضمن أسماء الله الحسنى[٣].

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في مواضع عديدة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١٤﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج].

ومعنى ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾: أي: أن الله هو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم، وهو سبحانه خير من قيل: إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله[٤].

ـ المسألة الثانية: أن الله تعالى يختص باسمي (الرزاق) و(الرازق):

فلا يسمى بهما أحد سواه، وذلك لأن الرزق شأن من شؤون ربوبية الله ﷻ، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقًا كما لا يسمى خالقًا[٥].

ـ المسألة الثالثة: يشتق من اسمه تعالى: الرازق صفة الرِّزق لله تعالى:

وهي من الصفات الذاتية الفعلية الثابتة لله ﷻ[٦]. ويدل عليها الأدلة السابقة في الرزّاق والرازق، ومن أدلتها كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ [الحج].

ـ المسألة الرابعة: الفرق بين الرزق الشرعي والقدري:

أما الرزق الشرعي فهو ما أباحه الله لعباده وملّكه إياهم وشرع لهم الترزق منه والنفقة منه، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة]، فهذا الرزق هو الحلال لا يدخل فيه الحرام كالخمر ولحم الخنزير وغيرهما.

(١) تفسير السعدي (٨١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥١).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٣، ٢٠/ ٤١٣).
(٥) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (١٢٦) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ].
(٦) انظر: صفات الله للسقاف (١٢٦).

وأما الرزق القدري فهو ما سبق في علم الله وكتابته في اللوح المحفوظ أن العبد يترزق منه من خير أو شر، ومن حلال أو حرام، كما في حديث خلق الإنسان في بطن أمه: «**ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وأجله وشقي أو سعيد**»[(١)]، فهذا الرزق قدَّره الله على العباد، وشاء وقوعه منهم ولم يشرعه لهم[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الرزّاق والرازق:

الرزّاق صيغة مبالغة على وزن (فعّال) يدل على الوصف لكثرة الفعل، والرازق على وزن اسم الفاعل، فالرزّاق أبلغ في الدلالة على المعنى.

الثمرات:

١ ـ يجب على كل مسلم أن يعلم أن لا رازق ولا رزّاق إلا الله تعالى على الإطلاق وحده، وغيره إن رزق وأعطى فإنما يرزق من رزق الرازق الذي أعطى[(٣)].

٢ ـ وعلى العبد أن يرجع إلى الله وحده في طلب كل ما يريده، وأن لا ينتظر الرزق إلا منه، ولا يتوكل فيها إلا عليه.

٣ ـ وعلى العبد أن يشكر نعمة الله ﷻ الذي تفضل عليه بالرزق من غير كلفة منه ولا مؤونة.

٤ ـ يجب على كل مسلم أن يرضى بقسم القاسم وما ساقه الله إليه من رزق.

٥ ـ وعليه أن ينفق مما رزقه الله على عباد الله.

الآثار:

١ ـ إن تفرّد الله ﷻ بالرزق وتكفله برزق من في السماوات والأرض من تمام ربوبيته على خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت].

٢ ـ وبسطه الرزق على الجميع مؤمنًا كان أو كافرًا دليل على كمال لطفه بعباده.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى].

٣ ـ وتحكمه على رزق عباده بحيث يجعل من يشاء غنيًّا ويقتر على من يشاء من تمام عدله وحكمته سبحانه،

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٨٤).

قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى].

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية في إثبات صفة الرزق لله ﷻ كما يليق بجلاله، وقالوا: إنه سبحانه وتعالى لا تقوم أفعاله بذاته؛ بل يفعلها غير قائمة به، فيحدثها متى شاء، ولا يحدثها إذا لم يرد إحداثها[(١)].

أو أنها قديمة أزلية؛ لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله في الأزل لكانت ذات الباري محلًّا للحوادث وهذا ممتنع[(٢)].

الرد عليهم:

أولًا: كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له صفة لغيره، وإلا لزمهم أن لا يكون له صفة لا ذاتية ولا فعلية[(٣)].

ثانيًا: تفسيرهم الفعل بالمفعول مستلزم لنفيه، وتعطيل الخالق عنه، وأنه ليس هناك إلا المفعول[(٤)]؛ لأن عِلْمَنا بالمخلوق المفعول بلا فعل ولا خلق أعظم امتناعًا في العقل من علمنا بامتناع قيام الأفعال به وإن سماها المسمي حوادث[(٥)].

ثالثًا: أن المعنى إذا قام بمحل عاد حكمه على ذلك المحل؛ واشتق لذلك المحل منه اسم؛ ولم يشتق لغيره منه اسم وعاد حكمه على ذلك المحل؛ ولم يعد على غيره؛ كما أن الحركة والسواد والبياض والحرارة والبرودة إذا قامت بمحل كان هو المتحرك الأسود الأبيض الحار البارد دون غيره. قالوا: فكذلك الكلام والإرادة إذا قاما بمحل كان ذلك المحل هو المتكلم المريد دون غيره[(٦)].

رابعًا: أن «هذا منقوض على أصلكم فإنكم تقولون: إنه يريد بإرادة قديمة والمرادات كلها حادثة، فإن كان هذا جائزًا فلماذا لا يجوز أن يكون الخلق قديمًا والمخلوق حادثًا، وإن كان هذا غير جائز بل الإرادة تقارن المراد لزم جواز قيام الحوادث به، وحينئذ فيجوز أن يقوم به خلق مقارن للمخلوق فلزم

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٨٥ ـ ١٨٦)، والشامل في أصول الدين للجويني (٢٥١)، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (٩٢).

(٢) بحر الكلام للنسفي (٩١ ـ ٩٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣١٨).

(٤) ينظر: مختصر الصواعق (٢/٤٦٧)، وشرح النونية للهراس (١/١٥١).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٥٤٣)، ومنهاج السُّنَّة (٣/٤٦٢).

(٦) درء التعارض (٨/٤٨٣ ـ ٤٨٤)، وينظر: شرح الأصبهانية (٤٨٤ ـ ٤٨٥)، والتسعينية (٢/٤٤٣).

فساد قولكم على التقديرين»[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمود عبد الرزاق.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي

٩ ـ «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الرسالات السماوية

التعريف لغة:

الرسالات: جمع الرسالة، والرَّسالة بالكسر والفتح اسم[٢]، قال ابن فارس: «الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد»[٣]، والرسول هو: «الذي يتابع أخبار الذي بعثه؛ أُخذ من قولهم: جاءت الإبل رسلًا: أي: متتابعة، والرسول اسم من أرسلْت، وكذلك الرسالة»[٤].

السماوية: نسبة إلى السماء، والسماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا، قال الجوهري: «السماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء»[٥].

التعريف شرعًا:

الرسالة السماوية: «سفارة العبد بين الله وبين ذوي العقول؛ ليزيل بها عللهم، ويعلمهم ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة»[٦].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي هو نفس معنى

(١) منهاج السُّنَّة لابن تيمية (٣/٤٦٢). وينظر: مجموع الفتاوى له (٦/٢٣١).

(٢) القاموس المحيط (٩٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤٠٢) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٤) تهذيب اللغة (١٢/٣٩١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٥) الصحاح (٦/٢٣٨٢) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٦) دستور العلماء (٢/١٣٥) [مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٣٩٥هـ]، ونحوه قال صاحب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (١١) [دار الزمان، ط٢، ١٤٢٦هـ].

اللغوي، إلا أن في المعنى الشرعي تحديدًا للجهة المرسِلة، والمرسَلة والمرسلة إليها.

سبب التسمية:

أن بداية الرسالات ومنبعها السماء.

الحقيقة:

حقيقة الرسالات السماوية: هي وساطة تبليغ عن الله إلى عباده عن طريق الملائكة إلى الأنبياء، وبواسطتهم إلى الناس، قال الله تعالى عن أنبيائه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

المنزلة:

تظهر علو منزلة الرسالات السماوية في الأمور:

١ ـ أنها سفارة الله ﷻ، والله ﷻ يصطفي لها من يشاء من عباده، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

٢ ـ أن الإيمان بالرسالات السماوية ركن من أركان الإيمان.

٣ ـ أن الكفر والتكذيب بإحدى الرسالات السماوية كفر وتكذيب بجميعها، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء]، ولم يبعث إلى كل من هؤلاء إلا رسول واحد؛ فدل هذا على أن الكفر والتكذيب برسالة رسول واحد كفر وتكذيب بجميعهم.

الأهمية:

تظهر أهمية الرسالات السماوية في أنها حجة الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، والحجة بالغ الأهمية.

الأدلة:

بالإضافة إلى ما تقدم من الأدلة هناك أدلة كثيرة تدل على الرسالات السماوية؛ كقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجر]، وقوله:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ [الزخرف]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر].

كما يدل على وجود الرسالات السماوية قول النبي ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[١]، وقوله ﷺ: «**كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود**»[٢].

الأقسام:

لمّا كانت الرسالة السماوية واسطة وسفارة تبليغ عن الله إلى عباده، وذلك عن طريق الملائكة والأنبياء، ولا يحمل الملك الرسالات إلى الناس مباشرة، فعلم أن الرسالات السماوية باعتبار المرسَل على قسمين:

١ ـ إرسال الملائكة إلى الأنبياء[٣] عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحجّ: ٧٥].

٢ ـ إرسال الأنبياء إلى البشر، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١].

والله تعالى قد يرسل برسالته إلى أقوام بأعيانهم وقد يرسل بها إلى الناس عامة، قال النبي ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[٤]، فالرسالات السماوية باعتبار المرسَل إليه على قسمين[٥]:

١ ـ الرسالات السماوية لأقوام خاصة؛ كالرسالات السماوية للأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الروم: ٤٧].

٢ ـ الرسالة السماوية لجميع الناس؛ كالرسالة المحمدية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أن الرسالات السماوية كلها تتفق في التوحيد وأركان الإيمان، وإن كانت تختلف في الشرائع:

وقد بيّن النبي ﷺ اتفاق الرسل في التوحيد، واختلافهم في الشرائع بمثال فقال: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتّى، ودينهم واحد**»[٦]. قال ابن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).
(٣) انظر: النبوات (١/ ٧٢٠) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٠٨) [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨).
(٥) انظر هذا المفهوم في: الرسل والرسالات (٢٤٠).
(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم =

حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع»[(١)].

٢ ـ أن الرسالات السابقة كانت تخص بعض الأقوام بأعيانهم، وأن الرسالة المحمدية هي عامة لكافة الناس، وخاتمة الرسالات، ومهيمنة على جميعها، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣ ـ وجوب الإيمان بجميع الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة]، وفي حديث جبريل المشهور قال الرسول ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**»[(٢)].

وكيفية الإيمان بالرسالات السابقة تكون بـ«التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله، والتصديق بأنهم بلّغوها الناس، وأن الانقياد لها، والحكم بها كان واجبًا على الأمم التي نزلت إليها الكتب، والكتب السماوية يصدق بعضها بعضًا، والقرآن نسخ الكثير مما في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن؛ فلا بد مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه»[(٣)].

۞ الثمرات:

من ثمرات الرسالات السماوية:

١ ـ تهذيب العباد، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهذا هو الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات].

٢ ـ تعريف العباد بما يضرهم أو ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وليس

= ٣٤٤٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥).

(١) فتح الباري (٦/٥٩٧) [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨) من حديث عمر.

(٣) الرسل والرسالات (٢٢٩ ـ ٢٣١).

المراد ما يدرك بالحس فإن الحيوانات تعرف ذلك، وإنما المراد الأفعال التي تضر فاعلها في المعاد والمعاش، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى في الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد].

الحكمة:

من حكم الرسالات السماوية[1]:

١ ـ إقامة الحجة على الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء].

٢ ـ العباد لا يدركون بعقولهم الكثير من الغائبات التى هي من أصول الإيمان، فجاءت الرسالات السماوية وأخبرتهم بذلك.

٣ ـ الخلق بحاجة إلى القدوة حسنة، وحاملو الرسالات السماوية قدوة الأتباع، وأسوة حسنة لمن أطاع.

٤ ـ حرص الناس على حصول المصالح والمناصب العالية ولو بالتخريب وإلحاق الضرر بالغير اقتضى أن يرتب أمورهم من ليس من جنسهم، فأرسل الله الرسل بالشرائع وبذلك رتب أمورهم ومصالحهم أحسن ترتيب[2].

مذهب المخالفين:

الفلاسفة لم يعرفوا الرسالات السماوية على حقيقتها الشرعية[3]، وينقل مصنفو الفرق والمذاهب المعاصرة عن الباطنية عمومًا، وعن الدروز خصوصًا أنهم يجحدون الرسالات السماوية[4]، لكن إنكار الرسالات السماوية مخالفة لإجماع الأمم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»، لشيبة الحمد.

٢ ـ «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء»، لأحمد نكري.

٣ ـ «الحكمة من إرسال الرسل»، لعفيفي.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٥، ١٠)، لابن تيمية.

٥ ـ «الرسل والرسالات»، لعمر الأشقر.

(١) نظر: مدخل الطويان لدراسة كتاب النبوات (٢٢ ـ ٢٧).

(٢) انظر: الحكمة من إرسال الرسل (١٥ ـ ٢٠) بتصرف [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) النبوات (١/ ١٩٥، ١٩٧)، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ٤١٥، ٥/ ٤٣٥) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٥/ ٣٥٣) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٥ ـ ٦)، وفرق معاصرة لغالب عواجي (٢/ ٥٢١، ٦١٩، ٦٢٧)، والموسوعة الميسرة في الأديان (١/ ٣٩٨).

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ «صحيح البخاري» (ج١).

٨ ـ «صحيح مسلم» (ج١).

٩ ـ «فتح الباري» (ج٦)، ابن حجر.

١٠ ـ «فِرَق معاصرة تنتسب إلى الإسلام» (ج١)، لغالب عواجي.

١١ ـ «منهاج السُّنَّة» (ج١)، لابن تيمية.

١٢ ـ «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ج١)، بإشراف: الجهني.

١٣ ـ «النبوات»، لابن تيمية.

الرُّسُل

التعريف لغة:

الرُّسُل (والرُّسْل): جمع رَسول؛ وهو: مَن أُرْسِل في رسالة، والذي يُتابع أخبار مَن بعثه فهو مُرْسَل ورَسُول، وجمعه: رُسل، ويُطلَق الرسول على الرِّسالة نفسها. والراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطرد منقاس يدل على: الانبعاث والامتداد؛ ومنه: (الرَّسْل): السير السَّهْل، و(شَعْر رَسْل): إذا كان مسترسلًا[(١)].

التعريف شرعًا:

الرسول: هو من أرسله الله عز وجل إلى قوم كفار مكذبين مخالفين له، سواء أرسل بشرع ورسالة جديدة، أو بشرع من قبله من الرسل[(٢)].

ويطلق الرسول على: الرسول البشري، والرسول الملكي؛ كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ [هود: ٨١]، وقال جل جلاله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف].

إلا أن بحثنا هنا في الرسول البشري، لا الرسول الملكي، ومرادنا به: النبي والرسول.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الرسول لغة هو: من يتابع ويبلغ أخبار من بعثه لمقصود؛ سمي النبي المرسل بذلك؛ لتتابع الوحي عليه؛ إذ هو فعول بمعنى مفعول[(٣)].

وقيل: سمي بذلك؛ «لأنه ذو رسول؛

---

(١) انظر: الصحاح (٤/ ١٧٠٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٩١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٤) [المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ].

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٩١)، والكليات للكفوي (٤٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٣٦٣) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

أي: ذو رسالة»[(١)]؛ فالرسول هو: المرسل، الذي أرسل في رسالة.

والوجهان صحيحان، ليس بينهما تعارض أو تناقض؛ فالرسول هو المرسل من عند الله تعالى برسالة يبلغها للبشر، والوحي يتتابع عليه بهذه الرسالة.

الحكم:

حقيقة الإيمان بالرسل: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الإيمان بأنبياء الله ورسله عليهم السلام أصل وركن عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، معلوم من الدين بالضرورة، اتفق على وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين، من لدن أبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بالإيمان به؛ فمن أنكر نبوة أحد منهم أو لم يتبع شرائعهم كفر.

الحقيقة:

والإيمان بالرسل يتضمن عدة أمور:

أولها: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن رسالتهم جميعًا حق من عند الله تعالى؛ فنؤمن ونصدق بهم جميعًا، ولا نفرق بين أحد من رسل الله؛ فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، وكفر بالله العظيم ـ والعياذ بالله ـ.

الثاني: أن الله عز وجل أيد أنبياءه ورسله ـ بعلمه وقدرته وغناه ـ بالبراهين الظاهرة، والآيات والمعجزات الباهرة، والبينات الواضحة، ودلائل النبوة المتكاثرة، الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وأنهم مرسلون من عند الله تعالى حقًّا.

الثالث: أن الله تعالى اصطفى أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ فكانوا جميعًا صادقين مصدقين، بارين راشدين، كرامًا بررة أتقياء أمناء، هداة مهتدين، وأنهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين. وأنهم بلغوا رسالات ربهم البلاغ المبين؛ لم يكتموا منها حرفًا أو يزيدوا شيئًا أو ينقصوه، ولا بدلوا ولا غيروا؛ فقامت بذلك الحجة على الخلق ببعثتهم.

الرابع: اعتقاد أن دعوتهم جميعًا من أوَّلهم إلى آخرهم قد اتفقت في أصل الدين؛ وهو: توحيد الله سبحانه وتعالى ـ بإلٰهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته ـ، وما يشمل ذلك من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله. لكن فروع شرائعهم ـ من الفرائض والحلال والحرام ـ مختلفة في صورها ومقاديرها وأوقاتها وأنواعها

(١) تهذيب اللغة (١٢/٣٩١)، وانظر: الزاهر لابن الأنباري (١/٣٤).

وكيفياتها؛ وله ﷻ في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

الخامس: الإيمان بما سمى الله تعالى لنا من أنبيائه ورسله في الكتاب والسُّنَّة إجمالًا في الإجمالي وتفصيلًا في التفصيلي، والتصديق بهم وبما صح عنهم من أخبار في الكتاب والسُّنَّة، من ذكر أسمائهم وفضائلهم وخصائصهم وأخبارهم مع قومهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لهم ولأتباعهم، وما في ذلك من الكفاية والعبرة والموعظة.

المنزلة:

إن الأنبياء عليهم السلام هم أفضل البشر وأرفعهم درجة وقدرًا ومنزلة عند الله تعالى على الإطلاق، وإنهم يتفاوتون ويتفاضلون فيما بينهم في منزلتهم عند الله تعالى؛ فأفضلهم: رسل الله تعالى الكرام، وأفضل الرسل وأعلاهم منزلة: أولو العزم منهم ـ الخمسة المشهورون ـ، وأفضلهم: نبيِّنا محمد ﷺ (وهو أفضل الخلائق أجمعين)، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح، ثم باقي الرسل، ثم عامة الأنبياء غير الرسل، وهم يتفاضلون ويتفاوتون في الفضيلة فيما بينهم؛ فبعضهم أفضل من بعض؛ فالله تعالى اتخذ إبراهيم ومحمدًا خليلين، وكلَّم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليًّا، وجعل عيسى كلمته وروحًا منه، إلى آخر هذه الفضائل العظيمة والمناقب الجليلة. فنؤمن بمن قصَّ الله تعالى علينا خبره ومن لم يقصص.

الأدلة:

دل على هذا المعتقد الكتاب، والسُّنَّة الصحيحة، وإجماع الأمة:

أما الدليل على ركنية الإيمان بالرسل، وأنه أصل عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، وأننا لا نفرق بين أحد من رسل الله؛ فقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وقال ﷻ مبيِّنًا حكم من كفر بالرسل، أو فرق بينهم في الإيمان الواجب بهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

وثبت في حديث جبريل عليه السلام المشهور؛ أنه قال: «**فأخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1]، وكان ﷺ إذا قام

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

=

من الليل يتهجد يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن،... ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق**» الحديث[1].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعًا عامًّا مؤتلفًا، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف: بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم. فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض؛ فهو كافر، وهذا حال من بدَّل وكفر من اليهود والنصارى والصابئين»[2].

وقال ابن القيِّم: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح ـ لا في الدنيا ولا في الآخرة ـ إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم؛ فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها؛ فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير!»[3].

وقال ابن رجب: «الإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من: الملائكة، والأنبياء، والكتاب، والبعث، والقدر، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به، وغير ذلك من صفات الله، وصفات اليوم الآخر؛ كالصراط، والميزان، والجنة والنار»[4].

المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بالإيمان بالرسل:

ـ المسألة الأولى: المفاضلة بين الرسل:

الأنبياء عليهم السلام يتفاوتون ويتفاضلون فيما بينهم في منزلتهم عند الله تعالى؛ فأفضلهم: رسل الله تعالى الكرام، وأفضل الرسل وأعلاهم منزلة: أولو

= وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/١٣).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (١/٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ].

(٤) جامع العلوم والحكم (١/١٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤١٩هـ].

العزم منهم ـ الخمسة المشهورون ـ[1]، وأفضلهم: نبيِّنا محمد ﷺ (وهو أفضل الخلائق أجمعين)، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح، ثم باقي الرسل، ثم عامة الأنبياء غير الرسل، وهم يتفاضلون ويتفاوتون في الفضيلة فيما بينهم؛ فبعضهم أفضل من بعض.

وإن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام إنما يتفاضلون فيما بينهم بما حبى الله تعالى المفضل منهم ومنحه بالخصائص والفضائل والوسائل والكرامات والأحوال ـ الزائدة عن درجة النبوة والرسالة ـ التي لم يعطها لغيره؛ كالتفضيل بالتخصيص بمنقبة عظيمة ـ كتكليم الله تعالى موسى عليه السلام، واتخاذ إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام خليلين ـ، والتفضيل بالبينات والآيات والمعجزات والتأييد بالملائكة الكرام ـ كما حدث لعيسى عليه السلام ـ، والتفضيل بالشرائع وإنزال الكتب، والتفضيل بكثرة الأتباع، والتفضيل بكون النبي عبدًا رسولًا لا نبيًّا ملكًا ـ كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيِّنا؛ فهم أفضل من داود وسليمان ويوسف عليهم جميعًا الصلاة والسلام ـ، إلى غير هذا من أوجه التفضيل.

وأما حديث: «**لا تخيّروني من بين الأنبياء**»[2]؛ فمعناه: أي: لا تفضلوني بحيث يلزم نقص أو غضاضة على غيره أو يؤدي إلى الخصومة، أو قاله ﷺ على وجه التواضع وحسن الأدب[3].

ـ المسألة الثانية: عموم رسالته ﷺ:

إن من خصائص نبيِّنا محمد ﷺ التي انفرد بها عمن قبله من الأنبياء ـ مما هو معلوم بالنقل المتواتر من دين الإسلام بالضرورة ـ: أنه رسول الله إلى جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم ورعيتهم، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، من وقت بعثته إلى قيام الساعة؛ فليس هو رسولًا للعرب وحدهم، كما يعتقده بعض النصارى، والعيسوية من اليهود، وملحدو أهل الكتاب، أما غيره من الأنبياء؛ فكان الواحد منهم يبعث إلى قومه خاصة.

وإنه لا يسع أحدًا من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة، باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال؛ فمن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به ـ بحجة اتباع غيره من

(١) المراد: أن هؤلاء الخمسة بعينهم ـ الذين اشتهر أنهم هم أولو العزم من الرسل ـ هم أفضل الرسل، لا أن أولي العزم ـ وإن كانوا غيرهم ـ هم أفضل الرسل! فالمقصود أن هؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل، سواء قيل: هم أولو العزم ـ وهو المشهور المختار ـ، أو قيل غير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٨).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح البخاري (١٨/ ٢٤٠).

الأنبياء عليهم السلام ـ فهو من أصحاب النار، وكذا من سوغ اتباع شريعة غير شريعته ﷺ فهو كافر بالإجماع.

ولذا ختمت به الرسالة والنبوة؛ فهو ﷺ خاتم النبيين والمرسلين؛ فلا يتعبد الله تعالى بغير شريعته، ولا يتبع سواه؛ فشرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة؛ ولذا فهو ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة. ويعتقد المسلم: أنه لا يتم الإيمان به ﷺ إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا؛ فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به ﷺ[1].

وقد دلَّ على هذا المعتقد: الكتاب، والسُّنَّة المتواترة: قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ولفظ الناس يطلق على: الإنس والجن، وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان]، والعالمين: الإنس والجن.

وفي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**»، فذكر منها: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»، وفي رواية: «**كافة**»، وفي رواية مسلم: «**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[3].

ـ المسألة الثالثة: بشرية الرسل:

إن أنبياء الله ورسله عليهم السلام كانوا جميعًا بشرًا، يتصفون بصفاتهم ولا ينفكون عن

(١) انظر: تفسير الرازي (١٥/ ٣٨٧) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، ومجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٤، ٤/ ٢٠٤، ١٢/ ٤٩٦، ٢٧/ ٥٩، ٢٨/ ٥٢٤، ٣٤/ ٢٠٧)، والجواب الصحيح (١/ ١٦٢، ١٦٦، ٣٣٥، ٣٧١، ٤٤٥، ٢/ ٧، ٤٠، ٢٢١، ٥/ ٤٤٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وإعلام الموقعين (٤/ ٣٧٥) [دار الجيل ببيروت، ١٩٧٣م]، وهداية الحيارى (٢٠١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ٥، ٢/ ٢٦، ٣/ ٣٠١، ٤٨٩، ٤/ ٣١٢، ٤٧٧، ٥٢٣، ٥/ ٣١٥، ٦/ ١١٦، ٦/ ١٦٦، ٢٤٨، ٥١٨، ٥٩٢، ٧/ ٨٣، ٨/ ١١٥) [دار طيبة، ط٢]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط٩]، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ٢٧٩، ٢٨١) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ]، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٢/ ٦٤٥) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٥هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٩) [المكتب الإسلامي ببيروت]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/ ١٨٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، و(كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

البشرية البتة، فهم مولودون كما ولد البشر، ولهم آباء وأمهات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، ويتزوجون كما يتزوج الناس، ويأكلون ويشربون، ويقومون بأعمال ومهن البشر ـ كالتجارة ورعي الغنم نحوهما ـ، ويطرأ عليهم ما يطرأ على سائر البشر من الأعراض والجوع والنسيان والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية بالإجماع[(١)]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ﷻ: ﴿...قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾ [الأنبياء]. وقال النبي ﷺ: **«إنما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»**[(٢)].

ويتعرضون للبلاء والأذى ولهم في ذلك الأجر العظيم؛ فهم عبيد لله كجميع البشر، ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الملائكية شيء.

وهم جميعًا كانوا ذكورًا أحرارًا، مصطفين من خيار قومهم، ومرسلون بلسانهم ولغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم.

وإن البعثة كانت من أهل القرى (يعني: المدن) ولم تكن في أهل البوادي؛ فليس في الأنبياء امرأة ولا ملك ولا أعرابي ولا عبد ولا جني، ولا من يتصف بالصفات الناقصة والأخلاق الذميمة.

وهم مبرؤون سالمون من كل نقص وعيب، ومن كل ما يقدح في نبوّتهم وتبليغهم، أو ينفر عن اتباعهم؛ كدناءة الآباء، وسوء أو فحش الأمهات، والغلظة، وعن العيوب المنفرة للطباع؛ كالبرص والجذام، وجميع الرذائل؛ كالبخل والجبن واللغو والأخلاق الذميمة، وجميع الأمور المخلة بالمروءة؛ كأكل على الطريق، والحرف الدنية، وكل ما يخل بحكمة البعثة، ونحو ذلك.

ـ المسألة الرابعة: أولو العزم:

لقد اصطفى الله تعالى من بين عباده

---

(١) انظر: تلخيص ابن كثير لكتاب الاستغاثة لابن تيمية (١/٣٠٦) [مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٠١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٧٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قصة سهوه ﷺ في الصلاة.

رسلًا كرامًا جعلهم وسائط في إبلاغ الدين لخلقه وعباده، فبلغوا رسالات ربهم أتم بلاغ وأكمله، وكانوا جميعًا من أهل العزم والصبر والثبات على هذه الرسالات، وعلى الدعوة إلى دين الله تعالى، وكان من بينهم ـ على أشهر الأقوال ـ خمسة بلغوا النهاية في هذا العزم والجد؛ فصار هذا الوصف (أولو العزم) إذا أطلق منصرفًا إليهم، وهم أفضل المرسلين؛ بل أفضل الخلق على الإطلاق[١]؛ وقد خصَّ الله تعالى: (أولو العزم) من الرسل بالذكر على انفرادهم في موضعين من القرآن الكريم في سياق العزم والجد والثبات؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب] ـ فذكر تعالى أخذه الميثاق من النبيين جملة، ونصَّ منهم على هؤلاء الخمسة ـ، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ﴾ [الشورى: ١٣]، ومن ذلك: أن هؤلاء الخمسة عليهم السلام هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما في حديث الشفاعة المشهور[٢].

وأخرج الحاكم والبزار ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «**خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم**»[٣]، ولفظ الحاكم: «**سيِّد الأنبياء خمسة، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيِّد الخمسة**» فذكره.

ـ المسألة الخامسة: عدد المسمين في القرآن الكريم:

عدد المسمين منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون ـ إضافة إلى الأسباط المذكورين إجمالًا ـ وليسوا هم إخوة يوسف عليه السلام[٤] ـ؛ وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذا الكفل ـ وقد اختلف في نبوته، والصحيح: أنه نبي[٥] ـ،

(١) راجع: معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٧٢)، مجموع الفتاوى (١١/ ١٦١)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٢، ٧/ ٣٠٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، أضواء البيان (٧/ ٤٣٤)، ومعارج القبول (٢/ ٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٧/ ١٤١) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، رقم ٤٠٠٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفًا على أبي هريرة»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ]: «رجاله رجال الصحيح».

(٤) انظر: المسائل المتعلقة.

(٥) انظر: المسائل المتعلقة.

وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، وخاتمهم وأفضلهم محمد.

والدليل على أن الأنبياء والرسل المسمين في القرآن خمسة وعشرون؛ قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام]؛ فهؤلاء ثمانية عشر واحدًا منهم ذكروا في موضع واحد.

وجاء ذكر السبعة الباقين في مواضع متفرقة: قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال سبحانه وتعالى في ذكر آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال جل جلاله في ذكر إدريس وذي الكفل عليهما السلام: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى في ذكر سيدهم وخاتمهم ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقد ذكر بعض هؤلاء الأنبياء في مواضع متعددة من القرآن؛ كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

وسمَّى لنا النبي ﷺ منهم ـ مما صح عنه ـ: يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام؛ فقال ﷺ: «**إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس**»[(١)]، وقد جاء ذلك مفصلًا في الصحيحين ففيهما؛ أنه ﷺ قال: «**غزا نبي من الأنبياء فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللَّهُمَّ احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه**»[(٢)].

ـ المسألة السادسة: أول الرسل والنبيين بعد اختلاف الناس وعبادة غير الله تعالى:

نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، وقبله عيسى عليه السلام، ولم يكن بينهما نبي ولا رسول. والدليل على أن نوحًا عليه السلام هو أول الرسل والنبيين بعد اختلاف الناس وعبادة غير الله تعالى، قول الله ﷻ:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤/ ٦٥) [مؤسسة الرسالة]، وصحح إسناده: ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٧٦، ٦/ ٣١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وابن حجر في فتح الباري (٦/ ٢٢١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٢٤)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٤٧).

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ [غافر: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ [الإسراء: ١٧]، وفي الآية إنذار لكفار قريش في تكذيبهم رسول الله ﷺ «بأنه قد أهلك أممًا من المكذبين للرسل من بعد نوح. ودلَّ هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام؛ كما قاله ابن عباس»[1] وأُبَيّ بن كعب ومجاهد وقتادة وغيرهم في قول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٣]؛ قالوا: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا؛ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾»[2]. وثبت في حديث الشفاعة المشهور الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «**ائتوا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**»[3].

- المسألة السابعة: عدد الرسل:

ويعتقد المسلم أن لله تعالى سوى هؤلاء أنبياء ورسلًا كثيرين، لا يعرف أسماءهم ولا أعدادهم ولا أزمانهم ولا تفاصيل حياتهم وقصصهم مع أقوامهم إلا خالقهم ومرسلهم ﷻ - وقد ورد تعدادهم في أحاديث متكلم في أسانيدها[4] -؛ فيؤمن بهم إيمانًا مجملًا.

والدليل على أن أنبياء الله ورسله كثيرون، لا يعرف أسماءهم ولا أعدادهم ولا تفاصيل حياتهم إلا خالقهم ومرسلهم ﷻ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله تعالى بعد أن سمى

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٢١) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٦٩)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٩٦) [دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٤) أشهرها: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ]، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٧) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ] - واللفظ لابن حبان -، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه: قال: قلت: يا رسول الله؛ كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**»، قلت: يا رسول الله؛ كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**»... الحديث، وفي إسناد ابن حبان: إبراهيم بن هشام الغساني؛ قال الهيثمي في موارد الظمآن (١/ ٥٤) [دار الكتب العلمية]: «قال أبو حاتم وغيره: كذاب» وفي إسناد أحمد والطبراني ثلاثة ضعفاء.
لكن صححه الألباني بمجموع طرقه وشواهده؛ كما في السلسلة الصحيحة (٦ القسم الأول ٣٦٣، رقم ٢٦٦٨) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤١٦هـ].
وقد ورد في تعدادهم أحاديث أخرى ضعيفة؛ من رواية: أبي أُمامة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وجابر وغيرهم رضي الله عنهم.
وقد ضعف الأحاديث الواردة في عددهم: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما.

لنا مجموعة منهم: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر]، وقول الله جَلَّ جَلَالُهُ ـ بعد أن ذكر بعض المكذبين للرسل ـ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ [الفرقان].

ـ المسألة الثامنة: خاتم الأنبياء والمرسلين:

إن نبيَّنا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، ورسول ربّ العالمين إلى جميع الثقلين، فلا نبي ولا رسول معه ولا بعده؛ فبه أكمل الله الدين، وأتم علينا به النعمة، ونسخ به جميع الشرائع السابقة؛ فرسالته ﷺ كافية شافية عامة؛ فلا يسع أحدًا من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة ـ باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال ـ، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه ـ فلو أدركه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ما وسعهم إلا اتباعه ـ؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يتعبد الله تعالى بغير ما جاء به ﷺ، فمن ابتغى غير دينه وشرعه دينًا وشرعًا فلن يقبل منه، ومن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به ـ بحجة اتباع غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ فهو من أصحاب النار[1].

والأدلة على عموم رسالة نبيِّنا محمد ﷺ لجميع الثقلين، وأنه خاتم النبيين، وأن رسالته هي خاتمة الرسائل والناسخة لما قبلها من الشرائع؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩، ١١/ ٥٢، ١٢/ ١١، ١٤/ ١٣٤، ١٩/ ٩٣)، والجواب الصحيح (٥/ ٦٤)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٢١١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والاستقامة (٢/ ٢٤) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ]، ورسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٩) [مطابع الشرق الأوسط بالرياض، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٤٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٥٩، ٢٦٣)، والعقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز (١٢) [مكتبة ابن تيمية بمصر]، وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لابن عثيمين (٢٥) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ]، والرسل والرسالات للأشقر (١٥) [دار النفائس بالأردن، ط١٢، ١٤٢٣هـ]، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد (٧٨) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء (١٥٣) [وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[(١)]، وفي رواية جابر رضي الله عنه: «**فأنا موضع اللبنة؛ جئت فختمت الأنبياء**»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضّلت على الأنبياء بست**»، فذكر منها: «**وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»[(٣)].

وثبت في «الصحيحين» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب: الذي ليس بعده نبي**»، وفي رواية لمسلم: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**»[(٤)].

وفيهما أيضًا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي**» الحديث[(٥)].

وثبت في حديث ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»[(٦)].

الفروق:

الفرق بين النبي والرسول:

النبي: هو من أنبأه الله عز وجل، وهو ينبئ بما أنبأه الله تعالى به ـ من الخبر والأمر والنهي ـ[(٧)].

هذا تعريف النبي بوجه عام؛ فيدخل فيه: النبي والرسول ـ فهما يشتركان في الإنباء من عند الله تعالى ـ؛ فكل رسول نبي، من غير عكس.

ويفرق بينهما[(٨)] بأن النبي هو: من أرسل إلى قومه المؤمنين الموافقين له،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦)، وهو عنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٧).
وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٤)، بدون هذه الزيادة.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤)، واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن، رقم ٤٢٥٢)، والترمذي (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٢١٩) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥٢) مختصرًا، وأحمد في مسنده (١١٧/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢/٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٤، ١٨٥).

(٨) انظر: النبوات (١٨٤ ـ ١٨٥).

بشريعة من قبله من الرسل، فهو في قومه كالعلماء المبلغين عن الرسل.

أما الرسول فهو: من أرسله الله تعالى إلى الكفار المكذبين المخالفين له، سواء أرسل بشرع ورسالة جديدة، أو بشرع من قبله من الرسل.

أما القول المشهور عند المتأخرين بأن الرسول: «من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ»، والنبي: «من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ»[1]؛ فضعيف لا يصح[2].

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالرسل عليهم السلام: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده ولطفه بهم؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، ويبينوا لهم سبيله القويم، ويرشدوهم إلى ما يحبه الله ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه؛ لعدم استقلال العقل البشري بمعرفة ذلك، مع عظم الحاجة إليه.

ومن الثمرات أيضًا: شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، والمِنَّة الكبرى بإرسال الرسل.

ومنها أيضًا: محبة هؤلاء الرسل وتوقيرهم وتعظيمهم، وموالاتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، والاعتراف بفضلهم وشرفهم، والصلاة والسلام عليهم؛ لأنهم رسل الله وأفضل خلقه، ولما قاموا به من واجب إبلاغ رسالات الله إلى خلقه، وكمال النصح لعباده والشفقة بهم، والاقتداء بهم في الصبر على أذى أقوامهم، والجد والثبات على الحق والدين والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله عز وجل[3].

ومنها أيضًا: إثبات وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات سبحانه وتعالى.

ومنها أيضًا: إثبات حكمته عز وجل في إرسال الرسل لدعوة الناس إلى توحيده ودينه؛ كما قال سبحانه في التشنيع على من نفى الرسالة من قريش: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ «فمن قال هذا فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته؛ إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملًا لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة امتن الله بها على عباده، وهي: الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة والكرامة

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٥٥)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩)، ومعارج القبول (١/ ٧٤، ٢/ ٦٧٥).

(٢) انظر: أضواء البيان (٥/ ٨٠١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ]، والرسل والرسالات للأشقر (١٤).

(٣) انظر: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لابن عثيمين (٤٥)، وشرح الأصول الثلاثة له (٩٩).

والفلاح إلا بها؛ فأي قدح في الله أعظم من هذا؟!»[(١)].

ومنها أيضًا: أن ضرورة وحاجة العباد إلى الرسالة فوق حاجتهم وضرورتهم إلى كل شيء، «فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٣ ـ «الجواب الصحيح» (ج٥)، لابن تيمية.

٤ ـ «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه».

٥ ـ «الرسل والرسالات»، لعمر الأشقر.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

٧ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٨ ـ «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لابن عثيمين.

(١) تفسير السعدي (٢٦٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٧).
(٢) زاد المعاد لابن القيِّم (١/٦٩).

٩ ـ «العقيدة الصحيحة وما يضادها»، لابن باز.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٩، ١١، ١٢، ١٤)، لابن تيمية.

الرسول

يراجع مصطلح (الرسل).

الرشيد

التعريف لغة:

الرشيد: فعيل بمعنى مُفْعل وفاعل، وقد رَشَدَ فلانٌ يَرْشُد رُشْدًا وهو رَاشِدٌ ورَشِيدٌ، وهو خلاف الغي؛ إذا أصاب وجه الأمر والطريق[(٣)].

قال ابن فارس: «الراء والشين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامةِ الطريق. فالمَرَاشِد: مقاصد الطُّرُقِ. والرُّشْد والرَّشَد: خِلافُ الغَيّ، وأصاب فلانٌ من أمره رُشدْا ورَشَدًا ورِشْدة، وهو لِرَشْدةٍ خلاف لِغَيّة»[(٤)].

وقال الليث: «ورجل رشيدٌ وراشِدٌ، والإرشاد: الهداية والدِّلالة»[(٥)].

فدلَّ على أن الرشيد والرشد كلها

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٣٩٨) [دار الجيل]، الصحاح (٢/٣٦) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م].
(٤) مقاييس اللغة (٢/٣٩٨).
(٥) تهذيب اللغة (٤/٩١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

تدور حول الهداية والاستقامة.

التعريف شرعًا:

معنى الرشيد: أن الله ﷻ راشد في ذاته وراشد في قوله وفعله، أرشد الخلق كلهم إلى مصالحهم وأرشد أولياءه خاصة إلى الجنة وطرق الثواب[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر مما تقدم بأن كلًّا من المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرشد يدور حول الهداية والاستقامة.

سبب التسمية:

سمي الراشد راشدًا؛ لأنه راشد لنفسه ومرشد لغيره إلى سواء السبيل.

الحكم:

لا يسمَّى الله ﷻ بالرشيد أو الراشد ولا يوصف به؛ لعدم الدليل الصريح في ذلك، ولأن باب الأسماء والصفات توقيفي، فلا يسمى الله باسم أو يوصف بصفة إلا بدليل، والرشيد يفتقر إلى هذا الدليل كما سيأتي بيانه، لكنه يجوز الإخبار عن الله ﷻ بأنه رشيد وراشد بمعنى: أنه هادي عباده إلى سواء السبيل، ويوصف قوله وفعله بذلك؛ حيث إن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، والله تعالى أعلم[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة الرشيد تدل على تمام الرشد وكمال الذات والقدرة والحكمة وحسن التقدير والتدبير، وتمام العلم بما فيه المصلحة للخلق فيرشدهم إليها وما فيه المفسدة فيجنبهم عنها.

الأدلة:

لم يرد في القرآن والسُّنَّة دليل صريح يدلُّ على أن الرشيد اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته. فقد ورد بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ١٧﴾ [الكهف]، وورد بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠﴾ [الكهف]، وورد بصيغة الفعل في قوله ﷺ: «**الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمن، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأئمة واغفر للمؤذنين**»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٥) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء للخطابي (٩٧) [دار المأمون، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥٣)، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٨٥، ٥١٤) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٥١٧)، والترمذي (أبواب الصلاة، رقم ٢٠٧)، وأحمد (١٣/٢٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الإمامة في الصلاة، رقم ١٥٢٨)، وصحَّحه المناوي في فيض القدير (٣/١٨٢) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٥٣٠).

وجاء الرشيد وصفًا لغير الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ [هود]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات].

وعليه؛ فلا يثبت لله تعالى اسم الرشيد أو الراشد ولا يوصف بالرشد، إنما يخبر عنه بأنه رشيد في ذاته ومرشد لعباده وخلقه.

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيِّم في نونيته:

وهو الرشيد فقوله وفعاله
رشد وربك مرشد الحيران[١]

وقال ابن كثير ـ في قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف] ـ: «أي: هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله الله فلا هادي له»[٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الرشيد الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مرشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلق بما شرعه على ألسنة رسله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له وأخلص عمله أرشده إلى جميع مصالحه، وييسره لليسرى وجنّبه العسرى»[٣].

المسائل المتعلقة:

- **المرشد**: معنى اسم المرشد عند من أثبته نفس معنى اسم الرشيد؛ أي: الدّال على المصالح والداعي لها، وهو من صفات الأفعال[٤].

ولا يصح إطلاق اسم المرشد على الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلًا يصح اسمًا، والله أعلم[٥].

وقد استدلَّ من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾ [الكهف]. ولم يرد هذا الاسم في أي طريق من طرق حديث تعيين الأسماء المشهور[٦]. ولم يورده من أهل العلم سوى القرطبي[٧].

الثمرات:

أن الهداية والرشاد بيد الله تعالى

(١) النونية (٢١٠) [مكتبة ابن تيمية ط١٤١٧هـ].
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٣) [دار طيبة، ط٢].
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥٣).
(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٧٢) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].
(٥) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٠٩ ـ ١١١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩].
(٦) انظر: معتقد هل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ ـ ٨٤).
(٧) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٧١).

يهدي إليه من يشاء من عباده، فيطلب الهداية منه، وأن من هداه الله فهو المهتدي ومن أضله فلن يجد من دونه هاديًا ولا مرشدًا.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمود عبد الرزاق.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لسعيد بن وهف بن علي القحطاني

٧ ـ «شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لحفصة بنت عبد العزيز.

٨ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الرِّضا

التعريف لغة:

الرِّضا: مصدر للفعل: رَضِيَ يَرضَى، وهو خلاف السُّخْط. قال ابن فارس: «الراء والضاد والحرف المعتلّ أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف السُّخْط. تقول: رضِي يرضَى رِضًا، وهو راضٍ، ومفعوله مرضِيٌّ عنه، ويقال: إنّ أصله الواو؛ لأنّه يقال منه: رِضوَان»[(١)].

التعريف شرعًا:

الرضا: في حق الله عَزَّ وَجَلَّ صفة من صفاته الفعلية الثابتة له، تدلُّ على أنه سبحانه يرضى عن عباده المؤمنين المطيعين له رضًا حقيقيًّا كما يليق بجلاله وعظمته[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنيين من حيث إن الرضا في كلٍّ منهما ضد السخط، فرضا الله عَزَّ وَجَلَّ عن عبده ينافي سخطه عليه.

الحكم:

يجب إثبات صفة الرضا لله عَزَّ وَجَلَّ واعتبارها صفة فعلية متعلقة بذاته غير منفصلة عنه، من غير خوض في الكيفية أو تأويل ينفي دلالتها.

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٠٢) [دار الجيل].

(٢) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (١٢٨) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة للجامي (٢٨٩) [ط٢، ١٤١١هـ].

الحقيقة:

رضا الربِّ ﷻ «من لوازم ذاته دائمٌ بدوامِهِ، ولهذا أدام نعيم أهل الجنة رضاه عنهم، كما يقول لهم في الجنة: «**إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[1]»[2]. وهو صفة من الصفات الفعلية الثابتة له ﷻ، ومتعلقة بمشيئته، فهو يرضى عن عباده المؤمنين ولا يرضى عن القوم الكافرين، ويرضى أعمالًا ويكره أعمالًا. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. فـ«أخبر الله ﷿ أنه رضي عنهم، ورضيَ أعمالهم، ورضيَ عمن اتّبعهم بإحسان، فهم القدوة في الدين بعد رسول الله ﷺ بإصابة الحق، وأقربهم إلى التوفيق لما يقرب إلى رضاه»[3].

الأدلة:

دلَّ على ثبوت صفة الرضا الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [البيِّنة: ٨]، وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

وهذه الآيات صريحة في الدلالة على ثبوت صفة الرضا لله ﷿. قال ابن عثيمين: «هذه من آيات الرضا، فالله ﷻ موصوف بالرضا، وهو يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل»[4].

ومن أدلة السُّنَّة: قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»[5]، وقوله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا**»[6]، وقوله ﷺ عن ربه ﷿ في خطابه لأهل الجنة: «**إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[7].

وأما الإجماع: فقد نقله ابن عبد البر فقال: «أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز»[8].

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٦٧٢) [طبعة أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٩).
(٣) الحجة في بيان المحجة للتيمي (٢/ ٤٢٧).
(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/ ٢٥٩).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٥).
(٧) تقدم تخريجه قريبًا.
(٨) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٩٠) [مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ].

وأما دلالة العقل: فإن كون الله ﷻ يثيب الطائعين ويجزيهم على أعمالهم وطاعاتهم دليل على رضاه عنهم وعدم سخطه منهم[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى»[(٢)].

وقال ابن بطة في الإبانة مبوبًا: «الإيمان بأن الله ﷻ يغضب ويرضى ويحب ويكره»[(٣)].

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «إن الله ﷻ سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى، ويسخط ويضحك ويعجب»[(٤)].

وقال البغوي ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧] ـ: «ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به. يروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله ﷻ، وإن كان بإرادته»[(٥)].

وقال ابن عثيمين: «فنقول: الرضا صفة من صفات الله ﷻ، وهي صفة حقيقية، متعلقة بمشيئته، فهي من الصفات الفعلية، يرضى عن المؤمنين وعن المتقين وعن المقسطين وعن الشاكرين، ولا يرضى عن القوم الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يرضى عن المنافقين، فهو سبحانه وتعالى يرضى عن أناس ولا يرضى عن أناس، ويرضى أعمالًا ويكره أعمالًا»[(٦)].

المسائل المتعلقة:

- وصف الله ﷻ بالرضا لا يلزم منه تسميته بالراضي، إذ لم يرد هذا الاسم ضمن أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ولم يرد كذلك في إحصاءات العلماء ممن جمعوا أسماء الله الحسنى إلا في جمع ابن العربي، حيث أورده بصيغة: الرضا، وعده من قبيل الأفعال[(٧)]؛ أي: أن هذا الاسم مما يشتق من أفعال الله[(٨)].

وقد انتقد ابن القيِّم أصحاب هذا المنهج، فقال: «وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعلٍ اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسماه «الماكر

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/ ٢٦٠) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٤٦٣) [دار السلام، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) الإبانة لابن بطة (٣/ ١٧٢).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٣).

(٥) تفسير البغوي (٧/ ١٠٩) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/ ٢٦٠).

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٣) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٨) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٢٠) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

والمخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك»[1].

والخلاصة: عدم صحة إطلاق الراضي اسمًا لله تعالى، وإنما صح صفة، وليس كل ما صح صفة يصح اسمًا؛ لأن باب الأسماء أخص من باب الصفات.

الفروق:

الفرق بين الرضا والمحبة:

بين صفة الرضا والمحبة تقارب وتلازم، ولكن لا يلزم من التلازم وحده اتحاد المعنى، ولا يصح تفسير أحدهما بالآخر، فالرضا ضد السخط، والمحبة ضد البغض والكراهة[2].

الآثار:

١ ـ من آثار رضاه سبحانه عن عباده نصرتهم على أعدائهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران].

٢ ـ **ومنها**: تشوُّق العباد بما بشرهم به من رضوان يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١﴾ [التوبة].

٣ ـ **ومنها**: إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة].

٤ ـ **ومنها**: إيصالهم إلى أعلى درجات النعيم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾ [آل عمران].

٥ ـ **ومنها**: تفضُّله على عباده بأعلى لذات الجنة، ألا وهي رؤيتهم له ﷻ عيانًا من غير حجاب، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة].

مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة صفة الرضا وغيرها من صفات الأفعال، وأوجبوا تأويلها؛ فرارًا ـ بزعمهم ـ من تشبيه وتركيب وتجسيم.

فالجهمية المحضة يجعلون هذا كله مخلوقًا منفصلًا عن الله تعالى، والأشاعرة يُرجعونها إلى الإرادة، فالرضا عندهم بمعنى إرادة الثواب[3].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥).

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري (١/ ٢٥٨).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٣١٠) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٥١، ٧/ ٤٣١).
وانظر كذلك: الإنصاف للباقلاني (٣٨) [المكتبة الأزهرية، ط٢، ١٤٢١هـ]، ورسالة إلى أهل الثغر =

ويُرَد عليهم بأن ما ذهبوا إليه من نفي الرضا وغيرها من صفات الأفعال فرارًا من تشبيه وتركيب يلزمهم بذلك نفي ما أثبتوه من ذات الله وصفاته؛ لأن القول في الذات كالقول في الصفات، كما أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فلا فرق بين ما أثبتته المعتزلة من ذات، أو ما أثبتته الأشاعرة من إرادة، وما أثبته السلف من الرضا والغضب والاستواء وغيرها، فالقول في هذه كالقول في تلك[1].

ويقال لهم أيضًا: إن الثواب والثناء من آثار الرضا، ومن ثمراته، فليس هو الرضا نفسه، ففرق بين الصفة وآثارها، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة]. فقد فرق في الآية بين الرضوان الذي هو صفته وبين الجنة التي هي ثوابه، فلم يبق إلا إثبات صفة الرضا لله عز وجل حقيقية كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه من غير تشبيه لها برضا المخلوقين.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٤ ـ «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٦ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، للهراس.

٧ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد أمان الجامي.

٨ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مختصر الصواعق»، للموصلي.

الرعية

يراجع مصطلح (الإمامة).

الرغبة

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب لشيء. والآخر سعة في شيء. فالأول: الرغبة في الشيء: الإرادة له. رغبت في الشيء. فإذا لم ترده قلت: رغبت عنه»[2].

والرغبة: السؤال والطمع، يقال:

= للأشعري (٢٣١) [مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١، ١٩٨٨م].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٥١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٤١٥) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

رغب يرغب رَغبًا ورُغبًا ورغبة؛ إذا حرص على الشيء، وطمع فيه، ورجل رغوب: من الرغبةِ والرغيبة: العطاء الكثير والواسع، وأرغبني في الشيء، ورغبني بمعنى واحد[1].

التعريف شرعًا:

الرغبة: هي طلب أو محبة الوصول إلى الشيء المحبوب[2]، فالرغبة إلى الله: هي الطمع فيما عند الله تعالى، والحرص على طلبه[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي ظاهرة؛ حيث يجمعها معنى الطلب والسؤال والطمع، فالتعريف الشرعي هو جزء من التعريف اللغوي.

الأسماء الأخرى:

الرجاء، الطمع.

الحكم:

الرغبة من الأعمال القلبية التي يتقرب بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد أمر الله نبيَّه ﷺ بالرغبة إليه فقال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح]، ومدح أنبيائه عليهم السلام بذلك فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء]، وعلى هذا فهي عبادة جليلة، وقربة عظيمة، فلا يجوز صرفها لغير الله، وأما الرغبة من المخلوق بمعنى طلب الشيء منه، فهي جائزة إذا كان حيًّا قادرًا حاضرًا، وأما من طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، أو فيما يقدر عليه مخلوق لكن ذلك المخلوق ميت أو غائب فقد أشرك في عبادة الله تعالى[4].

الحقيقة:

حقيقة الرغبة: هي طلب الوصول إلى الشيء المحبوب، والمرغوب فيه، وحقيقة الرغبة إلى الله تعالى: الطمع فيما عند الله تعالى، وفيما أعده لعباده المؤمنين، تولدت عن الرجاء، فسلكت بصاحبها مسلك الطلب، فدفعته إلى السؤال والطلب[5].

الأهمية:

أهمية الرغبة تتضح في كونها هي والرهبة من أجل العبادات القلبية، التي

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦)، والصحاح للجوهري (١/ ١٣٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٥/ ٢٥٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩) [دار الثريا]، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول لعبد المحسن القاسم (٨٤) [ط١، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٧٤) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٨٧) [مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ]، والصواعق المرسلة الشهابية لسليمان بن سحمان (١٣٥) [دار العاصمة].

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٧٤).

تبعث على تحقيق أعلى مراتب العبودية، فيسير السالك إلى الله تعالى راغبًا فيما عند الله تعالى من الثواب الجزيل، وراهبًا مما عنده من العذاب الأليم، فهما ركنا العبادات القلبية؛ إذ إن الرغبة ثمرة الرجاء، والرهبة ثمرة الخوف.

الأدلة:

جاءت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة بالأمر في الرغبة إلى الله تعالى:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «**إذا أخذت مضجعك فتوضّأ وضوءك للصّلاة، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن ثمّ قل: اللَّهُمَّ إنّي أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك، آمنت بكتابك الّذي أنزلت، وبنبيّك الّذي أرسلت، واجعلهنّ من آخر كلامك، فإن متّ من ليلتك متّ وأنت على الفطرة**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله عز وجل لأُمتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدوًّا من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها علي**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمه الله: «قد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة، مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف، والاعتداد لرفع البلاء، وأمثال ذلك إنما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له، لا يشركون

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٧٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه ابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٢١٨)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

به شيئًا، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله ﷻ؛ بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان»[(١)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «الدين كله رغبة ورهبة فالمؤمن هو الراغب الراهب»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «في هذه الآية الكريمة ـ يعني: آية الأنبياء ـ: وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغبًا ورهبًا، مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فهم يدعون الله تعالى رغبة فيما عنده، وطمعًا في ثوابه، مع خوفهم من عقابهم، وآثار ذنوبهم»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ مسألة: الرغبة إلى الله تعالى تكون في السراء والضراء:

مما هو معلوم أن الرغبة هي من الأعمال القلبية التي تصحب حالة الدعاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء].

والدعاء هنا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، فإذا تقرر هذا فقد علم بالأدلة الشرعية أن المطلوب من العبد المؤمن أن يخلص رغبته ورهبته في حال السراء والضراء، ولا يكون كمن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت].

الفروق:

الفرق بين الرغبة والرجاء:

أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه. والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئًا طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئًا هرب منه[(٤)].

الفرق بين الرغبة والرهبة:

الرهبة هي الإمعان في الفزع من المرهوب، فهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه[(٥)].

الفرق بين دعاء الرغبة ودعاء الرهبة:

قيل في دعاء الرغبة: يجعل ظاهر كفيه إلى السماء وباطنهما إلى الأرض، وفي الرهبة بالعكس يجعل باطنهما إلى السماء وظاهرهما إلى الأرض، وقالوا: الراغب كالمستطعم، والراهب كالمستجير[(٦)].

---

(١) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (٦٦).
(٢) عدة الصابرين (١/١٠٩) [دار ابن كثير، ط٣].
(٣) شرح ثلاثة الأصول (٦٠).
(٤) مدارج السالكين (٢/٥٥) [دار الكتاب العربي، ط٣].
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/٤١٧).
(٦) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/١٣٥)، =

الثمرات:

من ثمرات الرغبة: أنها هي والرهبة مادتا التوفيق والنجاح، فهما تبعثان على السير إلى الله تعالى، وطلب مرضاته ومغفرته، والطمع فيما عنده، فيحصل المطلوب، ويزول المكروه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أراد بعبده خيرًا، وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»[(١)].

ومن ثمارها: أن من رغب فيما عند الله تعالى بصدق وإخلاص أُجر، وأعطي سؤله، كما أن من رهب من عذاب الله أُمِّن؛ لأن الله تعالى لا يخلف وعده[(٢)].

مذهب المخالفين:

المشركون الذين أشركوا مع الله في عبادته، وصرفوا لغيره أنواعًا من بالعبادات، تجدهم في حال الضراء يخلصون رغبتهم ورهبتهم إلى الله تعالى، وإذا أنجاهم، وصاروا في حال السراء أشركوا معه غيره؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت].

بل ومن المشركين من يشرك بالله تعالى في حال السراء والضراء، فتجده يعظم الرغبة والرهبة لغير الله تعالى في حالة الصحة والمرض، وفي حال الفقر والغنى، ونحو ذلك، وهذا أسوأ حالًا من الذي قبله[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول»، لعبد المحسن القاسم.

٢ ـ «جامع المسائل»، لابن تيمية.

٣ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٤ ـ «حاشية ثلاثة الأصول»، لعبد الرحمٰن بن قاسم.

٥ ـ «شرح ثلاثة الأصول»، لابن عثيمين.

٦ ـ «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية.

= وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/٨٩) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(١) شفاء العليل (٢٢٥) [دار التراث، القاهرة].

(٢) انظر: تيسير الوصول للقاسم (٨٥) بتصرف.

(٣) انظر: كشف الشبهات مع شرحه لابن قاسم (١٠٦) [ط٣، ١٤٢٨هـ].

٧ ـ «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٨ ـ «قاعدة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٩ ـ «المستدرك على مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

رفع عيسى عليه السلام

التعريف لغة:

الرفع: يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، نحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [الرعد: ٢]، وتارة في البناء إذا طولته، نحو قوله: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وتارة في الذكر إذا نوهته، نحو قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وتارة في المنزلة إذا شرفتها، نحو قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [الزخرف: ٣٢][(١)].

التعريف اصطلاحًا:

هو رفع عيسى عليه السلام حيًّا إلى السماء.

الحكم:

يجب الإيمان برفع عيسى عليه السلام، وأنه لم يصلب ولم يقتل كما زعمت اليهود والنصارى.

الأدلة:

قال الله جل وعلا: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بما أزال الشبهة في أمره، وكشف الغمة، وبرّأ المسيح وأُمَّه من افتراء اليهود وبهتهم، وكذبهم عليهما، ونزه ربُّ العالمين وخالق المسيح وأُمَّه مما افتراه

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٦٠) [دار القلم، ط١]، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ١١٦) [عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (٤٢٤) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٣٢هـ].

عليه المثلثة عبّاد الصليب وأن ربَّه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزَّهه وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه؛ بل رفعه إليه مؤيدًا منصورًا لم يشكه أعداؤه بشوكة، ولا نالته أيديهم بأذى فرفعه إليه وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه، ثم يكسر به الصليب، ويقتل به الخنزير، ويعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه، وأولى الناس به محمد بن عبد الله عليهما أفضل الصلاة والسلام»[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المراد بالتوفي المذكور في آية آل عمران:

هي وفاة صغرى والمراد بها: النوم، وعلى هذا القول جمهور المفسرين[(٢)].

وكانت العرب تسمي النوم وفاةً، والانتباه حياة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام]، وقال جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر]، فذكر في هاتين الآيتين الوفاتين: الصغرى والكبرى؛ فالصغرى هي النوم، والكبرى هي الموت الذي لا قيام بعده إلا عند البعث.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللَّهُمَّ أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[(٣)].

وقد ثبت بالأدلة القطعية أن الله توفى المسيح عليه السلام ورفعه إليه، وثبت أنه عليه السلام ينزل في آخر الزمان في هذه الأمة حكمًا عدلًا وإمامًا مقسطًا، وأن نزوله من أشراط الساعة، ودلالة على قربها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، قال ابن كثير: «أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم»[(٤)]. وأنه عليه السلام إذا نزل يقضي على الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل من

---

(١) هداية الحيارى (٣٨٤ ـ ٣٨٥) [عالم الفوائد، ط١].

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩١) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٧) [دار طيبة، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦) [دار طيبة، ط٤].

أحد إلا الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]، ويبقى ما شاء الله له أن يعيش، ثم يتوفاه الله الوفاة الكبرى، وهذا يدل على أنه لا يزال حيًّا عليه السلام حين رفعه الله تعالى، وأن وفاته وفاة قبض.

قال ابن تيمية: «من فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره. وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء. وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء]، فقوله هنا: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ يبيِّن أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في «الصحيح» أنه ينزل بدنه وروحه[(١)]؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات، فقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في «الصحيح» أنه ينزل بدنه وروحه، ولهذا قال من العلماء: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعًا، إلا بقرينة منفصلة.

وقد يراد به توفي النوم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]»[(٢)].

مذهب المخالفين:

أنكرت القاديانية رفع عيسى عليه السلام بزعم أنه لا مسيح إلا مدعي النبوة: غلام أحمد القادياني[(٣)]، في حين زعمت اليهود

---

(١) كما عند البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب...**» الحديث.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٣) ينظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (٣٨ ـ ٥٥) [دار السلام، ط٤، ١٤٠٢هـ].

وكذلك النصارى أن المسيح قتل على الصليب، والخلاف بينهما: أن اليهود ترى بشريته وأنه مدعٍ للنبوة نال ما يستحقه من الصلب والموت. في حين ترى النصارى أن المسيح إلٰه ابن إلٰه قدمه الأب ليصلب فداء للبشر عن خطيئة أبيهم آدم، ثم إنه في ثالث يوم بعد الصلب يصعد إلى السماء بجانب أبيه. وقد كذبهم الله تعالى، فبيَّن أن عيسى عليه السلام لم يمت؛ بل رفعه الله إليه، فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]، كما بيَّن تعالى أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ومحاسب عليه، فكيف يتحمل إنسان ذنوب ومعاصي إنسان آخر، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٧)، لابن حجر.

٢ ـ «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام»، للسيوطي.

٣ ـ «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله الغماري.

٤ ـ «البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة»، لسليمان بن عبد الرحمٰن بن حمدان.

٥ ـ «تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام»، لمحمد أنور الكشميري.

٦ ـ «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور شاه الكشميري.

٧ ـ «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح» (ج٦)، لمحمد إدريس الكاندهلوي.

٨ ـ «رفع عيسى حيًّا ونزوله وقتله الدجال»، لمحمد خليل هراس.

٩ ـ «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام»، لمحمد أنور الكشميري.

١٠ ـ «فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام»، لعبد الله بن جبرين.

١١ ـ «القيامة الصغرى»، لعمر الأشقر.

رفيع الدرجات

يراجع مصطلح (العلو).

الرفيق

التعريف لغة:

الرفيق: فعيل بمعنى فاعل مشتق من الرِّفْق، وهو خلاف العنف، قال ابن فارس في مادة: (رفق): «الراء والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عُنْف، فالرِّفق: خلاف العُنْف؛ يقال: رفَقْتُ أَرْفُق... هذا هو الأصل ثم يشتقّ منه كلُّ شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافَقة»[(١)]. وقال الليث: «الرفق: لين الجانب ولطافة الفعل»[(٢)]. يقال: رَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ؛ أي: لطَفَ، وهو به رفيق؛ أي: لطيف[(٣)].

التعريف شرعًا:

الرفيق: مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال[(٤)]، وهو صفة من صفات الله يدل على أن الله رفيق؛ رفيق في شرعه وفي أفعاله وفي جميع شؤونه مع عباده[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يفترق المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي حيث جاء الرفق في كلٍّ منهما يدل على اللين والسهل والتأني والنفع والإعطاء، وهذه المعاني كلها جائزة في حق الله عز وجل دالة على الكمال المطلق له سبحانه. وهي محل اتفاق عند أهل السُّنَّة[(٦)].

الحكم:

يجب إثبات الرفيق اسمًا لله تعالى كما ورد في الحديث، وهو متضمن لصفة الرفق له سبحانه وتعالى، بدليل أنه يحب هذه الصفة، وثناؤه على من قامت به هذه الصفة[(٧)].

الحقيقة:

حقيقة الرفيق: هي أن الله كثير الرفق، وهو اللين والتسهيل، الذي يسهل الأمور، وييسر أسباب الخير كلها لعباده، وأنه هو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، ليتوب من سبقت له العناية، ويزاد إثمًا من

(١) مقاييس اللغة (٢/٤١٨) [دار الجيل].
(٢) تهذيب اللغة (٣/٢١٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٣) لسان العرب (١٠/١١٨) [دار صادر، ط١].
(٤) ينظر: شرح النونية للهراس (٢/٤٧٥).
(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧).
(٦) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧)، منهج ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى للغامدي (٤٠٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٧) انظر: كتاب النعوت لأحمد النسائي (٢٩٠) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ]، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٥) [دار إحياء التراث، ط٢، ١٣٩٢هـ].

سبقت له الشقاوة[١].

الأدلة:

في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «**يا عائشة، إن الله رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[٢].

أقوال أهل العلم

قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «**إن الله رفيق**» ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى **ووصفه بالرفق**»[٣].

وقال ابن القيِّم في نونيته:

وهو الرفيقُ يحبُّ أهل الرفق بل
يعطيهمُ بالرفق فوق أَمَانِي[٤]

وقال السعدي: «فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة»[٥].

المسائل المتعلقة:

اختلف أهل العلم في إثبات الرفيق اسمًا لله تعالى، فمنهم من يرى أنه اسم ويشتق منه صفة الرفق كما قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «**إن الله رفيق**» ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه بالرفق»[٦].

والصحيح أنه صفة من الصفات الذاتية الفعلية الدالة على كمال حلم الله وحكمته ولطفه سبحانه.

الثمرات:

١ ـ ينبغي للمسلم أن يأخذ حظه من عبودية اسمه تعالى الرفيق، ويكون رفيقًا في أموره وجميع أحواله غير عجل فيها، فإن العجلة من الشيطان[٧]، وقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[٨].

٢ ـ وعلى المسلم أن يجعل الرفق قائده ودليله ليصل إلى قلوب العباد، ويؤثر فيهم، فيكون لأمره ونهيه وقعًا في قلوبهم، وعونًا لهم على فعل المعروف وترك المنكر[٩]، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[١٠].

---

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩٢٧)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٩٣)، واللفظ له.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٤٥).

(٤) النونية لابن القيم (٢٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (٩٨) [ط. المكتبة السلفية].

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٤٥).

(٧) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٥٧).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨).

(٩) انظر: منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى للغامدي (٤١٠).

(١٠) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٩٤).

الآثار:

من آثار رفقه سبحانه على عباده:

١ ـ رفقه سبحانه بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلا يكلف عباده ما لا يطيقون، وجعل فعل الأوامر قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيرًا من الأعمال بمجرد المشقة رخصة لهم ورفقًا بهم ورحمة، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعة واحدة؛ بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس وتلين الطباع ويتمّ الانقياد[(١)].

٢ ـ إمهاله للعصاة منهم ليتوبوا إليه، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة، لكن رفق بهم وتأنى ليحصل لهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة[(٢)].

٣ ـ تيسيره وتسهيله لأسباب الخير كلها، وأعظمها تيسير القرآن للحفظ، ولولا ما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر] ما قدر على حفظه أحد، فلا تيسير إلا بتيسيره، ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره[(٣)].

مذهب المخالفين:

إن مذهب الجهمية ومن قال بمذهبهم من المعتزلة والأشعرية: إنكار تسمية الله ووصفه بالرفيق، وزعموا أن المراد به عبارة عما يخلقه الله في عباده، ولأن الحديث من أخبار الآحاد ولا يجوز التعبد به، وهو مذهب القاشاني وابن داود الظاهري، وبعض الأصوليين[(٤)].

هذه أقوال باطلة، ولا حجة لأصحابها فيها. أما ردهم لأحاديث الآحاد، فقد ثبت بأدلة الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف والخلف على أن أحاديث الآحاد تفيد العلم ويجب العمل بها، وإثبات أسماء الله وصفاته بها[(٥)].

قال ابن القيِّم في معرض الرد على من لم يحتج بخبر الآحاد في العقائد: «وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث، وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول أن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين رووا هذه الأحاديث، وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم»[(٦)].

(١) فقه أسماء الله الحسنى للبدر (٣١٦) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/١٢) [مكتبة الذهبي، ط٤، ١٤٢٢هـ].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٤٦)، والمعتمد في الأصول لأبي الحسين البصري المعتزلي (٢/٥٨٣) [المعهد العلمي الفرنسي، ١٣٨٥هـ]، والمستصفى للغزالي (١/١٤٦) [دار صادر، ط١، ١٣٢٤هـ]، والأحكام للآمدي (٢/٤٥) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٥) انظر: مختصر الصواعق (٤/١٤٦٥) وما بعدها [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٦) مختصر الصواعق (٤/١٦٠٩).

وقد نقل النووي هذه الأقوال ثم قال: «والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقًا وغيره مما ثبت بخبر الواحد»[(١)].

وأما قولهم بأن الرفيق ما يخلقه الله تعالى من الرفق لعباده، فهذا تأويل باطل يخالفه نص الحديث الصريح بوصف الله تعالى بالرفق في قوله ﷺ: «**إن الله رفيق**» فتثبت له هذه الصفة كما أثبتها له رسوله ﷺ، مع اعتقاد أن له من هذا الوصف أعلاه وأكمله وما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، لأبي يعلى.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٤ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، للقحطاني.

٥ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٦ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «منهج ابن القيِّم في شرح أسماء الله الحسنى»، للغامدي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٤٦).

الرُّقى

التعريف لغة:

الرقى: جمع رقية، والرقية في اللغة هي: العوذة، يقال: رقى، إذا عوذ ونفث، وأصل العوذ والعياذ هو: الالتجاء والاعتصام.

قال ابن منظور: «الرُّقْيَة: العُوذة معروفة. والجمع: رُقىً، وتقول: اسْتَرْقَيْتُه فرَقاني رُقْيَة فهو راقٍ، وقد رَقَاه رَقْيًا ورُقِيًّا، ورجلٌ رَقَّاءٌ صاحبُ رُقىً، يقال: رَقَى الراقي رُقْيَةً ورُقِيًّا؛ إذا عَوَّذَ ونَفَثَ في عُوذَتِه»[(٢)].

وقيل: الرقية: هي العزيمة، قال الجوهري: «العزائم هي الرقى»[(٣)]، وقال ابن فارس: «قولهم: عزمت على الجني، وذلك أن تقرأ عليه عزائم القرآن»[(٤)].

التعريف شرعًا:

الرقية: آيات ودعاء وتوسل لله تعالى تقرأ على المريض بقصد الشفاء وذهاب

(٢) لسان العرب (١٤/٣٣١) [دار الفكر، ط١].
(٣) الصحاح (٥/١٦٨٥) [دار العلم للملايين، ط٣].
(٤) مقاييس اللغة (٤/٣٠٨) [دار الجيل، ط١]، وانظر: لسان العرب (٢/٤٠٠).

العلة من بدنه[١].

ومن أقوال العلماء في معنى الرقية في الشرع ما يلي:

١ ـ قال ابن الأثير: «الرقية بالضم: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة؛ كالحمى والصرع وغيرهما»[٢].

٢ ـ وقال ابن عبد الوهاب: «الرقى: هي التي تسمى العزائم»[٣].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كانت الرقى معروفة قبل الإسلام في لغة العرب، وذلك بالعوذة التي تقرأ على المريض وينفث عليه بها، جاء المعنى الشرعي مطابقًا للمعنى اللغوي، إلا أن ذلك قُيِّد بما أذن فيه الشرع.

الأسماء الأخرى:

العزائم، العوذ.

الحكم:

قسم العلماء الرقى إلى قسمين:

الأول: الرقى المشروعة، وهي التي تجتمع فيها **ثلاثة شروط**:

١ ـ أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢ ـ أن تكون باللسان العربي وبعبارة مفهومة المعنى.

٣ ـ أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله تعالى. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها»[٤]، وكلام العلماء في حكمها دائر بين الجواز والاستحباب، وفصَّل بعضهم في ذلك فجعل الجواز في حق المرقي، والاستحباب في حق الراقي، وهذا قول حسن.

الأدلة على جواز الرقى الشرعية:

وردت الرخصة في الرقى في عدد من الأحاديث، إلا أنه استثني من ذلك ما كان فيه شرك، كما ورد ذلك عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم؛ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[٥].

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن الرقى كالأدوية ليست توقيفية، حيث أجاز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض رقى

(١) انظر: أحكام الرقى والتمائم (٣٠).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٥٤) [دار الكتب العلمية].
(٣) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (١٦٥) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٠٦) [دار الريان للتراث، ط٢].
(٥) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٠).

الجاهلية الخالية من الشرك.

الثاني: الرقى الممنوعة، وهي ما تخلَّف فيها شرط أو أكثر من شروط الرقى المشروعة، وهي تدور في حكمها بين الشرك الأكبر ومجرد الحرمة، بحسب ما تشتمل عليه من ألفاظ وغيرها، وبحسب اعتقاد الراقي والمرقي فيها.

الأدلة على تحريم هذا النوع من الرقى:

ورد النهي عن الرقى في عدد من الأحاديث، ووصفها بالشرك، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(١)]، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقى»[(٢)].

قال ابن القيِّم ـ بعد سياقه لجملة من أحاديث الرخصة في الرقى ـ: «وأما ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر، فهذا لا يعارض هذه الأحاديث، فإنه إنما نهى عن الرقى التي تتضمن الشرك، وتعظيم غير الله سبحانه؛ كغالب رقى أهل الشرك»[(٣)].

۞ الحقيقة:

الرقى: هي كلام خاص يستعمل في الاستشفاء من الأمراض عمومًا الروحية منها والحسية، فإن كان هذا الكلام مأخوذًا من الكتاب والسُّنَّة، بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعوذين، ولا يكون بغير اللغة العربية؛ بل يتلو الآيات على وجهها، والأحاديث كما رويت وعلى ما تُلقِّيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز، فتلك الرقى من هدي النبي ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان، وأما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فغير جائزة[(٤)].

۞ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف].

ومما يدلُّ من السُّنَّة على الرقى المشروعة حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقي في

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٩).

(٣) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم، مع المعالم للخطابي (٥/ ٣٦٧) [دار المعرفة].

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٣٠ ـ ٦٣٥).

الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[(١)]. وحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»[(٢)]. وحديث أنس رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحُمَة، والنملة»[(٣)].

ومما يدلُّ من السُّنَّة على الرقى الممنوعة حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(٤)]، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقى»[(٥)]. وإنما المراد بهذه الأدلة: الرقى التي تتضمن شركًا وتعظيم غير الله تعالى.

أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وقد جاء عن أبي بكر الصديق كراهية الرقية بغير كتاب الله[(٦)] وعلى ذلك العلماء»[(٧)].

وقال الشوكاني رحمه الله: «قد قسَّم النبي ﷺ الرقية إلى قسمين: رقية حق ورقية باطل، فرقية الحق ما كان بالقرآن أو بما ورد عن النبي ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره، ورقية الباطل ما لم تكن كذلك، وعلى الرقية الباطل تحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الرقي، وعلى رقية الحق تحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها»[(٨)].

وقال عبد الحق الدهلوي رحمه الله: «الرقى: جمع رقية وهي العوذة، وقيل: ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء، وهي جائزة بالقرآن والأسماء الإلٰهية وما في معناها بالاتفاق، وبما عداها حرام، لا سيما بما لا يفهم معناه»[(٩)].

الشروط:

ذكر العلماء للرقية الشرعية ثلاثة شروط، وهي:

١ ـ أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وخالية من الشرك.

٢ ـ أن تكون باللسان العربي وبعبارة مفهومة المعنى.

(١) تقدم تخريجه قريبًا.
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٠).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٦).
(٤) تقدم تخريجه قريبًا.
(٥) تقدم تخريجه قريبًا.
(٦) لعل مأخذ هذا: ما رواه مالك في الموطأ (كتاب العين، رقم ٣٤٧٢) [مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط١]، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الطب، رقم ٢٣٥٨١) [مكتبة الرشد، ط١]، عن عمرة: أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي، ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله. وفي سنده انقطاع. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/١١٦٧).
(٧) التمهيد (٥/٢٧٨) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب].
(٨) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (٣٢٢) [دار القلم، ط١، ١٩٨٤م].
(٩) عون المعبود شرح أبي داود (١٠/٢٦٤) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ].

٣ ـ أن يعتقد أنها سبب من الأسباب وأن الشافي هو الله ﷻ[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الجمع بين أحاديث الرقية، وحديث: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[2]:

قال الخطابي ـ في شرحه لهذا الحديث ـ: «وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض والأوجاع؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه رقى بعض أصحابه من وجع كان. وإنما معناه: أنه لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والسم، وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار»[3].

ـ المسألة الثانية: كيفية الرقية:

ورد في كيفية الرقية صفات متعددة، **أهمها ما يلي:**

١ ـ النفث والتفل في الرقية:

ومما يدلُّ على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات»[4].

وما ورد عن أبي سعيد رضي الله عنه في قصة اللديغ، وفيه: «فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾»[5]، ولا شك أن النبي ﷺ علم بخبره وأقرَّه على ذلك.

فالحديث الأول يدل على مشروعية النفث حال الرقية، والثاني يدل على مشروعية التفل على المرقي، والأحاديث في ذلك كثيرة.

٢ ـ الرقية بدون نفث ولا تفل:

ومما يدلُّ على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أُتي به قال: «**أذهب البأس ربّ الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[6].

فهذا الحديث لم يذكر فيه أنه نفث أو تفل حال رقية المريض.

٣ ـ خلط التراب بالريق:

وذلك بأن ينفث الراقي على الإصبع بشيء من ريقه، ثم يوضع في التراب ويمسح به المريض في أثناء الرقية.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/١٩٥)، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص١٣٣)، فتح المجيد، لعبد الرحمٰن بن حسن (ص١٢٧)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علي الصديقي (٦/٣٧٨) التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) معالم السنن للخطابي (٤/٢٢٦) [المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٢)، واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٦٧٥)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩١).

ومما يدلُّ على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا**»[(١)].

٤ ـ الرقية في الماء ثم شربه:

وذلك بأن يؤتى بماء في إناء ثم يقرأ فيه بالرقى المشروعة، وينفث فيه، ثم يشربه المريض أو يمسح به مكان مرضه أو يغسله به.

وقد أجاز ذلك العديد من أهل العلم قال ابن مفلح: «قال أحمد في رواية مهنا ـ في الرجل يكتب القرآن في إناء ثم يسقيه للمريض ـ قال: لا بأس.

قال مهنا: قلت له: فيغتسل به قال ما سمعت فيه بشيء.

قال الخلال: إنما كره الغسل به لأن العادة أن ماء الغسل يجري في البلاليع والحشوش فوجب أن ينزه ماء القرآن من ذلك ولا يكره شربه لما فيه من الاستشفاء.

وقال صالح: ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحًا فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك. ونقل عبد الله: أنه رأى أباه يعوذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه.

وقال يوسف بن موسى: إن أبا عبد الله كان يؤتى بالكوز ونحن بالمسجد فيقرأ عليه ويعوذ»[(٢)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «ولقد مرَّ بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع»[(٣)].

وقال الشيخ ابن باز: «لا حرج في الرقية بالماء ثم يشرب منه المريض أو يغتسل به، كل هذا لا بأس به، الرقى تكون على المريض بالنفث عليه، وتكون في ماء يشربه المريض أو يتروَّش به، كل هذا لا بأس به»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: علاقة الرقى بالتوكل:

اختلف العلماء في مسألة الرقى هل تقدح في التوكل أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أن الرقية لا تقدح في التوكل سواء كانت بطلب أو بغير طلب[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٤).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/٤٥٦) [عالم الكتب]

(٣) زاد المعاد (٤/١٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط٧].

(٤) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز.

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٣٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/٢٧٨) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط٢، ١٤٠٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٢١١).

القول الثاني: التفصيل: فإن كانت بطلب وهو الاسترقاء فهذه تقدح، وعليه يحمل حديث: «**ولا يسترقون**»(١).

وإن كانت بغير طلب فليست قادحة في التوكل، وعليه يحمل حديث رقية جبريل للنبي ﷺ.

والقول الثاني هو الراجح(٢).

ـ المسألة الرابعة: كتابة بعض الرقى الشرعية، ثم محوها بالماء وشربها:

وصفة ذلك: بأن تكتب بعض آيات القرآن الكريم، أو بعض الأدعية الواردة في ورقة أو إناء ثم تمحى هذه الكتابة بالماء، ثم يشرب ذلك الماء الذي محيت به أو يغتسل به.

وقد اختلف العلماء في حكم ذلك على قولين:

القول الأول: جواز ذلك، سواء كتبت في ورقة أو إناء، وهذا القول هو المنقول عن مجاهد، وأبي قلابة، والإمام أحمد، ورجحه بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٣/ ٩١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٨٢، ٣٢٨) [الملك فهد بن عبد العزيز، بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين]، ومفتاح دار السعادة، لابن القيم (٥٨٠) [مكتبة حميدو، مصر، ط٣، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٧ ـ ٥٦)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩)، وزاد المعاد (٤/ ١٧٠).

وعمدتهم في ذلك بعض الآثار الواردة عن جماعة من السلف(٤).

القول الثاني: كراهية ذلك والاكتفاء بما ورد دون غيره، وهذا القول هو المنقول عن إبراهيم النخعي وابن سيرين، ورجحه ابن العربي المالكي، وعليه فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

وحجتهم: أن هذه الكيفية لم ترد عن النبي ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا سائر الصحابة رضي الله عنهم.

وقد وردت عدة أسئلة على اللجنة الدائمة حول هذه المسألة، وكان مما ورد في الإجابة عن ذلك، قولهم: «وأما كتابة سورة أو آيات من القرآن، في لوح أو طبق أو قرطاس، وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما، وشرب تلك الغسلة رجاء البركة أو استفادة علم أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه، أو رخَّص فيه لأمته مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثر صحيح فيما علمنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه، وأن

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩).

يستغنى عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله بما شرع؛ رجاء التوبة، وأن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه»[1].

وهذا القول هو الأقرب، لكون ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

- المسألة الخامسة: أخذ الأجرة على الرقية:

ورد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه في قصة سيد القوم الذي لُدغ، وأنهم جاؤوا إلى أولئك النفر من الصحابة رضي الله عنهم: «فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم»[2]، وفيه: أنه رقاه بالفاتحة وأنه شُفي، وأنهم أوفوهم جعلهم، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه بذلك، فصوب فعلهم، وأقرهم على ذلك.

قال شيخ الإسلام: «إذا جعل للطبيب جُعلًا على شفاء المريض جاز، كما أخذ أصحاب النبي ﷺ الذين جُعل لهم قطيع على شفاء سيد الحي، فرقاه بعضهم حتى برأ، فأخذوا القطيع، فإن الجُعل كان على الشفاء لا على القراءة»[3].

الفروق:

الفرق بين الرقى وبين التمائم:

١ - الرقى والتمائم يشتركان في أصل المعنى فيطلق على كلٍّ منهما معنى العوذ إلا أنهما يفترقان في الاستعمال، فالرقية تكون بالقراءة أو النفث أو المسح أو الشرب أو الاغتسال، أما التمائم فهي كل ما عُلق لدفع ضر أو جلب نفع.

٢ - أن الرقى يستفصل في حكمها، فما كان منها مشروعًا جاز، وما كان ممنوعًا حرم. أما التمائم فلا يستفصل فيها فكلها منهي عنها سواء ما كان من القرآن أو من غيره، وسواء قبل البلاء أو بعده على القول الصحيح.

قال سليمان بن عبد الله رحمه الله في معرض كلامه على التمائم وخلاف العلماء فيها: «وأما القياس على الرقية بذلك، فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد الدويش (١/١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٧٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/٥٠٧).

التعليق الذي لا بد فيه من ورق أو جلود ونحوهما على ما لا يوجد ذلك فيه، فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب»[(١)].

الآثار:

أ ـ آثار الرقى الشرعية:

١ ـ حصول الشفاء بإذن الله تعالى، وهذا ظاهر في كثير من النصوص؛ كحديث رقية اللديغ وغيره من الأحاديث.

٢ ـ طرد الشياطين عن نفس الإنسان المرقي، ودفع شره وكيده. قال شيخ الإسلام ـ في كلام له على آية الكرسي ـ: «جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته؛ فإن لها تأثيرًا عظيمًا في دفع الشيطان عن نفس الإنسان، وعن المصروع، وعن من تعينه الشياطين»[(٢)].

٣ ـ منع وصول العين وغيرها من الشرور التي قد تصيب الإنسان.

قال ابن القيِّم ـ في كلام له على بعض الدعوات والعوذ ـ: «من جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله»[(٣)].

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة المعلومة.

ب ـ آثار الرقى الممنوعة:

١ ـ انتشار الخرافة والدجل، تحت مسمى الرقى والعوذ.

٢ ـ الوقوع في الشرك بدعاء غير الله تعالى والتوسل إليه، كما في رقية ذوات السموم، فقد ورد فيها: «يا سليمان الرفاعي، يا كاظم سم الأفاعي، ناد الأفاعي، باسم الرفاعي»[(٤)].

٣ ـ الإعراض عن الاسترقاء بالقرآن الكريم، والرقى الشرعية الواردة في الأحاديث، والاستغناء عن ذلك كله بتلك الرقى الشركية.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الرقى والتمائم»، لفهد السحيمي.

٢ ـ «التمهيد»، لابن عبد البر.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «الرقى على ضوء عقيدة أهل السُّنَّة»، لعلي العلياني.

٥ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن القيِّم.

٦ ـ «شرح مسلم»، للنووي.

(١) تيسير العزيز الحميد (١٣٤) [المكتب الإسلامي، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٥).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٦٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٢١٤) [دار الوطن، ط١].

٧ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.
٨ ـ «القول المفيد كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
١٠ ـ «معارج القبول»، لحافظ حكمي.

الرّقِيبُ

التعريف لغة:

الرقيب: (فعيل) بمعنى (فاعل)، ومعناه: الحافظ. وأصله: مراعاة شيء، قال ابن فارس: «الراء والقاف والباء أصل واحد مطّرد، يدل على انتصابٍ لمراعاة الشيء، ومن ذلك الرقيب وهو الحافظ، يقال منه: رَقَبْتُ أرْقَب رِقْبة ورِقْبانًا»[(١)].

التعريف شرعًا:

الرقيب: أن الله عَجَّلَ مطلع على ما أكنته الصدور، قائم على كل نفس بما كسبت، حافظٌ لجميع المخلوقات، مراعٍ لأحوالهم[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي لمصطلح الرقيب، حيث جاء في كلٍّ منهما للدلالة على الحفظ والرصد والانتظار والاطلاع، فكل هذه المعاني جائزة في حق الله عَجَّلَ، فهو سبحانه رقيب راصد منتظر حافظ مطلع، لا يغيب عنه شيء، إلا أن مراقبته لخلقه ليس مثل مراقبة المخلوق للمخلوق، فمراقبته عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية، دائمة في كل زمان، وكاملة في كل مكان، فهو يرى المراقَب ويسمعه بكيفية تليق بجلاله وعظيم سلطانه.

سبب التسمية:

سمي الرقيب رقيبًا؛ لمراقبته وحفظه للأعمال والأحوال.

الحكم:

الذي يظهر أن الرقيب من أسماء الله تعالى الثابتة له بالنصوص الشرعية، فيجب إثباته له اتباعًا للوارد في الشرع، ولتنصيص سلف الأمة وعلمائها عليه[(٣)].

الحقيقة:

حقيقة (الرقيب): من أفعال الله الدَّال على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٢٧) [دار الجيل].
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]. وروى عن الحسن وقتادة قولهما: «رقيب: حفيظ». وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥١) [دار الثقافة العربية، ط. ١٩٧٤م]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٧).
(٣) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٣٦٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٤).

به اللواحظ[1].

الأدلة:

ورد (الرقيب) في ثلاث آيات في القرآن الكريم هي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ٥٢﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ الرقيب»[2].

وقال الزجاج: «الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء»[3].

وقال الحليمي: «الرقيب الذي لا يغفل عن ما خلق، فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلة عنه»[4].

وقال التيمي: «ومن أسمائه: الرقيب»[5].

وقال ابن القيِّم:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا
حظ كيف بالأفعال بالأركان[6]

أي: أنه إذا كان ﷻ رقيبًا على دقائق الخفيات، مطلعًا على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيدًا على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان[7].

وقال ابن كثير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ «أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم»[8].

وقال السعدي: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ٥٢﴾؛ «أي: مراقبًا للأمور، وعالمًا بما إليه تؤول، وقائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام»[9].

وقال أيضًا: «والرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير»[10].

الثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه رقيب عليه، وعلى كل مخلوق، وأن يعلم أنه سبحانه قد وكّل بكل مكلف ملكين يحصيان أقواله، وأن الجزاء من الله سبحانه بحسب هذه المراقبة[11].

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨).
(٢) كتاب التوحيد لابن منده (٣٦٢).
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى (٥١).
(٤) المنهاج لشعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٠٦) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٦هـ].
(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٤).
(٦) النونية لابن القيم (١٤٤) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].
(٧) انظر: الحق الواضح المبين (٥٨).
(٨) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٦) [دار طيبة، ط٢].
(٩) تفسير السعدي (٦٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(١٠) المرجع السابق (٩٤٧).
(١١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٠٥).

٢ ـ عَلِمَ العبدُ بأن الله رقيب وتعبُّده بهذا الاسم يثمر في القلب مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، في الليل والنهار، في الخلوة والجلوة؛ لأنه سبحانه مع عبده لا تخفى عليه خافية، يسمع كلامنا ويرى مكاننا، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا أيقن العبد بهذه الحقائق سعى إلى حفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها من أن يكون منها أو فيها ما يسخط الله ﷻ، وارتقى إلى مقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه تعالى يراه[1].

قال ابن القيِّم: «المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين»[2].

الآثار:

إن الإيمان بأن الله رقيب يراقب أعمال العبد وأحواله يجعل المسلم يحاسب نفسه ويراقبها من ارتكاب ما حرَّمه الله ﷻ عليه؛ لأنه يؤمن بأنه يسمعه ويراه، فيحفظ لسانه ويصونه، ويواظب على طاعة الله وابتغاء رضوانه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «الجامع لأسماء الله الحسنى»، لحامد أحمد الطاهر.

٥ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، للقحطاني.

٧ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «منهج الإمام ابن القيِّم في شرح أسماء الله الحسنى»، للغامدي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الرقيب والعتيد

يراجع مصطلح (الكرام الكاتبون).

(١) انظر: منهج الإمام ابن القيم في أسماء الله الحسنى للغامدي (٣٧٣).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٦٥) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

الرمال

يراجع مصطلح (الطرق).

الرهبة

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة. فالأول الرهبة: تقول: رهبت الشيء رَهبًا ورُهبًا ورهبة. والترهب: التعبد، ومن الباب الإرهاب: وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها»[(١)].

الرهبة: الخوف والفزع، من رهِب يرهب الشيء رهبة ورُهبًا ورَهبًا؛ أي: خافه، ويقال: أرهبه واسترهبه: إذا أخافه، والراهب: واحد رهبان النصارى، ويطلق على المنقطع للعبادة في الصومعة[(٢)].

التعريف شرعًا:

هي الإمعان في الهرب من المكروه[(٣)]، أو الخوف والفزع المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل[(٤)].

الأسماء الأخرى:

الوجل، الخوف، الخشية، الرهبة.

الحكم:

الرهبة من الله عَزَّ وَجَلَّ: نوع من أجلّ العبادات القلبية، التي يتقرب بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ومن صرفه لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر[(٥)].

الحقيقة:

حقيقة الرهبة: هي الفزع والخوف من المكروه؛ كعذاب الله تعالى وعقابه، والسعي بالعمل الذي ينجي منه، فهي خوف مثمر للهرب من المخوف، مقرون بالعمل[(٦)].

المنزلة:

الرهبة من الله: عبادة عظيمة من العبادات التي يجب أن تكون

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٧) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: الصحاح (١/ ١٤٠) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٥/ ٣٣٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٢/ ٣٩٨) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].
(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٧٤) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].
(٤) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩) [دار الثريا]، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول لعبد المحسن القاسم (٨٤) [ط١، ١٤٢٧هـ].
(٥) انظر: ثلاثة الأصول مع حاشية ابن قاسم (٣٤ ـ ٣٥، ٣٩) [ط٥، ١٤٠٧هـ]، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٢٢٨) [دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ].
(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٧٤)، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩)، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول للقاسم (٨٤).

خالصة لله ﷻ، وهي واجبة على كل عبد، وتتبين منزلتها في بيان أن الواجب على العبد أن يجمع بينها وبين الرغبة.

فتارة يمده الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقًا إلى الله، وطورًا يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجئ منه إليه، عائذ به منه راغب فيما لديه[(١)].

الأهمية:

أهمية الرهبة تتضح في أن المسلم لا يستغني في سيره إلى الله من أمرين؛ هما: الرغبة والرهبة، فبالرهبة يترك المحظور، وبالرغبة يأتي بالمأمور، وبالرهبة يسلم المسلم من الأمن من مكر الله، وبالرغبة يسلم من القنوط من رحمة الله.

الأدلة:

وردت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على وجوب إفراد الله ﷻ بالرهبة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل]، وقوله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أخذت مضجعك فتوضّأ وضوءك للصّلاة، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن ثمّ قل: اللَّهُمَّ إنّي أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك، آمنت بكتابك الّذي أنزلت، وبنبيّك الّذي أرسلت، واجعلهنّ من آخر كلامك، فإن متّ من ليلتك متّ وأنت على الفطرة**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله ﷻ لأمتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدوًّا من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها علي**»[(٣)].

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٤٣٨) [دار ابن القيم، ط١].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥١)، وأحمد (٣٦/ ٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٧٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وابن خزيمة (كتاب =

❁ **أقوال أهل العلم:**

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يتصور أن يخلو داع لله ـ دعاء عبادة أو دعاء مسألة ـ من الرغب والرهب من الخوف والطمع»[(١)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أراد بعبده خيرًا، وفَّقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»[(٢)].

وقال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان والخوف والرجاء، والتوكل، والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن]، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر»[(٣)].

❁ **المسائل المتعلقة:**

ـ مسألة: الرهبة من غير الله تعالى:

الرهبة: عبادة من أجلِّ العبادات القلبية، التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ومما هو متقرر أن صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تعالى يعتبر شركًا أكبرَ مخرجًا من الملة، والرهبة المقصودة بها هنا خوف العبادة؛ كمن يخاف من ميت أن يضره، أو غائب، ونحوه، وليس المقصود بها الرهبة الطبيعية التي هي من فطرة الخليقة.

قال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان والخوف والرجاء، والتوكل، والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن]، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر»[(٤)].

❁ **الفروق:**

الفرق بين الرهبة والخوف:

أن الرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب: راهب؛ لأنه يديم الخوف[(٥)].

وذكر ابن القيِّم: أن الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري

= الصلاة، رقم ١٢١٨)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الالباني في الصحيحة بشواهده انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٢٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) شفاء العليل (٢٢٥) [دار التراث، القاهرة].

(٣) ثلاثة الأصول مع الحاشية لابن قاسم (٣٤ ـ ٣٥، ٣٩).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الفروق اللغوية للعسكري (٢٤١) [دار العلم والثقافة، القاهرة].

الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه[١].

الثمرات:

من ثمرات الرهبة: أنها هي والرغبة مادتا التوفيق والنجاح، فهما تبعثان على السير إلى الله تعالى، وطلب مرضاته ومغفرته، والطمع فيما عنده، فيحصل المطلوب، ويزول المكروه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أراد بعبده خيرًا، وفَّقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»[٢].

ومن ثمارها: من رهب من عذاب الله وعقابه أُمِّن، كما أن من رغب فيما عند الله تعالى بصدق وإخلاص أُجر، وأعطي سؤله؛ لأن الله لا يخلف وعده[٣].

مذهب المخالفين:

خالف في هذه العبادة بعض غلاة المتصوفة فقالوا: لا نعبد الله رغبة في جنته، ولا رهبة من ناره؛ بل إنما نعبده حبًّا لذاته[٤].

هذا القول: باطل بدلالة القرآن؛ حيث إنه مخالف لما ذكره الله عن حال الأنبياء في عبادتهم لله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى مبيِّنًا حال المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

فمن ادعى عبادة الله بالمحبة وحدها، دون رهبة أو رغبة فهو زنديق؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من عَبَد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، وذلك لأن الحبَّ المجرد تنبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله، حتى قالت اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية،

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٠٨) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ] بتصرف.

(٢) شفاء العليل (٢٢٥).

(٣) انظر: تيسير الوصول للقاسم (٨٥) بتصرف.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة (٥٨) [الدار السلفية، الكويت، ط٣].

ولهذا قرن الخشية بها في قوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق]»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»، لابن رجب الحنبلي.

٢ ـ «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار»، لابن رجب الحنبلي.

٣ ـ «تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول»، لعبد المحسن القاسم.

٤ ـ «حاشية ثلاثة الأصول»، لعبد الرحمٰن بن قاسم.

٥ ـ «شرح ثلاثة الأصول»، لابن عثيمين.

٦ ـ «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية.

٧ ـ «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٨ ـ «قاعدة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٩ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «المستدرك على مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٨١).

الرُّوح

التعريف لغة:

«الرُّوح، والرَّوح، والرِّيح من أصل واحد، اكتنفته معان تقاربت، فبُنِيَ لكل معنى اسم من ذلك الأصل، وخُولِف بينها في حركة البنية»[(٢)].

قال ابن فارس: «الراء والواو والحاء أصل كبير مطَّرد، يدل على سعة وفُسحة واطّراد. وأصل ذلك كلِّه الرِّيح، وأصل الياء في الرِّيح الواو، وإنّما قُلِبَت ياءً لكسرة ما قبلها. فالرُّوح رُوح الإنسان، وإنّما هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كله. والرَّوْح: نسيم الرِّيح، ويقال: أراحَ الإنسانُ، إذا تنفس ويقال: أرْوَحَ الماءُ: تغيَّرتْ رائحته»[(٣)].

وفي كتاب «العين»: «الرُّوح: النَّفْسُ التي يحيا بها البدن، يقال: خرجت رُوحُهُ؛ أي: نَفْسُه، ويقال: خَرَجَ، فيُذَكَّرُ، والجمع أرواحٌ»[(٤)].

التعريف اصطلاحًا:

عين حادثة، مجهولة في بعض أحوالها، لطيفة، قائمة بنفسها، ذات صورة، وصفات، لا تكيف، تتصل بالبدن فيحيا، وتنفصل عنه فيتوفى، وهي

(٢) تأويل مشكل القرآن (٤٨٥) [دار التراث، ط٢].
(٣) مقاييس اللغة (٢/٤٥٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٤) العين (٣/٢٩١) [مكتبة هلال].

خالدة يبلى ظرفها ولا تبلى، وتسعد معه وبدونه وتشقى[(١)].

قال ابن القيِّم: «أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل»[(٢)].

الأسماء الأخرى:

النفس، والنسمة.

الحكم:

الإيمان بها واجب، فيجب الاعتقاد الجازم بوجود الروح كذات مخلوقة قائمة بنفسها، وأن لها صفات وأحكامًا تختص بها، والتصديق بكل ما ورد من الأخبار المتعلقة بها.

الأدلة:

قال تعالى في شأن الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللَّهُمَّ إني أسألك العافية**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله ربِّ العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»[(٥)].

والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا.

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية عند ذكره لحديث «**الريح من روح الله**»: «أي: من الروح التي خلقها الله، فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف»[(٦)].

ذكر ابن القيِّم: أن الرسل أجمعت على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مدبرة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين

---

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/١٠٢) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام].

(٢) الروح (١٤٤)، وانظر منه: (١٥٦)، وراجع: جلاء العينين للآلوسي (١٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٢).

(٤) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (١٤/٢٣٥): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٠).

الرسل[١].

وقال ابن أبي العز: «اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما»[٢].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: منزلة الروح من الغيب.

هل الروح من أمر الغيب؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين، فمن قائل: هي غيب، ومن قائل: ليست بغيب، ومرجع ذلك إلى الاختلاف في تفسير الروح الوارد في قول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهل المراد به الروح الذي يقوم به البدن؟ أو شيء أخر؟

فالذين فسَّروا الروح الوارد في الآية بأنه الروح الإنساني[٣] قالوا: الروح من أمر الله؛ يعني: «من علمه الذي منع أن يعرفه أحد»[٤]، وكما قال الشوكاني: «قد استأثر الله بعلمها، ولم يطلع عليها أنبياءه»[٥]. وعلى هذا المعنى درجت عبارات كثير من أهل العلم[٦].

والذين فسَّروا الروح في الآية بغير الروح الإنساني كالذين فسروه بأنه ملك، وأنه المذكور في قول الحق تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ] لم يعدوا الروح من أمر الغيب.

وذكر ابن القيِّم أن أكثر السلف ـ بل كلهم ـ على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم؛ بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم[٧].

والعلم بالروح مذهب الجمهور كما حكاه النووي[٨]، ثم ظاهر الآية ـ على

(١) انظر: الروح (١٤٤)، ولوامع الأنوار (٢/ ٣٣)، أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٩١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٨٥).

(٣) وهو مذهب جمع من أهل العلم، انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٢٧٤) [دار الوطن]، وحاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي (٥/ ٤٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٣٦٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والملل والنحل (٢/ ٨) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ]،، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٥٨) [دار الجيل، ط. ١٤٠٥هـ]، وزاد المسير في علم التفسير (٥/ ٨٢) [المكتب الإسلامي، ط٤]، وروح المعاني (١٥/ ١٥٤) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٤) زاد المسير (٥/ ٨٢).

(٥) زبدة التفسير (٣٧٦) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٦) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٤) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وتفسير السمعاني (٢٧٥)، والإنسان في القرآن للعقاد (٢٣) [نهضة مصر للطباعة، ط٢٠٠١م].

(٧) الروح (١/ ١٥١) [دار الكتاب العربي، ط٤].

(٨) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٣٨) [دار الكتب العلمية].

مذهب من فسَّر الروح بالروح القائم بالبدن ـ لا يدل دلالة قاطعة على أنها لا تعلم، فليست من الغيب.

والذي يظهر: أن الروح من حيث العلم بكنه ذاتها وكنه صفاتها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ أي: أنها من الغيب المطلق، وأما العلم بها من حيث كونها عين قائمة بذاتها، والعلم بآثارها وصفاتها التي جاءت بها الأخبار الصحيحة، فليست من الغيب المطلق؛ بل هي من الغيب النسبي؛ لأن بعض الخلق يتعامل معها، ويطلع على شيء من أحوالها كالملائكة[١].

ـ المسألة الثانية: حكم الكلام في الروح:

ليس في نصوص الكتاب أو السُّنَّة نص يمنع الكلام في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة لا في ذاتها ولا في صفاتها؛ بل قد جاء القرآن الكريم بالحديث عنها، وكذلك السُّنَّة، فهي مليئة بالنصوص التي تحدثت عن الروح وذكرت الكثير من صفاتها وأحوالها، فهي تتكلم، وتسمع، وتخاصم، وتتصل، وتنفصل إلى غير ذلك مما جاء به الوحي.

ومثل هذا فيه دلالة واضحة على أصل مشروعية الكلام في الروح.

(١) انظر: الروح في الديانات (١/ ٢٠ ـ ٢٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن الروح، وهل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها... إلخ، قال: «أما قول السائل: هل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها أو مجموعهما؟ فليس هذا من خصائص الكلام في الروح؛ بل لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لا يعلم، وليس في الكتاب والسُّنَّة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء»[٢]، ومن ذلك الكلام في كنه الروح وصفاتها وكيفيتها فهذا لا علم لنا بها، والخوض فيه من التكلف المذموم المنهي عنه.

ـ المسألة الثالثة: حدوث الروح:

الروح حادثة مخلوقة مربوبة مدبرة، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، فهذا العموم لا استثناء فيه، فيشمل خلق الأرواح والأجساد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر]،

(٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة (٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

فأضاف سبحانه الروح إلى نفسه، وهي «إضافة خلق وملك إلى خالق ومالك»[(١)].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، فالإنسان عبارة عن مجموع الروح والبدن.

وقال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(٢)].

فوصف الأرواح بأنها جنود مجندة، والجنود ذوات قائمة بنفسها، وهي مخلوقة.

وقال ﷺ في حديث نفخ الروح في الجنين: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**»[(٣)].

فالروح مفتقرة إلى من ينفخها، والمفتقر إلى غيره مخلوق.

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٣٩٠) [دار إحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

وفي الجملة؛ فجميع النصوص التي أفادت أن الروح تبشر، وأنها تقبض، وتكفن، وتحنط، وتصعد، وأن لها رائحة، وأنه يصلى عليها، وأنها تنعم أو تعذب، وأنها تلاقي غيرها، وأنها تسجد إلى غير ذلك، كلها تفيد أنها مخلوقة.

وقد حكى الإجماع على حدوث الروح غير واحد من العلماء[(٤)].

- **المسألة الرابعة: إضافة الروح إلى الربِّ تعالى:**

أضيفت الروح إلى الربِّ تعالى في شأن آدم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر]، وفي شأن عيسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

والإضافة هنا من الإضافات الخاصة التي تقتضي التشريف والتكريم لهذه الروح المضافة عن سواها، لا أنها صفة لله، ولا أنها هي الله ولا بعضه كما فهم الغالطون ممن لم يوفق للصواب.

قال ابن القيِّم: «هذه إضافة إلى إلٰهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه،

(٤) انظر: الفتاوى (٤/ ٢١٦)، والروح (٣٥١)، وفتح الباري (٨/ ٤٠٤)، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٤١٩) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٤١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وروح المعاني (٢٤/ ٨) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ]، والمواقف في علم الكلام (٧/ ٢٥٠) [عالم الكتب].

بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته؛ حيث تقتضي خلقه وإيجاده.

فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس»[(١)].

وبالمقابل نلاحظ أنه ﷻ لم يضف أرواح بني آدم إليه، ولا تضاف إليه إلا من حيث الخلق العام، ونفخها مسند إلى الملك الموكل بذلك، وهذا يشعر بالتمايز بين الأرواح مع أن الجميع خلق الله، كما جاء في حديث الصادق المصدوق، وفيه: **«ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح»**[(٢)].

- المسألة الخامسة: زمن خلق الأرواح:

خلقت الأرواح بعد خلق الأجساد؛ لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالخطاب في الآية للإنسان الذي هو روح وبدن، فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين[(٣)].

(١) الروح (٣٧١).
(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]، فالآية صريحة في أن خلق جملة النوع الإنساني كان بعد خلق أصله[(٤)].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر]، فنفخ الروح كان بعد التسوية؛ أي: بعد خلق آدم، وتعديل صورته.

وقال ﷺ في ابتداء خلق آدم عليه السلام: **«لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله ربِّ العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»**[(٥)].

فدلالة الحديث ظاهرة في أن نفخ الروح عقب خلق البدن.

- المسألة السادسة: اتصال الروح بالبدن:

اتصال الروح بالبدن على ثلاثة أوجه[(٦)]:

الأول: اتصالها به في الدنيا عند نفخ

(٣) انظر: الروح (٣٨٥).
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (١٤/ ٢٣٥): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).
(٦) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/ ١٨٥ ـ ٢٥٢).

الروح فيه، كما جاء في حديث الصادق المصدوق ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**»[1]، فبالروح تكون حياته إلى أن يموت، ولها اتصال به عند الوفاة الصغرى حال النوم، ونحوه.

الثاني: اتصالها به في البرزخ، وهذا في حال دون حال، وله صور منها: اتصالها عند السؤال، وعند النعيم أو العذاب.

الثالث: اتصالها به يوم القيامة، يوم أن ترد الأرواح إلى أجسادها، فيقع عليهما النعيم أو العذاب معًا في دارهما، في أكمل صورة.

قال ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه**»[2]، وذلك بعد النفخة الثانية.

ـ المسألة السابعة: وفاة الروح والبدن:

والوفاة نوعان: كبرى وصغرى.

فبالكبرى يكون الموت؛ وهو الانفصال الكلي الذي تفارق فيه الروح البدن.

وبالصغرى يكون النوم؛ وهو الانفصال الجزئي الذي تبقى فيه الروح على اتصال بالبدن.

والوفاتان هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

والروح لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى، فإذا فارقته بقيت في مستقرها إلى أن تلاقيه مرة أخرى فتدخله.

قال ابن تيمية: «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»[3].

أما الجسد فيفنى ويبلى إلا عجب الذنب، كما قال ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[4]، ويستثنى من ذلك الأنبياء، فإن أجسادهم محرمة على الأرض؛

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥/٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وقال ابن كثير (٧/ ٥٥٠) [دار طيبة، ط٢]: وهذا إسناد عظيم، ومتن قويم. وأخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد رقم ٤٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٤٦٥٧) وقال الألباني في صحيح موارد الضمآن (١/ ٣٢٥): صحيح.

(٣) الجواب الصحيح (٣/٢٦٨) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

لقوله ﷺ: «**إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(١).

وقد ذهب بعض المتكلمين من المعتزلة والأشعرية(٢)، إلى القول بفناء الأرواح بعد الموت، والنصوص السابقة دالة على بقاء الروح بعد فراق البدن، فإذا جاء يوم القيامة رجعت الروح إلى جسدها، وهذا ما قرره محققون من أهل العلم.

- **المسألة الثامنة: صفات الروح:**

تمر الروح بثلاث دور مختلفة، ولها في كل دار صفات وأحكام خاصة، فصفات الروح وأحكامها في دار الدنيا تختلف عنها في دار البرزخ، وتختلف عنها في دار الجزاء.

فتوصف الروح في دار الدنيا بما يوصف به البدن في الجملة وإن كانت تبعًا له، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فالإسراء الحاصل هنا هو للعبد الذي هو مجموع الروح والبدن، فالذي ركب البراق في رحلة الإسراء هو الروح والبدن، والذي عرج به إلى السماء هو الروح والبدن، والذي رأى من آيات ربه الكبرى هو الروح والبدن، والذي صلى بالأرواح ببيت المقدس هو الروح والبدن، لا أحدهما دون الآخر(٣).

وقال النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»(٤)، فالساجد هنا: مجموع الروح والبدن، لا الروح المحض، ولا البدن المحض.

وذكر ابن تيمية أن الإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنًا فيه الروح هو ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه؛ بل أفعاله تشترك فيها الروح، فهو إذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلًا شاربًا، وإلا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب.

وإذا نظر، واستدل، وسمع، ورأى، وتعلم؛ فالنفس فعلت ذلك بالبدن، والبدن يظهر فيه ذلك، والروح وحدها لا تفعل ذلك(٥).

فلا يصح أن نفرق في هذه الدار بين صفات الروح والبدن، إلا ما كان حال النوم؛ فإن الروح تكتسب فيه صفات

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصحَّحه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٢) انظر: الروح (٥١)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٣، ٤٩٢)، والفصل (٤/ ٥٧، ٥٨).

(٣) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/ ١٥٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).

(٥) الجواب الصحيح (٤/ ٢٥ ـ ٢٦).

أخرى تميزها عن صفات البدن؛ لأنها تتوفى فيه الوفاة الصغرى؛ فتفارقه وتنفصل عنه انفصالًا جزئيًّا، فتذهب وتجيء، وتنعم وتعذب، وتأكل وتشرب، وتلتقي بأرواح الأحياء والأموات مع ما لها من اتصال بالبدن.

وتتغير صفات الروح في دار البرزخ بعد الموت، ويكون لها من الصفات والأحوال ما يتناسب وتلك الدار البرزخية، كما أن البدن ذاته تتغير صفاته، قال ابن تيمية في إشارة إلى هذا التغيير الحاصل في الصفات: «النفس تتغير صفاتها بمفارقة البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة الروح له»[(١)].

وقد دلَّت النصوص أن الروح في هذه الدار: تسمع، وتعقل، وتفهم، وأنها ذات رائحة، وأنها تتحرك، وتنتقل، وتتكلم، وتوصف بالطيب والخبث، والصدق والكذب، والإيمان والكفر أو النفاق، وكذا بالرضا، والحب والتمني، والحياة، والأكل والشرب، والرضاع، وتوصف بالفزع والشعوف والصياح، وتوصف بما يوصف به صاحبها من شكل وهيئة، إلى غير ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة[(٢)].

ولعل أشمل حديث جاء فيه ذكر الروح وصفاتها وأحوالها حديث البراء بن عازب الطويل.

وفي دار الجزاء تكمل صفات الروح؛ بله الروح والبدن، يقول ابن القيِّم عن حال الروح في هذه الدار ـ وهي آخر الدور التي تمر بها الروح وفيها تستقر ـ هي: دار القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها، الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها[(٣)].

وقد دلَّ على كمال الروح وصفاتها في دار الجزاء: النصوص الواردة في وصف أهل الدارين وما هم فيه من نعيم أو عذاب؛ لأن السعادة أو الشقاوة في دار المقامة للأرواح والأبدان جميعًا، لا لهذه دون هذه ولا لهذه دون هذه.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٢٥).
(٢) انظر: الروح في الديانات (١/ ١٥٨).
(٣) انظر: الروح (٢٩٦).

نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ [الكهف]. وقال ﷻ عن أهل النار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ عن الفريقين: «**يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]. وأشار بيده إلى الدنيا[(١)].

فخلود الفريقين خلود للأرواح والأبدان.

وهذا الخلود دليل على كمال الصفات في هذا الدور من أدوار الروح؛ لأنه لا موت ولا فناء ولا بلى للأرواح والأبدان؛ بل هو خلود أبدي سرمدي.

فصفة الحياة في هذه الدار أكمل منها في سابقتيها، الأبدان ماتت في الدنيا، والأرواح ماتت بفراق الأبدان، ثم عادت إليها مرة أخرى فكانت حياة أخرى كاملة مؤبدة لم تعهدها من قبل.

ـ المسألة التاسعة: تسمية النفس باعتبار صفاتها:

النفس واحدة، وقد تسمى باعتبار تنوع صفاتها، **جاء ذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم:**

أولاها: قوله ﷻ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر]. فتسمى بالنفس المطمئنة، وتوصف بالطمأنينة.

وثانيتها: قوله ﷻ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة]. فتسمى بالنفس اللوامة، وتوصف باللوم لصاحبها.

وثالثتها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. فتسمى بالأمارة، وتوصف بالأمر بالسوء.

وقد ذكر ابن القيِّم أنه وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى، والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم[(٢)].

ـ المسألة العاشرة: النفس المطمئنة:

قيل: هي التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٢) انظر: الروح (٤٩٥).

الكرامة في الآخرة فصدقت بذلك[(١)]، وقيل هي: التي قد اطمأنت بالإيمان وأخبتت لربها[(٢)]، وقيل: الموقنة غاية اليقين[(٣)]، وقال ابن القيِّم: «النفس المطمئنة وهي الخاشعة المتواضعة لربها وما تؤول إليه من كرامته ورحمته»[(٤)].

فحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها، وطاعته، وأمره، وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، واطمأنت إلى قضائه وقدره، فاطمأنت بأنه وحده ربها، وإلٰهها، ومعبودها، ومليكها، ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين[(٥)].

وهي أعظم النفوس عند الله ﷻ قدرًا، وهي التي يقال لها: ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي[(٦)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٠) [دار الفكر].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٥٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ط٢٠٠١م].
(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].
(٤) التبيان في أقسام القرآن (٢٢) [دار الفكر].
(٥) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٧٦) [دار المعرفة، ط٢].
(٦) انظر: الروح (٢٦٧).

ـ المسألة الحادية عشرة: النفس اللوامة.

وهي التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه، وتتلون تارة كذا وتارة كذا، وتخلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا[(٧)]، قال ابن القيِّم: «وأما اللوامة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة هل هي من التلوم: وهو التلون والتردد، أو هي من اللوم، وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين»[(٨)].

وقد أقسم الله بها في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ [القيامة].

وفي النفس اللوامة **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

والثاني: أنها نفس المؤمن التي تلومه في الدنيا على تقصيره، قاله الحسن، فعلى هذا تكون ممدوحة.

والثالث: أنها جميع النفوس، قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها؛ إن كانت عملت خيرًا، قالت: هلا زدت، أو شرًّا، قالت: ليتني لم أفعل[(٩)].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ].
(٨) انظر: الاستقامة (٢/ ٢٥١) [جامعة الإمام، ط١].
(٩) انظر: التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٠٩) [دار الكتاب المصري، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م].

ولهذا قال الحسن البصري: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدمًا، فلا يعاتب نفسه»[(١)].

- المسألة الثانية عشرة: النفس الأمارة:

وهي النفس الأمارة بالسوء، الفرّارة من الخير[(٢)]. سميت بذلك لأنها أذعنت، وأطاعت لمقتضى الشهوات، ودواعي الشيطان[(٣)]، ومعاصي الله ﷻ أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء[(٤)].

ويخاف على صاحب هذه النفس سوء الخاتمة، وانتظاره مع هذه الحالة المغفرة من الله ﷻ غرور؛ فإن المقصر عن الطاعة، المصر على الذنوب، الغير السالك سبيل المغفرة، المنتظر للغفران؛ يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين، كما أن من خرب بيته، وضيع ماله، وترك نفسه وعياله جياعًا يزعم أنه ينتظر فضل الله ﷻ بأن يرزقه كنزًا يجده تحت الأرض في بيته الخرب؛ يعد عند ذوي البصائر من الحمقى المغرورين[(٥)].

ومن عرف حقيقة نفسه، وما طبعت عليه؛ علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله ﷻ منَّ به عليها لم يكن منها كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات]، فهذا الحب، وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا به، ولكن هو الله ﷻ الذي منَّ بهما، فجعل العبد بسببهما من الراشدين؛ فضلًا من الله ﷻ ونعمة، والله عليم حكيم؛ عليم بمن يصلح لهذا الفضل، ويزكوا عليه وبه، ويثمر عنده، حكيم فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه[(٦)].

- المسألة الثالثة عشرة: مستقر الأرواح:

هو المكان الذي تكون فيه الأرواح بعد أن تفارق أجسادها بالموت، وهو

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٢٨١) [دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٢٧٢) [مكتبة المعارف، بيروت].

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥) [دار المعرفة].

(٣) انظر: المصدر نفسه (٣/ ٤).

(٤) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (٤٣٠) [دار القلم، ط١، ١٩٨٤م].

(٥) انظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٤٠٩) [دار النفائس، ط٩، ٢٠٠٧م].

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٢٠) [دار الكتاب العربي، ط٢].

مقر نعيم أو عذاب، إلى أن تبعث مع بدنها إلى مقرها.

والواجب على المسلم الاعتقاد الجازم بأن الأرواح بعد الموت باقية لا تفنى كما دلَّت عليه النصوص.

ومن الأدلة على ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقول النبي ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه**»[(١)].

ـ المسألة الرابعة عشرة: مراتب مستقر الأرواح:

مقر الأرواح من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي، وعلى ذلك فلا مجال للعقل فيه، كما أنه لا مجال فيه للتخرصات والتكهنات.

وقد دلَّت النصوص على أن الأرواح تتفاوت في مستقرها بعد الموت أعظم التفاوت، فأرواح المؤمنين لها مقر، وأرواح الكافرين لها مقر معاكس. ثم بعد ذلك هناك تفاوت في مقر أرواح المؤمنين أنفسهم، فإن منهم الطائعين المسددين، ومنهم العصاة المفرطين، ولكل مقرٍّ يليق به.

فالأرواح إذًا ليست في مرتبة واحدة، وليست على درجة واحدة؛ بل هي مراتب ودرجات متباينة[(٢)].

ويمكن بيان ذلك وعرضه على النحو الآتي[(٣)]:

١ ـ مستقر أرواح الأنبياء عليهم السلام:

دلَّت النصوص على أن مقر أرواحهم في أعلى عليين من الجنة، على ما بينهم من التفاضل في الدرجات والتفاوت في المنازل؛ لقوله ﷺ: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيى أو يخير**»، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «**اللَّهُمَّ في الرفيق الأعلى**»، فقلت: إذًا لا يجاورنا[(٤)].

ففي هذه الرواية اختار النبي ﷺ الرفيق الأعلى وهم: «جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين»[(٥)]، وكأنه

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/ ٢٦٩).
(٣) انظر: الروح في الديانات (١/ ٢٦٩ ـ ٣٣١).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).
(٥) تحفة الأحوذي (٩/ ٤٦٨) [مطبعة المعارف]، والنهاية =

اختار رفقة خاصة، لها علو المكان والمنزلة كما يفهم من قوله: «**الأعلى**».

وجاء في رواية لأحمد ما يفيد اختياره للرفقة العامة، حيث قال: «**مع الرفيق الأعلى في الجنة**، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ إلى آخر الآية»[(١)]، وهي لا تناقض سابقتها، فإنه اختار أولًا المكان الذي هو مستقر أرواح السعداء، واختار منه أعلاه وأرفعه منزلة وهو ملتقى أرواح الأنبياء. وجاء في رواية للنسائي: «**أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل** عليهم السلام»[(٢)]، فهذا صنف آخر ورفقة خاصة مع رؤوس الملائكة عليهم السلام.

قال ابن حجر: «وظاهره أن الرفيق: المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين»[(٣)] من الملائكة والجماعة الذين في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وقد دلَّت على تفاوت الأنبياء في منازلهم أحاديث الإسراء والمعراج، فقد رأى النبي ﷺ آدم عليه السلام في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، ورأى غيرهما من الأنبياء عليهم السلام فيما بين السماءين[(٤)].

وذكر ابن القيِّم من مراتب مستقر الأرواح: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ في الإسراء[(٥)].

٢ ـ مستقر أرواح عموم المؤمنين:

مقر أرواح المؤمنين الجنة؛ بل هي طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادهم يوم القيامة. فأما كونها في الجنة، فلقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة]، وهذا ذكره ـ سبحانه ـ بعد ذكر خروج الروح من البدن بالموت[(٦)]. وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

= في غريب الحديث والأثر (٣/٢٤٦) [دار الفكر].

(١) أخرجه أحمد (٤٠/٥١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي: «أحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٩/٣٦) [مكتبة القدسي].

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٨٧٠)، وابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٩١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/٢٨٦): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٣) فتح الباري (٧/٧٤٤) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: حديث الإسراء والمعراج عند البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٥) الروح (٢٩٣) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: الروح (١٥٨).

وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»[(١)]. فجعل الموت حائلًا بينه وبين دخول الجنة، فإذا فارق الروح الجسد دخلها.

وأما كونها طيرًا يأكل من ثمر الجنة، فلقوله ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق**[(٢)] **في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه**»[(٣)].

٣ ـ مستقر أرواح الشهداء:

تقدم أن أرواح عموم المؤمنين في شكل طير في الجنة، وأما الشهداء فنوعان: نوع أرواحهم في حواصل طير خضر في الجنة، وهي كما يقول ابن كثير: «كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين»[(٤)].

ودليل ذلك: قوله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا! لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم**» فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات على رسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩][(٥)].

ولما سأل التابعون الصحابة رضي الله عنهم عن الآية الآنفة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أما إنّا قد سألنا عن ذلك، فقال ﷺ: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن**

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الأوسط (٨/ ٩٣) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٩) [دار الكتب العلمية، ط١]: «رواه النسائي والطبراني بأسانيد، أحدها صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٢) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحدها جيد».

وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٩٧٢).

(٢) **تعلق**: تأكل. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٩). وقال الزرقاني في شرحه على موطأ مالك (٢/ ١١٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ]: «يعلق بالتحتية صفة طير، وبفتح اللام رواية الأكثر كما قال ابن عبد البر، وروي بضمها، قال: والمعنى واحد، وهو: الأكل والرعي في شجر الجنة لتأكل من ثمارها، وقال البوني: معنى رواية الفتح: تأوي، والضم ترعى».

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٨) [دار طيبة، ط٢].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، وأحمد (٤/ ٢١٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم في المستدرك (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ط١].

يسألوا؛ قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[(١)].

ونوع أرواحهم في قبة خضراء على نهر بباب الجنة؛ لقوله ﷺ: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**»[(٢)].

قال الساعاتي: «قال العلماء: هذا في شهداء عليهم ذنوب منعتهم من دخول الجنة مع السابقين»[(٣)].

٤ ـ مستقر أرواح ذراري المؤمنين والمشركين:

دلَّت النصوص على أن أرواح الذراري بإطلاق ممن لم يبلغ الحنث في الجنة، في كفالة إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجه سارة رضي الله عنها على ما بينهم من التفاضل والتفاوت في الدرجات.

قال ﷺ: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين**[(٤)] **تكملان رضاعه في الجنة**»[(٥)].

وفي حديث سمرة الطويل قال ﷺ: «**أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما قال: فانطلقنا، فأتينا على روضة معشبة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهراني الروضة رجل قائم طويل، لا أكاد أن أرى رأسه طولًا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط وأحسنه، قلت لهما: ما هذا وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، انطلق**»، إلى أن بيَّنا له فقالا: «**وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة: فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله: فكل مولود مات على الفطرة**».

وفي لفظ: «**فقالا: انطلق. فانطلقت، فإذا روضة خضراء، فإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان**» إلى أن بيَّنا له فقالا: «**وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة: فذاك إبراهيم عليه السلام وأما الصبيان الذي رأيت: فأولاد الناس**»[(٦)].

ووقع في حديث أبي أمامة: «**ثم انطلقنا، فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهرين، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين**»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٨)، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٤/ ٢٨) [دار الشهاب].

(٤) **ظئرين**: الظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى. النهاية (٣/ ١٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣١٦).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧)، وأحمد (٣٣/ ٢٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، واللفظ له.

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٨٦)، =

ومما يدلُّ على أن مقر أرواح أطفال المؤمنين الجنة الأحاديث الواردة في أفراطهم الصغار ممن لم يبلغ الحنث وكونهم يتلقون آباءهم على أبوابها، وكونهم يشفعون لهم فيدخلونها، وكذا الأحاديث التي نصت على كونهم سببًا في دخول والديهم الجنة ونجاتهم من النار[(١)].

ومما يدلُّ بصفة خاصة على كون أطفال المشركين في الجنة، قوله ﷺ: **«النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود والوليدة»**[(٢)]. وفي لفظ: **«والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة»**[(٣)]، وهذا عام. ومما يشهد له قوله ﷺ: **«سألت ربي اللاهين[(٤)] من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم»**[(٥)].

وأيضًا قوله ﷺ: **«أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة»**[(٦)].

٥ ـ مستقر الأرواح الحبيسة:

وهذه أرواح مؤمنة قد حبست عن دخول الجنة بسبب يزول بزواله حبسها، وهم صنفان من المؤمنين:

الأول: من حبس بسبب دين، ويدخل هنا الشهداء وغيرهم.

قال ﷺ: **«نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»**[(٧)]، ومعنى معلقة:

= والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢] واللفظ له، والحاكم (كتاب الطلاق، رقم ٢٨٣٧) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٩٥١).

(١) انظر: الروح في الديانات (١/ ٢٨٧ ـ ٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦) [دار المعرفة]، وله شاهد عند البزار (١١/ ٣٢٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن معاوية بن مالج، وهو ثقة». مجمع الزوائد (٧/ ٢١٩) [مكتبة القدسي]، وقواه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧، ٣٣٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢١)، وأحمد (٣٤/ ١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وهو الحديث السابق نفسه، وفي سنده جهالة، كما أشار إليه الألباني في صحيح أبي داود (٧/ ٢٨٠) [مؤسسة غراس، ط١]، لكنه صححه بشواهده،

(٤) **اللاهين**: هم الأطفال.
انظر: فتح الباري (٣/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه أبو يعلى (٦/ ٢٦٧، ٧/ ١٣٨) [دار المأمون للتراث، ط١]، والطبراني في الأوسط (٦/ ١١١) [دار الحرمين]، وقد اختلف أهل العلم في ثبوته: فأعله الدارقطني في العلل (١٢/ ٢٢٩) [دار ابن الجوزي، ط١]، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤٤٤) [إدارة العلوم الأثرية، ط٢]، والبوصيري في الإتحاف (٨/ ٢٧٢) [دار الوطن، ط١]، وابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٢٧) [رمادي للنشر، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦) [دار المعرفة]، وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٠٤).

(٦) أخرجه الطيالسي (٩/ ٢٨٢) [دار المعرفة]، والبزار (١٤/ ٣٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٢٠) [دار الحرمين]، وضعف إسناده الحافظ في الفتح (٣/ ٢٤٦) [دار المعرفة]، وصحَّحه الألباني بمجموع طرقه وشواهده في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٥٢) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٩) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الصدقات، رقم ٢٤١٣)، وأحمد (١٦/ ٣٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٦٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٧٧٩).

محبوسة[١].

وفي حديث سمرة بن جندب؛ أن رسول الله ﷺ صلى الفجر ذات يوم، فقال: **«هاهنا من بني فلان أحد؟»** مرتين، فقال رجل: هو ذا. فكأني أسمع صوت النبي ﷺ قال: **«إن صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه»**[٢]؛ يعني: حبست روحه عن مستقرها مع أرواح المؤمنين.

الثاني: من حبس بسبب ذنب.

وخاصة كبائر الذنوب من نحو الغلول، أو النياحة على ميت، أو عدم التنزه من البول، أو الغيبة، أو النميمة وغيرها مما ورد فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، أو ورد فيها وعيد بنفي الإيمان، أو لعن، أو غضب أو نحو ذلك.

ومثال ذلك في الغلول، ما جاء في حديث رافع، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينا رسول الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: **«أف لك، أف لك»** مرتين، فكبر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: **«ما لك؟ امش»** قال: قلت: أحدثت حدثًا يا رسول الله؟ قال: **«وما ذاك؟»** قلت: أففت بي. قال: **«لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعيًا على بني فلان، فغل نمرة، فدرع الآن مثلها من نار»**[٣].

ومثاله في تعذيب الحيوان، قوله ﷺ: **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض»**[٤]. وقد صوّب النووي أن هذه المرأة كانت مسلمة، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث، ثم قال: «وهذه المعصية ليست صغيرة؛ بل صارت بإصرارها كبيرة»[٥].

ومما يحسن التنبيه إليه: أن الموانع من دخول الأرواح الجنة تزول في الدَّيْن بقضائه، وفي الذنوب بتكفيرها، ثم تعود

(١) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (٣/ ٦٢٦)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٧٧)، والفتح الرباني (٧/ ١٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٣٤١)، والنسائي (كتاب البيوع، رقم ٤٦٨٥)، وأحمد (٣٣/ ٣٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢٢١٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٣) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (٤٥/ ١٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط٥]. لكن يشهد لعذاب الغال في القبر عدة أحاديث في الصحيحين وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٣٤٠).

بعد إلى مستقرها من الجنة؛ لأن عذاب القبر منه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع، والمقصود هنا الثاني[(١)].

٦ ـ مستقر أرواح الكفار:

دلَّت النصوص على أن مقر أرواح الكفار النار، وفي بعضها: في سجين في الأرض السفلى بحسب منازلهم.

جاء في حديث البراء الطويل: أن الملائكة إذا قبضت روح الكافر: «**يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف] «**فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا.** ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج]»[(٢)].

ـ المسألة الخامسة عشرة: الصلة بين الأرواح والأبدان:

للأرواح صلة بأبدانها في الدنيا، وصلة في البرزخ، وصلة يوم القيامة.

فأما الصلة في الدنيا، فتبدأ في بطن الأم بعد نفخ الروح الذي هو طور من أطوار خلق الأجنة في الرحم.

ولأجل هذه الصلة بين الروح والجسد في بطن الأم رتب الفقهاء أحكامًا شرعية تتعلق بهذا المخلوق في داره الأولى؛ كالإجهاض، والدية، والإرث، والوقف، والعتق، والكفارة، والصلاة عليه[(٣)].

وتمتد صلة الروح بالبدن بعد الولادة، وتكون في حالتي اليقظة والمنام، ولذا تختلف تعلقات الروح بالبدن في بعض أحوالها مع كل حالة.

ففي حال اليقظة ينالهما معًا اللذة والألم، والراحة والتعب، ويشتركان في الأعمال الصالحة والطالحة، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب، وما يوصف به أحدهما يوصف به الآخر، مثل بمثل وسواء بسواء، قال شيخ الإسلام: «الإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنًا فيه الروح هو نوع

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٣٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩)، وأحمد (٣٠/٥٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٥٨) [دار مكتبة الحياة، ١٤٠٧هـ] بعد أن ساق لفظ أبي داود: «رواه أحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح، أطول من هذا»، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٢٠٣).

ثالث، ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه؛ بل أفعاله تشترك فيها الروح»[(١)]، إلا أن الأبدان أصل والأرواح تبع، وكما قال ابن القيِّم: «أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها»[(٢)].

وفي حال النوم، تفارق الروح البدن فراقًا جزئيًّا، ولذا فما ينال الإنسان في هذه الدار حال النوم منصب على الأرواح والأبدان معًا، إلا أن التبعية عكس ما كانت عليه حال اليقظة، فبينما كانت الروح محكومة بالبدن وتابعة له أصبح البدن هنا تابعًا لها وتعلقها به أضعف.

ولهذا كان ما ينعم به النائم أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلًا والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيرًا مشاهدًا، فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ. ولذلك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك؛ وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس[(٣)].

وأما الصلة بين الأرواح والأبدان في البرزخ فتبدأ بالموت، وهو مفارقة الروح البدن فراقًا كليًّا بعلاماته المعروفة عند أهل الفقه والطب، ومع هذا الانفصال تظل الروح على صلة بالبدن على نحو ما وكيفية ما لا يعلمها إلا بارئها تعالى.

ويستدلُّ لهذه المسألة بالنصوص الواردة في نعيم القبر وعذابه، فما يقع فيه من ذلك إنما يقع للأرواح والأبدان معًا، وقد يقعان على الأرواح مفردة، إذ هي الأصل في هذه الدار والأبدان تبع. وقد ذكر ابن تيمية أن العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن[(٤)].

وأما صلة الأرواح بالأبدان يوم القيامة فتبدأ بعد نفخة الصور الثانية، وذلك بعد أن تكون الأجساد قد عادت كما كانت عليه من عجب الذنب، وإذا عادت الأرواح إلى أبدانها فإنها لا

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٢٥).
(٢) الروح (١٨٣).
(٣) الروح (١٨٨).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٤).

تفارقها بعد البتة؛ بل تلازم الروح البدن ويلازم البدن الروح في علاقة راقية، واتصال لا يعقبه انفصال، وخلود يمتد بلا نهاية. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات]؛ أي: فإنما هو أمر من الله تعالى لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الربّ عز وجل ينظرون[١].

وبهذا القيام المهيب بين يدي ربّ العالمين تكون بداية جديدة للإنسان، بداية تشترك فيها الأرواح والأبدان، وتتابع أحوال القيامة وتعيش أهوالها، من ساعة الحشر فالجمع، فالعرض، فالحساب، فالميزان، فالحوض، فالصراط، فالقنطرة، فالشفاعات، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار[٢].

الفروق:

هناك من فرق بين مسمَّى الروح والنفس، وهناك من جعلهما مسميين لشيء واحد؛ أي: أنهما مترادفان[٣].

قال ابن عبد البر: «إن العلماء اختلفوا في الروح والنفس: هل هما شيء واحد أو شيئان؟»[٤].

والذي يظهر أن لا فرق بينهما، قال ابن تيمية: «الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[٥].

وذكر ابن القيِّم: أن مسمّاهما واحد عند الجمهور، وهو اختياره[٦]، وقرر: «أن الروح التي تتوفى وتقبض روح واحدة، وهي النفس»[٧].

وذكر أن هناك من خالف من أهل الحديث، والفقه، والتصوف، وطائفة من أهل الأثر، ثم استطرد في ذكر أقوالهم[٨].

مذهب المخالفين:

١ ـ أنكرت طائفة من أهل الكلام وغيرهم كون الروح عينًا قائمة بنفسها، وزعموا أنها عرض من الأعراض، وذهب طوائف إلى أنها البدن، أو جزء

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨).
(٢) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٢٤٧).
(٣) المرجع السابق (١/٦٨).
(٤) التمهيد (٥/٢٤١) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].
(٥) مجموع الفتاوى (٩/٢٨٩).
(٦) انظر: الروح (٤٨٨).
(٧) المرجع السابق (٤٩٣).
(٨) انظر: المرجع السابق (٤٩١، ٤٩٢).

من أجزائه، وكل ذلك باطل ولا دليل عليه[(١)].

ويرد عليهم بالأدلة التي أفادت أن الروح عين قائمة بنفسها، وأنها توصف بما توصف به الأجسام، من نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة]، قال القرطبي في تفسيرها: «يعني النفس عند خروجها من الجسد، وهذه صفة الجسم، ولم يجر لها ذكر في الآية لدلالة الكلام عليها»[(٢)].

وقوله ﷻ في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾ [آل عمران]، قال السمعاني: «وإنما يتصور رزق الأجسام لا رزق الأعراض»[(٣)]، وقد نعتهم بالحياة، والفرح، والاستبشار.

وفي الحديث قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(٤)].

«فوصفها بأنها جنود مجندة، والجنود ذوات قائمة بنفسها، ووصفها بالتعارف والتناكر، ومحال أن تكون هذه الجنود أعراضًا، أو تكون لا داخل العالم ولا خارجه»[(٥)]، وقد جعله الخطابي دليلًا على أن للأرواح صفة الأجسام[(٦)].

وكون الروح عينًا قائمة بنفسها فهذا يفيد: «أنها لا تفتقر في وجودها وبقائها إلى المحل، فليس المحل شرطًا في ذلك، وأنها ليست هي البدن، ولا جزء من أجزائه كالقلب أو الكلى مثلًا، وأنها ليست عرضًا من أعراض البدن كالحياة أو العقل، فإن العرض يقوم بغيره لا بذاته، وأنها تحمل صفات خاصة بها كغيرها من الأجسام»[(٧)].

ومما يحسن التنبيه إليه:

أنه لم يصح حديث في تقدم خلق الأرواح على الأجساد، «قال ابن حجر المكي في فتاواه الحديثية: ما روي عن ابن عباس: «أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة» لا أصل له.

وأيضًا خبر «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[(٨)] ضعيف جدًّا فلا يعول عليه»[(٩)].

---

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/٦ فما بعد)، و(٢/٩٢، ٢١٣، ٢٧٠).
(٢) التذكرة للقرطبي (١٣٥) [دار قباء].
(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣/٢٧٤).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) الروح (٤٣١).
(٦) أعلام الحديث (٣/١٨٧٤) [معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ].
(٧) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/١١٦).
(٨) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٤٠١) [مكتبة السلفية، ط١]، وقال: هذا حديث موضوع.
(٩) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/١١٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ]، وانظر: الروح (٤٠٧).

٢ ـ القائلون بقدم الروح **صنفان**:

صنف من الصابئة الفلاسفة يقولون: هي قديمة أزلية، لكن ليست من ذات الرب، كما يقولون ذلك في العقول، والنفوس الفلكية، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة، والمتكلمة، والمحدثة، يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشر قولًا من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده، نصفه ربّ، ونصفه عبد.

وقد كفَّر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد؛ حتى في فرعون، وهامان، وقارون؟ وكلما دلَّ على أن الإنسان عبد مخلوق مربوب، وأن الله ربه وخالقه ومالكه وإلٰهه فهو يدل على أن روحه مخلوقة.

فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معًا؛ بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح[(١)].

٣ ـ لا صحة لمن قال بتناسخ الأرواح، كما هو قول الباطنية، والإسماعيلية، والدروز، والنصيرية، والبابية، والبهائية، والقاديانية[(٢)].

وبالجملة؛ فالغلاة كلهم متفقون على التناسخ[(٣)]، وإن اختلفت تصوراتهم، وهم مستنون في معتقدهم بالبراهمة الهنود، فإن أصل القول بالتناسخ مأخوذ عنهم[(٤)].

والتناسخ من العقائد الباطلة التي تصادم القرآن والسُّنَّة والعقل، ولا أدلة معتبرة لأصحابه.

ولا صحة أيضًا لمن زعم قدرته على تحضير الأرواح من مستقرها، ومثولها بين يديه، ومناجاتها[(٥)].

وقد سئلت اللجنة الدائمة[(٦)] عن تحضير الأرواح، فأجابت بأن ذلك يعرف باستخدام الجني واستحضاره

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٢١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/٧٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٠٥) [المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ]، وحركة الغلو وأصولها الفارسية (ص١٦) [مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: الملل والنحل (١/٢٠٦) (٢/٣٦٦) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ]، ومقارنات الأديان ـ الديانات القيمة (٣٨) [دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م]، والإنسان في ظل الأديان (١٩٤) [مكتبة المعارف، ط١٤٠٠هـ].

(٥) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة وتحضير الأرواح (١/٣٦٣) فما بعد، (٢/٦٧٣) فما بعد.

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الأولى (١/٦٤٤ ـ ٦٤٥).

بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره، وذلك نوع من الشعوذة والكهانة، وهو ممنوع شرعًا؛ لما فيه غالبًا من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام].

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض** ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ **فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**»[(١)].

وقد سئل ابن باز عما يسمى بعلم تحضير الأرواح، فأجاب: «إنه علم باطل وإنه شعوذة شيطانية، يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على المسلمين، والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

٢ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٣ ـ «الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة»، للعبيدي.

٤ ـ «إغاثة اللهفان»، لابن القيِّم.

٥ ـ «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيِّم.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ «شرح نونية ابن القيِّم»، لابن عيسى.

٨ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣/٣٠٩). وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الثانية (١/٢٥٧).

١١ ـ «عقائد الثلاث والسبعين فرقة»، لليمني.

١٢ ـ «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.

الرُّوح (روح القدس)

يراجع مصطلح (جبريل).

الرِّياء

التعريف لغة:

الرِّياء: مصدر راءى يرائي، مشتق من الرؤية، يقال: قومٌ رِئاءٌ؛ أي: يقابل بعضُهم بعضًا، وكذلك: بيوتهم رِئاءٌ، وتَراءى الجمعان: رأى بعضُهم بعضًا، ويقال أيضًا: رائيت الرجل مراءة، ورياءً: أي: أريته خلاف ما أنا عليه[(١)].

وقد يأتي الرياء على القلب، كما قال الجوهري: «ويقال: راءى فلان الناس يرائيهم مراءاة، ورايأهم مرايأة على القلب بمعنًى. وفلان مني بمرأى ومسمع؛ أي: حيث أراه وأسمع»[(٢)].

التعريف شرعًا:

الرِّياء: هو «إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها»[(٣)].

ومما يشهد لهذا التعريف من أقوال العلماء:

١ ـ قيل: الرياء هو: طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، قاله القرطبي[(٤)].

٢ ـ وقيل: هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها، قاله ابن حجر[(٥)].

٣ ـ وقيل هو: «أن يري الناس أنه يعمل عملًا على صفة، وهو يضمر في قلبه صفة أخرى»، قاله الشيخ سليمان بن عبد الله[(٦)].

وقيل في تعريف الرياء غير ذلك.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان اشتقاق الرياء في اللغة من الرؤية وإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه، أطلق في الشرع بهذا المعنى إلا أنه خصص ذلك بالأعمال الصالحة؛ كإظهار العبادة من صلاة وذكر ونحوهما؛ لقصد رؤية الناس، فكان ذلك خلاف ما في قلب صاحب تلك العبادة.

سبب التسمية:

سُمي الرياء بهذا الاسم لكون المرائي

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٣٧٥)، والصحاح (٦/١٩٨)، ولسان العرب (١٤/٢٩١).
(٢) الصحاح (٦/١٩٩).
(٣) فتح الباري (١١/٣٤٤) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].
(٤) تفسير القرطبي (٢٢/٥١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].
(٥) فتح الباري (١١/٣٤٤) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].
(٦) تيسير العزيز الحميد (٥٢٤).

يُري الناس عمله؛ ليمدحوه عليه، فهو مشتق من الرؤية.

وقد وردت تسمية الرياء بهذا الاسم في القرآن الكريم؛ كقوله ﷻ عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

الأسماء الأخرى:

الشرك الأصغر، الشرك الخفي.

الحكم:

يختلف حكم الرياء بحسب باعثه وما يَعلق بالقلب منه، فاليسير منه داخل في الشرك الأصغر، وقد مثل ابن القيِّم رحمه الله على الشرك الأصغر بيسير الرياء، فقال: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء والتصنع للخلق»[١].

وأما الرياء المحض الكثير، فهذا من النفاق الأكبر، المخرج من ملة الإسلام.

حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

مخالطة الرياء للعبادة على ثلاث حالات، لكل منها حكم خاص بها، **وذلك كما يلي:**

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل؛ كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله، ولا رغبة له في العبادة أصلًا، ولو انفرد لم يصل، فهذا شرك أكبر، وهو فعل المنافقين، حيث وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وهذا من أخطر درجات الرياء.

قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، والتي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز»[٢].

الثاني: أن يكون مشاركًا للعبادة في أثنائها، بحيث يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة؛ كأن يطيل في الصلاة ليراه الناس، أو يرفع صوته بالذكر ليسمعوه، فيحمدوه على ذلك، فلو كان خاليًا لم يفعله، فهذا قريب من القسم الأول في كونهما ممقوتين عند الله تعالى.

فيكون حكم الرياء في هذه الحالة شركًا أصغر، لا يخرج من الملة، وأما حال العبادة الداخل عليها الرياء فعلى **قسمين:**

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٧٣) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ].

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٣٨ ـ ٣٩) [المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ].

أ ـ أن تكون العبادة مما لا ينبني آخرها على أولها، فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها.

مثال ذلك: رجل عنده مائة ريال قد أعدَّها للصدقة، فتصدق بخمسين مخلصًا، وراءى في الخمسين الباقية، فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

ب ـ أن تكون العبادة مما ينبني آخرها على أولها، فهي على **حالين**:

١ ـ أن يطرأ عليه الرياء ويدافعه ولا يسكن إليه؛ بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر عليه شيئًا، لقول النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**»[1].

٢ ـ أن يسترسل في الرياء ولا يدافعه، حتى ينتهي من عبادته، فحينئذ تبطل جميع العبادة على الراجح؛ لأن آخرها مبني على أولها ومرتبط به، وقيل: لا تبطل، وإنما يجازى على أصل نيته الصالحة[2].

الثالث: ما يطرأ من خواطر الرياء بعد انتهاء العبادة، فذلك لا يؤثر عليها شيئًا، إلا أن يتحدث بذلك طلبًا للمدح والثناء، فذلك داخل في السمعة، فتبطل ذلك العمل[3].

الحقيقة:

حقيقة الرياء: هي فعل العمل الصالح على غير إخلاص لله تعالى، وإنما لطلب ثناء الناس ومدحهم، ولذا قد يُجازى صاحب الرياء بفضحه أمام الناس، كما قال الخطابي: «من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه»[4].

وينقسم الرّياء بحسب ما يراءى به إلى خمسة أقسام:

الأوّل: الرّياء في الدّين بالبدن، وذلك بإظهار النّحول والصّفار ليوهم بذلك شدّة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدّين وغلبة خوف الآخرة.

الثّاني: الرّياء بالهيئة والزّيّ، وذلك بتشعيث شعر الرّأس، وإبقاء أثر السّجود على الوجه، ونحو ذلك.

الثّالث: الرّياء بالقول، ويكون من أهل الدّين بالوعظ والتّذكير والنّطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشّفتين بالذّكر في محضر النّاس، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أمامهم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٢٦٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٧).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/٤١).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (٢/١٦٣) [دار الباز، مكة المكرمة]، وجامع العلوم والحكم (١/٣٨ ـ ٣٩)، والقول المفيد (٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٣٦).

الرّابع: الرّياء بالعمل، وذلك كمراءاة المصلّي بطول القيام والرّكوع والسّجود ونحو ذلك.

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزّائرين؛ كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إنّ فلانًا قد زار فلانًا، ومن ذلك كثرة ذكر الشّيوخ.

قال الغزاليّ بعد ذكره لهذه الأقسام: «فهذه الخمسة هي مجامع ما يرائى به».

الأدلة:

ورد التحذير من الرياء وبيان خطره في جملة من الآيات والأحاديث، **فمن ذلك**:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون].

وعن جندب البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»**(١).

وقال النبي ﷺ: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؟ قال: **الرياء»**(٢).

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه؛ أنّ رجلًا أعرابيًّا أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرّجل يقاتل للمغنم، والرّجل يقاتل ليذكر، والرّجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله»**(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟** قلنا: بلى، فقال: **الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٩٩)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٠)، ومسلم (كتاب الإمارة، ١٩٠٤) واللفظ له.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٠٤)، وأحمد (٣٥٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسّنه =

والآيات والأحاديث في التحذير من الرياء وبيان خطره كثيرة.

أقوال أهل العلم:

قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما»[(١)].

وقال الخطابي: «من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه»[(٢)].

ـ وقال النووي في شرحه للحديث: «قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أسباب الرياء:

للرياء أسباب تدعو إلى فعله، وترغب في طلبه، إذ هو من حظوظ النفس الدنيئة، **فمن أسبابه:**

١ ـ محبة الثناء والمدح.

٢ ـ الفرار من الذم.

٣ ـ الطمع فيما في أيدي الناس.

ـ المسألة الثانية: ترك العمل خوفًا من الرياء:

ترك العمل الصالح خوفًا من الرياء لا يجوز، والعمل من أجل الناس لا يجوز، وكله يدخل في الشرك، ويجب على الإنسان أن يجاهد نفسه دائمًا، ولا أن ينساق وراء الشيطان، في ترك الأعمال المشروعة خوفًا من الوقوع في الرياء، أو ينهى غيره عن ذلك بهذه الشبهة الشيطانية[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: الفرح بعلم الناس بعبادته:

فرح العبد بعلم الناس بعبادته ليس من الرياء؛ لأن ذلك إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، لكن قد يؤثر ذلك على أعمال العبد في المستقبل، فيكون طلب المدح والثناء مطلب لنفسه، مما يتسبب في وقوعه في الرياء.

وليس من الرياء أيضًا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه؛ بل ذلك دليل على إيمانه، ومما يدل على ذلك، ما ورد عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، فقال

= البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٧) [دار العربية، ط٢]، والألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٠٧).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/ ١٧٤).

(٢) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٥٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

رسول الله ﷺ: «تِلْكَ عاجِلُ بُشْرَى المؤمن»[(١)].

قال النووي: «قال العلماء: معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم»[(٢)].

الفروق:

ـ الفرق بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

أن بين الرياء وبين إرادة الإنسان بعمله الدنيا، عموم وخصوص، فكل رياء داخل في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ولا عكس.

ـ الفرق بين الرياء وبين السمعة:

أن الرياء هو العمل لرؤية الناس للإنسان، وأما السمعة فهي العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة تتعلق بحاسة السمع، ويدخل في السمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس ليمدحوه عليه[(٣)].

ـ الفرق بين الرياء والعُجْب بالعمل:

أن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس[(٤)].

الآثار:

من أبرز آثار الرياء:

١ ـ مقت الناس.

٢ ـ إحباط العمل.

٣ ـ خاتمة السوء.

٤ ـ الرياء سبب لدخول النار.

الحكمة:

الحكمة من تحريم الرياء ظاهرة في كونه ضدّ الإخلاص الذي أمر الله تعالى به؛ إذ الإخلاص لا يكون إلا بتصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين، والرياء إنما يقع ملاحظة للمخلوقين ومدحهم[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير القرطبي».

٢ ـ «إحياء علوم الدين»، للغزالي.

٣ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيِّم.

٤ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٥ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٤٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٨٩) [المطبعة المصرية، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٥).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٣٧٧).

(٥) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر (٨).

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

۞ ۞ ۞



الزَّبور

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الزاء والباء والراء أصلان: أحدهما يدل على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخر يدل على قراءة وكتابة وما أشبه ذلك»[(١)].

والزبور يطلق على الكتاب، وهو (فعول) بمعنى (مفعول) فزبور بمعنى: مزبور؛ أي: مكتوب، من زَبَرَ الكتابَ، يزبُر ويَزْبِر؛ إذا كتبه، وربما قيل: زبرته؛ إذا قرأته. ومنه قولهم: أنا أعرف تَزْبِرَتي؛ أي: كتابتي. والجمع: زُبُر[(٢)].

التعريف شرعًا:

الزبور: هو اسم كتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبيّه داود عليه السلام، بوحي منه سبحانه وتعالى[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٢/٦٦٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣/٤٥)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٥٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/٣١١، ٥/١٠٠) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (٦/١٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ابن كثير

الأسماء الأخرى:

الزبور هو: المزامير عند اليهود والنصارى.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الله عز وجل أنزل على نبيِّه وعبده داود بن إيشا أبي سليمان عليه السلام كتابًا، اسمه: الزبور، فهو كلام الله تعالى غير مخلوق. أنزله عليه جملة واحدة في شهر رمضان ـ كباقي الكتب السماوية ـ، بعد التوراة وقبل الإنجيل.

ويعتقد المسلم أيضًا: أن الزبور الصحيح الذي نزل على داود عليه السلام قد فقد واندثر من زمن بعيد، ولا يعلم عنه شيء، ويتعذر الحصول عليه، وليس هو الذي بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ بل هذه (المزامير) قد وقع فيها من التحريف والتبديل والكتمان والإهمال والنسيان الشيء الكثير؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فليس واحد منها هو

(٢/٤٦٩) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والتحرير والتنوير (٦/٣٤، ١٥/١٣٨، ١٧/١٦٢) [دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م].

الزبور الصحيح الذي نزل على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ[(١)].

الحقيقة:

الزبور: مصدق للتوراة، متبع لها، ومتمم ومكمل لها ولمحاسنها، ومحيي لشريعتها؛ فليس هو شريعة مستقلة لبني إسرائيل؛ ولذا كان أنبياء بني إسرائيل بعد موسى ـ كداود وعيسى ـ على شريعة التوراة، يحكمون ويعملون بها.

وكان عامة الزبور حكم ومواعظ ـ فيما قيل ـ، وكانوا يتلقون الأحكام والشرائع من التوراة.

فقد قيل: إنه كان مائة وخمسين سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود؛ وإنما هي حكم ومواعظ ودعاء وتحميد وتمجيد وثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ[(٢)].

الأدلة:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]، و(الفضل) ـ في أحد أقوال المفسرين ـ هو: الزبور، وقيل: هو النبوة، وقيل: العلم، وقيل غير ذلك[(٣)].

وثبت في الحديث؛ أن النبي ﷺ علَّم أُبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فضل سورة الفاتحة قائلًا: «**والذي نفسي بيده؛ ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها! وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته**»[(٤)].

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: «**خفف على داود** عَلَيْهِ السَّلَامُ **القرآن؛ فكان يأمر بدوابه فتسرج؛ فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال قتادة بن دعامة في قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء]: «كنا نحدث: أنه دعاء علمه داود، وتحميد وتمجيد لله عَزَّ وَجَلَّ، ليس فيه حلال

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣١١، ٥/ ١٠٠)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٧، ١٠/ ٢٧٨)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥، ١٩/ ١٨٤)، والجواب الصَّحيح لابن تيمية (٢/ ٣٥١، ٤١٥، ٥/ ٣٥١) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩)، والبداية والنهاية (٢/ ١٥)، وفتح الباري (٦/ ٤٥٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٤٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٤)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٧/ ٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٧٥) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٤٨) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٥٣) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١٧).

ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود»[1].

وقال ابن تيمية: «وأما الزبور؛ فإن داود لم يأت بغير شريعة التوراة؛ وإنما في الزبور ثناء على الله، ودعاء، وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقًا»[2].

وقال العيني: «لأنه ـ أي: الزبور ـ كان قصصًا وأمثالًا ومواعظ، ولم يكن الأمر والنهي إلا في التوراة»[3].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾:

من المسائل المتعلقة بالزبور: ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء] من أن المراد بالزبور: زبور داود، وهو مروي عن ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم[4]. والصحيح أن المراد به: الكتاب؛ فهو اسم جنس يعم جميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء، و(الذكر) هو: أم الكتاب عند الله، وهذا اختيار الطبري والبغوي والقرطبي وابن كثير.

ـ المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]:

ذكر بعض المفسرين في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أن المراد به: الزبور؛ ليتمم به ذكر الكتب الأربعة: القرآن، والتوراة، والإنجيل. وقيل: بل المراد به: القرآن، وقيل: بل جنس الكتب السماوية، وقيل غير ذلك[5]. والله أعلم.

ـ المسألة الثالثة: حكم سب أو لعن الزبور:

يقال: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن الزبور؛ بل من أطلق سبه أو لعنه فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وإن كان يعرف أنه منزل من عند الله، وأنه يجب الإيمان به؛ فهذا يقتل بشتمه له، ولا تقبل توبته ـ في أظهر قولي العلماء ـ. وأما إن لعن دين اليهود الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سب الزبور الذي عندهم بما يبين أن

(١) سبق تخريجه.
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٨٤).
(٣) عمدة القاري (١٩/ ٢٨) [دار إحياء التراث العربي].
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥/ ٣٥٨)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣٤٩)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٦/ ٣١٨)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٣٨٤)، والتحرير والتنوير (١٧/ ١٦٢).
(٥) انظر: تفسير الرازي (٧/ ١٣٢) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٤)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٥٢٥) [دار الوفاء بالمنصورة]، وروح المعاني للآلوسي (٣/ ٧٧) [طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

قصده ذكر تحريفه؛ مثل أن يقال: نسخ هذا الزبور مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله. والله أعلم»[(١)].

ـ المسألة الرابعة: حكم النظر والاطلاع على الزبور:

لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عمومًا؛ لأن النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتابًا أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟!**» الحديث[(٢)]، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللَّهُمَّ إلا لمن كان متضلعًا بعلوم الكتاب والسُّنَّة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفطنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٠٠)، بتصرُّف. وكانت الفتوى عن التوراة ودين اليهود، والزبور له نفس الحُكْم. والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، وحسَّنه الألباني بشواهده انظر: إرواء الغليل (٦/ ٣٨) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢].

(٣) راجع: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢٥)، وكشاف القناع للبهوتي (١/ ٤٣٤) [دار الفكر ببيروت، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى لمصطفى الرحيباني (١/ ٦٠٧) [المكتب الإسلامي ببيروت، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٤٣٣).

ـ المسألة الخامسة: حكم مس الزبور وحمله للمحدث:

يجوز عند الجمهور؛ لأنه ليس قرآنًا، والنص ورد في القرآن دون غيره، ثم هو مبدل منسوخ[(٤)].

ـ المسألة السادسة: حد أهل الكتاب، وهل يدخل فيهم: من لا يؤمن إلا بزبور داود؟

ويترتب على هذه المسألة مسائل أخرى؛ كأخذ الجزية منهم، ونكاح نسائهم، وحكم الوقف والوصية لهم، والحلف بالزبور: هل ينعقد به اليمين؟ إلى غير هذا من المسائل التي تراجع في مظانها من الكتب الفقهية.

ـ المسألة السابعة: وجود الزبور:

كتاب الزبور الذي أنزل على نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يوجد ما يدل على وجوده الآن، أما ما يعرف اليوم بمزامير داود النبي والتي هي موجودة ضمن الكتاب المقدس (العهد القديم) الذي يؤمن به كل من اليهود والنصارى ويستخدمانه في عبادتهما وصلواتهما اليومية والعامة، فهذا لا نستطيع أن نقطع بأنه الزبور الذي أنزل على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن العهد القديم تعرض للتحريف والتبديل من قبل اليهود؛ بل إن اليهود يعترفون بأن ما في

(٤) راجع: المجموع شرح المهذب للنووي (٢/ ٧٠) [دار الفكر ببيروت]، وكشاف القناع (١/ ١٣٥).

العهد القديم اليوم هو من صياغة عزرا الكاهن.

الفروق:

- **الفرق بين التوراة والزبور:**

التوراة: هي الكتاب المنزل من الله عز وجل على نبيّه موسى عليه السلام، وألقاه إليه مكتوبًا في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدًى ونورًا.

أما الزبور: فهو الكتاب المنزل من الله عز وجل على نبيّه داود عليه السلام، بوحي منه سبحانه وتعالى.

والزبور مصدق للتوراة، متبع لها، ومتمم ومكمل لها ولمحاسنها، ومحيي لشريعتها؛ فليس هو شريعة مستقلة لبني إسرائيل.

وكان عامة الزبور حكم ومواعظ فيما قيل، وكانوا يتلقون الأحكام والشرائع من التوراة.

وهو أحد أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، وضمن كتب العهد القديم عند النصارى، ويسمى عندهما: المزامير[1].

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣١١، ٥/ ١٠٠) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ١٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥، ١٩/ ١٨٤)، والجواب الصَّحيح لمَن بدَّل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ٣٥١، ٤١٥، ٥/ ٣٥١) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩)، والبداية والنهاية (٢/ ١٥)، وفتح الباري (٦/ ٤٥٥) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ].

مذهب المخالفين:

يسمي اليهود والنصارى كتاب داود عليه السلام بمزامير داود، أو كتاب المزامير، ويعتقدون أنه من الكتب المقدسة، مع اعترافهم أن هذه المزامير كتبت من قبل كُتّاب عبرانيون، وقد صاغوه على شكل مجموعة من الأشعار الدينية الملحنة، وغرضها تمجيد الله وشكره، ويسمى في العبرية: كتاب الحمد، ويقسمونه إلى خمسة أقسام؛ تحت كل قسم عدة مزامير، وغالبها لا يعرف كاتبها، وهذه المزامير وإن كان كُتَّابها عبرانيون؛ إلا أنها تحتل مقامًا بارزًا عند النصارى ويستعملونها في صلواتهم[2].

المصادر والمراجع:

١ - «إظهار الحق»، لمحمد رحمت الله الهندي.

٢ - «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج٢)، لابن كثير.

٤ - «الجواب الصحيح» (ج٢، ٥)، لابن تيمية.

٥ - «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، لسعود الخلف.

(٢) انظر: مقدمة المزامير في الكتاب المقدس، وقاموس الكتاب المقدس (٣٦١ ـ ٣٦٦، و٤٣٠ ـ ٤٣٣) [دار الثقافة، القاهرة، ط١١]، موسوعة الكتاب المقدس (١٤٨ ـ ١٤٩) [دار منهل الحياة ـ لبنان].

٦ ـ «الرسل والرسالات»، لعمر سليمان الأشقر.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز الحنفي.

٨ ـ «فتح الباري» (ج٦)، لابن حجر.

٩ ـ «الفكر الديني اليهودي»، لحسن ظاظا.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٧، ١٩)، لابن تيمية.

الزبير بن العوام رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته. أمه صفية بنت عبد المطلب[(١)].

مولده ووفاته:

ذكر أهل العلم أن الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وُلدا في سنة واحدة[(٢)]، ومعلوم أن علي بن أبي طالب ولد في العام العاشر قبل البعثة النبوية[(٣)].

وقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه في يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين هجرية في وادي السباع، غدرًا بيد عمير بن جرموز[(٤)]، وذلك بعد اعتزال الزبير عن القتال في معركة الجمل، التي وقعت بينه ومعه عائشة وطلحة رضي الله عنهم ومن معهم من جهة، وبين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من الجهة الأخرى.

وروى ابن سعد بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه أتى الزبير فقال: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب؟ قال: فرجع الزبير فلقيه ابن جرموز فقتله. فأتى ابن عباس عليًّا فقال: إلى أين قاتل ابن صفية؟ قال علي: إلى النار»[(٥)].

وهناك سبب آخر في اعتزاله القتال ذكره الحافظ ابن حجر ـ وغيره ـ بقوله: «وكان قتل الزبير بعد أن انصرف يوم الجمل بعد أن ذكره علي، فروى أبو يعلى[(٦)] من طريق أبي جرو المازني

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٧٣) [دار الكتب العلمية، بيروت]، والمعجم الكبير للطبراني (١/ ١١٨) [مكتبة ابن تيمية]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٥١٠) [دار الجيل، بيروت، ط١]، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ٥٥٣) [دار الجيل، بيروت، ط١].

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤) [مؤسسة الرسالة].

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٦٤).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٨٢)، والمعارف لابن قتيبة (٢٠٩) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، وسير أعلام النبلاء (١/ ٦١).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٨١)، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في الإصابة (٢/ ٥٥٧).

(٦) في مسنده (٢/ ٢٩) [دار المأمون للتراث، دمشق، =

قال: شهدت عليًّا والزبير توافيا يوم الجمل، فقال له علي: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنك تقاتل عليًّا وأنت ظالم له؟**» قال: نعم، ولم أذكر ذلك إلى الآن، فانصرف»[1]. وهذا إن صح فيمكن أن يقال: اجتمع السببان فاعتزل القتال.

وجاء قاتله يستأذن للدخول إلى علي، لعله يجد عنده عطية على ذلك، فكانت بئس العطية، حيث بشر بالنار ومنع من الدخول إليه، فقد روى الإمام أحمد بإسناده عن زر بن حبيش قال: «استأذن ابن جرموز على علي رضي الله عنه وأنا عنده، فقال علي رضي الله عنه: بشر قاتل ابن صفية بالنار. ثم قال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن لكل نبي حواريًّا، وحواري الزبير**»[2].

إسلامه:

أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو حدث له اثنتا عشرة سنة[3]، وقيل: ثماني سنين[4]، وقيل: ابن خمس عشرة[5]، وقيل: ابن ست عشرة سنة[6]، وكان عمه يعذبه لإسلامه، فكان «يعلقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول: لا أكفر أبدًا»[7]، وهو أول من سلّ سيفًا في سبيل الله كما قال عروة[8]، ولم يفارق النبي ﷺ منذ أن أسلم[9]، وشهد مع النبي ﷺ بدرًا والمشاهد كلها، وثبت في أُحد مع النبي ﷺ وأبلى فيها بلاءً حسنًا[10].

فضائله:

- أنه رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال

= ط١]، وقال المحقق: «إسناده ضعيف جدًّا».
ولكن الحديث المذكور بلفظ: «**لتقاتلنه وأنت ظالم له**»، أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٥)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٨٠) وصحّحه.
والمرفوع منه: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٤٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥١١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٥٣).

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥١٠).

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥١١)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١).

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٢٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢] من قول أبي الأسود المدني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢١٢) [دار الفكر، بيروت]: «رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل»، وذكره ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٥٤).

(٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١١٩)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢١١) وقال: «رجاله ثقات». وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥١١).

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(١٠) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٧٧).

رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»(١).

ـ أنه حواري النبي ﷺ لما ثبت من حديث جابر ﵁؛ أنه قال: «ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير ثلاثًا، فقال: **لكل نبي حواري وحواري الزبير**»(٢).

ـ شهادة النبي ﷺ له بالشهادة، كما ثبت من حديث أبي هريرة ﵁: «أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﵃»(٣).

ـ أن النبي ﷺ جمع أبويه يوم الخندق فداء للزبير كما ثبت من حديث عبد الله بن الزبير ﵁ أنه قال: «كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أَوَهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: **فداك أبي وأمي**»(٤).

مكانته:

مما يدلُّ على سمو منزلته ورفعة شأنه: أنه أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الأمر شورى بينهم، والذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، وأنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين الأولين، فقد هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وهاجر إلى المدينة النبوية(٥).

المسائل المتعلقة:

ـ خروجه إلى البصرة وما تلاه من الاقتتال بينه وبين علي بن أبي طالب ﵄:

خرج الزبير ﵁ مع من خرج إلى

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أخبار الآحاد، رقم ٧٢٦١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٦).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٧٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٥٥٧).

البصرة بقصد الإصلاح، ولكن تحولت الأمور إلى ما لم يكن في الحسبان، وحصل القتال، ثم اعتزل القتال لمّا وصل البصرة؛ حيث لقيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكَّره بحديث النبي ﷺ قائلًا: «يا زبير، نشدتك بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ، ونحن في مكان كذا وكذا؟ فقال: **«يا زبير، تحب عليًّا؟»** فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني، فقال: **«يا علي، أتحبه؟»**، فقلت: يا رسول الله، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني، فقال: **«يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم»** قال: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من قول رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير، فقال: ما لك؟ فقال: ذكرني علي حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: **«لتقاتلنه وأنت له ظالم»** فلا أقاتله. قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر»[(١)]. وهكذا لم يكن هو ولا غيره ممن كان معه يسعى إلى الاقتتال[(٢)]؛ ولذا يعبر الإمام الذهبي عن هذه الحقيقة فيقول عن عائشة وطلحة ومن معهما: «إنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع»[(٣)].

وأما ما رواه الحاكم بسنده عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، قال: «شهدت عليًّا والزبير، لما رجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله، فقال: ما لك؟ فقال: ذكر لي علي حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ يقول: **«لتقاتلنه وأنت ظالم له»** فلا أقاتله، قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر بك، قال: قد حلفت أن لا أقاتل، قال: فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس، قال: فأعتق غلامه جرجس ووقف فاختلف أمر الناس، فذهب على فرسه»[(٤)]. فهذه القصة غير ثابتة، وإنما الثابت الحديث المرفوع فيها فقط[(٥)]. وقال الألباني بعد بحث مستفيض في طرق الحديث والقصة: «وبالجملة، فحديث الترجمة صحيح عندي لطرقه كما تقدم، دون قصة

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤١٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) وانظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (٢/ ١٤ ـ ٢١) [مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٥).

(٥) انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

عبد الله بن الزبير مع أبيه»[1].

موقف المخالفين منه:

- الروافض:

تشبث الروافض بما حصل في موقعة الجمل بين علي بن أبي طالب ومن معه من جهة، وبين الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ومن معهم من جهة أخرى، لرميهم بكل قبيح وسوء، حيث اعتبروهم من المنتكسين وأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأنهم كفار مرتدون وفي النار مخلدون، واستباحوا لعنهم، وذكر المفيد اتفاق طائفته على هذا، حيث قال في حديثه عن محاربي علي: «واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»[2].

وقال الكركي: «ومن رؤساء أعداء أمير المؤمنين: الزبير بن العوام القرشي من بني أسد، وقد كان في أول أمره محبًّا لأمير المؤمنين، ثم انتقل على عداوته ونكث بيعته، ومحاربته يوم الجمل مع عائشة بنت أبي بكر أخت زوجته أسماء بنت أبي بكر، وتحريض الناس من أهل البصرة وغيرهم على حربه وقتله شيء لا يمكن إخفاؤه ولا إستاره. ووافقه في ذلك راعي ابنه الرجس النجس الخبيث اللعين عبد الله، وفي الحقيقة هو عدو الله وعدو رسوله وعدو أهل بيته، ولا يستحي من ذلك ولا يستره ولا يداحي فيه، ولا يداهن به، ولم يزل مُجدًّا في ذلك إلى أن قتل في أيام بني مروان فلعنة الله على القاتل والمقتول»[3]. ومما احتجوا به على موت الزبير رضي الله عنه في عداوة علي ما ذكره المفيد من أن عليًّا رضي الله عنه: «لما رأى رأس الزبير وسيفه قال: ناولني السيف، فناوله فهزه وقال: سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله، ولكن الحين[4] ومصارع السوء، ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صحبة، ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد»[5].

قال علي بن يونس العاملي معلقًا على هذا الكلام: «ولو كان تائبًا لم يكن مصرع سوء»[6].

(١) السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٤٣).
(٢) أوائل المقالات للمفيد (٤٣) [المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١].
(٣) رسائل الكركي (٢/ ٢٢٩) [مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قُم، ط١].
(٤) أي: الهلاك، انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/ ٢٠٠).
(٥) الجمل للمفيد (٢٠٩) [مكتبة الداوري]، وانظر: الصراط المستقيم للعاملي (٣/ ١٧٣) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].
(٦) الشافي في الإمامة للمرتضى (٤/ ٣٣١).

والحقيقة: أن الإحاطة بجميع أكاذيب وطعون الرافضة في الصحابة بصفة عامة والمشاركين منهم في موقعة الجمل؛ كالزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير وغيرهم بصفة خاصة أمر غير ممكن في مثل هذا البحث؛ لذا من أراد التوسع فعليه بالرجوع إلى المصادر المختصة في ذلك[(١)].

الرد عليهم:

لا شكَّ أن ما يدعيه الروافض من تكفير هؤلاء الأخيار وما يلصقونه بهم من تهم لهو محض تخرص، دافعه عقيدة الإمامة والبغضاء والحقد في هؤلاء الصحابة ظلمًا وجورًا، مكذبين بذلك ثناء الله ورسوله ﷺ على هؤلاء الأخيار، فقد تقدم أن الزبير هو أحد المبشرين بالجنة، وكذا طلحة وعائشة رضي الله عنهم، فكيف يبشر الله الكفار بالجنة، وكيف يخفى حالهم على علَّام الغيوب، ثم إن ما حصل بينهم لم يكن بسبب تكفير أحدهم الآخر، وإنما كان لكلٍّ منهم هدف وغاية حميدة، ولكن تطورت الأمور إلى ما لم يكن في الحسبان فصار قتال فتنة، وكانوا مجتهدين لهم أجر الاجتهاد، ولا أدلُّ على ذلك من منع أمير المؤمنين بعد انتصاره عليهم من سبيهم، والإجهاز على جريحهم؛ بل وندمه على حصول القتال بينهم، وأنه تمنى أن يكون قد مات قبل هذا القتال بعشرين سنة، كما رواه ابن عساكر بسنده عن طلحة بن مصرف: «أن عليًّا رضي الله عنه انتهى إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»[(٢)].

ومما يبطل أيضًا هراء الروافض بتكفير الزبير ودعوى تخليده في النار، ما جاء عن علي نفسه من بكائه على الزبير، ورفضه استقبال قاتله، وتبشيره بنار الجحيم، وقد سبق بيانه، وتأويل الروافض لامتناع علي من استقبال قاتل الزبير وتبشيره بالنار؛ لأجل غدره به[(٣)] تأويل متكلف ممجوج.

وأما إصرار الروافض على أن الزبير لم يعتزل القتال، وأن ابنه نصحه بأن يكفِّر ويقاتل، ففعل وقاتل حتى مات في أرض المعركة، فهو مبني على رواية غير صحيحة كما هو شأنهم في كل ما ينسبونه إلى علي من الروايات المكذوبة، ومعلوم أن ما بني على فاسد فهو فاسد.

والعجيب في روايات الروافض أنها

(١) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر محمد عطا صوفي (١١٢٤ ـ ١١٩٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/١١٥) [دار الفكر].

(٣) انظر: الفصول المختارة للشريف المرتضى (١٤٥).

إما أكاذيب محضة، وهو الغالب فيها، أو فيها حق لكنه ممزوج بما يفسده من الأكاذيب، فانظر ـ مثلًا ـ إلى ما تقدم إيراده عن المفيد عن علي رضي الله عنه أنه قال: «سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله»[1]، فهذا فيه مدح للزبير رضي الله عنه[2]، وهو حق فقد كان رضي الله عنه يدافع عن النبي ﷺ، لكن انظر إلى ما ألحقه به من الكذب عليه وهو قوله: «ولكن الحين ومصارع السوء، ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صحبة، ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد»[3].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٣)، لابن سعد.

٢ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٣ ـ «صحيح تاريخ الطبري (الخلافة الراشدة)» (ج٣)، تحقيق: محمد طاهر ومحمد صبحي حلاق.

٤ ـ «المعجم الكبير» (ج١)، للطبراني.

٥ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٢)، لابن عبد البر.

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج١)، للذهبي.

٧ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٢)، لابن حجر.

٨ ـ «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.

٩ ـ «رسائل الكركي» (ج٢).

١٠ ـ «الجمل»، للمفيد.

(١) الجمل للمفيد (٢٠٩)، وانظر: الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة (١١٨٧).

(٣) الجمل للمفيد (٢٠٩)، وانظر: الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (٣/ ١٧٣).

زكريا عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: زكريا، قيل: هو ابن حنا، وقيل: ابن دان، وقيل: ابن أدن، ابن مسلم بن صدوق بن محمان بن داود بن سليمان، وأوصلوا نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام[4].

معنى اسمه لغة:

زكريا: أصله بالعبرانية: زخريا، هو زخرياه، ومعناه: اللهَ ذكرَ[5]؛ أي: اللهَ

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٤٨) [دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ]، والبداية والنهاية (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

(٥) كذا ذكر الدكتور ف. عبد الرحيم وأحال إلى إنجيل لوقا. انظر: الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور عبد الرحيم (٩٩) [دار القلم، ط١]، وجملة: (الله ذكر) لم تضبط بالشكل في المصدرين الذين ذكراها، وهما: المعرّب =

يذكر، أو اللهَ قد ذكر. وذكر الدكتور ف. عبد الرحيم في تعليقه على المعرّب للجواليقي أن «معناه: بهوه يذكر»[(١)].

نبوته:

ذكر الله زكريا عليه السلام ضمن أنبيائه ورسله عليهم السلام، فقال عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٥﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير: «وهذه تسمية الأنبياء الذين نصَّ على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم وإدريس... وزكريا ويحيى وعيسى، عليهم الصلاة والسلام»[(٢)].

كذلك نزول الوحي عليه، كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٤١﴾ [آل عمران].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم].

كتابه:

كان مكلَّفًا بالعمل بالتوراة والدعوة إليها، بدليل أن ابنه يحيى أمره الله أن يأخذ التوراة بقوة، وآتاه الحكم صبيًّا، وهو تحت رعاية أبيه زكريا عليهما السلام، والله أعلم.

وفاته:

توفي نبي الله زكريا مقتولًا[(٣)] مظلومًا، وإليه وإلى أمثاله تشير الآية التالية عند بعض المفسرين، وهي قول الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة]، قال الشوكاني: «ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مهنة زكريا عليه السلام:

كان نبي الله زكريا عليه السلام نجارًا، كما

= للجواليقي، والإعلام بأصول الأعلام للدكتور ف. عبد الرحيم. والظاهر أنها هكذا: (اللهَ ذكرَ)، قدم فيها المفعول، وهو سائغ في اللغة ويفيد التخصيص كما هو معلوم.

(١) المعرّب للجواليقي (٣٤٩) [دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ] تعليقه على الفقرة رقم (٣١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٦٩) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/١٣) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/١٣٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ].

ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**كان زكريا نجارًا**»[(١)]، وهذا يعد منقبة وفضيلة له عليه السلام، ولذا عقد النووي ترجمة لهذا الحديث في شرحه لـ«صحيح مسلم» فقال: «باب في فضائل زكريا عليه السلام»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: ميراث زكريا:

كان نبي الله زكريا يدعو ربه بأن يهبه من يرثه، وأن لا يُترك فردًا، كما قال الله عنه: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾ [مريم].

واختلف في هذا الإرث على **ثلاثة أقوال**:

الأول: أنه إرث علم ودين.

الثاني: أنه إرث مال.

الثالث: أنه إرث مال بالنسبة لزكريا، وإرث علم ودين بالنسبة لآل يعقوب[(٣)].

والراجح: أن هذه الوراثة ليست للمال كما يقوله بعض أهل السُّنَّة[(٤)] والرافضة الذين بنوا عليه القول بمظلومية فاطمة من مال أبيها، وإنما هي وراثة علم ونبوة ودين **لأمور**:

أحدها: أن زكريا لم يُذكر أنه كان ذا مال؛ بل كان نجارًا يأكل من عمل يده، ومن كان كذلك فلا يجمع مالًا غالبًا، ولا سيما أن الأنبياء عليهم السلام هم أزهد الناس عن الدنيا.

ثانيًا: أن الأنبياء لا يورّثون مالًا؛ لما ثبت عن جماعة من الصحابة منهم: عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «**لا نورث؛ ما تركنا فهو صدقة**»[(٥)]، فكيف يطلب ولدًا ليرث ماله!؟

ثالثًا: أن النبي أعظم قدرًا وأجلّ منزلة من أن يأنف من وراثة عصباته له، ويحرص على أن يكون له ولد فينفرد بميراثه عنهم، وعليه فيتعين حمل الإرث المذكور هنا على إرث النبوة[(٦)].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٩).

(٢) صحيح مسلم (٩٦٧).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٦٤) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٨١)، وأضواء البيان (٣/ ٣٦٢، و٣٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣)، والبداية والنهاية (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وأضواء البيان (٣/ ٣٦٤)، =

قال ابن كثير: «وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولدًا ليرثه في ماله، كيف وإنما كان نجارًا يأكل من كسب يده»(١).

ويضاف إلى ما تقدم **أمر رابع**: وهو أن ما جاء في البشارة بيحيى، وما وصف به من النبوة والانقطاع للعبادة، وغيرهما من الخلال الكريمة ليؤكد أن الموروث هو النبوة لا المال، حيث إن الله قد استجاب دعاء زكريا عليه السلام حين خاف من الموالي ـ وهم الأقارب والعصبات ـ أن يغيروا الدين من بعد موته(٢)، وقال كما حكاه الله عنه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾: «فسأل الله ولدًا، يكون نبيًّا من بعده، ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه»(٣). فجاءت البشارة كما قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم] وقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ [مريم].

وأما ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حمله قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»**(٤) على الخصوصية به، حيث قال مخاطبًا الرهط: «هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا نورث، ما تركنا صدقة»** يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك»(٥) فقد أجاب عنه أهل العلم بأجوبة، **منها**:

الأول: أن ظاهر الحديث العموم، حيث جاء بصيغة الجمع، فيكون شاملًا للأنبياء، ولا يجوز تخصيصه إلا بدليل، ولا دليل على ذلك، وأقوال الصحابة لا تخصص عموم الحديث على الصحيح.

= وفبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٤٢٨ ـ ٤٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٩٨).

(٢) لمعرفة معنى الموالي وخوفه منهم انظر: تفسير السعدي (٤٨٩ ـ ٤٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢١٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٣٣).

الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه ليس صريحًا في أن الأنبياء سوى النبي محمد ﷺ يورثون مالًا؛ بل ذكر ما يتعلق بالنبي ﷺ وهو أنه لا يورث[(١)].

- **المسألة الثالثة: كفالته لمريم بنت عمران:**

لقد أخبر الله عن زكريا عليه السلام فقال: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران].

فقد نذرت امرأة عمران بما في بطنها من الحمل لخدمة بيت الله وهو بيت المقدس، ولما وضعتها ودخلت بها إلى القائمين على بيت المقدس، اختصموا؛ أيُّهم يكفلها، فاستهم كل من زكريا وأصحابه بأقلامهم على مريم[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾ [آل عمران]، فخرج السهم على زكريا، فكفلها ونشأت تحت رعايته، ونبتت نباتًا حسنًا كما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥٨٠) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢]، وتفسير السعدي (٩٦٦ - ٩٦٧)، والصحيح المسبور في التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (١/ ٤١٦) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط١].

المصادر والمراجع:

١ - «سيرة ابن هشام» (ج١).

٢ - «تاريخ دمشق» (ج١٩)، لابن عساكر.

٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج٢)، لابن الجوزي.

٤ - «تفسير ابن كثير» (ج٥).

٥ - «البداية والنهاية» (ج٨)، لابن كثير.

٦ - «تفسير السعدي».

٧ - «أضواء البيان» (ج٣)، للشنقيطي.

٨ - «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، لعثمان الخميس.

٩ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

١٠ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور عبد الرحيم.

الزندقة

التعريف لغة:

الزندقة: لفظ أعجمي معرّب، أُخذ من كلام الفرس وعرِّب. قال ثعلب: «ليس زنديق، ولا فَرزين من كلام العرب... وليس في كلام العرب: زنديق، وإنما تقول العرب: رجل زَنْدَقٌ

وزَنْدَقيّ؛ إذا كان شديد البخل»[١]، والزندقة الاسم، وجمع الزنديق: زنادقة، والهاء في (زنادقة) عوض عن الياء في (زنديق).

وقد اختلف في أصل كلمة (زنديق) بالفارسية، فقيل: هو معرّب (زنده كرد)؛ أي: الذي يقول بدوام الدهر، وقيل: إن الزنديق نسبة إلى (الزند)، وهو تأويل لكتاب «البستاه» الذي جاء به زرادشت إلى الفرس، وكان من أورد في طريقتهم شيئًا بخلاف (البستاه)، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق، وعرّبوه.

هذه هي أهم الأقوال في أصل كلمة (زنديق) في الفارسية، ولعل أقرب هذه الأقوال إلى الصواب هو القول الثاني، والله أعلم[٢].

التعريف اصطلاحًا:

تعدّدت إطلاقات لفظ: (الزندقة) واختلف المراد بها، فأطلق على عدد من الفرق كالمانوية، والثنوية، والدهرية، والسبئية، والجهمية، والإسماعيلية، كما أطلق ذلك على بعض أهل المجون والخلاعة وغيرهم.

وقد اختلف العلماء في تعريف الزنديق، تبعًا لتعدد إطلاقاته، **وذلك كما يلي**:

١ ـ قيل: الزنديق هو: «الذي لا ينتحل دينًا وينكر الشرائع»[٣]، قاله النووي وغيره.

٢ ـ وقيل: هو: الثنوي القائل بوجود إلٰهين، وبه قال الجوهري وغيره[٤].

٣ ـ قيل: إن لفظ الزنديق أخص من لفظ المنافق؛ حيث يطلق على: المنافق إذا ظهر منه ما يدل على نفاقه؛ سواء كان ذلك بقول أو فعل؛ كأن يؤلف كتابًا ينال فيه من الإسلام، أو يقول قصيدة، أو نحو ذلك مما يتبين به نفاقه، وبهذا قال ابن حجر وغيره[٥].

٤ ـ وقيل: هو: المنافق، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر سواء أبطن اليهودية أو النصرانية أو غيرهما، وهذا هو المشهور عند الفقهاء في كلامهم على قبول توبة الزنديق.

(١) لسان العرب (١٠/١٤٧) [دار الفكر، ط١].
(٢) الصّحاح (٤/١٤٨٩) [دار العلم للملايين، ط٣]، والمعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي (١٦٧) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ]، وتعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا (٧١) [الجفان والجابي، ط١، ١٩٩١م].
(٣) شرح صحيح مسلم (١/٢٠٧)، وانظر: فتح الباري (١٢/٢٧١) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].
(٤) انظر: الصحاح (٤/١٤٨٩)، ودائرة المعارف للبستاني (٩/٢٧٠).
(٥) انظر: فتح الباري (١٢/٢٧١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر»[(١)].

وهذا القول الأخير هو القول الراجح في تعريف الزنديق.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لمّا كان أصل الزندقة في الفارسية هو الانحراف عن الظواهر من الكتاب المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، وكان من يفعل ذلك يدعي أنه لم ينحرف عن الكتاب المنزل، أُطلق في الاصطلاح على كل من يدَّعي الإسلام ويبطن غيره مما يظهر أثره على بعض أقواله وأفعاله.

سبب التسمية:

كلمة (الزندقة) معربة عن الفارسية، وهي منسوبة إلى الأخذ بكتاب الزند، الذي هو تأويل لكتابهم البستاه ـ كما تقدم ـ، فكان كل من أخذ بذلك نسب إليه فقيل: (زندي)، فلما جاء الإسلام، والتقى العرب بالفرس أخذوا ذلك المعنى عنهم، وقالوا: زنديق وعربوه.

الأسماء الأخرى:

- المنافق.

(١) بغية المرتاد (٣٣٨) [العلوم والحكم، ط٢، ١٤١٥هـ].

الحكم:

اتفق الفقهاء على أن الزندقة كفر، فمن كان مسلمًا ثم تزندق، بأن صار يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو صار لا يتدين بدين، فإنه يعتبر كافرًا[(٢)].

الحقيقة:

الزندقة تطلق على معان عدة:

- قيل: تطلق على الذي لا يؤمن بالحقّ تعالى وبالآخرة.
- وأطلقت على الثنوية القائلين بإلٰهين: إلٰه النور، وإلٰه الظلمة.
- وتطلق على من خرج من الإسلام إلى غيره.
- وتطلق على الملاحدة الذين ينكرون الآخرة والربوبية.

ثم صار بعد ذلك اسمًا علمًا في الفقه يدل على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، سواء كان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية، أم بالدهرية، أم بغير ذلك[(٣)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/٩١٣) [مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م]، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٤/٤٩) [مطابع دار الصفوة، ط١].

(٣) انظر: فتح الباري (١٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣)، والعين للفراهيدي (٥/٣٥٧) [دار ومكتبة الهلال]، وكشاف اصطلاحات الفنون (١/٩١٣)، وكتاب التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف (١٩١) [مدار الوطن، ط٢، ١٤٣٢هـ]، ومصطلحات في كتب العقائد للحمد (٩٣).

﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود هنا: أن (الزنديق) في عُرف هؤلاء الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ. وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن دينًا من الأديان؛ كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلًا جاحدًا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل. وهذا يسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة ونقلة مقالات الناس»[(١)].

وقال أيضًا: «وأيضًا فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ﷺ كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرب، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك، فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مشركًا أو وثنيًّا، وسواء كان معطلًا للصانع وللنبوة، أو للنبوة فقط، أو لنبوة نبينا ﷺ فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسُّنَّة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين»[(٢)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد أن ذكر الخلاف في تعريف الزنديق ـ: «وقد قيل: إن سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق، قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأي كفر ارتد إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة وغيرها، ثم تاب سقط عنه القتل، وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق؛ بل كل زنديق منافق من غير عكس»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ أسباب الزندقة:

لظهور الزندقة في بلاد المسلمين أسباب كثيرة، **أهمها ما يلي**:

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) بغية المرتاد (٣٣٨).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

١ ـ الحقد والعداوة على الإسلام وأهله.

٢ ـ حركة الترجمة وانتشار علوم الفلاسفة والصابئة.

٣ ـ البحث في علم الكلام وترك الأثر.

٤ ـ الانغماس في اللهو والمجون.

ـ أساليب الزنادقة:

سلك الزنادقة في نشر زندقتهم أساليب ماكرة، **أهمها ما يلي:**

١ ـ التستر بحب آل البيت والدفاع عنهم.

٢ ـ انتحال النسب النبوي.

٣ ـ الوضع في الحديث النبوي.

٤ ـ استمالة العوام بالحيل والشعوذة.

٥ ـ إشاعة الفساد الخلقي ونشر المغريات.

ـ حكم توبة الزنديق:

اختلف العلماء في حكم توبة الزنديق، وهذا الخلاف يتوجه إلى ما يتعلق بالأحكام الدنيوية الظاهرة من القتل أو عدمه، وثبوت أحكام الإسلام في حقه، ونحو ذلك من الأحكام.

أما ما يتعلق بأمور الآخرة، وقبول الله تعالى لتوبة الزنديق في الباطن، فذلك راجع إلى الله ﷻ، فإذا تاب الزنديق توبةً صادقةً من قلبه، فإن الله ﷻ يقبل توبته، وينفعه ذلك في الآخرة، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء[1].

وقد تعددت أقوال العلماء في حكم توبة الزنديق ما بين القبول والردّ، والتفصيل بين من تاب قبل القدرة عليه ومن تاب بعد ذلك، وبين الداعية وغير الداعية، وغير ذلك من الأقوال الكثيرة[2].

وفيما يلي أهم الأقوال في هذه المسألة وذلك كما يلي:

القول الأول: القول بقبول توبة الزنديق مطلقًا، وإجرائه مجرى المرتد عن دين الإسلام الذي لا يقتل إلا بعد استتابته، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى جمهور العلماء[3].

وقد رجح هذا القول جمع من المحققين منهم: ابن المنذر، والنووي، وابن حجر، والشنقيطي، وغيرهم.

القول الثاني: القول بعدم قبول توبة الزنديق مطلقًا؛ بل يقتل بكل حال، وقالوا: إن الزنديق لا يطلع على صلاحه؛ لأن الفساد إنما أتى مما أسره، وذلك أن نفاقه الباطل دليل على أن توبته لا تعرف، فقد يظهر التوبة والندم، غير أنه لا يتحقق منه الصدق في ذلك؛ لعدم

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٧١).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣).

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، والرد على الجهمية (١٨٥).

الاطلاع على صلاحه. وهذا القول هو المشهور عن الإمام مالك وأصحابه.

القول الثالث: القول بالتفصيل فيفرق بين من تاب قبل القدرة عليه، ومن أظهر ذلك بعد القدرة عليه، وهذا القول هو إحدى الروايات في مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، وقد رجح هذا القول وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم رحمهما الله تعالى[(١)].

والحاصل: أن هذا القول هو الذي تؤيده الأدلة، وتجتمع عليه النصوص، فيعمل بها جميعًا من غير إسقاط لشيء منها[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الزنديق والملحد:

١ ـ الزنديق قد يدخل في اسم الملحد إذا كان ما يبطنه هو الإلحاد الباطن، وإن كان منتسبًا لدين الإسلام في الظاهر.

٢ ـ الزنديق يبطن معتقده الفاسد، وإن كان قد يصدر منه ما يدل على ما يبطن، وأما الملحد فهو مظهر لذلك.

٣ ـ الزنديق أخطر من الملحد في الكيد للإسلام؛ لكونه يدعي الإسلام ويعيش في أوساط المسلمين، بخلاف الملحد؛ فإن أمره ظاهر معلوم.

الآثار:

ـ شيوع الزّندقة يغري ضعاف الإيمان بالانزلاق إليها.

ـ انتشار المعصية، فليس بعد الكفر ذنب، ومن ثمّ يسهل على الزّنديق ارتكابها.

ـ اضطراب المجتمع، فإنّ الزّنادقة لا يحكمهم مبدأ، ومن ثمّ فإنّهم يفعلون ما تدعوهم إليه أهواؤهم بغير رعاية لحقوق الآخرين.

ـ انصراف النّاس إلى الشّهوات وتلبية دعوة الهوى يضعف المجتمع فيطمع فيه أعداؤه ويستولون عليه ويسلبون عزّته وكرامته[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين»، لابن القيِّم.

٢ ـ «بغية المرتاد»، لابن تيمية.

٣ ـ «الزنادقة: عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم»، لسعد العريفي.

٤ ـ «الزندقة والزنادقة»، لعاطف شكري.

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ١٤٢).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/ ٤٥٨٨) [دار الوسيلة، ط٤].

٥ ـ «الزندقة والزنادقة»، لمحمد عبد الحميد.

٦ ـ «الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام»، لسميرة مختار.

٧ ـ «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

٨ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الزُّهد

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزّاء والهاء والدّال أصل يدلّ على قلّة الشّيء. والزّهيد: الشّيء القليل، وهو مُزهِد: قليل المال»[١].

والزُّهد: خلاف الرغبة؛ تقول: زهد في الشيء وعن الشيء، يزهد زهدًا وزهادة، والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الرغبة، والزهدة والزهادة في الدنيا، فلا يقال الزهد إلا في الدنيا خاصة، فهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا[٢].

التعريف شرعًا:

هو ترك ما لا ينفع في الآخرة؛ كفضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، أو التي تشغل عن فعل الواجبات، وترك المحرمات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدّار الآخرة، وهو فضول المباح الّتي لا يستعان بها على طاعة الله»[٣].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو عبارة عن انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه، ولا مطلوبًا في نفسه لم يسمّ زاهدًا»[٤].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الزهد في اللغة: هو أوسع من التعريف الشرعي؛ حيث إن معناه في اللغة يشمل الرغبة في الشيء مطلقًا

وأما في الشرع: فهو مقيد بالرغبة عن الشيء الذي لا ينفع في الآخرة.

الحكم:

الزهد: أقسام، وكل قسم له حكم بحسبه[٥]:

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٠) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٠)، والصحاح (٢/ ٤٨١) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٦/ ٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٤٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٤) مختصر منهاج القاصدين (٤١١) [دار عمار، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٥) طريق الهجرتين (٢/ ٥٤٨ ـ ٤٥٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، والفوائد لابن القيم (١٧٠ ـ ١٧١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

أحدها: الزهد في الحرام، وهو فرض عين على كل مسلم، وهذا متى أخل به انعقد سبب العقاب.

الثاني: زهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة؛ فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كانت مستحبًّا.

الثالث: زهد مستحب، وهو على درجات في الاستحباب، بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه، وفضول المباحات، والتفنن في الشهوات المباحة.

الحقيقة:

حقيقة الزهد: هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة، وفيما سوى الله، وفي كل ما يشغل عنه، فهو صرف الرغبة عما لا ينفع في الآخرة، والتقلل من فضول النعم، وليس المراد بالزهد الانصراف عن الدنيا جملة؛ بل المراد جعل الدنيا وسيلة للآخرة. ومتعلقه ستّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزّهد حتّى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس، وكلّ ما دون الله[(١)].

المنزلة:

منزلة الزهد في الشريعة الإسلامية منزلة جليلة لتعلقها بأمور الحلال والحرام، والرضا بالقدر، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أحسن ما قيل في الزهد، كلام الحسن أو غيره: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال. ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة ـ إذا أصبت بها ـ أرغب منك فيها لو لم تصبك». فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه.

والنوع الثاني: غاية وكمال، وهو أن يبذلها للمحبوب جملة، بحيث لا يستبقي منها شيئًا؛ بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبه به، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبه؟»[(٢)].

الأدلة:

الآيات الواردة في معنى الزهد كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١، ٥١١، ٦٤١)، ومدارج السالكين (٢/١٧) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ]، والفوائد لابن القيم (١٧١)، وطريق الهجرتين (٢/٥٤٦)، وتلبيس إبليس لابن (٢/٨٥٨) [دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢/١٦)

وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى].

والأحاديث الواردة في (الزهد) وما في معناه فكثيرة كذلك؛ منها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنّها تزهّد في الدّنيا وتذكّر الآخرة**»[(١)].

وعن سهل بن سعد السّاعديّ رضي الله عنه قال: أتى النّبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل، إذا أنا عملته، أحبّني الله، وأحبّني النّاس، فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدّنيا يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي النّاس يحبّوك**»[(٢)].

وعن عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه قال: أتيت النّبيّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ قال: «**يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت**»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: «إنك لم تنل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا وإياك ومذاق الأخلاق ودناءتها»[(٥)].

وقال أبو سعيد الأعرابي رحمه الله: «وأول الزهد: الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح، وأعلى مراتب الزهد أن يزهد في الفضول، والفضول كل ما لك عنه غنى، فكأنك تزهد في كل

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٧١)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٨١)، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٤٢) [دار العربية، ط٢]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٠٧٣) [مكتبة المعارف].
وأصله عند مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٧) من حديث بريدة رضي الله عنه، دون زيادة: «تزهِّد في الدنيا».

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٠٢)، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢١٠) [دار العربية، ط٢]، لكن أورد له الألباني جملةً من الطرق والشواهد، وقوّاه بمجموعها.
انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٩٤٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٦).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل (١٠١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ].

شيء، إلا فيما أمرك الله، أو فيما ندبك إليه، مما يقربك إليه، أو ما لا بد منه، وكل ما كان سوى ذلك فهو من الفضول، وهو ترك ما لا يعني»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزهد هو عما لا ينفع: إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحًا؛ لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق»[(٢)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «من حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفًا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهدًا في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا»[(٣)].

المراتب:

الزهد على مراتب[(٤)]:

أحدها: الزهد في الحرام، **الثاني**: الزهد في الشبهات، **الثالث**: الزهد في المكروهات، **الرابع**: الزهد في المباحات من الحلال، **الخامس**: الزهد في الفضول من الكلام، والنظر، واللقاء، ونحوه، **السادس**: الزهد في الناس، **السابع**: الزهد في النفس؛ بحيث تهون عليه نفسه في سبيل الله، **الثامن**: الزهد في كل ما سوى الله تعالى، وفي كل ما يشغل عنه، وهو الجامع لمراتب الزهد كلها.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الزهد على **ثلاثة أوجه**: **الأول**: ترك الحرام وهو زهد العوام، **والثاني**: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، **والثالث**: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الزهد في الحلال:

اختلفت طوائف من أهل العلم هل لا يكون الزهد إلا في الحرام، دون الحلال على قولين[(٦)]:

فقالت طائفة: الزهد إنما هو في الحلال؛ لأن ترك الحرام فريضة.

وقالت فرقة: بل الزهد لا يكون إلا في الحرام، وأما الحلال فنعمة من الله

(١) معنى الزهد والمقالات وصفات الزاهدين (٧٦) [مطبعة دار الكتب المصرية].

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/١٨١) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: معنى الزهد والمقالات وصفات الزاهدين (٧٦)، وطريق الهجرتين (٢/٥٤٨ ـ ٤٥٤)، والفوائد لابن القيم (١٧٠ ـ ١٧١).

(٥) مدارج السالكين (٢/١٤) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (٢/١٧).

تعالى على عبده، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فشكره على نعمه، والاستعانة بها على طاعته، واتخاذها طريقًا إلى جنته أفضل من الزهد فيها، والتخلي عنها، ومجانبة أسبابها.

والتحقيق: أنها إن شغلته عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله؛ بل كان شاكرًا لله فيها، فحاله أفضل، والزهد فيها تجريد القلب عن التعلق بها، والطمأنينة إليها. والله أعلم.

ـ المسألة الثانية: الزهد والتصوف:

الزهد مصطلح شرعي ظهر في عهد النبي ﷺ، وظهر في كلام الصحابة ومن بعدهم من أئمة السلف، وأما التصوف فهو مصطلح حادث، وهو يتضمن معنى الزهد المشروع وغير المشروع، حيث غلب على جماعة من المتأخرين الزهد في الدنيا بأكملها، والانقطاع للعبادة مطلقًا، فانحرفوا عن معنى الزهد المشروع الذي شرعه الله ورسوله ﷺ، والذي كان عليه أئمة السلف، فأصبح الزهد يحمل معاني مخالفة لهدي الكتاب والسُّنَّة، وأصبح الزهاد على هذا المعنى المخالف من جملة أهل البدع؛ لأنهم ابتدعوا بدعًا منكرة، فحرموا على أنفسهم ما أحله الله تعالى لعباده من الطيبات، ووقعوا في جملة من المنكرات، وقد انخدع جماعة من الناس بالصوفية لما يرونهم عندهم من دعوى الزهد.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «والصوفية من جملة الزهاد، وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وترسموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتمون إليها في السماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام، لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب»[(١)].

۞ الفروق:

الفرق بين الزهد والقناعة:

القناعة: الرضا بما دون الكفاية، **والزهد**: الاقتصار على الزهيد؛ أي: القليل وهما يتقاربان، لكن القناعة تقال اعتبارًا برضا النفس، والزهد يقال اعتبارًا بالمتناول لحظ النفس، وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهُّد لا زهد[(٢)].

الفرق بين الزهد والورع:

الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، **والورع**: ترك ما يخاف ضرره في الآخرة[(٣)].

(١) تلبيس إبليس (٣/٩١٨ ـ ٩٢٠).

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة للأصبهاني (٢٢٥) [دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١، ٥١١)، ومدارج السالكين (٢/١٢)، والفوائد لابن القيم (١٧١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، وعدة الصابرين (٢٦٤) [دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٩هـ].

والزهد: هو من باب عدم الرغبة، والإرادة في المزهود فيه، **والورع**: من باب وجود النفرة والكراهة للتورع عنه.

والورع يصلح في المباحات، دون الورع فلا يجوز التورع عن المباحات، فكل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس[(١)].

قال ابن تيمية: «وبهذا يتبين: أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع، وأما المباحات فيصلح فيها الزهد دون الورع، وهذا القدر ظاهر تعرفه بأدنى تأمل»[(٢)].

الثمرات:

من ثمرات الزهد:

- أنه من أعظم الأسباب لنيل تقوى الله تعالى، ومحبته؛ لأن من ترك ما يحبه ويشتهيه لله تعالى أورثه ذلك محبة وتقوى لله تعالى.

- وأنه يورث القناعة بالرزق، والغنى في النفس، ويبعث على الراحة والطمأنينة، فلا يتحسر صاحبه من مال يفوته، أو رياسة، أو منصب، أو نحوها من أمور الدنيا الزائلة.

- وأنه العصمة من المحرمات والمنكرات، مما يبعث على مضاعفة الأجر والثواب.

- ومن تزهد في الدنيا هانت عليه مصائبها وآلامها، ولم يجزع لحدوثها؛ لأنه قد تشبع قلبه يقينًا بما أعده الله تعالى لعباده المتقين.

مذهب المخالفين:

خالف المتصوفة، ومن وافقهم في الزهد المشروع، وسلكوا طريقة في الدين مبتدعة: فظنوا أن الزهد هو في ترك المباحات من المآكل والمشارب والملابس، ونحوها، وبنوا دورًا للعبادة، زعموا أنهم ينقطعون فيها عن الدنيا بالكلية، ويتفرغون فيها للعبادة، فضيعوا الصلوات في المساجد مع جماعة المسلمين، وضيعوا الحقوق التي عليهم؛ كحقوق الأهل والأولاد؛ بل وقعوا في المنكرات المحرمة؛ كالرقص، والسماع المحرم، ونحوها من المخالفات الشرعية، وكل ذلك بدعوى الزهد في الدنيا، والرغبة إلى الآخرة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقًا تخلقوا بها،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦١٨ ـ ٦١٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٩).

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى، وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبَّس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن، كان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات؛ فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري»[(١)].

فكل ما ذكر عنهم في باب الزهد فهو باطل مخالف للشرع، كما تقرر في بيان حقيقة الزهد، وليس هو من هديه ﷺ، ولا من هدي أصحابه في شيء.

قال ابن الجوزي: «وما هذه طريقة الرسول ﷺ، ولا طريق أصحابه وأتباعه، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا، فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه، ويأكل الدجاج، ويحب الحلوى، ويستعذب له الماء، فيختار الماء البائت؛ فإن الماء الحار يؤذي المعدة ولا يروي فأما الكف المطلق فخطأ، فافهم هذا ولا تلتفت إلى قول المحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي فيما ذكرا من تقليل المطعم، ومجاهدة النفس بترك مباحاتها، فإن اتباع الشارع وصحابته أولى»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب.

٢ ـ «الفوائد»، لابن القيِّم.

٣ ـ «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي.

٤ ـ «الزهد»، لأحمد بن حنبل.

٥ ـ «شعب الإيمان»، للبيهقي.

٦ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

(١) تلبيس إبليس (٣/٩٢١ ـ ٩٤٤).

(٢) تلبيس إبليس (٢/٨٦١ ـ ٨٦٥).

٧ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيِّم.

٨ ـ «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

زيادة الإيمان ونقصانه

التعريف لغة:

الزيادة في اللغة: خلاف النقصان، يقال: زاد الشيء يزيد زيدًا وزيادة[(١)].

قال ابن فارس: «الزاء والياء والدال أصل يدل على الفضل»[(٢)].

والنقصان: مصدر نقصَ ينقُصُ نقصًا ونقصانًا، يقال: نقص الشيء؛ بمعنى: ذهب منه قدر معين[(٣)].

التعريف شرعًا:

تفاضل الإيمان، أو ذهاب شيء منه؛ للتّفاوت بين أهله، وأنهم ليسوا على حدّ سواء فيه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة ظاهرة؛ فإن الزيادة في الاصطلاح تدل على التفاضل، والنقصان كذلك يدل على ذهاب قدر معين وهو ما مر في التعريف اللغوي.

الحكم:

من أصول أهل السُّنَّة المتفق عليها بينهم أنّ الإيمان يزيد وينقص، ومن ثم كان واجبًا على العبد اعتقاد زيادة الإيمان ونقصانه، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ونقص الطاعة.

الحقيقة:

زيادة الإيمان تكون على أربعة أوجه:

١ ـ في عهد النبي ﷺ حينما كانت الشرائع يزاد فيها، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله.

٢ ـ زيادة المُؤمَن به، فمن بلغه شيء مما جاء به النبي ﷺ وجب عليه الإيمان به ما لم يجب على من لم يبلغه، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها، لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره.

٣ ـ زيادة ما في القلب؛ كالحبّ والخوف والرجاء، فالعلم والتصديق نفسه، يكون بعضه أقوى من بعض، وأثبت وأبعد عن الشك والرِّيب، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه، كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد، مثل رؤية الناس للهلال، وإن اشتركوا فيها، فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض، وكذلك سماع الصوت الواحد، وشم الرائحة الواحدة،

---

(١) انظر: لسان العرب (٣/١٩٨) [دار صادر، ط٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٤٠) [دار الفكر، ط١].

(٣) انظر: كتاب العين (٥/٦٥) [دار ومكتبة الهلال].

وذوق النوع الواحد من الطعام.

٤ ـ زيادة أعمال الجوارح؛ كالصلاة والصوم وذكر الله تعالى، فالأعمال الظاهرة أيضًا من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها(١).

الأهمية:

تتجلى أهمية هذه المسألة في عدة أمور؛ منها:

١ ـ أنّ هذه المسألة متعلقة بأجلِّ وأعظم غاية، وهي الإيمان.

٢ ـ أن زيادة الإيمان سبب لكل خير، ونقصانه سبب كل شر.

٣ ـ أنّ العناية بهذه المسألة دليل فقه العبد، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص معه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه»(٢).

٤ ـ أنّ هذه المسألة مما وقع الخلاف فيه بين أهل السُّنَّة والمخالفين، فوجب معرفة الحق فيها.

الأدلة:

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه، كثيرة جدًّا، **فمن القرآن:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء»(٣).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح].

وهذه الآيات فيها الدليل على الزيادة، وكل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة(٤).

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من**

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (١٨٣٦) [المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٥/٤٩) [دار الراية، ط١]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٥/١٠١٦) [دار طيبة، ط٨].

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٩) [دار طيبة، ط٢].

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/٧٤) [دار المعرفة].

إحداكن»[(١)].

وقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال عمير بن حبيب الخطمي: «الإيمان يزيد وينقص، قال: إذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»[(٥)].

وقال الأوزاعي: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع»[(٦)].

وقال الطبري: «وأمّا القول في الإيمان هل قول وعمل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل»[(٧)].

وقال ابن القيِّم: «الإيمان عند جميع أهل السُّنَّة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[(٨)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: هل إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله؟

هذه المسألة من المسائل المهمة في هذا الباب؛ بل هي أصل تفرعت عنه البدع فيه.

قال شيخ الإسلام: «وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحيض، رقم ٣٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥) واللفظ له.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٨٢)، والترمذي (أبواب الرضاع، رقم ١١٦٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٢/ ٣٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٣٤)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الإيمان والرؤيا، رقم ٣٠٣٢٧) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣١٥) [دار ابن القيم، ط١]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٥/ ١٠١٩) [دار طيبة، ط٨].

(٦) الشريعة للآجري (٢/ ٦٠٧) [دار الوطن، ط٢].

(٧) صريح السُّنَّة (٢٥) [دار الخلفاء للكتاب، ط١].

(٨) مدارج السالكين (٢/ ٢٧) [دار الكتاب العربي، ط٣].

لم يبق منه شيء»[١].

فقالت الخوارج والمعتزلة: إذا ذهب شيء من الإيمان لم يبق مع صاحبه منه شيء فيخلد في النار.

وقالت المرجئة: لا تُذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئًا من الإيمان.

والحق ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، من أنّ النصوص تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، ولهذا كان مقولهم: إن الإيمان يتفاضل ويزيد وينقص»[٢].

ـ المسألة الثانية: هل الإسلام يزيد وينقص؟[٣]:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة بناء على اختلافهم في تعريف الإسلام والإيمان، والفرق بينهما.

فمن قال بالترادف بين الإسلام والإيمان، وأنّ الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد قال بزيادة الإسلام ونقصانه؛ لأن له حكم الإيمان من حيث قبوله الزيادة والنقصان.

ومن قال: إن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان الاعتقادات الباطنة، هو قائل كذلك بأن الإسلام يزيد وينقص.

وأما من فرَّق بين الإسلام والإيمان فجعل الإسلام الكلمة والإيمان العمل، فالإسلام عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان.

قال شيخ الإسلام: «فالإسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط، فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها»[٤].

ـ المسألة الثالثة: أسباب زيادة الإيمان ونقصانه[٥]:

من المسائل المهمة كذلك معرفة أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، **فأما أسباب الزيادة فمنها:**

ـ تعلُّم العلم النافع.

ـ قراءة القرآن الكريم وتدبره.

ـ معرفة الأسماء الحسنى والصفات العلا.

ـ تأمل سيرة النبي ﷺ

ـ تأمل محاسن الدين الإسلامي.

ـ قراءة سير سلف الأمة.

ـ التأمل في الآيات الكونية.

ـ الاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله.

وأما أسباب النقصان فمنها:

ـ الجهل.

ـ الغفلة والإعراض والنسيان.

---

(١) الإيمان لابن تيمية (١٧٦).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر (٢٦٧ ـ ٢٧٢) [مكتبة دار القلم والكتاب، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) الإيمان لابن تيمية (٢٠٤).

(٥) انظر: أسباب زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر (٦ ـ ٧٥) [ط١، ١٤٢٧هـ].

- فعل المعاصي وارتكاب الذنوب.
- النفس الأمارة بالسوء.
- الشيطان.
- الدنيا وفتنتها ومغرياتها.
- قرناء السوء.

مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه على **قسمين**[(١)]:

- **أولًا:** من قال: إن الإيمان يزيد ولا ينقص: وهو قول بعض الأشاعرة والغسانية والنجارية والإباضية، ورواية عن أبي حنيفة[(٢)].

(١) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٢٧٩ ـ ٣١١).

(٢) وأما ما نقل عن الإمام مالك بن أنس من أنّه قال بأنّ الإيمان يزيد ولا ينقص فغير صحيح؛ لأنّ الذي ثبت عنه أنّه توقف في أول الأمر بالتصريح بالنقصان لعدم وقوفه على نص في ذلك، ثم إنه ورد عنه روايات متعددة صحيحة فيها القول بزيادة الإيمان ونقصانه. انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (٢٧٧).

أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٦/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحَّحه، لكنه تُعُقِّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (١٢/٥٠) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٦/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحَّحه، لكنه تُعُقِّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (١٢/٥٠) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

واحتجوا بأمور؛ **منها**:

١ ـ أن الإيمان هو التصديق، والتصديق لا يقبل النقص؛ لأنه إذا قبله صار شكًّا، ولكنه يزيد بناء على أن الشخص يؤمن إجمالًا، ثم يزيد تصديقه بالتفاصيل.

٢ ـ ما جاء في الحديث: «الإسلام يزيد ولا ينقص»[(٣)].

الرد عليهم:

أما دعواهم أن التصديق لا يقبل النقص؛ لأنه إذا قبله صار شكًّا، فيقال:

١ ـ هذا القول مخالف للحق، فالنصوص الشرعية دلَّت على زيادته ونقصانه.

٢ ـ «الواقع يشهد لبطلان ذلك، فإن من الناس من يكون تصديقه قويًّا معتمدًا على الحجج والبراهين، بالغًا أعلى درجات اليقين، لا تزعزعه الشبهات ولا تصرفه، ومنهم من يكون تصديقه ضعيفًا، بحيث تزعزعه الشبه وتصرفه، فإن سلم منها بقي على تصديقه الضعيف ولا يعد شاكًّا، فشتان بين هذا وذاك. ثم إن هذا أمر يحسه كل أحد من نفسه، فإن المرء

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٦/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحَّحه، لكنه تُعُقِّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (١٢/٥٠) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

أحيانًا يكون تصديقه قويًا، وأحيانًا يكون ضعيفًا، وهو في كِلا الحالين مصدّق، وما ذاك إلا لأن التصديق يقبل التفاضل والزيادة والنقصان في الشخص الواحد، وكذلك يتفاضل من شخص لآخر»[١].

٣ ـ أن يقال: إنّ الإيمان ليس هو التصديق فحسب؛ بل هو التصديق والقول والعمل، كما هو مقرر في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فالإيمان ينقص بنقص العمل وبفعل المعاصي وبغير ذلك، ولا يلزم من نقصه في ذلك أن يكون شكًّا أو كفرًا.

أما استدلالهم بالحديث فإنّه منقوض من جهتين:

الأولى: أن الحديث ضعيف لا يحتج به، فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢]، وضعفه الألباني[٣].

الأخرى: على فرض صحته فإن معناه على غير ما فهمه هؤلاء، فقد قيل في معناه: إنما أراد أن الإسلام في زيادة ولا ينقص بالردة[٤].

ـ **ثانيًا:** من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول الجهمية والأشاعرة والماتريدية والخوارج والمعتزلة.

ومن أدلتهم على باطلهم:

أولًا: قولهم: إنّ الإيمان كلٌّ واحد لا يتجزّأ؛ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

ثانيًا: أن الإيمان هو التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان، وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان.

والجواب عن الشبهة الأولى أن يقال:

١ ـ الحقيقة الجامعة لأمور ـ سواء كانت في الأعيان والأعراض ـ إذا زال بعضها فقد يزول سائرها وقد لا يزول، ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها.

٢ ـ أن كون الشيء المركب لم يبق على تركيبه بعد زوال شيء من أجزائه منه لا نزاع فيه بين العقلاء، ولا يدّعي عاقل أن الإيمان أو الصلاة أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور والمشتملة على أجزاء أنه إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه.

٣ ـ أن هذا القول مخالف لنصوص الوحي الدالة على أن للإيمان أجزاءً وأبعاضًا.

٤ ـ أن أجزاء الإيمان مختلفة متفاوتة، فمنها ما يزول الإيمان كليةً

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٣٠٧). وانظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (٦٨ ـ ٦٩).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢٣٠) [المكتبة السلفية، ط١].

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٢٥٢) [دار المعارف، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: سنن البيهقي (٦/ ٢٥٤) [مجلس دائرة المعارف، ط١، ١٣٤٤هـ].

بزوالها؛ كفعل أمر كفري ناقض للإيمان، ومنها ما يزول كمال الإيمان الواجب بزوالها؛ كفعل كبيرة من الكبائر، ومنها ما يزول كمال الإيمان المستحب بزوالها؛ كترك إماطة الأذى عن الطريق.

وأما الجواب عن الشبهة الثانية فيقال:

١ ـ جعلهم الإيمان الشرعي هو التصديق القلبي فقط والعمل خارج عن مسماه قول باطل.

٢ ـ لو فرض أن الإيمان هو التصديق وحده، فإنه يكون تصديقًا مخصوصًا، بمعنى: أنه يشمل تصديق القلب واللسان والجوارح كذلك.

٣ ـ أنّ الزيادة والنقصان فيه متصورة عقلًا، ثابتة شرعًا، واقعة عرفًا؛ لأنّ كل مصدق بشيء يجد في نفسه تفاوتًا في التصديق من وقت لآخر، بحسب تعدد الأدلة وقوة البراهين.

٤ ـ أن محققي هؤلاء تعقبوا هذا القول، ونبهوا على غلطه؛ وذلك للقطع عندهم بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي ﷺ أو كتصديق جبريل عليه السلام، أو كتصديق الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم [(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الشريعة»، للآجري.

٢ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، للالكائي.

٣ ـ «شرح السُّنَّة»، للمزني.

٤ ـ «الإيمان»، لابن تيمية.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «تفسير ابن كثير».

٧ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

٨ ـ «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، للسعدي.

٩ ـ «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ ـ «أسباب زيادة الإيمان ونقصانه»، لعبد الرزاق البدر.

زيارة القبور

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْل والعدول. من ذلك الزُّور: الكذب؛ لأنه مائلٌ عن طريقَةِ الحق. ويقال: زوَّرَ فلانٌ الشَّيءَ تزويرًا. والزَّوَر: الميل. يقال: ازورَّ عن كذا؛ أي: مالَ عنه، ومن الباب: الزائر؛ لأنّه إذا زارَك فقد عدَلَ عن غيرك» [(٢)]. فالزيارة: مصدر لزَارني فلانٌ يزورني زورًا وزيارة، وأصل زار إليه: مال [(٣)].

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٣٥٠ ـ ٣٧٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/٢٣٨) [الدار المصرية].

وأما القبور فهي جمع قبر، قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غموضٍ في شيء وتطامُن. من ذلك: القَبْر؛ قَبْر الميِّت. يقال: قَبَرْتُه أقْبُرُه، ومكانُ القبور مَقْبَرَة ومَقْبُرَة»[(١)]. والقبر مدفن الإنسان[(٢)].

التعريف شرعًا:

زيارة القبور: هو الذهاب إلى القبور، وفعل ما يشرع عندها كالدعاء للميت والاستغفار له، أو ما ينهى عنه كدعاء الميت والشرك به والنياحة عند قبره والندب[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

متفقان من حيث المعنى العام، وفي الشرع زيادة تفصيل.

الحكم:

اتفق العلماء على أنه ﷺ كان نهى عن زيارة القبور؛ لقوله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[(٤)]، واختلفوا هل نسخ ذلك، على **أقوال**:

فقالت طائفة: لم ينسخ ذلك؛ لأن أحاديث النسخ ليست مشهورة.

وقال الآخرون: بل نسخ ذلك، واختلفوا: فقالت طائفة منهم: إنما نسخ إلى الإباحة، وهذا قول في مذهب مالك وأحمد.

وقال الأكثرون: زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم، وحكى النووي الإجماع على ذلك[(٥)].

والأقوال الثلاثة صحيحة باعتبار؛ فإن الزيارة إذا تضمنت أمرًا محرمًا من شرك أو كذب أو ندب أو نياحة فهي محرمة بالإجماع.

وأما زيارتها للدعاء للميت كالصلاة على الجنازة، وتذكر الآخرة، فهذا هو المستحب الذي دلَّت السُّنَّة على استحبابه؛ لأن النبي ﷺ فعله، وكان يعلِّم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور[(٦)].

الأدلة:

من أدلة استحباب زيارة القبور الشرعية للرجال:

حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**».

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٧ ـ ٤٨).
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/١٣٨).
(٣) انظر نحو هذا المعنى: مجموع الفتاوى (٢٧/٢٤٦) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٧).
(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (٧/٤٦ ـ ٤٧) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، مجموع الفتاوى (٢٧/٣٧٦ ـ ٣٧٩).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٣٧٦ ـ ٣٧٩) بتصرف، والجواب الباهر في زوار المقابر (٦٢ ـ ٦٣) [دار القلم، ط١، ١٤٠٦هـ].

وحديث بريدة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام على أهل الديار** - وفي رواية - **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية**»[(١)].

وفي النهي عن الزيارة البدعية أحاديث كثيرة، **منها**:

ما روته عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**»[(٢)].

وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس: «.. **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(٣)].

وفي النهي عن زيارة النساء: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ «لعن زوّارات القبور»[(٤)].

۞ الأقسام:

زيارة القبور على وجهين:

١ - زيارة شرعية: تتضمن السلام على الموتى والدعاء لهم، وهو مثل الصلاة على جنائزهم.

٢ - زيارة بدعية: وهي زيارة أهل الشرك الذين يقصدون دعاء الميت والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره، ويدعون به[(٥)].

۞ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: زيارة النساء للقبور:

اختلف العلماء في زيارة النساء للقبور على **ثلاثة أقوال** معروفة في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما:

الأول: مذهب الجمهور من أهل العلم: أنه لا يجوز للنساء أن تزور القبور؛ لأن المرأة ضعيفة، فإذا رأت قبر قريبها من ابنها، أو أبيها، أو أخيها، أو زوجها، فإنها لا تملك نفسها من النياحة ومن الجزع.

القول الثاني: جواز زيارة النساء للقبور.

القول الثالث: كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٢).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٧٦)، وأحمد (١٤/ ١٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٥) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٦)، والجواب الباهر (٣٢).

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (٧/ ٤٥)، ومجموع =

والصحيح أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور **لعدة أوجه**:

أحدها: أن قوله ﷺ: «**فزوروها**» صيغة تذكير، وصيغة التذكير إنما تتناول الرجال بالوضع، وقد تتناول النساء أيضًا على سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان؛ قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق، وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهي النساء؛ بل ولا ينسخها عند جمهور العلماء وإن علم تقدم الخاص على العام.

الوجه الثاني: أن يقال: لو كانت النساء داخلات في الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور كما استحب للرجال عند الجمهور[1].

الوجه الثالث: أن أحاديث التحريم صريحة في معناها فإن رسول الله ﷺ لعن النساء على الزيارة، واللعن على الفعل من أدل الدلائل على تحريمه، ولا سيما وقد قرنه في اللعن بالمتخذين عليها المساجد والسرج، وهذا غير منسوخ؛ بل لعن في مرض موته من فعله[2].

الوجه الرابع: ما يقارن زيارة النساء للقبور من المفاسد التي يعلمها الخاص والعام؛ من فتنة الأحياء، وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل إلى دفعه إلا بمنعهن منها[3].

ـ المسألة الثانية: بدع القبور:

بدع القبور كثيرة، منها[4]:

١ ـ دعاء المقبورين، وسؤالهم من دون الله، والاستغاثة بهم، وكل ذلك من الشرك البواح.

٢ ـ الذبح والنحر عند القبور، لقوله ﷺ: «**لا عقر في الإسلام**»[5]، قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.

٣ ـ رفع القبور زيادة على التراب الخارج منها.

٤ ـ تجصيص القبور.

٥ ـ الكتابة على القبور.

٦ ـ البناء على القبور.

٧ ـ القعود على القبور.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها

= الفتاوى (٢٤/٣٤٣)، وإعانة المستفيد (١/٤٢١) [مؤسسة الرسالة ناشرون].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٣٤٤)، شرح النووي على مسلم (٧/٤٥).

(٢) انظر: تهذيب السنن (٩/٤٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب السنن (٩/٤٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٣٣٥)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (٤٢ ـ ٤٣).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٢)، وأحمد (٢٠/٣٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١٤٦)، وصحَّحه النووي في الخلاصة (٢/١٠٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٤٣٦).

اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه»[1]، وفي رواية أبي داود وغيره: «أو أن يكتب عليه»[2].

٨ ـ الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تصلُّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**»[3].

٩ ـ بناء المساجد عليها، وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى، وتقدم قوله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**»[4].

١٠ ـ اتخاذها عيدًا، وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[5].

١١ ـ شد الرحال إليها، وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**»[6].

ومن البدع: إسراجها، والتمسح بها، والطواف حولها، وتبخيرها، ووقوف السدنة عندها، وكسوة الضريح[7].

الحكمة:

مشروعية زيارة القبور بعد منعها كان لحكمة عظيمة، **من ذلك:**

١ ـ التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، مما يزيد في إيمان الشخص، ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

٢ ـ الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم، والترحم عليهم[8].

مذهب المخالفين:

المخالفون هم القبوريون من الصوفية

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٧)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني أيضًا في الإرواء (٣/٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد في المسند (١٤/٤٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه النووي في رياض الصالحين (٢٥٥) [دار الفكر، ط٣، ١٤٢١هـ]، وابن حجر في الفتح (٦/٤٨٨) [دار الفكر]، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود (٣٥٣) [مكتبة المعارف، ط٢].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب العمل في الصلاة، رقم ١١٨٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٩٧).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١٣٧ ـ ١٥٥).

(٨) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٢٨)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٨)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (٤٢).

والشيعة، ومن وافقهم من المبتدعة، الذين يعظمون القبور، ويدعون الموتى عند قبورهم، ويطوفون حولها؛ بل ويحجون إليها، ويشابهون عبّاد الأصنام بما يفعلون عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها، ويرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، حتى إن منهم من يعتقد أن زيارة المشاهد التي على القبور إما قبر نبي، أو شيخ، أو بعض أهل البيت، أفضل من حج البيت الحرام، ويسمي زيارتها الحج: الأكبر[(١)].

قال ابن القيِّم: «فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركّعًا سجّدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسرانًا، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام، الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله ربِّ العالمين»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إغاثة اللهفان» (ج١)، لابن القيِّم.

٢ ـ «بدع القبور وحكمها»، لمحمد ناوي [رسالة ماجستير].

٣ ـ «بدع القبور أنواعها وأحكامها»، لصالح العصيمي.

٤ ـ «بدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجنائز والقبور»، لأحمد السليم.

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٧، ٨٥٠ ـ ٨٥٣)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٦ ـ ١٩٧) بتصرف.

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٩٤).

٥ ـ «التذكرة في أحكام المقبرة»، لعبد الرحمٰن الشثري.

٦ ـ «جزء في زيارة النساء للقبور»، لبكر أبي زيد.

٧ ـ «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على القبوريين»، لمحمد المدخلي [رسالة ماجستير].

٨ ـ «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.

٩ ـ «الجواب الباهر في زوار المقابر»، لابن تيمية.

١٠ ـ «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية.

١١ ـ «زيارة القبور الشرعية والشركية»، لمحيي الدين البركوي الحنفي.

١٢ ـ «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»، لمرعي بن يوسف الكرمي.

١٣ ـ «القبورية وموقف الإسلام منها»، لخالد العنزي [رسالة ماجستير].

١٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢٤، ٢٧)، لابن تيمية.

❁ ❁ ❁



سؤال الخلق

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والهمزة واللام كلمةٌ واحدةٌ. يقال: سأل يسأل سؤالًا ومَسْأَلةً. ورجل سُؤَلةٌ: كثير السؤال»[(١)]. والسؤْل ما يسأله الإنسان، وأسْألته سُؤْلته ومَسألته؛ أي: قضيت حاجته[(٢)]. وسألته الشيء بمعنى استعطيته إياه[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

سؤال الخلق: هو توجه المخلوق للمخلوق حيًّا كان أم ميتًا، بطلب قضاء حوائجه لضرورة، أو من غير ضرورة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنيان متفقان.

الحكم:

يختلف حكم السؤال باختلاف الأحوال، وتجري عليه جميع الأحكام التكليفية، فقد يكون محرمًا أو مباحًا أو مكروهًا أو واجبًا أو مندوبًا[(٤)].

١ ـ فيكون السؤال محرمًا إذا كان لغير حاجة؛ كمن سأل وهو غني، أو أظهر من الفقر والفاقة فوق ما به، ومن هو قادر على الكسب[(٥)]. قال شيخ الإسلام: «وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلًا على الله أفضل»[(٦)].

٢ ـ ويكون مباحًا إذا كان لضرورة أو حاجة؛ كمن تحمل حمالة، أو من به فاقة، أو أصابته جائحة ونحو ذلك[(٧)].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٤).

(٢) انظر: الصحاح (٥/ ١٧٢٣) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١١/ ٣١٨) [دار صادر].

(٤) انظر تفصيل ذلك في: كتاب أحكام المسألة والاستجداء لمحمد بلو.

(٥) انظر: الاستذكار (٨/ ٦٠٩ ـ ٦١١)، وشرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٧) [دار الفكر]، والفروع لابن مفلح (٤/ ٣١٠ ـ ٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٦) [دار الفكر]، والإقناع للشربيني (١/ ٢٥٢) [دار الفكر]، والمبسوط (٣٠/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) [دار المعرفة].

(٦) مجموع الفتاوى (١/ ١٨١)، وانظر: مراتب الإجماع لابن حزم (٢٥٠).

(٧) انظر: مراتب الإجماع (٢٥٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٨١)، والرد على البكري (١/ ٤٠١)، ومدارج السالكين (٢/ ١٣١) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ]، وشرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٧)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٦).

قال النووي: «وأما السؤال للمحتاج العاجز عن الكسب فليس بحرام، ولا مكروه، صرح به الماوردي وهو ظاهر»[(١)].

٣ ـ ويكون مكروهًا إذا كان عند المرء ما يكفيه، ولم يظهر من الفقر والفاقة فوق ما به[(٢)]. وكره الإمام أحمد المسألة كلها[(٣)].

٤ ـ ويكون واجبًا إن كان في تركه هلاكًا لنفسه[(٤)].

٥ ـ ويكون مندوبًا لمن يسأل لغيره إعانة له، وبيانًا لحاجته[(٥)]، وفي مذهب أحمد روايتين: الإباحة والكراهة[(٦)].

الأدلة:

استدلوا بعموم الأدلة المصرحة بالنهي عن المسألة، وذم السؤال، **ومنها**:

قول النبي ﷺ لقبيصة بن مخارق: «**يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش**، أو قال: **سدادًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش**، أو قال: **سدادًا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتًا يأكلها صاحبها سحتًا**»[(٧)].

وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو منعه**»[(٨)]. قال ابن حجر: «قوله: «**والذي نفسي بيده**» ففيه القسم على الشيء المقطوع بصدقه لتأكيده في نفس السامع، وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها»[(٩)].

وقوله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[(١٠)].

وقوله ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل**

(١) المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٣٦) [مكتبة الإرشاد].
(٢) انظر: الفروع (٤/ ٣١١)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ١٢٧).
(٣) انظر: الفروع لابن مفلح (٤/ ٣١١)، ومدارج السالكين (١/ ١١٦).
(٤) انظر: الرد على البكري (١/ ٤٠٢)، ومختصر منهاج القاصدين (٣٢٣ ـ ٣٢٤) [مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ].
(٥) انظر: طرح التثريب للعراقي (٣/ ١٠٤٣) [مكتبة نزار الباز، ط٢، ١٤٢٠هـ].
(٦) انظر: الفروع (٤/ ٣١٨ ـ ٣١٩).
(٧) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٤).
(٨) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٢).
(٩) فتح الباري (٣/ ٣٣٦).
(١٠) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٧)، ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٥).

الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»[(١)].

وقوله ﷺ: «**من سأل الناس أموالهم تكثّرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر**»[(٢)].

الأقسام:

سؤال الخلق قسمان[(٣)]:

١ ـ سؤال الخلق في حياتهم، وهو **نوعان**؛ **الأول**: سؤالهم ما يقدرون عليه، وسبق تفصيل حكمه. **الثاني**: سؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل أن يطلب شفاء مريضه، أو عافية أهله، أو غفران ذنبه، وهذا نوع من الشرك.

٢ ـ سؤال الخلق بعد مماتهم، وكذا الغائبون، نوع من الشرك أيضًا.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: السؤال بوجه الله:

وهو قول: أسألك بوجه الله، ورد عنه ﷺ أنه قال: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[(٤)]، وهو حديث ضعيف، لكن يشهد له عموم النهي كقوله ﷺ: «**ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله، ما لم يسأل هُجرًا**»[(٥)]. وهنا أمران:

الأول: سؤال المخلوق بوجه الله، وقد كره العلماء ذلك[(٦)]، وقال البعض بعدم الجواز[(٧)]؛ لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة.

الثاني: سؤال الله بوجهه الكريم الجنة وما يستلزم دخولها وهذا جائز؛ أما أمور الدنيا؛ فلا تُسأل بوجه الله؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا[(٨)].

واختلفوا في حكم رد من سأل بالله، أو بوجه الله على **قولين**:

الأول: يكره رد من سأل بالله أو بوجه الله، ويستحب إعطاؤه، قال به بعض الشافعية والحنابلة[(٩)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٤)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤١).

(٣) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٩ ـ ٤٤١) بتصرف [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة، رقم ١٦٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٩٣) [مكتبة السوادي، ط١]، وضعفه عبد الحق الإشبيلي وابن القطان، كما في فيض القدير (٦/ ٤٥١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٥٠٦) [مكتبة المعارف].

(٥) أخرجه الطبراني في الدعاء (٥٨١) [دار الكتب العلمية، ط١]، وحسَّنه العراقي، كما في فيض القدير (٦/ ٤) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وحسَّنه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٩٠).

(٦) انظر: المجموع (٦/ ٢٤٤)، ومغني المحتاج (٣/ ١٦٣)، ومواهب الجليل (٤/ ٤٠٣).

(٧) انظر: معجم المناهي اللفظية (١٨٣) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٧هـ]، وأحكام المسألة والاستجداء (١٢٦).

(٨) انظر: القول المفيد (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧).

(٩) انظر: المغني (١٣/ ٥٠٤) [عالم الكتب، ط٣]، =

الثاني: يحرم رده، ويجب إعطاؤه، وهو قول الحنفية، وبعض الشافعية والحنابلة[(١)].

- المسألة الثانية: الاستدلال على الاستغاثة بالغائبين بحديث: «إن لله في الأرض حاضرًا»:

عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: **«إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»**[(٢)].

ومعنى احبسوا: أي: امنعوها من الهرب، وأوقفوها[(٣)]، وهو حديث ضعيف، وقد استدل به بعض القبوريين في الاستغاثة بالأحياء الغائبين، والأموات، ولا دليل فيه على ما ذهبوا إليه؛ بل غاية ما فيه ـ على تقدير ثبوته ـ أنه يدل على جواز الطلب من الحي الحاضر فيما يقدر عليه، كما قال: **«فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»**[(٤)].

- المسألة الثالثة: طلب الدعاء من الغير:

عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: **«لا تنسنا يا أخي من دعائك»**[(٥)]. وثبت في «الصحيح» أنه ﷺ ذكر أويسًا القرني وقال لعمر: **«فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»**[(٦)].

دلَّت هذه الأحاديث على أنه يشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن فوقه وممن هو دونه، وطلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له؛ كطلبه أن يصلي عليه ويسلم عليه، وأن يسأل الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وهو كطلبه أن يعمل سائر الصالحات، فمقصوده نفع المطلوب منه والإحسان إليه. ومن قال لغيره من الناس: ادع لي أو لنا، وقصد أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء، وينتفع هو أيضًا بأمره، ويفعل ذلك المأمور به، كما يأمره بسائر فعل الخير، فهو مقتدٍ

= وإعانة الطالبين (٤/ ٣١٤)، ومواهب الجليل (٤/ ٤٠٣)، وتيسير العزيز الحميد (٦٦٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٢هـ].

(١) انظر: الفروع (١٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤٣)، والمبدع (٨/ ٦٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتيسير العزيز الحميد (٦٦٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٩/ ١٧٧) [دار المأمون، ط١]، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٥) [دار القبلة]، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٢) [مكتبة القدسي]: «فيه معروف بن حسان، وهو ضعيف»، وفيه انقطاع أيضًا، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٦٥٥).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٢٨)، والصحاح (٣/ ٩١٥).

(٤) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٣/ ١٢٧٤)، وتيسير العزيز الحميد (٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٦٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٣٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٢).

بالنبي ﷺ مؤتمّ به، وليس هذا من السؤال المرجوح. وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته، ولم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤتمين به في ذلك؛ بل هذا هو من السؤال المرجوح، الذي تركه إلى الرغبة إلى الله وسؤاله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله. وهذا كله من سؤال الأحياء السؤال الجائز المشروع[١].

الحكمة:

النهي عن سؤال الخلق لما فيه من مفاسد، **ومنها**:

١ ـ مفسدة الافتقار إلى غير الله، وهي من نوع الشرك.

٢ ـ ومفسدة إيذاء المسؤول، وهي من نوع ظلم الخلق.

٣ ـ وفيه ذل لغير الله وهو ظلم النفس، فهو مشتمل على أنواع الظلم الثلاثة[٢].

مذهب المخالفين:

المخالفون: هم القبورية من الصوفية والشيعة، ومن وافقهم من المبتدعة، الذين يدعون الموتى، ويستغيثون بهم، ويسألونهم قضاء حاجاتهم، ويطوفون حول قبر من يعظمون؛ بل ويحجون إليها، ويشابهون عباد الأصنام بما يفعلون عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها[٣]. قال ابن القيِّم عنهم: «فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر رُكعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسرانًا، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات»[٤].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي»، لمحمد بلو الخياط.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، زيارة القبور (١٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٩٠)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٣١).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٧، ٨٥٠ ـ ٨٥٣)، إغاثة اللهفان (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧) بتصرف.

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٤)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٢٢٢ ـ ٢٤٢).

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.

٤ ـ «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيمل [بحث منشور].

٥ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٦ ـ «الرد على البكري»، لابن تيمية.

٧ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج٧)، للنووي.

٨ ـ «فتح الباري» (ج١٠)، لابن حجر.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

سؤال الله بالمخلوق

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والهمزة واللام كلمةٌ واحدةٌ. يقال: سأل يسأل سؤالًا ومَسْألةً. ورجل سُؤَلةٌ: كثير السؤال»[(١)]. والسؤل ما يسأله الإنسان، وأسْألته سُؤْلته ومَسألته؛ أي: قضيت حاجته[(٢)]. وسألته الشيء بمعنى استعطيته إياه[(٣)].

التعريف شرعًا:

هو سؤال الله بذات فلان، أو بجاه فلان، أو بأعماله الصالحة التي عملها[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنيان متفقان في الأصل، وفي التعريف الاصطلاحي مزيد توضيح لحالات السؤال.

الأسماء الأخرى:

التوسُّل بالخلق، التوسل بالذات، الإقسام على الله بالمخلوق.

الحكم:

لفظ السؤال بالشخص والتوجه به، والتوسل به، فيه إجمال واشتراك، غلط بسببه من لم يفهم معناه: فإن أريد به التسبب به لكونه داعيًا وشافعًا، وهذا يكون في حياته، أو لكون الداعي محبًّا له، مطيعًا لأمره، مقتديًا به، وذلك أهل للمحبة والطاعة والاقتداء، فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته، فهذا النوع جائز. أو يراد به الإقسام به والتوسل

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٤).

(٢) انظر: الصحاح (٥/ ١٧٢٣) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١١/ ٣١٩) [دار صادر].

(٤) انظر نحو هذا في: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للأفغاني (٣/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٥) [دار الصميعي، ط١، ١٤١٦هـ].

بذاته، وهذا محرم وغير جائز. وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به، لكونه سببًا في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام[(١)].

وقد نصَّ غير واحد من أهل العلم على أنه لا يجوز سؤال الله بالأنبياء والصالحين[(٢)]، وأن سؤال الله بشيء من المخلوقات من أعظم البدع المنكرة في دين الإسلام، ومما يظهر قبحه للخاص والعام[(٣)]، وهو الذي يقصد به السؤال بالذات، والحق والجاه.

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام: «قال أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشه، هو الله، فلا أكره هذا، وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، بهذا الحق يكره. قالوا جميعًا، فالمسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقًّا»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: السؤال بمعقد العز من عرش الرحمٰن أهو سؤال بمخلوق أم بالخالق؟

فيه نزاع بينهم، وقد كرهه أبو حنيفة، وأجازه أبو يوسف للأثر فيه: «أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»[(٥)] فجوَّزه لذلك، وقال: بمعقد العز من عرشه، هو الله، فلا أكره هذا[(٦)]، وهذا الأثر باطل لا يصح[(٧)]، كما أن لفظه موهم، وعليه فيكره هذا اللفظ.

ـ المسألة الثانية: تعليل النهي عن السؤال بالحق والجاه هو لعدة أمور:

الأول: أنه بدعة ضلالة في عبادة هي

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤، ٧٨٢) [مكتبة الرشد، ط٣، ١٤١١هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٩٩) بتصرف [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) انظر: الرد على البكري (١/ ٢٦٠) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٩٠) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٢)، وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧) [مكتبة الرياض الحديثة]، وبدائع الصنائع للكاساني (٥/ ١٢٦) [دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م]، والبحر الرائق لابن نجيم (٨/ ٢٣٥) [دار المعرفة].

(٥) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ١٨) [مؤسسة غراس، ط١]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحكم ابن الجوزي بوضعه. انظر: الموضوعات (٢/ ١٤٢) [المكتبة السلفية، ط١].

(٦) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٢ ـ ٧٨٣)، وحاشية ابن عابدين (٦/ ٣٩٦) [دار الفكر، ١٤٢١هـ].

(٧) انظر: حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٩٦)، ونصب الراية للزيلعي (٤/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) [مؤسسة الريان، ط١].

من أعظم العبادات، ألا وهي الدعاء؛ لأن هذا النوع من التوسل لم يعهد في الكتاب والسُّنَّة، ولم يفعله أحد من الصحابة والتابعين ولا إمام من أئمة الأمة.

الثاني: أنه ذريعة كبيرة لفتح باب الشرك بمصراعيه، فيجب سدها حماية لحمى التوحيد[(١)].

الثالث: أن الداعي إذا قال: أسألك بحق فلان، لم يسأل الله باتباعه لذلك الشخص، ومحبته وطاعته؛ بل بنفس ذاته، وما جعله له ربه من الكرامة، فهو لم يسأله بسبب يوجب المطلوب، بخلاف التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها؛ كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة[(٢)]، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، فهذا مما لا نزاع في جوازه[(٣)].

الآثار:

آثار سؤال الله بذات المخلوق:

١ ـ ضعف الإيمان والتعلق بغير الله.

٢ ـ الوقوع في الشرك.

٣ ـ عدم تحقق المراد لعدم السبب الشرعي، وهو دعاء الله ﷻ.

٤ ـ مخالفة سُنَّة الرسول ﷺ.

٥ ـ أنه ذريعة إلى تعظيم المخلوق وتقديسه.

مذهب المخالفين:

استدلَّ القائلون بجواز السؤال بحق فلان وجاه فلان، بآثار وأقوال عن بعض أهل العلم؛ ولكن ليس في المنقول عن النبي ﷺ شيء صريح صحيح ثابت، وأما النقل عن من ليس قوله حجة فبعضه ثابت، وبعضه ليس بثابت. والحديث الذي استدلوا به عن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يخرج إلى الصلاة اللَّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكَّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته**»[(٤)].

---

(١) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للأفغاني (٣/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٥) بتصرف.

(٢) أخرجه بتمامه البخاري في عدة مواضع، منها: (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٧٢)، ومسلم (كتاب الرقاق، رقم ٢٧٤٣).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٦)، ومجموع الفتاوى (١/ ٢٢٠، ٢٨٧ ـ ٢٨٨) بتصرف.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب المساجد والجماعات، رقم ٧٧٨)، وأحمد (١٧/ ٢٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وضعفه النووي في الأذكار (٣٠) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، وابن تيمية في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٣٣) [مكتبة الفرقان، ط١]، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٩٨) [دار العربية، ط٢]، والألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٢٤).

وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضًا. ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله ﷻ على نفسه الكريمة، بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في أحد أقوالهم[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي»، لمحمد بلو الخياط.

٢ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ ـ «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.

٤ ـ «حاشية ابن عابدين» (ج٦).

٥ ـ «الرد على البكري»، لابن تيمية.

٦ ـ «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيمل [بحث منشور].

٧ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٨).

السابق بالخيرات

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

السابقون الأوَّلون

يراجع مصطلح (الصحابة).

السَّاعة

التعريف لغة:

الساعة: جزء من أربع وعشرين جزءًا من الليل والنهار والجمع ساعات وساع، أو هي جزء قليل من النهار أو الليل، يقال: جلست عندك ساعة من النهار؛ أي: وقتًا قليلًا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة[2].

التعريف شرعًا:

الساعة: الوقت الذي يأذن الله فيه بنفختي الصور للإفناء والإنشاء.

قال الزجاج: «الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، وللوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة»[3].

والمراد بالساعة يوم القيامة، وسميت

(٢) انظر: الصحاح (٤/ ٣٦٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (٩٤٤) [دار الفكر، ط٣]، ولسان العرب (٨/ ١٦٩) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٣٣) [دار الفكر].

(٣) انظر: المحكم والمحيط (٢/ ٣٠٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣٧)، ولسان العرب (٨/ ١٦٩).

السَّاعة لقربها، أو لأنها تأتي بغتة[(١)].

قال الزجاج: «معنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت التي تقوم فيه سماها ساعة»[(٢)].

سبب التسمية:

سميت ساعة؛ لأَنها تقع بغتة، «تَفْجَأُ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله ﷿، فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس]»[(٣)]، وقيل: سميت بذلك؛ لقلة الوقت الذي تقوم فيه[(٤)]، أو لسرعة الحساب فيها؛ أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس[(٥)].

الحكم:

الإيمان بالساعة واجب، وقد ورد ذكرها في القرآن (٤٨) مرة.

الأدلة:

قال تعالى في الساعة التي بها الإفناء: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزخرف]، وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن الساعة تأتيهم بغتة، جاء موضّحًا في مثل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد جاءت السُّنَّة موضحة لذلك أيضًا في غير ما حديث؛ كقوله ﷺ: «**ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه، فلا يطعمها**»[(٦)]، وقوله ﷺ: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**»[(٧)].

وقال تعالى في الساعة التي بها الإنشاء: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم]؛ أي: «ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٧٠).
(٢) انظر: لسان العرب (٨/ ١٦٩).
(٣) لسان العرب (٨/ ١٦٩)، وانظر: تاج العروس للزبيدي (٢١/ ٢٤٢) [دار الهداية].
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٣٣).
(٥) انظر: عمدة القاري (٣٣/ ٣٣٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٨/ ٣٧٤) [دار الفكر].
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٤).
(٧) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٩).

قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب، ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾، يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون»[1].

الأقسام:

يقسّم العلماء الساعات التي هي القيامة إلى **ثلاثة أقسام**: كبرى، ووسطى، وصغرى.

أما الساعة الكبرى: فهي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن، حتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الأرحام، وسوء الجوار**»[2].

وأما الساعة الوسطى: فهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو قوله ﷺ: «**إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**»[3].

وأما الساعة الصغرى: فهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته، كذا قاله المغيرة بن شعبة وغيره[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: علم الساعة من الغيب الذي استأثر الله تعالى به:

الساعة من المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

وفي حديث جبريل عليه السلام، لما سئل النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها**»[5].

ـ المسألة الثانية: إبطال دعاوى معرفة وقت الساعة:

وبذا يُعلم بطلان جميع الدعاوى التي تحدد وقت الساعة، أو التي تزعم أن النبي ﷺ علم بوقتها، أو تلك التي تحدد عمر الدنيا نحو حديث: «الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفًا»[6]،

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٥٦٦) وصحَّحه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد في حديث طويل، وأبو سبرة [أحد رواة الحديث]... قال أبو حاتم: مجهول». مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٤) [مكتبة القدسي]، لكن أورد له الألباني طرقًا أخرى، وقواه بها في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٦١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥١١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٣).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٥١٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، وتاج العروس (٢١/ ٢٤٢)، وفتح الباري (١١/ ٣٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٦١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢١٤) [إدارة العلوم الأثرية، ط٢]: «لا يصح»، =

وحديث: «الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة»[(١)].

فهي باطلة، وقد حكم عليها الحافظ ابن كثير حكمًا عامًّا إذ قال: «كل حديث ورد فيه تحديد وقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده»[(٢)].

الآثار:

١ ـ من آثار العلم بقرب الساعة وثبوتها الاستعداد ليوم المعاد، والتزود من الطاعات، والبعد عن معاصي الله تعالى.

٢ ـ الصبر على ما يصيب المرء من شدة وبؤس في هذه الدنيا، والصبر على ما فاته منها، وليعلم يقينًا أنها فانية وزائلة، وسيأتي اليوم الذي يحاسب فيه العبد على كل صغيرة وكبيرة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٢ ـ «رسائل الآخرة» (ج٣)، للعبيدي.

٣ ـ «عمدة القاري» (ج٣٣)، للعيني.

٤ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.

٦ ـ «النهاية في غريب الحديث» (ج٢)، لابن الأثير.

٧ ـ «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.

الساق

التعريف لغة:

السّاق في اللغة: من السَّوَق وهو اسم للعضو الموجود بين الكعب والركبة، ويجمع: سُوق وسيقان، وإنما سميّت بذلك لأن الماشي ينْساق عليها، يقال: امرأة سوقاء، ورجلٌ أسوقُ إذا كان عظيم الساق، والساق يكون للإنسان وغيره[(٣)].

التعريف شرعًا:

السّاق: صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل لها بساق المخلوقات، ولا تكييف، ولا تأويل ينفي معناها.

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٤) [مكتبة القدسي]: «فيه سليمان بن عطاء القرشي، وهو ضعيف»، وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥١) [دار المعرفة]: «سنده ضعيف جدًّا...، وقال ابن الأثير: ألفاظه مصنوعة»، وإلى ذلك أشار ابن القيم في المنار المنيف (٨٠) [مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٣هـ]، وحكم بوضعه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣٠١٣).

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٤٣) [المكتبة السلفية، ط١]، وحكم عليه بالوضع.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٢)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١١٧) [دار الجيل]، القاموس المحيط (١١٥٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

الحكم:

يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا**»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**فيقولون يكشف عن ساقه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساقه، فيخر كل من كان بظهره طبق، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون**»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم].

وجه الدلالة من الآية على صفة الساق غير ظاهر لعدم إضافة الساق إلى الله ﷻ، ووروده نكرة في سياق الإثبات، لكن من استدل بها على إثبات الساق علل **بما يلي**:

أ ـ أن الله تعالى أخبر بأنه يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله ﷻ، فعُلم أنه هو الكاشف عن ساقه[(٣)].

ب ـ أن تنكير الساق في الآية للتعظيم والتفخيم؛ كأنه قال: يكشف عن ساقٍ عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه[(٤)].

ج ـ أنه قد ورد إثبات صفة الساق صراحة في السُّنَّة، والسُّنَّة تفسِّر القرآن وتبينه، وهو حديث أبي سعيد الخدري السابق.

وعلى كلّ حال فقد اختلف الصحابة والتابعون في المقصود بالساق في الآية الكريمة.

ذهب ابن عباس وقتادة وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن المقصود هو الكشف عن الشدة والكرب يوم القيامة، وذهب عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وغيرهم أن المقصود هو الكشف عن ساق الله فجعلوا الآية من آيات الصفات[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩١٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/ ٥٢٠) [دار ابن القيم، ط١]، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ]، وصحَّحه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢١٣) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٩١) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢/ ١٠٤) [ط١، ١٤٠٢هـ].

(٤) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٣) [دار العاصمة، ط٣].

(٥) انظر أقوالهم في هذه المسألة في: تفسير الطبري =

ويجدر التنبيه إلى أن اختلاف الصحابة لم يكن في إثبات الصفة بل كان في بيان المقصود بالآية فقط، وقد رجّح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عدم دلالة الآية على الصفة إلا بدليل آخر فقال: «ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر»[(١)]. وقد ورد هذا الدليل في السُّنَّة ولله الحمد.

أقوال أهل العلم:

قال أبو يعلى في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم]: «وهذا أيضًا غير ممتنع إضافة الساق إليه، وإثبات ذلك صفة لذاته»[(٢)].

وقال السعدي في تفسيره للآية السابقة: «أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله»[(٣)].

وقال ابن عثيمين: «فإن سياق الحديث يجاري سياق الآية تمامًا، فتُحمل الآية على ما جاء في الحديث، وتكون إضافتنا الساق لله في الآية بناء على الحديث، ومن المعلوم أن الحديث يفسر القرآن، وبهذا تكون القاعدة مطردة ليس فيها نقص»[(٤)].

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وأنكروا إثبات صفة الساق لله تعالى كما يليق بجلاله سبحانه، وأنكروا النصوص الواردة في إثباتها، وأوّلوا الساق بمعنى: نورٌ عظيم، أو ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف؛ بل ذهب بعضهم إلى أن الساق مخلوقٌ جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وغيرها من التأويلات الباطلة التي يجب أن ينزه عنها كلام العقلاء فضلًا عن كلام الله

= (٢٣/٥٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والرد على الجهمية لابن منده (١٦ ـ ١٨) [المكتبة الأثرية]، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٣) [مكتبة السوادي، ط١].
وأسانيدها ثابتة.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٣٩٤ ـ ٣٩٥)، ونحو هذا قال ابن القيم في الصواعق (١/٢٥٢).

(٢) إبطال التأويلات (١/١٥٩) [دار إيلاف، الكويت].

(٣) تفسير السعدي (٨٨١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) شرح العقيدة السفارينية لابن العثيمين (٢٦٣) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].

وكلام رسوله ﷺ[1].

ولا يُخفى بطلان هذه الأقوال ومخالفتها للنص الصريح، وإن قيل بأن الآية ليست صريحة في إثبات الصفة، لكن السُّنَّة صرحت بذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «فيكشف عن ساقه» وهذا لا يحتمل إلا ثبوت صفة الساق حقيقة لله تعالى، فنثبتها كما أثبتها رسول الله ﷺ من غير تكييف لها بساق المخلوق، ولا تأويل يخرجها عن دلالتها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «الرد على الجهمية»، لابن منده.

٣ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن العثيمين.

٤ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٥ ـ «شرح كتاب التوحيد»، للغنيمان.

٦ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد أمان الجامي.

٧ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٨ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيِّم.

٩ ـ «إبطال التأويلات»، لأبي يعلى الفراء.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/٢٨) [دار إحياء التراث، ط٢]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٤٢٨) [دار المعرفة، ط١٣٧٩هـ].

السَّبّ

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والباء حدَّه بعض أهل اللغة ـ وأظنه ابن دريد ـ أن أصل هذا الباب: القطع، ثم اشتق الشتم، وهذا الذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه؛ من ذلك السِّب: الخمار؛ لأنه مقطوع من منسجه»[2].

السب: مصدر: سببته سبًّا، وهو: الشتم، وقد سبَّه يسُبّه بمعنى: قطعه، ولا قطيعة أقطع من الشتم، والتسابُّ: التشاتم والتقاطع، ويقال: رجل سُبَبَة؛ إذا كان يسب الناس كثيرًا[3].

التعريف شرعًا:

هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس، على اختلاف اعتقاداتهم؛ كاللعن والتقبيح ونحوه. وهو الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨][4].

(٢) مقاييس اللغة (٣/٦٣) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢/٣١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والصحاح للجوهري (١/١٤٤) [دار العلم للملايين، ط٣]، ومقاييس اللغة (٣/٦٣)، ولسان العرب (٦/١٣٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٤) انظر: الصارم المسلول (٣/١٠٤١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة بينهما ظاهرة جدًّا؛ إذ السب في اللغة هو الشتم، وهذا المعنى موجود في المعنى الاصطلاحي، ولم يخرج عن معناه في اللغة.

الأسماء الأخرى:

الشتم.

الحكم:

حكم السب يختلف باختلاف مراتبه:

١ ـ فَسَبُّ الله تعالى، وسب رسوله ﷺ، وسب دينه: كفر أكبر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان عن طريق الجد أو المزاح، وأعظمها كفرًا سب الله تعالى.

قال ابن قدامة رحمه الله: «ومن سب الله تعالى كفر، سواء كان مازحًا أو جادًّا»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن سبَّ الله أو سب رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلًّا، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل»[(٢)].

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: «سب الدين، والرب جلَّ وعلا، كل ذلك من أعظم أنواع الكفر بإجماع أهل العلم»[(٣)].

٢ ـ وسب المسلم بغير حق محرم بإجماع أهل العلم، وفاعله فاسق.

قال النووي رحمه الله: «فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ»[(٤)].

الحقيقة:

حقيقة السب: هو الشتم، وهو كل كلام قبيح يوجب الإهانة والنقص والاستخفاف، وليس له ضابط، أو حد معين؛ بل المرجع فيه إلى العرف المعتبر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وإذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة، ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس، فما كان في العرف سبًّا فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم والعلماء وما لا فلا»[(٥)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

---

(١) المغني (١٢/٢٩٨) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصارم المسلول (٣/ ٩٥٥).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١/ ٤٤٢) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة].

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٥٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٥) الصارم المسلول (٣/ ١٠٠٩).

﴿وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي ﷺ سبّابًا ولا فحّاشًا ولا لعّانًا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: **ما له ترب جبينه**»[٢].

وعن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك؟ فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه. فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذر أعيرته بأمه!؟ إنك امرؤ فيك جاهلية...**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**المستبان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم**»[٤].

أقوال أهل العلم:

قال إسحاق بن راهوية رحمه الله: «قد أجمع العلماء على أن من سب الله عز وجل أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئًا أنزله الله، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر»[٥].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «ومن شتم الله تبارك وتعالى، أو شتم رسوله ﷺ، أو شتم نبيًّا من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم قتل إذا كان مظهرًا للإسلام بلا استتابة، ومنهم من يجعلها ردة يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل»[٦].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فصل في من سب الله تعالى: فإن كان مسلمًا وجب قتله بالإجماع؛ لأنه بذلك كافر مرتد وأسوأ من الكافر؛ فإن الكافر يعظم الرب، ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له»[٧].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٣١).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٠)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٦١).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٧).
(٥) التمهيد لابن عبد البر (٤/٢٢٦).
(٦) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي (٢/١٠٩١) [مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، ١٤٠٠هـ].
(٧) الصارم المسلول (٣/١٠١٧).

۞ الأقسام:

السب نوعان:

الأول: دعاء؛ كأن يقول القائل لغيره: لعنه الله، أو: قبحه الله، أو: أخزاه الله، أو لا رضي الله عنه، أو لا رحمه الله، أو قطع الله دابره، فهذا وأمثاله يُعدُّ سبًّا، سواء كان للأنبياء أو لغيرهم.

الثاني: خبر؛ فهو كل ما عده الناس شتما أو سبًّا أو تنقصًا؛ كالتسمية باسم الحمار أو الكلب أو وصفه بالمسكنة والخزي والمهانة، ونحو ذلك[(١)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حكم توبة من سب الله تعالى:

اختلف العلماء فيمن سب الله تعالى؛ أتقبل توبته أم لا؟ **على قولين:**

القول الأول: أنها لا تقبل، وهو المشهور عند الحنابلة، ومذهب أهل المدينة؛ بل يقتل كافرًا، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ لأن هذه الردة أمرها عظيم وكبير لا تنفع فيها التوبة.

القول الثاني: أنها تقبل إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله بما يستحق من صفات التعظيم، وهو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل، وبعض المالكية، وأبي حنيفة، والشافعي، واستدلوا لذلك بعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقد كان من الكفار من يسب الله تعالى ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا القول هو الصحيح[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والذنب وإن عظم، والكفر وإن غلظ وجسم فإن التوبة تمحو ذلك كله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين»[(٣)].

وإذا قبلت توبته فلا بد أن يؤدَّب أدبًا يردعه عن العود إلى مثل هذا الجرم العظيم. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا قبلنا توبة من سب الله سبحانه، فإنه يؤدب أدبًا وجيعًا حتى يردعه عن العود إلى مثل ذلك، هكذا ذكره بعض أصحابنا»[(٤)].

وهذا الخلاف بين العلماء إنما هو في قبول توبتهم في الظاهر من أحكام الدنيا، وثبوت أحكام الإسلام في حقهم، وأما قبول الله تعالى لتوبتهم في الباطن وغفرانه لمن تاب وأقلع باطنًا وظاهرًا فلا خلاف فيه؛ فإن الله تعالى

(١) المصدر السابق (٣/ ١٠٠٥ ـ ١٠٠٩).

(٢) القول المفيد (٢/ ٢٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٨).

(٤) الصارم المسلول (٣/ ١٠٣٠).

قال في المنافقين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء].

- **المسألة الثانية: حكم قبول توبة من سب النبي ﷺ:**

من وقع منه سب للنبي ﷺ أتقبل توبته أم لا؟ اختلف أهل العلم في ذلك **على قولين:**

القول الأول: أنها لا تقبل، وهو المشهور عند الحنابلة والمالكية؛ بل يقتل كافرًا مرتدًّا وتجري عليه أحكام المرتد، ولا تقبل توبته؛ لشناعة ردته، فلا تنفع فيها التوبة.

القول الثاني: أن توبته مقبولة إذا علم صدق توبته إلى الله وإقراره بالخطأ؛ لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا هو الصحيح، واختاره جمع من أهل العلم، منهم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن لا بد من قتله؛ لأن سب الرسول ﷺ يتعلق به **أمران:**

الأول: أمر شرعي؛ لكونه رسول الله ﷺ، ومن هذا الوجه تقبل توبته إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي؛ لكونه من المسلمين، ومن هذا الوجه يجب قتله لحقه ﷺ، ويقتل بعد توبته على أنه مسلم، وذلك لاستهانته بحق رسول الله ﷺ[(١)].

۞ مذهب المخالفين:

المخالفون في هذه المسألة على وجهين:

أحدهما: منهم من جعل مناط التكفير للسب هو استحلال السب، وليس مجرد السب، وهذا مخالف لما عليه أئمة الدين وإجماع سلف الأمة.

وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من سب الله ورسوله فإنه يكفر، سواء استحلَّ السب أو لم يستحلُّه»[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول بأن كفر السّاب في نفس الأمر إنما هو لاستحلاله السب زلة منكرة وهفوة عظيمة، ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن السب للرسول ﷺ كفر، سواء استحله أو لم يستحله».

الثاني: وهو ما ذهب إليه الجهمية المرجئة، ومن وافقهم من الأشعرية، حيث جعلوا سب الله تعالى وسب رسوله ﷺ كفرًا في الظاهر دون الباطن؛ أي: أن من وقع منه السب فهو دليل في الظاهر وأمارة على كفره، وقد يكون مع

(١) القول المفيد (٥/٢٦٨).
(٢) الصارم المسلول (٢/٩٥٧ ـ ٩٦٠).

هذا مؤمنًا موحدًا في الباطن، وهذا مبني على أصل مذهبهم في الإيمان، وأنه مجرد التصديق، أو المعرفة القلبية[(١)].

وهذا القول باطل من وجهين[(٢)]:

الأول: أن هذا القول هو معلوم الفساد بالضرورة من الدين؛ إذ إن من سب الله تعالى، وسب رسوله، وسب دينه، فهو كافر باطنًا وظاهرًا، وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن، وحكم بكفرهم، واستحقاقهم الوعيد بها، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم، أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقًا، وقد تكون كذبًا؛ بل كان ينبغي أن لا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وأمثالها كثير.

الثاني: معلوم بالاضطرار من أنفسنا عند التأمل، وهو أن القلب إذا كان معتقدًا صدق الرسول، وأنه رسول الله، وكان محبًّا لرسول الله، ومعظمًا له، امتنع هذا أن يسبه، أو يلعنه، فلا يتصور ذلك منه، إلا مع نوع الاستخفاف به وبحرمته، فعلم بذلك أن مجرد اعتقاد أنه صادق لا يكون إيمانًا إلا مع محبته وتعظيمه بالقلب.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام أهل الذمة»، لابن القيِّم.

٢ ـ «الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره»، لأحمد القرشي.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «الشفا»، للقاضي عياض.

٥ ـ «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٧ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٨ ـ «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع»، لمجموعة من الباحثين.

٩ ـ «المغني»، لابن قدامة.

١٠ ـ «نواقض الإيمان القولية والاعتقادية»، لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

سب الدهر

التعريف لغة:

السَّب: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «السين والباء حدَّه بعض أهل اللغة ـ وأظنه ابن دريد ـ: أن أصل هذا الباب القطع، ثم اشتق منه الشتم، وهذا الذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه، فأما الأصل: فالسَّب: العقر، يقال: سببت

---

(١) انظر: الصارم المسلول (٢/٥١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٥٧ ـ ٥٦١).

الناقة إذا عقرتها»[١].

السَّب: مصدر سببته سبًّا، وهو: الشتم، وقد سبَّه يسُبّه بمعنى قطعه، ولا قطيعة أقطع من الشتم، والتسابُّ: التشاتم، والتقاطع، ويقال: رجل سُببة: إذا كان يسب الناس كثيرًا[٢].

والدهر: قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدال والهاء والراء أصل واحد: وهو الغلبة والقهر، وسمِّي الدهر دهرًا؛ لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه»[٣].

والدهر: الزمان، وقد نص بعض أهل اللغة على أنهما بمعنى واحد ـ أي: الدهر والزمان ـ، والدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول، ويقع على مدة الدنيا كلها، وهو الأمد الممدود[٤].

التعريف شرعًا:

سَبُّ الدهر: هو شتم الزمان، الذي هو محل الحوادث، أو ذمه، أو لعنه، أو تنقصه، أو نسبة الشر إليه[٥].

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٦٣) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والصحاح (١/ ١٤٤) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ومقاييس اللغة (٣/ ٦٣)، ولسان العرب (٦/ ١٣٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

(٤) انظر: الصحاح (٢/ ٦٦١)، ولسان العرب (٤/ ٢٩٣)، وترتيب القاموس المحيط (٢/ ٢٢٢) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٦٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

الحكم:

سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم؛ فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك.

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل؛ كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر.

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل؛ بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين[٦].

الحقيقة:

لقد بيَّن العلماء المراد بالنهي عن السب الوارد في الحديث، ووجه كونه تعالى يتأذى بسب الدهر، وذلك لأن السب يكون متوجهًا إليه؛ لأنه هو المتصرف الذي يجري في قدره وقضائه الخير والشر والمكروه والمحبوب، أما الدهر فإنما هو زمان ووقت للحوادث، لا أن الدهر نفسه هو الذي يتصرف

(٦) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وزاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٥هـ].

ويحدث هذه الحوادث التي تجري فيه، وإنما الدهر زمان ووقت للأعمال كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان][1].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[2].

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر**»[3].

أقوال أهل العلم:

قال أبو عبيد رحمه الله: «تأويله عندي أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم الدهر، فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيذمونه، فقال النبي ﷺ: «**لا تسبوا الدهر**» على تأويل: لا تسبوا الذي يفعل لكم هذه الأشياء، ويصيبكم بهذه المصائب، فإنكم إذا سببتم فاعلها، فإنما يقع السب على الله تعالى؛ لأنه عز وجل هو الفاعل لها لا الدهر، فهذا وجه الحديث إن شاء الله لا أعرف له وجهًا غيره»[4].

وقال الخطابي رحمه الله: «قوله: «**أنا الدهر**» معناه: أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر، فإذا سب ابن آدم الدهر من أجل فاعل هذه الأمور عاد سبه إلي لأني فاعلها، وإنما الدهر الزمان ووقت جعلته ظرفًا لمواقع الأمور، وكان من عادة أهل الجاهلية إذا أصابتهم شدة من الزمان أو مكروه من الأمور أضافوه إلى الدهر وسبُّوه فقالوا: بؤسًا للدهر، وتبًّا للدهر، ونحو ذلك من القول... فأعلم الله تبارك وتعالى أن الدهر محدث يقلبه بين ليل ونهار لا فعل له من خير أو شر، لكنه ظهر للحوادث ومحل لوقوعها، وأن الأمور كلها بيد الله تعالى ومن قبله يكون حدوثها وهو محدثها ومنشئها سبحانه لا شريك له»[5].

---

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/١٥٨)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/٣٥٧)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٤١) [مؤسسة الرسالة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٢٦)، ومسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم ٢٢٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٨٢)، ومسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم ٢٢٤٦)، واللفظ له.

(٤) غريب الحديث (٢/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٥) أعلام الحديث (٣/١٩٠٤) [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا واقع كثيرًا في الجاهلية ـ يعني: سب الدهر ـ، وتبعهم على هذا كثير من الفساق، والمجان، والحمقى إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر، والوقت، وربما لعنوه، وهذا ناشئ من ضعف الدين، ومن الحمق، والجهل العظيم؛ فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء؛ فإنه مدبِّر مصرَّف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره، وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ الدهر ليس من أسماء الله:

ذهب بعض أهل العلم ـ كابن حزم وغيره ـ إلى عد (الدهر) من أسماء الله تعالى الحسنى، واستدلوا بالحديث المتقدم: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**». وهذا استدلال باطل لا حجة فيه؛ لأن من تأمل هذا الحديث علم أنه ليس مراد النبي ﷺ فيما يرويه عن الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبين أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ لأن الله بيَّن ذلك فقال: «**أنا الدهر بيدي الأمر أقلِّب الليل والنهار**»، وهذا يعني أن الذين يسبون الدهر إنما يطلقونه على ما يخلقه الله عَزَّ وَجَلَّ من العواصف والنوازل، ولا يقع في نفوسهم أنهم يسبون الله بل إنما يسبون الزمان أو المكان، والدليل على ذلك أن الله تعالى قال: «**أقلب الليل والنهار**»، فالليل والنهار يقلِّبهما الله، وهما الدهر، ومعلوم أن المقلِّب غير المقلَّب.

وأيضًا: فالدهر اسم جامد بمعنى الوقت والزمن، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والاسم الجامد هو الذي لا يدل على وصف، ولذلك فليس الدهر من الأسماء الحسنى[(٢)].

قال ابن تيمية: «أجمع المسلمون ـ وهو مما علم بالعقل الصريح ـ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس هو الدهر الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان»[(٣)].

الآثار:

من المفاسد المترتبة على سب الدهر:

أولًا: سب من ليس بأهل أن يسب؛ فإن الدهر خلقٌ مسخَّرٌ من خلق الله منقاد لأمره مذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

(١) القول السديد ضمن المجموعة الكاملة للسعدي (٣/ ٤٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢].

(٢) انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٤٥ ـ ٤٦) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

ثانيًا: أن سبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه ظالم.

ثالثًا: أن السب منهم إنما يقع على من هذه الأفعال التي لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعلام الحديث»، للخطابي.

٢ ـ «التمهيد»، لابن عبد البر.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٥ ـ «غريب الحديث»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٦ ـ «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

٧ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٨ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٩ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

١٠ ـ «معجم المناهي اللفظية»، لبكر أبي زيد.

سبُّ الدين

يراجع مصطلح (السب).

(١) انظر: زاد المعاد (٢/٣٥٤ ـ ٣٥٥).

سبُّ الريح

التعريف لغة:

السب في اللغة: مصدر سببته سبًّا، وهو الشتم والتقبيح والذم، ويدخل في ذلك اللعن والتنقص، وما أشبه ذلك[2].

والريح هي: الهواء الذي يصرفه الله ﷻ، وجمعه رياح وأرواح، قال الليث: «الرِّيح ياؤُها واوُ صُيِّرت ياءً؛ لانكسار ما قبلها، قال: وتصغيرها رُوَيحةُ، وجمعها رياح وأرواح»[3].

والرِّيحُ: مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي (الرِّيحُ)، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو (الرِّيحُ)، وهبّ (الرِّيحُ)، قال ابن الأنباري: «الرِّيحُ مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها، إلا الإعصار فإنه مذكر»[4].

التعريف شرعًا:

هو ذمها عند رؤية ما يُكره منها، ويرجع في الحقيقة إلى أذية الله ﷻ؛ لأن الله هو الذي يصرف الريح كيف يشاء[5].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ينبغي شتم

(٢) انظر: لسان العرب (١/٤٥٦) [دار صادر، ط٣].

(٣) تهذيب اللغة (٢/١٧٧)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٢/٤٥٥) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: المصباح المنير (٢٤٤).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٨١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

الريح؛ فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء»[(١)].

الحكم:

سبّ الريح لا يجوز؛ لأن الريح مسخَّرة مدبَّرة، وحقيقة المسبة عائدة على مدبرها وهو الله تعالى.

فمسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد[(٢)].

الحقيقة:

النهي عن سب الريح إنما ورد لكونها تهب عند إيجاد الله لها وأمره إياها، فلا تأثير لها إلا بأمر الله.

لذا لا يجوز لنا أن نشتمها ولا نلعنها للحوق ضرر بسببها، فإنها خلق من خلق الله مقهور مدبر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فلا يجوز سبها؛ لأن ذلك السب راجع إلى من خلقها وسخرها.

ثم علَّم النبي ﷺ أمته إذا رأوا المسلم ما يكره من الريح إما شدة حرّها أو بردها أو قوتها، أن يرجع على خالقها وآمرها الذي أزمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه أن يسأله خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، فما استجلبت نعمه بمثل طاعته وشكره، ولا استدفعت نقمه بمثل الالتجاء إليه والتعوذ به والاضطرار إليه ودعائه.

الأدلة:

مما ورد في الرياح، قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرِّها»[(٣)].

وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللَّهُمَّ إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**»[(٤)].

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ٣٩٩) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ].

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد (٣٥٦) [ط٣، ١٤٠٨هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٩٧)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٢٧)، وأحمد (١٣/ ٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ١٠٠٧)، والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧٦٩) وصحَّحه، وحسَّنه النووي في الخلاصة (٢/ ٨٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٥٢) وقال: =

وعن ابن عباس أن رجلًا لعن الريح عند النبي ﷺ، فقال: «**لا تلعن الريح، فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال الشافعي: «لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء»[(٢)].

وقال سليمان بن عبد الله: «قوله: «**لا تسبوا الريح**»؛ أي: لا تشتموها ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها فإنها مأمورة مقهورة، فلا يجوز سبّها»[(٣)].

وقال السعدي ـ في معرض كلامه على سب الريح ـ: «هذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره فالساب لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبًا لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: ما ينبغي عند هبوب الريح:

١ ـ الخوف أن يكون الله تعالى، بعث هذه الرياح عذابًا منه سبحانه وتعالى، روت عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته، فقال: **إني خشيت أن يكون عذابًا سُلِّط على أُمتي**»[(٥)].

قال النووي: «فيه الاستعداد بالمراقبة لله والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال، وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف»[(٦)].

٢ ـ الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وسؤال الله خيرها، والتعوذ به من شرها، قالت: عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ

= حسن صحيح، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/ ٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٥٦).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٠٨)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٧٨) وقال: «هذا حديث غريب»، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧٤٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (رقم ٥٢٨).

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ٣٩٩) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ].

(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٨١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (٢٣٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٩).

(٦) شرح النووي (٦/ ١٩٦).

إذا عصفت الريح قال: «**اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أنها تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، وأمر أن نسأل الله من خيرها، ونعوذ بالله من شرها، فهذه السُّنَّة في أسباب الخير والشر: أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة والأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير، وعند أسباب الشر الظاهرة من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: ألفاظ ليست من سب الريح:

أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، مثل أن يقول: اليوم أشد حرًّا من الأمس، ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [هود]، وما أشبه ذلك[(٣)].

الحكمة:

جاء النهي عن سب الريح؛ لأنها مخلوقة لله تعالى، وهو سبحانه هو المصرِّف لها دون سواه، وسب الريح سبُّ لخالقها ومسخِّرها.

قال ابن عثيمين في بيان الحكمة: «لأن سب المخلوق سب لخالقه، فلو وجدت قصرًا مبنيًّا وفيه عيب فسببته فهذا السب ينصب على من بناه، وكذلك سب الريح؛ لأنها مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله عز وجل»[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٢ ـ «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

٣ ـ «شرح السُّنَّة»، للبغوي.

٤ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٥ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٦ ـ «فتح القدير»، للشوكاني.

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «الوابل الصيب»، لابن القيِّم.

سب الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

سبّ الله تعالى

يراجع مصطلح (السبّ).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الاستسقاء، رقم ٨٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٠) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز].

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٤٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].

سبّ النبي ﷺ

يراجع مصطلح (السّب).

السُّبُّوح

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والثاني جنس من السعي، فالأول السبحة وهي الصلاة ومن الباب التسبيح وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء»[(١)]، والسبوح فعول من سبح قال ابن الأثير: من أبنية المبالغة والمراد به التنزيه[(٢)]، وقال الراغب: «التسبيح تنزيه الله»[(٣)]، «وسبحان الله معناه: التنزيه لله، نصب على المصدر؛ كأنه قال أَبَرِّئُ الله من السوء براءة»[(٤)].

التعريف شرعًا:

السُّبُّوح: «اسم الله يعظم به، ويحاشى به من السوء»[(٥)]؛ قال ابن جزي: «التسبيح: التنزيه والتعظيم»[(٦)]. وقال ابن تيمية: «إن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم»[(٧)].

الحكم:

وجوب إثبات اسم: السبوح لله تعالى؛ لدلالة النصوص عليه.

الحقيقة:

السبوح: هو المعظم والمبرأ من كل ما لا يليق بالإلٰهية، مع إثبات المحامد وصفات الكمال لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به[(٨)]، قال ابن تيمية: «قوله: (سبحانك) يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص؛ فإن التسبيح وإن كان يقال: يتضمن نفي النقائص، فالنفي لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن ثبوتًا وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنى فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء، ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه. ففي قوله: (سبحانك) تبرئته من الظلم، وإثبات العظمة الموجبة له براءته من الظلم، فإن الظالم إنما يظلم لحاجته إلى الظلم أو لجهله، والله غني عن كل شيء، عليم بكل شيء، وهو غني

(١) مقاييس اللغة (٥٠٢) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٢) النهاية في غريب الحديث (١/٧٤٦) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].
(٣) المفردات (٣٩٢) [دار القلم، ط٣، ١٤٢٣هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٤/٣٣٨) [الدار المصرية].
(٤) الصحاح (١/٣٧٢) [دار العلم للملايين، ط٤].
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/١٢٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].
(٦) التسهيل لابن جزي (٢/٧٢) [دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ].
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/١٢٥).
(٨) فقه الأسماء الحسنى (١٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ] باختصار.

بنفسه، وكل ما سواه فقير إليه، وهذا كمال العظمة»[1].

وقال أيضًا: «والأمر بتسبيحه يقتضي أيضًا تنزيهه عن كل عيب وسوء وإثبات صفات الكمال له، فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها؛ فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده»[2].

الأدلة:

لم يرد السبوح بهذه الصيغة في القرآن الكريم، ووردت مادته في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١، والصف: ١]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١، والتغابن: ١]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات]، قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد ثبت في السُّنَّة في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح، قدوس، ربّ الملائكة والروح**»[3][4].

أقوال أهل العلم:

السبوح ذكره مجموعة كبيرة من العلماء[5] ضمن أسماء الله الحسنى؛ لوروده في حديث: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»[6].

وقال ابن حزم، وهو يعدُّ أسماء الله الواردة: «الأعز، السيد، سبوح، وتر»[7].

وقال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه: السبوح»[8].

وذكره كذلك ابن عثيمين[9]، وبعض من جمع أسماء الله الحسنى لم يذكره[10].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٢٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ١٢٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).

(٤) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة (١/ ٩٣) [دار الرضوان، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٥) كابن منده في كتاب التوحيد (٢/ ١٣٧) [الجامعة الإسلامية، ط١]، والبيهقي وشيخه الحليمي في الأسماء والصفات (١/ ١٠٤)، وابن حزم في المحلى (٨/ ٣١) [المنيرية، ١٣٥٠هـ]، ونور الحسن خان في الجوائز والصلات (٦٣) [الفاروقية، ١٢٩٧هـ]، وابن عثيمين في القواعد المثلى ضمن مجموع فتاويه (٣/ ٢٧٧) [دار الثريا، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وعبد الله الغصن في أسماء الله الحسنى (١٧٩) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ]، وغيرهم. انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٥٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ١٠٩١).

(٧) المحلى بالآثار (٦/ ٢٨٢) [دار الفكر، بيروت].

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٥).

(٩) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦).

(١٠) كالخطابي، والأصفهاني، وابن العربي، وابن الوزير =

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى**: التسبيح يقتضي إثبات صفات الكمال لله تعالى؛ لأن التسبيح يقتضي تنزيه الله عما لا يليق به سبحانه من معاني النقص والحاجة التي تتنافى والكمال المطلق لله سبحانه، إذا نفي النقص دلَّ على الكمال المطلق لله تعالى، قال ابن تيمية: «إن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها»[(١)].

ولأن السلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمنه من إثبات الكمال، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة[(٢)].

- **المسألة الثانية**: فضل التسبيح على غيره من الأذكار؛ لأن ذلك بيان لكمال الله تعالى، وتنزيه عن النقائص والعيوب، وقد ورد في الحديث: «أن رسول الله ﷺ سُئل أيّ الكلام أفضل؟ قال: **ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**»[(٣)]، وفي الحديث أيضًا: «يا رسول الله أخبرني بأحبّ الكلام إلى الله، فقال: **إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**»[(٤)].

- **المسألة الثالثة**: معنى تسبيح من في السماوات والأرض، هو تسبيح حقيقي؛ لأن الله ﷻ جعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو ﷻ، ونحن لا نعلمها، فالمخلوقات كلها تسبح لله وتخشاه حقيقة، ولا يقال: أن تسبيحهم بلسان الحال؛ إذ ذلك معلوم، ولا يصح حينئذ الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤][(٥)].

الآثار:

من آثار اسم السُّبُّوح: الإيمان بأن الله منزه عن كل عيب ونقص فله الكمال المطلق ﷻ.

ومنها: أن الله سبوح يسبحه كل من في السماوات والأرض ولكن نحن لا نفقه تسبيحهم، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فينبغي كثرة ذكره سبحانه وتسبيحه وتحميده آناء الليل، وأطراف النهار،

= وابن حجر والسعدي وغيرهم. انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٥٤).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ١٢٥).

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/ ٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٣٣) [دار الهجرة، الخبر، ط٣، ١٤١٥هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٦٠) [دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤١٩هـ].

والشعور بالأنس والرَّوح بالانضمام إلى بقية العوالم في هذا الكون العظيم التي تسبح الله ﷻ وتسجد له[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٢ ـ «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة»، للرضواني.

٣ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٤ ـ «الجوائز والصلات»، لنور الحسن خان.

٥ ـ «شرح أسماء الله وصفاته الواردة في الكتب الستة»، لحصة بنت عبد العزيز الصغير.

٦ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ ـ «القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين».

٨ ـ كتاب «التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٦)، لابن تيمية.

١٠ ـ «المحلى» (ج٨)، لابن حزم.

السَّتَّار

يراجع مصطلح (الستير).

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١٦ ـ ١٧) [مكتبة الإمام الذهبي، ١٤١٢هـ]، ولله الأسماء الحسنى لعبد العزيز ناصر الجليل (٢٤٠).

السِّتِّير

التعريف لغة:

السِّتِّير: (فِعِّيل) بمعنى (فاعل)، من: ستَر يَسْتُر سِتْرًا، وهو الغطاء. ومصدره: السِّتر والسَّتْر.

قال ابن فارس: «السين والتاء والراء كلمةٌ تدلُّ على الغِطاءِ، تقول: سترت الشيء سترًا. والسُّتْرَة: ما استترت به، كائنًا ما كان»[(٢)].

وقال الجوهري: «والسَّتر بالفتح: مصدر سترت الشيء أستره، إذا غطيته، فاستتر هو، وتستر؛ أي: تغطى. وجارية مسترة؛ أي: مخدرة»[(٣)].

التعريف شرعًا:

السِّتِّير: كثير السَّتْر، يستر عباده ولا يفضحهم في المشاهد، ويحب من عباده الستر على أنفسهم[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

من خلال ما تقدم من التعريف اللغوي والشرعي يتبين بأن الستير في كل منهما يدل على ستر الشيء وتغطيته وعدم كشفه لأحد غير أن التعريف

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٢) [دار الجيل].

(٣) الصحاح (٢/ ٢٣٩) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م].

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٢٤) [مكتبة السوادي، ط١].

الشرعي يختص بكون الستير اسمًا من أسماء الله تعالى، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال في حقه سبحانه.

سبب التسمية:

سمي الستير ستِّيرًا؛ لكثرة ستره وتغطيته للأعمال غير الصالحة مع علمه بها رحمة منه ورأفة بعباده سبحانه.

الحكم:

يجب الإيمان بأن من أسماء الله تعالى الستير، ومن شأنه حب الستر والصون، يستر عيوب عباده وذنوبهم بالتوبة، رحمة منه وفضلًا[١].

الحقيقة:

حقيقة الستير دلالته على العلمية والوصفية، فيوصف الله ﷻ بالسِّتر وهو من الصفات الفعلية الثابتة له، والدالة على كمال حلمه ورحمته وكرمه ﷻ[٢].

الأدلة:

ورد هذا الاسم في حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبَراز، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «**إن الله ﷻ حيِيٌّ ستِّير، يحب الحياء والسِّتر، فإذا اغتسل أحدكم فليستَتِر**»[٣].

وفي «سنن البيهقي» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثَّلاث عوراتٍ التي أمر الله بها في القرآن، فقال لهم: «**إن الله ستِّير يحبّ السَّتْرَ**»[٤].

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيِّم:

«وهو الحَيِيُّ فليس يفضح عَبدَه
عند التَّجاهُر منه بالعصيان
لكنّه يُلقي عليه سِترَه
فهو السِّتِّير وصاحبُ الغُفرَان»[٥]

وقال حافظ الحكمي: «وهو الستِّير المجيد، هو أهل الثناء كما مجد نفسه»[٦].

وقال السعدي: «وهوالحيي الستير: يحب أهل الحياء، والستر، ومن ستر مسلمًا ستر الله عليه في الدنيا، والآخرة»[٧].

---

(١) انظر: النهج الأسمى لمحمد المحمود (٦٢٤) [مكتبة الإمام الذهبي، ط٤، ١٤٣٣هـ].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢١٢) [دار ابن حزم، ط١].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحمام، رقم ٤٠١٢)، والنسائي (كتاب الغسل والتيمم، رقم ٤٠٦)، وأحمد (٢٩/ ٤٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه النووي في الخلاصة (١/ ٢٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٦٧) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب النكاح، رقم ١٣٥٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، ورجاله ثقات.

(٥) النونية لابن القيم (٢/ ٢٠٤) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٩٣).

(٧) معارج القبول للحكمي (١/ ٥١) [دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ].

المسائل المتعلقة:

ـ تسمية الله بالستَّار.

السَّتَّار: بتاء مفتوحة ليس من أسماء الله تعالى، وإن اشتهر على ألسنة الناس؛ لأنه لم يرد تسمية الله به في الكتاب والسُّنَّة، ولا في أي رواية من الروايات الواردة في جمع أسماء الله الحسنى، وعليه فإن تسمية الله بالستار خطأ شائع[(١)].

ـ أما تسمية الله بالساتر، فلم يرد هذا الاسم في النصوص الشرعية كذلك، وإنما كثر استعمال الناس له بقولهم يا ساتر، والأولى أن يقال: يا ستِّير كما ثبت[(٢)].

الثمرات:

١ ـ يجب على العبد أن يجاهد نفسه على عدم اقتراف الذنوب والمعاصي، وإن غلبت عليه نفسه، وألمّ بشيء منها فعليه أن يستر نفسه، ويبادر إلى التوبة والاستغفار[(٣)].

٢ ـ وعليه أن يستر على عباد الله، ولا يهتك أستارهم، أو يتتبع عوراتهم. فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»**[(٤)].

٣ ـ ويجب كذلك على كل مسلم أن يستتر بستر الله ﷻ، وأن يتجنب الذنوب ما ظهر منها وما بطن[(٥)].

٤ ـ وعلى المسلم أن يتضرع إلى الله الستير ويسأله أن يستر عوراته، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **«اللَّهُمَّ استر عوراتي، وآمن روعاتي»**[(٦)].

مذهب المخالفين:

وقد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا ستير ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٥٧)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (١٤١) [دار الهجرة، ط١].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢١٢)، والنهج الأسمى لمحمد المحمود (٦٢٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للحمود (٢/ ١١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٨٠)، وأحمد (٣٣/ ٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٦٦١) [دار ابن حزم، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٢) [مكتبة المعارف، ط١].

(٥) فقه الأسماء الحسنى للبدر (٣١٠) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٧٤)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٨/ ٤٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٦١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٠٢) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ١٦٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم ستير بلا ستر كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة... إلخ[1]. وهذه الأقوال كلها مخالفة لما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة من وجوب إثبات أسماء الله وصفاته كما أثبتها الله لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تشبيه ولا تعطيل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمود عبد الرزاق.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٥ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٦ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

السِّحر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: **أحدها**: عضو من الأعضاء، **والآخر**: خدع وشبهه، **والثالث**: وقت من الأوقات... وأما الثاني: فالسحر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة»[2].

فالسِّحر: الأُخذة: وهو كل ما خفي مأخذه ودق، وقد سحره يسحره سحرًا، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره بمعنى خدعه وعلَّله، وسحره بكلامه إذا استماله برقته وحس تركيبه[3].

التعريف اصطلاحًا:

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها، مانعًا لغيرها، ومن هنا

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٣٥) [المكتبة التخصصية المصرية، ط٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤ ـ ٣٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٥٢٦) [مؤسسة قرطبة ط١].

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٨) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٢/ ٦٧٩) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٩٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٦/ ١٨٩) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

اختلفت عبارة العلماء في حده اختلافًا متباينًا»[١].

فالسِّحر: اسم جامع لمعانٍ مختلفة[٢]، ومن أشهر التعريفات ما عرفه ابن قدامة رحمه الله بقوله: «وهو عقد ورقى، وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، ما يُمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته، فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين الاثنين»[٣].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان أصل السحر في اللغة عبارة عما خفي ودق سببه مما هو تمويه وخداع كان مناسبًا للمعنى الشرعي الذي هو عزائم ورقى وعقد ونحو ذلك مما يؤثر في الأبدان والقلوب؛ للاشتراك في الخفاء والخداع.

سبب التسمية:

سُمِّي السحر سحرًا؛ لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار، فالساحر يؤثر في الخفاء فيقوم بعمل رقى أو عزائم أو عقد يكون تأثيرها في القلوب والأبدان[٤].

وقد ذُكر أن العرب إنما سمَّت السحر سحرًا؛ لأنه يزيل الصحة إلى المرض، فأصله صرف الشي عن جهته، فإن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيَّل الشيء على غير حقيقته، فقد سحر الشي عن وجهه؛ أي: صرفه. وإنما يقال سحره: أي: أزاله عن البغض إلى الحب، ويقولون للرجل: ما سحرك عن وجه كذا وكذا؟ أي: ما صرفك عنه؟[٥].

الأسماء الأخرى:

العضة أو العضه، قال الحكمي رحمه الله: «والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر: عاضه»[٦].

الطبُّ، قال الخطابي رحمه الله: «والطب: السحر»[٧].

الحكم:

السحر من المحرمات الكفرية المتقرر حرمتها بالكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية والإجماع، وهو من أكبر الكبائر والسبع الموبقات، والساحر كافر عند أكثر أهل العلم.

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٥٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٢) قاله الإمام الشافعي في كتابه الأم (٢/ ٥٦٦) [دار الوفاء، ط١، ١٤٢٢هـ].
(٣) المغني (١٢/ ٢٩٩) [دار عالم الكتب، ط٣].
(٤) انظر: حاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٦) [ط٥، ١٤٢٤هـ].
(٥) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٩١، ٢٩٢).
(٦) معارج القبول (٢/ ٧٠٩) [دار ابن الجوزي، ط٦].
(٧) أعلام الحديث (٣/ ١٤٩٩) [جامعة أم القرى، ط١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات»[(١)].

الحقيقة:

للسحر أكثر من حقيقة، وكلها مذمومة، وحكم صاحبها يختلف تبعًا لاختلاف تلك الحقائق، ويمكن حصر حقائقه فيما يلي:

١ ـ طاعة الجن والشياطين لأمر الساحر ونهيه.

٢ ـ الكلام المؤلف الذي يقصد به تعظيم غير الله تعالى، وتنسب المقادير والكائنات فيه إلى غير الله، فيبلغ فيه قائله غرضه، وهذه الحقيقة يدخل فيها معظم أقسام السحر مع اختلاف صورها وتباين أشكالها، سواء كانت بنسبة الحوادث إلى بعض الأفلاك، أو كانت بمباشرة الساحر لأعماله في أشياء معينة يستخدمها بمعاونة الشياطين.

٣ ـ أعمال فاسدي الدين وخبيثي النفوس بطريقة خفية يقصد بها الإرعاب والتهويل مما يجري مجرى الحيل، وهذه تسمى النيرنجيات، وفي هذه الحقيقة يدخل من أقسام السحر ما كان تخييلًا وخداعًا لا أصل له مما يوحي به الساحر لضعاف العقول، فيخرج بصورة الواقع والحقيقة وهو ليس كذلك.

وتلك الحقائق الثلاث تبرز أن كل ما هو سحر في المعنى الاصطلاحي فهو ضرر لا نفع فيه، إما أن يخرج من الدين وإما أن يكون صاحبه من أهل الكذب والبهتان البيِّن وهذا متحقق في السحر[(٢)].

وأما دخول السحر في الشرك فمن **وجهين**[(٣)]:

الوجه الأول: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمة الساحر ومطلوبه.

الوجه الثاني: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه، وهذا كفر وضلال.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ [طه]، وقال عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/١٧٦) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٢) كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للحمد (٩١ ـ ٩٣).

(٣) القول السديد للسعدي ـ ضمن المجموعة الكاملة له (٣/٢٩ ـ ٣٠) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر رسولَ الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله يخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله»(٢). وفي رواية قالت: «كان رسول الله سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن». قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا(٣).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ليس منّا من تطيَّر أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له**»(٤).

وأما الإجماع فقد حكاه جمع من العلماء.

قال ابن قدامة رحمه الله: «إن تعلُّم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم»(٥).

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رحمه الله: «والسحر من عمل الشيطان، يفعله في الإنسان بنفثه، وهمزه ووسوسته، ويتولاه الساحر بتعليمه إياه، ومعونته عليه، فإذا تلقاه عنه استعمله في غيره بالقول، والنفث في العقدة، وللكلام والقول تأثير بيِّن في النفوس والطباع، ولذلك صار الإنسان يحمى ويغضب إذا سمع الكلام المكروه، وربما حُمَّ الإنسان من غم يصيبه، وبقول يسمعه، وقد مات فيما رويناه من الأخبار قوم بكلام سمعوه، ولقول امتعضوا منه»(٦).

وقال السمعاني: «والسحر يتحقق وجوده على مذهب أهل السُّنَّة، ويؤثر، ولكن العمل به كفر»(٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والسحر محرم بالكتاب والسُّنَّة والإجماع»(٨).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٦٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٣)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢١٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٥).
(٤) أخرجه البزار في مسنده (٩/ ٥٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ]، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وجود المنذري إسنادَ البزار في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٢٨) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٦هـ].
(٥) المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٦) أعلام الحديث (٣/ ١٥٠٣).
(٧) تفسير السمعاني (١/ ١١٦).
(٨) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧١) [مجمع الملك فهد =

الأقسام:

أقسام السِّحر باعتبار الشرع.

فهو في الشرع ينقسم إلى قسمين[1]:

أحدهما: عُقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهذا القسم شرك.

ثانيها: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله فتجده ينصرف ويميل وهو ما يسمى بالصرف والعطف، وهذا عدوان وفسق.

أقسام السحر باعتبار المسحور.

فهو باعتبار المسحور قسمان[2]:

أحدهما: قسم تخييلي، وهو السحر الذي يجعل الإنسان يتخيل شيئًا لم يحدث؛ كسحر سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه] فلم يكن سحرهم سوى خيالات ترهب بظاهرها وتؤثر في القلوب.

ثانيها: سحر حقيقي، وهو السحر الذي يؤثر في المسحور بمرض أو موت، ومنه ما حدث للنبي ﷺ حين سحره اليهودي لبيد بن الأعصم.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حكم الساحر:

اختلف العلماء في حكم الساحر أيكفر أم لا؟ **على قولين**[3]:

القول الأول: أنه يكفر مطلقًا، قال به طائفة من السلف، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله تعالى وعليه جمهور العلماء.

القول الثاني: وهو التفصيل: فإذا تعلم السحر يقال له: صف لنا سحرك، فإذا وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد إباحته فهو كافر لاستحلاله المحرم وإلا فلا، وهذا ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله[4]، ورواية عن أحمد أنه لا يكفر، وقال أصحاب أبي حنيفة بالتفصيل كذلك[5].

وعند تأمل القولين فلا اختلاف معنوي بينهما؛ فإن من لم يكفر لظنه أنه

= لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: قواعد ومسائل في توحيد الإلٰهية لعبد العزيز الريس (١٩٧ ـ ١٩٨) [ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: إكمال المعلم (٧/ ٨٩) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ]، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٧٦)، والمغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: الأم للشافعي (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧)، والمغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠١).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٠).

سيأتي بدون الشرك وليس كذلك؛ بل لا يتأتى السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه، فليس بسحر حقيقة، وإن سُمِّي سحرًا على سبيل المجاز؛ كتسمية القول البليغ سحرًا، وهو محرم لمضرته[(١)].

ـ المسألة الثانية: حكم قتل الساحر:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في حكم قتل الساحر **على قولين**[(٢)]:

القول الأول: أنه يقتل بمجرد السحر؛ لأنه كفر، وهو قول أكثر العلماء، قال به أبو حنيفة، ومالك وأحمد، وغيرهم.

القول الثاني: أنه لا يقتل بمجرد السحر، إلا إذا عمل عملًا يبلغ به الكفر وهو قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورواية عن أحمد، وغيرهم.

وقد احتج أصحاب القول الأول بأدلة عدة، **منها:**

عن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»[(٣)].

وعن بجالة بن عبدة قال: «أتانا كتاب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانهوهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاث سواحر»[(٤)].

وعن حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا «أن جارية لها سحرتها فأقرت بالسحر وأخرجته فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فغضب فأتاه ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: جاريتها سحرتها أقرت بالسحر وأخرجته، قال: فكف عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: إنما كان غضبه لقتلها إياها بغير أمره»[(٥)].

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٧٦)، وأضواء البيان (٤/ ٥٦٩)، وتيسير العزيز الحميد (١/ ٦٨١) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٧٨)، والمغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٢)، ومجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٨٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٦٠) وقال: «لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف الحديث...، والصحيح عن جندب موقوفًا»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٦٤١، رقم ١٤٤٦) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الخراج والإمارة والفيء، رقم ٣٠٤٣)، وأحمد في المسند (٣/ ١٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن حزم في المحلى (١٢/ ٤١٤) [دار الفكر]، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود، وأورده ابن قدامة في المغني (٩/ ٣١) [مكتبة القاهرة]، وقال: «وهذا اشتهر فلم ينكر فكان إجماعًا».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (كتاب العقول، رقم ٣٢٤٧)، وعبد الرزاق في المصنف (كتاب اللقطة، رقم ١٨٧٥٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الديات، رقم ٢٧٩١٢) [مكتبة الرشد، ط١]، والبيهقي في الكبرى (كتاب القسامة، رقم ١٦٤٩٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، واللفظ له، وإسناده صحيح.

وهذا القول هو الصواب ولا يعلم لعمر وجندب وحفصة رضي الله عنهم مخالف لهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما أصحاب القول الثاني فقد استدلوا على عدم قتل الساحر بأدلة عدة منها:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»[(١)].

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن الصحابة رضي الله عنهم لم ينكر عليهم في قتل الساحر، فكان هذا إجماعًا على العمل بما ورد في حد الساحر والخاص يقضي على العام.

واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحره ﷺ، وأجيب عن هذا الاستدلال بأن عدم قتله كان خشية إثارة الفتنة.

وبالجملة؛ فإن قتل الساحر هو الصحيح؛ لأنه مفسد في الأرض يفسد الأديان والأبدان، وبقاؤه على وجه الأرض فيه فساد كبير وخطر جسيم، وفي قتله قطع لفساده وكف لشره وإراحة للبلاد والعباد من شروره وأضراره.

ـ **المسألة الثالثة: قبول توبة الساحر:**

إذا تاب الساحر هل تقبل توبته أم لا؟ اختلف أهل العلم في ذلك **على قولين:**

القول الأول: عدم قبول توبته وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه.

القول الثاني: قبول توبته وهو قول الشافعي ورواية عن الإمام أحمد.

وعلَّل أصحاب القول الأول ما ذهبوا إليه بأن الردة بفعل السحر باطنة، والمرتد باطنًا لا تعرف توبته بإظهار الإسلام، وعلم السحر لا يزول بالتوبة، وأن الساحر جمع إلى الردة السعي في الأرض بالفساد، وهذا في حالة ما إذا شهد عليه بذلك، أما إذا تاب قبل أن يشهد عليه بالسحر قبلت توبته لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُوا۟ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة] فحكم الساحر يكون كذلك.

وأما أصحاب القول الثاني فعللوا بأن ذنب الساحر لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب فإن تاب قبلت توبته وخُلِّي سبيله فكذلك الساحر، علمه بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).

والقول الأول أصح لظاهر عمل الصحابة رضي الله عنهم فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها أو بيّنوها.

وأما قياسه على المشرك فلا يصح؛ لأنه أكثر فسادًا وتشويهًا من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب؛ لأن الإسلام يجبُّ ما قبله، وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه بالتوبة أما فيما بينه وبين الله فإن كان صادقًا قبلت توبته[(١)].

ـ المسألة الرابعة: حل السحر عن المسحور.

وهو ما يعرف باسم النشرة، قال ابن القيِّم رحمه الله: «النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز؛ بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر»[(٢)].

أما ما رواه البخاري في صحيحه معلقًا عن قتادة: قلت لابن المسيب: «رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه»[(٣)].

فهو محمول على نوع من النشرة لا محذور فيه؛ لأن الحديث قد صح عن النبي ﷺ أنه قال لما سئل عن النشرة: «**هو من عمل الشيطان**»[(٤)].

وحل السحر بسحر مثله أمر محرم، لا يحقق خيرًا، ولا يجلب مصلحة.

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا قال: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم**»[(٥)].

وقياس حل السحر بسحر مثله على إباحة المحرمات للمضطر قياس ضعيف.

قال ابن تيمية: «والذين جوزوا التداوي بالمحرم قاسوا ذلك على إباحة المحرمات كالميتة والدم للمضطر، وهذا ضعيف لوجوه:

أحدها: أن المضطر يحصل مقصوده يقينًا بتناول المحرمات؛ فإنه إذا أكلها

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٩٥ ـ ٦٩٦).
(٢) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (٤/ ٣٠١).
(٣) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الطب، باب: هل يستخرج السحر؟).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢/ ٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعنه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٦٨)، وحسن ابن حجر إسناده في فتح الباري (١٠/ ٢٣٣) [دار المعرفة]، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٠).
(٥) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الأشربة، باب شراب الحلواء والعسل)، وسنده صحيح. انظر: فتح الباري (١٠/ ٧٩)، والسلسلة الصحيحة (٤/ ١٧٥).

سدت رمقه، وأزالت ضرورته، وأما الخبائث؛ بل وغيرها فلا يتيقَّن حصول الشفاء بها، فما أكثر من يتداوى ولا يشفى، ولهذا أباحوا دفع الغصة بالخمر؛ لحصول المقصود بها، وتعينها له، بخلاف شربها للعطش، فقد تنازعوا فيه، فإنهم قالوا: إنها لا تروي.

الثاني: أن المضطر لا طريق له إلى إزالة ضرورته إلا الأكل من هذه الأعيان، أما التداوي فلا يتعين تناول هذا الخبيث طريقًا لشفائه؛ فإن الأدوية أنواع كثيرة، وقد يحصل الشفاء بغير الأدوية؛ كالدعاء والرقية، وهو أعظم نوعي الدواء.

وقد يحصل الشفاء بغير سبب اختياري؛ بل بما يجعله الله في الجسم، من القوى الطبيعية، ونحو ذلك.

الثالث: أن أكل الميتة للمضطر واجب عليه، في ظاهر مذهب الأئمة، وغيرهم. كما قال مسروق: من اضطر إلى الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار. وأما التداوي فليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة قليلة، وإذا كان أكل الميتة واجبًا والتداوي ليس بواجب، لم يجز قياس أحدهما على الآخر»[(١)].

وحل السحر بالسحر فيه مفاسد خطيرة وظاهرة، والقاعدة الشرعية: دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، يبيِّنها العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أما حل السحر عن المسحور بسحر مثله: فيحرم؛ فإنه معاونة للساحر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور ولهذا ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم، يتعمد سحر الناس، ممن يحبه أو يبغضه؛ ليضطره بذلك إلى سؤاله حلَّه؛ ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم»[(٢)].

ـ المسألة الخامسة: حكم الذهاب إلى السحرة والكهان والمنجمين وسؤالهم:

الذهاب إلى السحرة والكهان ونحوهم جرم عظيم، وإثم كبير جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة بالنهي عن إتيانهم، وسؤالهم وتصديقهم، والوعيد على ذلك أشد الوعيد وأزجره.

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٦٨).

(٢) معارج القبول (٢/٧١١ ـ ٧١٢) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (أبواب الطهارة، رقم ١٣٥)، وابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها، رقم =

وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[(٢)].

وقال ابن حجر رحمه الله معلقًا على هذا الأثر: «إسناده جيد ومثله لا يقال بالرأي».

قال سليمان بن عبد الله رحمه الله معلقًا على هذا الأثر: «وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما؛ لأنهما يدّعيان الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضًا»[(٣)].

وبالجملة؛ فقد تضمنت هذه الأحاديث النبوية النهي الصريح بما يردع ويزجر عن إتيانهم وسؤالهم أو تصديقهم، وربما أوقع إتيانهم وتصديقهم في الكفر والشرك المخرج من الملة.

= ٦٣٩)، وأحمد (١٥/ ٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الطهارة، رقم ١١٧٦)، ونقل المناوي عن العراقي تصحيحه، كما في فيض القدير (٦/ ٢٣) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٤٣٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(١) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٢٥٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٨٠) [دار المأمون، ط١]، وجود إسناده الحافظ ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٢١٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٤١٠).

- المسألة السادسة: حكم تعلم السحر:

حكى بعض أهل العلم الاتفاق على حرمة تعلم «علم السحر» وتعليمه وأنه من كبائر الذنوب، فإن تضمن ما يقتضي الكفر من التعبد للشياطين أو الكواكب أو نحو ذلك كفر وإلا فلا، ونصوص الكتاب والسُّنَّة صريحة في حرمة تعلمه وتعليمه؛ **فمن الأدلة الدالة على ذلك:**

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهذه الآية من أظهر الأدلة وأصرحها دلالة على تحريم تعلم السحر وتعليمه، فإن الله تعالى صرح بأن السحر يضر ولا ينفع، فإذا أثبت الله أن السحر ضار ونفى أنه نافع فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيه[(٤)].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»[(٥)].

٣ - وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٦)]. فهذا في الإتيان والتصديق فكيف بالتعلم؟!

(٤) أضواء البيان (٤/ ٥٥٥).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

٤ ـ وقد اتفق أهل العلم على حرمة تعلم السحر وتعليمه. قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم»[(١)].

٥ ـ أن تعلمه قد يكون ذريعة ووسيلة إلى العمل به والذريعة إلى الحرام يجب سدها بقطع السبيل عليها[(٢)].

٦ ـ إن في تعلمه ترويجًا للباطل وتعاونًا على الإثم والعدوان وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢][(٣)].

ـ المسألة السابعة: حكم الصرف والعطف:

من أنواع السحر ما يسمى بالصرف والعطف، أما الصرف فهو صرف الرجل عما يهواه؛ كصرفه مثلًا عن محبة زوجته إلى بغضها، وأما العطف فهو عطف الرجل عما لا يهواه إلى محبته بطرق شيطانية، وكلاهما عمل سحري.

وقد نص الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة نواقض الإسلام على هذين النوعين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وسحر الجمع يسمى التولة، وقد فسر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ التولة بأنه شيء يضعه النساء يتحببن إلى أزواجهن.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كانت من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التمائم؛ لأنها تصنع ويكون الساحر هو الذي يرقي فيها الرقية الشركية، فيجعل المرأة تحب زوجها، أو يجعل الرجل يحب امرأته، وهذا نوع من السحر، والسحر يتضمن الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا، وكفر عام في كل أنواع التولة فهي شرك كلها»[(٤)].

ـ المسألة الثامنة: حكم الألعاب البهلوانية (السيرك):

اشتهر في العصر الحديث ما يسمى بالألعاب البهلوانية (السيرك)، وهي مجموعة أنواع من اللهو واللعب تقوم بها بعض الفرق المتخصصة في هذا الشأن أمام الناس في أماكن معدة لهذا الأمر، وهذه الألعاب التي تمارس تتفاوت أحكامها بتفاوت أحوالها، ومما يمارس فيها بعض الأعمال الخارجة عن العادة

(١) المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٢) أضواء البيان (٤/ ٤٦٤).
(٣) التنجيم والمنجمون (٢٩٧).
(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١٢).

البشرية؛ كالنوم على المسامير، وثني الحديد بالأعين، وجرّ السيارات بالشعور، وتكسير الصخور على الصدر، وغير ذلك، وهذا كله من قبيل السحر والدجل والشعوذة، وهو مما حرمه الإسلام وجعله من كبائر الذنوب والآثام.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى برقم (٢٠٥٢٠) وتاريخ ٨/١١/١٤١٩هـ: بأن ما يعمله بعض السفهاء من الناس من تكسير الصخور على صدورهم، والنوم على المسامير والآلات الحادة، أو ثني الحديد بأعينهم وسحب السيارات بشعورهم أو أسنانهم، وأكل الأمواس والزجاج إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن العادة البشرية، كل ذلك يعتبر من الدجل والشعوذة والسحر وهو من عمل سحرة فرعون، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه في سورة طه: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه]، وبناء عليه لا يجوز فعل هذه الأعمال ولا تعلمها ولا نشرها ولا التشجيع عليها، والواجب محاربتها والتبليغ عن فاعليها ومعاقبتهم بما يردعهم ويكف شرهم عن الناس، فألعابهم وأعمالهم تلك فيها من الدجل والشعوذة والتلاعب والاستخفاف بعقول الناس وفساد العقيدة وأكل الأموال بالباطل ما لا يخفى، وبالله التوفيق.

وقال الفوزان: «ومنه ـ أي: السحر التخيلي ـ ما يسمى في الملاعب وغيرها من المسمى بالسيرك، وهم سحرة ودجالون يخيل إليك أنه يمشي على حبل، وأنه يمشي على طرف السكين، أو أنه يرقد تحت السيارة، وتمشي عليه ولا تضره، ويُضرب بالمطارق ولا يتأثر وهو يكذب، كل هذا ليس له حقيقة ولم تضربه مطارق ولا جاءته سكاكين ولم تمش عليه سيارة، لكن أنت يخيل إليك هذا بسبب ما يعمل من السحر الذي يخيل إلى بصرك أنه عمل كذا وكذا، وهو كذب، هذا كله سحر تخييل وهو باطل»[(١)].

الفروق:

الفرق بين السحر والكرامة:

من أظهر الفروق بينها[(٢)]:

١ ـ أن الكرامة سببها الإيمان والتقوى، وأما السحر وما شابهه من الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله تعالى عنه، ونهى عنه رسوله ﷺ؛ كالكفر بالله تعالى، والشرك،

(١) محاضرات في العقيدة للفوزان (٣/ ١٨٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، والنبوات (٢/ ١٠٣٠).

والفواحش، ونحوها مما يحبه الشيطان.

٢ ـ كرامة الأولياء تقوى بذكر الله تعالى، وتوحيده، والأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف عند ذكر الله وتوحيده، وقراءة قوارع القرآن، لا سيما آية الكرسي.

الفرق بين الساحر والكاهن:

هناك شبه كبير وارتباط وثيق بين السحر والكهانة إلا أنه ثمة فروق عدة تميِّز كلًّا منهما عن الآخر، **تتمثل في الآتي:**

١ ـ الكاهن إنما عنده إخبار بالمغيبات، ودعوى علم الغيب، وأما الساحر: فعنده تصرف، بقتل، وإمراض، وتفريق، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لكن الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف، بقتل، وإمراض، وغير ذلك، وهذا تطلبه النفوس»[(١)].

٢ ـ الإخبار بالمغيبات المستقبلية عادة لا يكون إلا من الكاهن، وأما الساحر فلا يخبر عنها، لكن قد يخبر عن الأمور الماضية، عن مكان الضالة، ونحو ذلك[(٢)].

الآثار:

للسحر آثار سلبية كبيرة لا تحصى، منها ما يعود ضرره على الساحر نفسه، ومنها ما يعود ضرره على المجتمع، **ومن تلك الآثار السيئة:**

١ ـ أنه كفر بالله ﷻ، وهذا أعظم خسارة تحصل للإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢ ـ نفي الفلاح عن الساحر في أي مكان وجد. قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه].

٣ ـ في السحر أضرار كبيرة على المجتمع في جميع النواحي، ومنها على سبيل المثال ما ذكره الله بقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

مذهب المخالفين:

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وجمهور أهل العلم أن السحر له حقيقة لدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع على ذلك[(٣)].

وذهب عامة المعتزلة، ومن وافقهم كأبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وأبي منصور الماتريدي، وابن حزم الظاهري، وغيرهم إلى أن السحر تخييل فقط لا حقيقة له، وإنما هو ضرب من التمويه والتخييل والإيهام[(٤)]. واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾

---

(١) النبوات (٢/ ١٠٤٥).

(٢) اللقاء الشهري للشيخ ابن عثيمين رقم (٤٥).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦).

[طه]، ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى أخبر عن عمل أولئك السحرة أنه إنما كان تخييلًا لا حقيقة له، حيث لم يقل: تسعى على الحقيقة، ولكنه قال: يخيل إليه[1].

والجواب عن هذا: أن ما حصل من سحر قوم فرعون كان حقيقة لا تخييلًا؛ حيث أثبت الله ﷻ أن الأعين سُحرت فهذه حقيقة، فالسحر كان شيئًا حقيقيًّا حتى أثر على العيون فتخيلت ما ليس بحقيقة، وذلك الخيال ناتج عن أثر السحر، فلو لم يكن السحر حقيقة لما حصل ذلك التأثير على النظر[2].

وأيضًا: فإننا «لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع مما هو من باب الحقيقة لا التخييل»[3].

وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢]، وجه الاستدلال بالآية أنها دلَّت على أن للسحر حقيقة من وجوه:

الوجه الأول: أن الله ﷻ قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم، وأن متعلمه يكفر بذلك وهذه الصفات لا تكون إلا لما له حقيقة، مما يدل على أن له حقيقة[4].

الوجه الثاني: أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثارًا محسوسة؛ كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وحقيقته[5].

الوجه الثالث: أخبر الله تعالى فيها أن للسحر ضررًا لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه، والضرر أو الأثر لا يكون إلا مما له حقيقة.

وخلاصة القول: أن ما ذهب إليه المعتزلة ومن وافقهم من كون السحر تخييلًا لا حقيقة خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامة العقلاء، والسحر الذي يؤثر مرضًا وثقلًا وحلًّا وعقدًا وحبًّا وبغضًا وتزييفًا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه الناس[6].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

٢ ـ «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير.

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦).

(٦) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦).

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «التنجيم والمنجمون»، للمشعبي.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ كتاب «السحر بين الحقيقة والخيال»، لأحمد الحميد.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «موقف الإسلام من السحر»، لحياة با أخضر.

السَّخَطُ

التعريف لغة:

السَّخَطُ: مصدر للفعل سَخِط يسْخَطُ، يقال: سَخَطٌ وسُخْطٌ، وهو خلاف الرضا، أو الغضب والكره.

قال الجوهري: «السَّخط والسُّخط: خلاف الرضا. وقد سخط؛ أي: غضب، فهو ساخط. وأسخطه؛ أي: أغضبه»[١].

وقال ابن الأثير: «السَّخط والسُّخط: الكَراهيةُ للشيء وعدم الرِّضا به»[٢].

التعريف شرعًا:

السخط المضاف إلى الله تعالى معناه ضد الرضا، وهو صفة فعلية يتصف بها ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، متعلقة بإرادته ومشيئته[٣].

يقول ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وإنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به ويغضب، فلا يقوم شيء لغضبه»[٤]. فجعل الرضا نقيض السخط[٥].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنيين من حيث إن السخط في كل منهما ضد الرضا، فسخط الله ﷻ لأمر، عدم رضاه به، ويحمل في حقه سبحانه على غاية الكمال والجمال.

الحكم:

يجب إثبات صفة السخط لله ﷻ واعتبارها صفة فعلية قائمة بذاته غير منفصلة عنه، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الحقيقة:

حقيقة سخط الله تعالى بغضه وكراهيته

(١) الصحاح (٣/٢٦٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/٨٨٨) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة (١٩٧).

(٤) كتاب الجامع (١٠٧ ـ ١٠٨).

(٥) تهذيب اللغة (٧/١٥٩).

ومقته لبعض عباده وبعض الأعمال والأقوال الصادرة منهم بمقتضى عدله وحكمته سبحانه. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إيراده لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد]: «فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال»[(١)].

الأدلة:

دلَّ على ثبوت هذه الصفة لله عَزَّ وَجَلَّ الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

تضمنت هذه الآيات إثبات صفة السخط حقيقة لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق به سبحانه، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق[(٢)].

ومن السُّنَّة: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مخاطبة الله عَزَّ وَجَلَّ أهل الجنة، وفيه: «فيقول: **ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟** فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: **أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[(٣)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»[(٤)].

وأما الإجماع فقد نقله ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ومن المعلوم أنه قد دلَّ الكتاب والسُّنَّة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب، وإن لم يكن ذلك موجودًا، وعلى أنه قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال كالفسق والكفر»[(٥)].

وأما دلالة العقل، فإن كون الله عَزَّ وَجَلَّ يعاقب الكفار والعصاة على كفرهم وعصيانهم دليل على عدم رضاه عنهم وسخطه منهم.

أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الصابوني: «كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل

(١) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٦).
(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٠٨ ـ ١٠٩) [دار الهجرة، ط١].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٩).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).
(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٧٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].

بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والرضا والسخط من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين؛ بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ»[(١)].

وقال ابن تيمية: «وكذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال؛ لا قبلها»[(٢)].

٣ ـ وقال ابن عثيمين: «﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾؛ أي: الذي أسخط الله، فصاروا يفعلون كل ما به سخط الله ﷻ من عقيدة أو قول أو فعل وفي هذه الآية من صفات الله: الرضا والسخط»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

السّخط من الصفات التي لا يشتق منها اسم، فلا يسمى الله ﷻ ساخطًا أو سخِطًا؛ إذ لم يرد ذلك في الكتاب والسُّنَّة، ولم يذكره أحد من أهل العلم المحققين.

الفروق:

الفرق بين الغضب والسخط:

قيل: إن السخط والغضب بمعنى واحد، وأنهما من المترادف؛ لأنهما يتعاقبان في القرآن بنفس المعنى.

وقيل: إن الغضب أعم من السخط، والسخط أخص منه.

وقيل: إن السخط إذا تعدى بنفسه فهو خلاف الرضا، وإذا تعدى بعلى فهو بمعنى الغضب[(٤)].

وقال ابن العثيمين: «وأما السخط فمعناه قريب من معنى الغضب»[(٥)].

والصحيح: أن الغضب والسخط إذا كان المقصود منهما صفات الله ﷻ فليسا بمعنى واحد، إذ قد ثبت كل واحد منهما في النصوص، وإن كان المعنى متقاربًا، لكن الغضب صفة والسخط صفة، وأما في إطلاق الناس فالغضب من أثر السخط والله تعالى أعلم.

الثمرات:

١ ـ يجب على العبد اتقاء ما يسخط الله ﷻ بفعل أوامره والانتهاء عن نواهيه.

٢ ـ على العبد الحذر والخوف

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٥) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٤هـ].
(٢) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٦).
(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/٢٦٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ].
(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٨٦) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١]، والمخصص لابن سيده (٤/٢٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ].
(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/٢٦٩).

من الله ﷻ والسعي لمعرفة أسباب سخط الله ﷻ ليتجنبها وأسباب رضاه للفوز بها.

٣ ـ كما يجب عليه التقرب إلى الله سبحانه والتعوذ برضاه عن سخطه وبمعافاته عن عقوبته.

الآثار:

من آثار سخطه سبحانه على العباد: إحباط الأعمال، والعقوبة الشديدة في الدنيا ودخول النار في الآخرة، كما دلَّت على ذلك الآيات المتقدمة.

مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ بسخط يليق بجلاله سبحانه، وزعموا أن إثبات هذه الصفة يلزم منه حلول الحوادث بذاته سبحانه، فأوَّلوا معناها وقالوا: السخط: هي إرادة الله تعذيب الكفار، أو إرادة الشر[١].

وهذه الآراء مخالفة لما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة واتفاق السلف من أن الله ﷻ يفعل ما يشاء متى شاء، فيرضى إذا شاء ويسخط إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويكره إذا شاء، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠] فيثبت له صفات الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته من غير تشبيه لذلك بصفات المخلوقين، ولا تأويل ينفي دلالتها، وقد ذكر شيخ الإسلام شبه المنكرين لصفات الأفعال وردّ عليها، كما ذكر الأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف على اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته، وأن الفعل غير المفعول[٢].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
٢ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
٣ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن العثيمين.
٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، للهراس.
٦ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد أمان الجامي.
٧ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.
٨ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
٩ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.
١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٤٧٨) [مكتبة السوادي، ط١]، مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك الأصبهاني [عالم الكتب، ١٩٨٥م].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥٢٩ ـ ٥٣٨، ٦/٢٣٣).

سريع الحساب

يراجع مصطلح (الحسيب).

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة، ويكنى: أبا إسحاق القرشي المدني الزهري، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية[١].

مولده ووفاته:

ولد قبل البعثة بسبع عشرة سنة، ومات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور، وحمل إلى المدينة فصُلّي عليه في المسجد[٢].

إسلامه:

أسلم قديمًا حين كان عمره سبع عشرة سنة[٣]، وقيل: تسع عشرة سنة[٤]، وهاجر مبكرًا، فقد ثبت من حديث البراء رضي الله عنهما أنه قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ»[٥].

وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان فارسًا شجاعًا من أمراء رسول الله ﷺ، وهو الذي بنى الكوفة، ونفى عنها الأعاجم، وقد استنابه عمر الفاروق على الكوفة، وهو الذي فتح المدائن وكانت على يديه وقعة جلولاء[٦].

فضائله:

لسعد بن أبي وقاص مناقب عظمى، فهو:

- أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما

(١) المعارف لابن قتيبة (٢٤١) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، وسير أعلام النبلاء (١/ ٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (١١/ ٢٨٣) [دار هجر، ط١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٣) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (٨٤) [دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١]، وتقريب التهذيب لابن حجر (رقم ٢٢٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، وتلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٩٦)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٨٣).

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة (١/ ٢٤٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩٢٥).

(٦) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٨٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٤ ـ ٧٥).

في حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[(١)].

ـ أنه ممن شهد بدرًا[(٢)]، ومما جاء في فضلهم حديث علي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم**»[(٣)].

ـ أنه ممن شهد بيعة الرضوان[(٤)]، وقد جاء في فضلهم العظيم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح]. وثبت من حديث أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**»[(٥)].

ـ أنه ممن جمع النبي ﷺ له أبويه في التفدية[(٦)]، لما جاء من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما»[(٧)]، وروى الإمام البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد، إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحد: «**يا سعد، ارم فداك أبي وأمي**»[(٨)]. وقد ثبت عن غيره أن النبي ﷺ جمع أبويه للزبير بن العوام رضي الله عنه يوم الخندق[(٩)]، فيكون كل منهما حدّث بحسب علمه[(١٠)].

ـ أنه ممن أسلم من قبل الفتح وقاتل[(١١)]، ويدل على عظم فضل هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٢) انظر: صحيح البخاري (كتاب المغازي، باب تسمية من سمي من أهل بدر، بعد رقم ٤٠٢٧)، وسير أعلام النبلاء (١/٩٣)، والبداية والنهاية (١١/٢٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٩٣)، والبداية والنهاية (١١/٢٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(٦) أي في قول: فداك أبي وأمي.

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٥٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٥٩).

(٩) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٦).

(١٠) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٨٤).

(١١) انظر: محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص لابن عبد الهادي (٤٨) [دار البشائر، ط١، ١٤٢٧هـ].

قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد].

- أنه الرجل الصالح الذي تمناه النبي ﷺ لحراسته، فقد ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة قالت: «أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**»، إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «**من هذا؟**» قال: سعد يا رسول الله جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه»[(١)].

وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال: **ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**، قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: **من هذا؟** قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: **ما جاء بك؟** قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام»[(٢)].

- أنه كان مجاب الدعوة لدعاء النبي ﷺ له بذلك، فقد جاء من حديث سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ استجب لسعد إذا دعاك**»[(٣)]. ومن شواهد إجابة دعائه ما رواه البخاري بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أُصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين، وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللَّهُمَّ إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل؟ يقول: شيخ

(١) أخرجه البخاري (كتاب التمني، رقم ٧٢٣١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥١)، والبزار (٤/ ٤٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في الكبير (١/ ١٤٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والحاكم (كتاب المغازي والسرايا، رقم ٤٣١٤) وصحَّحه، وحسَّنه الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٣) [مكتبة القدسي]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم ٦١٢٥).

كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»[(١)].

مكانته:

هو أحد السابقين الأولين، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[(٢)]، وقال فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بعد أن جعله من أصحاب الشورى: «إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالي»[(٣)]، وكان معظَّمًا جليل المقدار في زمن الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، وكان سيِّدًا مطاعًا، عزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك، ثم ولاه عثمان الكوفة بعدها، ثم عزله عنها[(٤)].

وهو خال النبي ﷺ، فقد روى الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أقبل سعد فقال النبي ﷺ: **هذا خالي فليُرني امرؤ خاله**»[(٥)].

قال الترمذي موضحًا ذلك: «وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: **هذا خالي**».

المسائل المتعلقة:

ـ كون سعد رضي الله عنه ثالث نفر في الإسلام:

فقد صح من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام»[(٦)].

وفي هذا إشكال؛ حيث يقتضي أنه لم يُسبَق إلى الإسلام، وأنه بقي سبعة أيام وهو ثلث الإسلام؛ أي: أنه هو واثنان آخران معه من المسلمين فقط، والواقع أنه أسلم قبله كثير من المسلمين، فقد ثبت من حديث عمار رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»[(٧)].

ولذا جمع بعض أهل العلم ـ كما في القولين الآتيين ـ بينه وبين قول سعد هنا بأمور؛ منها: أن عمارًا رضي الله عنه حدث حسب علمه واطلاعه. قال ابن كثير بعد

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٧٥٥).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٣).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٨٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥٢)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦١١٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٩٩٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٧)، و(كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٥٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٠).

إيراده الحديث السابق: «وهو مشكل؛ إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام، وقد عُلم أن الصديق وعليًّا وخديجة وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد؛ منهم ابن الأثير، ونص أبو حنيفة رحمه الله على أن كلًّا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه. والله أعلم. وأما قوله: ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. فمشكل؛ وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه. والله أعلم»[١].

وقال ابن حجر: «قوله: «وإني لثلث الإسلام» قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنين الآخرين خديجة وأبا بكر، أو النبي ﷺ وأبا بكر، وقد كانت خديجة أسلمت قطعًا، فلعله خص الرجال، وقد تقدم في ترجمة الصديق[٢] حديث عمار: «رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر»، وهو يعارض حديث سعد، والجمع بينهما ما أشرت إليه، أو يحمل قول سعد على الأحرار البالغين؛ ليَخرج الأعبدُ المذكورون وعليٌّ رضي الله عنه، أو لم يكن اطلع على أولئك، ويدل على هذا الأخير: أنه وقع عند الإسماعيلي من

(١) البداية والنهاية (٤/ ٨٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٧٠).

رواية يحيى بن سعيد الأموي عن هاشم بلفظ: «ما أسلم أحد قبلي»، ومثله عند ابن سعد من وجه آخر عن عامر بن سعد عن أبيه، وهذا مقتضى رواية الأصيلي، وهي مشكلة؛ لأنه قد أسلم قبله جماعة، لكن يحمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ، وقد رأيت في المعرفة لابن منده من طريق أبي بدر عن هاشم بلفظ: «ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه»، وهذا لا إشكال فيه؛ إذ لا مانع أن لا يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم، لكن أخرجه الخطيب من الوجه الذي أخرجه ابن منده، فأثبت فيه (إلا) كبقية الروايات، فتعين الحمل على ما قلته»[٣].

موقف المخالفين منه:

رمى الرافضة هذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعديد من التهم الشنيعة، ومنها على سبيل المثال **ما يلي**:

أ ـ زعمهم بأنه من رؤوس المنافقين، ولعنهم إياه[٤].

ب ـ زعمهم أن تحت كل شعرة من شعر سعد شيطان جالس[٥].

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٨٤).

(٤) انظر: رسائل الكركي (٢/ ٢٢٨) [مكتبة المرعشي، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٥) انظر: كامل الزيارات لجعفر بن قولويه (١٥٥ ـ ١٥٦) [تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ]، ومن طريقه أورده =

- زعمهم أنه قارون هذه الأمة[(١)].

- زعمهم أنه كان ضمن المتآمرين على قتل النبي ﷺ عند العقبة، منصرفه من غزوة تبوك[(٢)].

إلى غير ذلك من مطاعنهم التي لا خطام لها ولا زمام[(٣)].

الرد عليهم:

لا شكَّ أن هذا القدح والطعن فيمن زكاه الله عز وجل ونبيّه ﷺ، بأنه قارون الأمة، والحكم عليه بالنفاق، والشهادة عليه بالنار، مع شهادة الله ورسوله ﷺ له بالجنة لهو من الخذلان والحرمان بمكان كبير؛ بل هو محادة لله ورسوله ﷺ، وتكذيب لقول الله وقول رسوله ﷺ؛ فقد أثنى الله على الصحابة بوجه عام، وعلى السابقين الأولين منهم ـ كسعد بن أبي وقاص وغيره ـ بوجه خاص، وأخبر سبحانه أنهم جميعًا من أهل الجنة، فقال الله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقال جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وقد تقدم في ذكر فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبيان مكانته أنه من العشرة المبشرين بالجنة، وأنه من المؤمنين الصادقين، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهذا كله يبطل رميه بالنفاق واتهامه بالمشاركة مع المنافقين في محاولة اغتيال النبي ﷺ؛ لمنافاة ذلك أصل الإيمان، فضلًا عن أن يبشَّر بالجنة ويُشهَد له بالصلاح كما جاء في مناقبه.

وكلُّ ما نسبوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ذمه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لهو كذب صريح، وإفك مبين، واتهام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتكذيب ما جاء من الأحاديث الصحيحة المتقدمة في مناقب سعد وعلو قدره وتبشيره بالجنة، وحاشاه من ذلك.

وأما طعنهم في سعد؛ لمشاركة ابنه عمر في قتال الحسين بعد وفاة سعد،

= الصدوق في أماليه (١٩٦) [مؤسسة البعث، قم، ط١، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: مقدمة البرهان للعاملي (٢٨٠)، بواسطة موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١١٩٢).

(٢) الخصال للصدوق (٤٩٩) [تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قُم].

(٣) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١١٠٣، و١١٩٢) وما بعدها.

فهو طعن فاسد؛ لأن سعدًا ـ كغيره من الناس ـ لم يكن يعلم الغيب حتى يتفاداه بأي وسيلة كانت، ثم إن النفس لا تؤاخذ بجريرة غيرها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٣)، لابن حجر.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١١)، لابن كثير.

٣ ـ «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير»، لابن الجوزي.

٤ ـ «الخصال»، للصدوق.

٥ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج١)، للذهبي.

٦ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٣)، لابن سعد.

٧ ـ «محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص»، لابن عبد الهادي المقدسي.

٨ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٩ ـ «المعرفة والتاريخ» (ج١)، ليعقوب الفسوي.

١٠ ـ «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

السُّكوت

التعريف لغة:

السُّكوت: مصدر من الفعل سَكت يسْكُت سُكوتًا إذا صمت، أو سَكن.

قال ابن فارس: «السين والكاف والتاء يدلُّ على خِلاف الكلام. تقول: سَكَت يَسْكُت سُكوتًا، ورجلٌ سِكِّيت. ورماه بُسكاتَة؛ أي: بما أسكته، وسَكَت الغضبُ، بمعنى سكن»[١].

وقال الأزهري: ويقال: «سَكَتَ الرجل يَسكُتُ سَكْتًا إذا سَكنَ، وسَكتَ يَسْكُتُ سكُوتًا وسَكْتًا إذا قطع الكلام»[٢].

ويكون السكوت بمعنى عدم التكلم، وعدم تحريك اللسان البتة، ويكون كذلك بمعنى عدم إظهار الكلام بصوت جوهري يسمعه الناس، فكلاهما يسمى سكوتًا[٣].

التعريف شرعًا:

السكوت في حق الله ﷻ صفة فعلية اختيارية ثابتة له، ومتعلقة بمشيئته يسكت متى شاء ويتكلم متى شاء كما يليق به ﷻ، وسكوته سبحانه يكون تارة عن التكلم

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٠٢) [دار الجيل].
(٢) تهذيب اللغة (٣/ ٣٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٨ ـ ١٧٩) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].

وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك التعريف اللغوي والشرعي في أن السكوت في كل منهما ضد الكلام، أو ضد إظهار الكلام إلا أن المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ، ويفيد الكمال المطلق في حقه سبحانه.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ يسكت إن شاء ويتكلم إن شاء وأن سكوته يكون تارة عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام، فيثبت كل ذلك له كما يليق بجلاله من غير تشبيه ذلك بسكوت المخلوقين، ولا تأويل للنصوص عن مرادها؛ بل تُمر على ظاهرها بلا كيف.

الحقيقة:

حقيقة سكوته سبحانه صفة فعلية متعلقة بمشيئته دالّة على كمال مطلق في حقه، يتكلم متى شاء ويسكت متى شاء، وسكوته تارة عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام.

الأدلة:

دلَّ على ثبوت صفة السكوت لله ﷻ السُّنَّة والإجماع.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٧٨ ـ ١٧٩)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (١٤٥) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ].

فمن السُّنَّة: حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «... فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو...»[٣].

وأما الإجماع، فقد ذكره ابن تيمية رحمه الله فقال: «فثبت بالسُّنَّة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه»[٤].

أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الهروي بعد ذكر الفتنة الواقعة زمن ابن خزيمة: «فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها؛ كأنه منذر جيش، حتى دون في الدفاتر، وتمكن في السرائر، ولقن في

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب اللباس، رقم ١٧٢٦)، وابن ماجه (كتاب الأطعمة، رقم ٣٣٦٧)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه»، ثم ذكره موقوفًا، وقال: «وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث، فقال: ما أراه محفوظًا».

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة، رقم ٣٨٠٠)، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١١٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (رقم ٣٤) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/١٧٨).

الكتاتيب، ونقش في المحاريب: أن الله متكلم إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام، وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه، وتوقير نبيّه خيرًا»[1].

وقال أبو نصر السجزي: «وقد دلَّ القرآن على أن القرآن هو النطق، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] والإنصات عند العرب ترك النطق... فعلم بذلك أن السكوت والكلام لا يجتمعان في الوقت الواحد، في محل واحد»[2].

وقال ابن تيمية: «فثبت بالسُّنَّة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه»[3].

الأقسام:

السكوت له معنيان:

المعنى الأول: سكوت مقابل للكلام؛ سكت؛ أي: لم يتكلم.

والمعنى الثاني: سكوت عن إظهار الكلام، وهذا النوع هو الذي جاء في الأحاديث السابقة فالسكوت فيها بمعنى عدم إظهار حكم تلك الأشياء، ليس هو السكوت الذي هو ضد الكلام.

مذهب المخالفين:

أنكرت المعطّلة من الجهمية والمعتزلة والكلّابية والأشاعرة والكرامية أن يوصف الله بالسكوت كما يليق بجلاله، وقالوا باستحالة أن يوصف بخلاف الكلام[4].

وهذا قول باطل لمخالفته للأحاديث الصريحة في وصف الله عز وجل بالسكوت في مثل قوله ﷺ: «**وما سكت عنه فهو عفو**»، وإجماع الأمة على أن الله يوصف بالسكوت، وأن سكوته بعلم لا عن نسيان، وأنها من جنس الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله، فتُثبت في حق الله على وفق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى][5].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة عن أصول الديانة»، للأشعري.

٢ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٧٨).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (٢١٧ ـ ٢١٨) [طبعة الجامعة الاسلامية، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٧٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٦٣، ٢٩٧)، منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية (٣/٣٧٠) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، والإبانة للأشعري (٦٣) [دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٧٩).

٤ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٦ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٧ ـ «مجموع فتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

٩ ـ «رسالة السجزي إلى أهل زبيد».

السَّلام

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين واللام والميم معظم بابه الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشذ عنه والشاذ قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهلُ العلم: الله جلَّ ثناؤُه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، فالسلام: الله جلَّ ثناؤه، ودارُهُ الجنَّة. ومن الباب أيضًا الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع»[(١)]. وقال الأزهري: «السَّلام في لغة العرب أربعة أشياء، فمنها: سلّمتُ سلامًا مصدر سلّمت، ومنها: السلام جمع سلامة، ومنها: السَّلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى»[(٢)]، وقال الجوهري: «السلام: البراءة من العيوب»[(٣)].

التعريف شرعًا:

السَّلام: اسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، قال ابن كثير: «السلام؛ أي: من جميع العيوب والنقائص، بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله»[(٤)].

قال الطبري: «هو الذي يسلم خلقه من ظلمه»[(٥)]، وقال الأزهري: «السَّلام اسم الله، وتأويله ـ والله أعلم ـ: أنه ذو السلام الذي يملك السلام، هو تخليص من المكروه»[(٦)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي هو السلامة والعافية، والله ذو السلامة المطلقة، والمعافاة، وهو وحده يملك السلام والتخليص من المكروه، فللَّه تعالى الأتم والأعلى من المعنى اللغوي لهذه المادة، وهو ليس على الإطلاق إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) مقاييس اللغة (٤٨٧) [دار الفكر ط٢، ١٤١٨هـ]

(٢) تهذيب اللغة (١٢/٤٤٦) [الدار المصرية للتأليف].

(٣) الصحاح (٥/١٩٥١) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٤) تفسير ابن كثير (١٣/٥٠٢) [دار عالم الفوائد، ط١]، وانظر: شأن الدعاء (٤١) [دار الثقافة العربية، ط٣].

(٥) جامع البيان (١٤/٦٩) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٦) تهذيب اللغة (١٢/٤٤٦) [الدار المصرية للتأليف].

سبب التسمية:

سمى الله نفسه بالسلام؛ لأنه سلِم مما يلحق الخلق من آفات التغيير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي يُفني الخلق، ولا يفنى، ولأنه ذو السلام الذي يملك السلام، وهو التخليص من المكروه[١].

الحكم:

وجوب إثبات اسم: السلام لله ﷻ؛ لثبوت النص به من الكتاب والسُّنَّة.

الحقيقة:

قال ابن القيِّم في أحقية الله ﷻ بهذا الاسم من كل مسمى به: «لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجًا إلى ما يحمله أو يستوي عليه؛ بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته، وعن كل ما سواه... وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق، من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له، أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوّله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلام عما يتخيله مشبه، أو يتقوّله معطل فتأمل كيف تضمن اسمه (السلام) كل ما ينزّه عنه تبارك وتعالى، وكم ممن يحفظ هذا الاسم ولا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني»[٢].

الأدلة:

ورد اسم الله السلام صريحًا في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [الحشر]، كما ورد صريحًا في حديث: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا النبي ﷺ ذات يوم: «**إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»[٣]، وحديث كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[٤]، وورد في حديث

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/٤٤٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٦٠٢ ـ ٦٠٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، وانظر: فقه الأسماء الحسنى (١٩٠ ـ ١٩٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٨)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩١).

التصريح بأن السلام اسم من أسماء الله ﷻ وهو قوله ﷺ في حديث أنس: «**إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم**»[1].

أقوال أهل العلم:

اتفق المسلمون على أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، قال ابن جرير الطبري: «إن السلام اسم من أسماء الله»[2].

وقال ابن القيِّم: «قوله ﷺ: «**إن الله هو السلام**» صريح، فيكون السلام اسمًا من أسمائه»[3].

وقال سليمان آل الشيخ: «قوله: «**فإن الله هو السلام**». فهذا صريح في كون السلام اسمًا من أسمائه»[4].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لا يقال: السلام على الله:

للنهي الوارد عن ذلك في قول النبي ﷺ: «**لا تقولوا السلام على الله؛ فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات**»[5].

- المسألة الثانية: تسمية غير الله بالسلام:

قال ابن القيِّم: «ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى؛ فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى»[6].

الآثار:

من آثار الإيمان باسم السلام: العلم بأن الله لا يظلم أحدًا، حيث ذكر العلماء أن من معاني السلام: أن الله ذو السلام؛ أي: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه[7].

ومنها: أن الله ذو السلام؛ أي: المسلِّم على عباده في الجنة؛ كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس][8] فالله تعالى يتكلم حقيقة، ويسلِّم

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٤٣) [دار البشائر، ط٣]، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٣٥٨، رقم ١٨٤) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٢) تفسير الطبري (١/١٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) بدائع الفوائد (٢/١٤٢) [دار الكتاب العربي].

(٤) تيسير العزيز الحميد (٥٦٣) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٥).

(٦) تحفة المودود (١٢٥ ـ ١٢٧) [دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩٢هـ].

(٧) جامع البيان (١٤/٦٩).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٩٠).

على عباده في الجنة بصوت يسمع.

ومنها: أن الله متصف بصفات الكمال والجمال إذ لو لم يتصف بذلك لكان ناقصًا، ولم يكن سالمًا فضلًا عن أن يكون هو السلام، فالله هو السلام المنزه عن كل عيب وسوء، المتصف بجميع الصفات الكمال والجمال والجلال.

ومن آثاره أيضًا: أن يرجو العبد السلامة من الله وحده، وأن يدعو الله باسمه السلام، فيطلب منه السلامة في القول والعمل والاعتقاد، والنفس والمال والأولاد، لقول النبي ﷺ في دعائه: **«اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة» (ج٢)، للرضواني.

٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج١، ٢)، لابن القيِّم.

٣ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج١٣)، لابن كثير.

٤ ـ «جامع البيان» (ج١٤)، للطبري.

٥ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج٢٠)، للقرطبي.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج٤)، للنووي.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «الكافية الشافية» (ج٤)، لابن القيِّم.

١٠ ـ «المقصد الأسنى»، للغزالي.

(١) تقدم تخريجه.

السلام على النبي ﷺ

التعريف لغة:

السلام: مصدر الفِعل الثلاثي المزيد (سلَّم) ـ من التحية بالتسليم ـ، وهو دعاءٌ للإنسان بأن يسلَم من الآفات في دِينه ونَفسه، وهو أيضًا جمع (سَلامة). وهو اسمٌ من أسماء الله ﷻ؛ معناه: السالِم مما يلحَق المخلوقين من العَيب والنقص والفناء[(٢)].

التعريف شرعًا:

السلام على النبي ﷺ: دعاء له ﷺ بأن يسلمه الله ﷻ ويحصنه من جميع النقائص والآفات والمكاره، سلامة له ومعه ـ أي: مصاحبة وملازمة ـ في حياته ﷺ وبعد موته، ولشرعه وسُنَّته: أن يحفظهما من أن تنالهما أيدي العابثين.

فمعنى «اللَّهُمَّ سلم على محمد»؛ أي:

(٢) انظر: الصحاح (٥/١٩٥١) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/٤٤٦) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٣/٩٠) [دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ].

اللَّهُمَّ اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص؛ فتزداد دعوته على مر الأيام علوًّا، وأمته تكاثرًا، وذكره ارتفاعًا[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لم يختلف المعنى اللغوي للسلام عن معناه على لسان الشرع؛ فالسلام لغة وشرعًا: دعاء بالسلامة من جميع الآفات؛ فيظهر بهذا التناسب والتوافق بين المعنيين.

الحكم:

السلام على النبي ﷺ كالصلاة عليه حكمًا ومنزلة. ويستحب ـ بلا نزاع ـ الجمع بين الصلاة على النبي ﷺ والتسليم عليه؛ فلا يقتصر الداعي على أحدهما؛ فيقول ـ مثلًا ـ: «صلى الله عليه» فقط، أو: «عليه السلام» فقط؛ وإنما يقول: «صلى الله عليه وسلم تسليمًا» ونحوها؛ كما هو ظاهر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]؛ إذ بالجمع بينهما وضمهما ـ كما في التشهد وغيره ـ يحصل المطلوب ويزول المرهوب؛ فبالسلام يزول المرهوب وتنتفي النقائص، وبالصلاة يحصل المطلوب وتثبت الكمالات.

فإن اقتصر الداعي على الصلاة دون التسليم دائمًا، أو العكس ـ بحيث جعله ديدنًا له ـ فيكره؛ لإخلاله بالأمر الوارد بالإكثار منهما والترغيب فيهما، أما إن كان يصلي تارة ويسلم أخرى، من غير إخلال بواحدة منهما؛ فلا كراهة، لكنه خلاف الأولى والمستحب؛ إذ الجمع بينهما مستحب لا نزاع فيه[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة السلام على النبي ﷺ: أنها إخبار من الله تعالى لعباده «بمنزلة عبده ونبيّه ﷺ عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/٦٢٦) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٤/١١٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٢/٣١٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والقول البديع للسخاوي (١٦٤) [دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/٧٩) [المطبعة المنيرية]، والشرح الممتع لابن عثيمين (١/١١، ٣/١٤٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: الأذكار للنووي (٩٨) [دار الملاح، ١٣٩١هـ]، وشرحه على صحيح مسلم (١/٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/٤٧٩) [دار طيبة، ط٢]، وفتح الباري لابن حجر (١١/١٦٧)، وفتح المغيث للسخاوي (١/١٠، ٣/٤٨) [دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ]، والقول البديع له (١٥٨، ١٦٣)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٤٩) [المكتب الإسلامي، بيروت]، والتحرير والتنوير (٢٢/١٠١) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م]، والشرح الممتع لابن عثيمين (١/١١).

الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا!»[(١)].

الأدلة:

دلَّ على فضل السلام على النبي ﷺ - مع الصلاة عليه - وعلوِّ منزلتهما: الكتاب، والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الأمة:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده! السلام على فلان وفلان! فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام؛ ولكن قولوا: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**» الحديث[(٢)]، وقال ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**»[(٣)]، وقال أيضًا ﷺ: «**ما من أحد يسلِّم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**»[(٤)]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «صلاة الله عليه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء»[(٥)].

وقال ابن القيِّم - في معرض كلامه على سلام الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، ومجيئه بلفظ النكرة -: «سلام من الله سبحانه كاف من كل سلام، ومغن عن

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٧)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٥٦)، والقول البديع (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٥)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/ ٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، وجود العراقي إسناده في المغني عن حمل الأسفار (٣٦٧) [دار ابن حزم، ط١]، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٦٦).

(٥) علقه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٨٠) [المكتبة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ]، ووصله: ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في فتح الباري (٨/ ٥٣٣)، والدر المنثور للسيوطي (١٢/ ٧٢) [مركز هجر، ط١، ١٤٢٤هـ]، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة (٩٥) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٧٧م]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة.

كل تحية، ومقرب من كل أمنية، فأدنى سلام منه ـ ولا أدنى هناك ـ يستغرق الوصف، ويتم النعمة، ويدفع البؤس، ويطيب الحياة، ويقطع مواد العطب والهلاك!»[(١)].

وقال أيضًا: «الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله؛ فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله؛ كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه! فهي متضمنة لكل الإيمان؛ بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته! ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان؛ فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له؛ فكانت من أفضل الأعمال»[(٢)].

وقال ابن عثيمين: «فمعنى التسليم على الرسول ﷺ: أننا ندعو له بالسلامة من كل آفة. وإذا قال قائل: قد يكون هذا الدعاء في حياته ﷺ واضحًا، لكن بعد مماته كيف ندعو له بالسلامة وقد مات ﷺ؟

فالجواب: ليس الدعاء بالسلامة مقصورًا في حال الحياة، فهناك أهوال يوم القيامة، ولهذا كان دعاء الرسل إذا عبر الناس على الصراط: «**اللَّهُمَّ، سلِّم، سلِّم**»، فلا ينتهي المرء من المخاوف والآفات بمجرد موته. إذًا؛ ندعو للرسول ﷺ بالسلامة من هول الموقف، ونقول أيضًا: قد يكون بمعنى أعم؛ أي: أن السلام عليه يشمل السلام على شرعه وسُنَّته، وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين؛ كما قال العلماء في قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قالوا: إليه في حياته، وإلى سُنَّته بعد وفاته»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من آداب الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

ذكره العلماء في كتب المصطلح وآداب طالب الحديث أنه[(٤)]: ينبغي على طالب العلم والناسخ ونحوهما المحافظة على كتابة الصلاة والتسليم على

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٦٥١)، بتصرف يسير.
(٢) جلاء الأفهام (٥٣٤).
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ].
(٤) انظر ـ مثلًا ـ: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٣٩)، ورسوم التحديث في علوم الحديث (١٢٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط١]، وفتح المغيث (٣/ ٤٣، ٤٧)، وتدريب الراوي للسيوطي (١/ ٥٠٣) [مكتبة الكوثر، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ].

رسول الله ﷺ كلما كتبه، ولا يسأم من تكراره ـ وإن لم يكن في الأصل ـ، ويستحب التلفظ بهما بلسانه مع ذلك أيضًا؛ فإن ذلك من أكثر الفوائد التي يتعجلها طالب الحديث، ومن أغفل ذلك فقد حرم حظًّا عظيمًا! وأنه يكره الاقتصار على الصلاة دون التسليم، ويكره أيضًا اختصار الصلاة والسلام والرمز لهما ـ بحرف أو حرفين ـ بنحو: صلعم، أو: ص، ونحوهما ـ كما يفعل الكسالى وعوام الطلبة ـ؛ بل يكتب الصيغة بكمالها.

ـ المسألة الثانية: معنى تسليم الله ﷻ على أوليائه:

استشكل بعض الناس تسليم الله تعالى على أنبيائه ورسله وعباده، في مثل قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [الصافات]، وقوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [الصافات]، وغير هذا من الآيات، وقالوا: السلام طلب ودعاء؛ فكيف يتصور من الله ذلك؟! فالدعاء منه سبحانه وتعالى مستحيل و«غير معقول في حق الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له ـ يعني: لنبيه ﷺ ـ؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث!»[1].

والجواب عن هذا بأن يقال[2]: الدعاء طلب، والطلب يتضمن أمورًا ثلاثة: طالبًا، ومطلوبًا، ومطلوبًا منه، ولا تتقوم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئًا من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالبًا من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأن الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئًا؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعله؛ فكذلك يطلب من نفسه، والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولًا أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها ـ والأمر والنهي طلب، مع أن فوقه آمرًا وناهيًا ـ؛ فكيف يستحيل ممن لا آمر فوقه ولا ناهي أن يطلب من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه؟! كما كتب ربنا سبحانه وتعالى على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرم عليها الظلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالسلام من الله تعالى على أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ طلب من نفسه لهم بالسلامة؛ فلا يشكل عليه بما ذكر. والحمد لله ربِّ العالمين.

ـ المسألة الثالثة: حكم الصلاة والسلام على غير الأنبياء:

هل السلام في معنى الصلاة؛ فيكره

---

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١٨٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٦٤٢).

أن يقال: السلام على فلان ـ استقلالًا ـ، أو يقال: فلان عليه السلام؟ اختلف في ذلك، بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي والميت الحاضر على سبيل المخاطبة؛ فيخاطب به فيقال: سلام عليكم، أو: السلام عليكم، ونحو هذا[(١)]:

فكره ذلك طائفة ـ منهم: أبو محمد الجويني ـ، سواء في هذا الأحياء (الغائبون) والأموات.

والصحيح ـ وهو مذهب الجمهور ـ: أن السلام غير الصلاة؛ «فالسلام يشرع في حق كل مؤمن ـ حي وميت، وحاضر وغائب ـ؛ فإنك تقول: بلغ فلانًا مني السلام، والسلام تحية أهل الإسلام. بخلاف الصلاة؛ فهي شعار خاص بالأنبياء، وهي من حقوق النبي ﷺ وآله؛ ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يقول: الصلاة علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فظهر الفرق بينهما»[(٢)]. والله أعلم.

إلا أنه قد استقر اصطلاح أهل العلم على قصر التسليم في الغيبة على النبي ﷺ، وإخوانه من الأنبياء والرسل، والملائكة، لا يشركهم فيه غيرهم من عباد الله الصالحين إلا على سبيل التبع ـ كما في التشهد ـ؛ فلا يسلم على معين غيرهم في غيابه على سبيل الاستقلال.

وليس القصد من هذا الاصطلاح التحريم؛ ولكنه اصطلاح وتمييز لمراتب الخلق؛ كما قصروا الرضا على الأصحاب، وكلمات الإجلال، نحو: (تبارك وتعالى)، و(جلَّ وعلا) ـ على الخالق تعالى دون الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وهذا خلاف للشيعة؛ فإنهم يذكرون التسليم على علي وفاطمة وآلهما؛ بقصد الغض من الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم! وهذا مخالف لعمل السلف؛ فلا ينبغي اتباعهم أو الاقتداء بهم في ذلك[(٣)].

واختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء والملائكة، بعد اتفاقهم على مشروعية الصلاة على آل النبي ﷺ بالتبع معه ﷺ[(٤)]:

---

(١) انظر: الأذكار للنووي (١٠٠)، وشرحه على صحيح مسلم (٤/ ١٢٨، ٧/ ١٨٥)، والمجموع له (٦/ ١٧٢)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٨، ٤١١)، وجلاء الأفهام (٥٤٩)، وفتح الباري (١١/ ١٧٠).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (٥٤٩)، بتصرف.

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠٣).

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٦٥٩) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، والأذكار للنووي (٩٩)، وشرحه على صحيح مسلم (٤/ ١٢٧، ٧/ ١٨٥)، والمجموع له (٦/ ١٧١)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٧)، ومختصر الفتاوى المصرية للبعلي (٢٧٢) [مطبعة المدني، مصر، ١٤٠٠هـ]، والأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام (٨٤) [دار العاصمة، ط١]، وهو في الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٣٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]، وجلاء =

فذهب جماعة ـ منهم: الحسن البصري، وخصيف، ومجاهد، ومقاتل، وهو مذهب: الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والطبري وغيرهم ـ إلى جواز ذلك؛ فقالوا: تجوز الصلاة على غير النبي ﷺ وآله.

واحتج هؤلاء بعدد من الأدلة؛ منها: قوله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ففي الآية أمر من الله تعالى لنبيِّه ﷺ بالصلاة على من أخذ من أموالهم صدقة، لتكون لهم تزكية ورحمة، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وبما ثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللَّهُمَّ صلِّ على آل فلان**»؛ فأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللَّهُمَّ صلِّ على آل أبي أوفى**»[(١)]، فهذا عام، وظاهر في أنه هو المراد من الآية السابقة. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن امرأة قالت للنبي ﷺ: صلِّ علي وعلى زوجي ـ وفي رواية أنها امرأة جابر ـ؛ فقال النبي ﷺ: «**صلّى الله عليك وعلى زوجك**»[(٢)]. إلى غير ذلك من الأدلة التي تراجع في مظانها.

وذهب الجمهور ـ ومنهم: الإمام مالك، وأبو حنيفة، وأصحاب الشافعي، والسفيانان، وهو مذهب: ابن عباس، وطاووس، وعمر بن عبد العزيز ـ إلى عدم جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا؛ فلا يلحق بهم غيرهم؛ فلا يقال: قال أبو بكر صلى الله عليه، أو: قال علي صلّى الله عليه، وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: قال محمد ﷻ ـ وإن كان عزيزًا جليلًا ـ؛ لأن هذا من شعار ذكر الله ﷻ.

وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسُّنَّة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته، ممن وردت الصلاة في خصوصهم.

ويمكن أن يقال أيضًا في الرد على

= الأفهام (٥٣٧، ٥٤٦ ـ ٥٧٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٧) [دار طيبة، ط٢]، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٣٤)، والقول البديع للسخاوي (١٣٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٩٧)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٥٣٣)، وأحمد (٢٣/ ٤٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ٤٦)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٦)، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٩٨) [دار المعرفة]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٧٢) [مؤسسة غراس، ط١].

أدلتهم: أنه لا نزاع أن النبي ﷺ يصلي على غيره؛ وإنما النزاع في صلاة غيره على غيره منفردًا ﷺ.

وعلَّل بعضهم المنع وعدم الجواز: بأن الصلاة على غير الأنبياء صارت من شعار أهل الأهواء والبدع ـ كالشيعة ـ؛ يصلُّون على من يعتقدون فيهم؛ فلا يقتدى بهم في ذلك!

ثم اختلفوا ـ أي: الجمهور المانعين ـ: هل المنع من باب التحريم، أو الكراهة التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ والصحيح ـ الذي عليه الأكثرون ـ: أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود[(١)].

الفروق:

الفرق بين الصلاة على النبي، والسلام عليه، والتبريك عليه ﷺ:

معنى صلاة الله تعالى على نبيِّه ﷺ: ثناؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتكريمه.

وتقدم أن معنى السلام عليه: دعاء الداعي له بأن يسلمه الله ﷻ ويحصنه من جميع النقائص والآفات والمكاره، في حياته وبعد موته.

ومعنى البركة والتبريك عليه[(٢)]: الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: الثبات على ذلك ـ من قولهم: بركت الإبل؛ أي: ثبتت على الأرض، ومنه: بركة الماء ـ وقيل: التزكية والتطهير من العيوب كلها.

فالتبريك يجمع بين: الزيادة والدوام والثبات؛ فمعنى «وبارك على محمد وعلى آل محمد»: اللَّهُمَّ أثبت وأدم ذكر محمد ودعوته وشريعته، وما أعطيته من التشريف والكرامة، وضاعفه وزده، وكثِّر أتباعه وأشياعه.

فحاصله: أن يعطوا من الخير أوفاه، وأن يثبت ذلك لهم ويستمر دائمًا.

الثمرات:

ثمرات وفضائل الصلاة على النبي ﷺ أكثر من أن تُحصى ـ وكثير منها لا يثبت بدليل صحيح ـ[(٣)]؛ ومنها: رفع الدرجات، ومحو السيئات، وصلاة الله تعالى على العبد، وأنها سبب لغفران الذنوب، ونيل الرحمات والبركات، وكفاية الله العبد ما أهمه، وأنها سبب لقضاء الحوائج، وغير ذلك.

وتاركها متعرض للعقوبات الكثيرة[(٤)]؛

---

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٥٧٣).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ١٢٥، ١٢٦)، والنهاية لابن الأثير (١/ ١٢٠)، وجلاء الأفهام (٣٥٤)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ١٦٢)، والقول البديع (٢١١).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (٥٢١ ـ ٥٣٦)، والقول البديع للسخاوي (٢٣٥ ـ ٣٠١).

(٤) انظر: القول البديع للسخاوي (٣٠٢ ـ ٣٢٢).

ومنها: الدعاء بالإبعاد وحصول الشقاء، ووصفه بأنه أبخل الناس، وأنه يتحسر يوم القيامة، إلى غير ذلك من العقوبات والخسارات!

مذهب المخالفين:

تقدم أن التفسير المشهور للصلاة على النبي ﷺ عند المتأخرين هو: الرحمة، وقد رد طائفة من الناس هذا التفسير ـ وهو مردود لكن بغير هذا ـ بحجة أن الرحمة معناها: رقة القلب أو الطبع، وهذا المعنى مستحيل في حق الله تعالى! كما أن الدعاء منه سبحانه مستحيل[(١)] و«غير معقول في حق الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له ـ يعني: لنبيِّه ﷺ ـ؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث!»[(٢)].

والجواب عن هذا الادعاء أن يقال[(٣)]: الدعاء طلب، والطلب يتضمن أمورًا ثلاثة: طالبًا، ومطلوبًا، ومطلوبًا منه، ولا تتقوم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئًا من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالبًا من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأن الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئًا؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعله؛ فكذلك يطلب من نفسه، والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولًا أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها، والأمر والنهي طلب، مع أن فوقه آمرًا وناهيًا، فكيف يستحيل ممن لا آمر فوقه ولا ناه أن يطلب من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه!؟ كما كتب ربنا ﷻ على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرم عليها الظلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالصلاة من الله تعالى على نبيِّه ﷺ طلب من نفسه له بالثناء عليه وتعظيمه وتكريمه؛ فلا يشكل عليها بما ذكر. والحمد لله ربِّ العالمين.

وقد اتخذ أهل الأهواء والبدع ـ كالشيعة وغيرهم ـ الصلاة والسلام على من يعتقدون فضلهم شعارًا تميزوا به عن غيرهم؛ فالشيعة ـ مثلًا ـ لا يصلّون ولا يسلّمون إلا على علي وفاطمة وآلهما؛ بقصد الغض من الخلفاء الراشدين والصحابة ﷺ[(٤)]! وهذا

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٧٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٥/١٨٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٦٤٢).

(٤) انظر في تكفير الرافضة لعموم الصحابة: الكافي للكليني (٨/٢٠٥، ٢٣٦، ٢٤٦) [دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ]، وتفسير العياشي (١/١٩٩) [المكتبة العلمية، طهران]، والبرهان في تفسير القرآن =

مخالف لعمل السلف؛ فلا ينبغي اتباعهم أو الاقتداء بهم في ذلك؛ فإن الصلاة والسلام من باب التعظيم والتكريم، والشيخان ـ أبو بكر وعمر ـ وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك من علي! رضي الله عنهم[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٦).

٢ ـ «تفسير السعدي».

٣ ـ «التمهيد» (ج١٦)، لابن عبد البر.

٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٤)، للقرطبي.

٥ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيِّم.

٦ ـ «الشفا» (ج٢)، للقاضي عياض.

٧ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٨ ـ «القول البديع»، للسخاوي.

٩ ـ «المحرر الوجيز» (ج٧)، لابن عطية.

= للبحراني (١/٣١٩) [طبعة طهران، ط٢]، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (١/٨١) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ]. وانظر أيضًا: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٧٦١) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والفَرق بين الفِرق للبغدادي (٣٢١) [مطبعة المدني، القاهرة]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٧١٦)، ومباحث المفاضلة في العقيدة للشظيفي (٣٠٢) [دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/٦٦٤)، وجلاء الأفهام لابن القيِّم (٥٧٣)، وتفسير ابن كثير (٦/٤٧٨)، والتحرير والتنوير (٢٢/١٠٣).

١٠ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج٢)، للحليمي.

السَّلَف

التعريف لغة:

السَّلَف: جمع سالف، والسالف: المتقدم، والسلف: الجماعة المتقدمون، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف]؛ أي: جعلناهم سلفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون[2].

قال ابن فارس: «السين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»[3].

التعريف اصطلاحًا:

وفي الاصطلاح: هم أصحاب النبي ﷺ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، التي أثبت النبي ﷺ لها الخيرية[4].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/٢٩٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، ومقاييس اللغة (٣/٩٥) [دار الجيل].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٩٥).

(٤) ينظر: درء التعارض (٧/١٣٤) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠١هـ]، والتحف في مذاهب السلف للشوكاني (٤، ٦، ٨ مطبوع ضمن الرسائل السلفية) [دار الكتب العلمية، ١٣٤٨هـ]، ولوامع الأنوار (١/٢٠، ٦٥) [دار المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ]، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد =

المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي أخص من المعنى اللغوي.

سبب التسمية:

مما تقدم يتضح سبب التسمية بهذا الاسم، وذلك أنه متعلق بالصحابة والتابعين وتابعيهم، من أهل القرون الثلاثة المفضلة، وهم متقدمون في الزمن عمن بعدهم، وذلك معنى السلف في اللغة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنَّة والجماعة، الجماعة، أهل الحديث، أهل الأثر، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، السواد الأعظم.

الحكم:

يجب اتباع مذهب السلف؛ لأنه المذهب الحق المستمد من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، والسالم من شوائب البدع والمقالات، ولا يجوز العدول عنه لمذهب الخلف، فمذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.

الحقيقة:

مما ينبغي التأكيد عليه أن مفهوم السلف لا يتعيَّن بمجرد إدراك الفترة الزمنية المتقدمة، إذ قد يدرك تلك الفترة أقوام لا تصح نسبتهم إلى السلف؛ كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة، ونحوهم من أهل البدع والأهواء، فهؤلاء كلهم ظهروا في تلك الفترة الخيرة، وليسوا من السلف، إذ من شرط استحقاق هذا اللقب موافقة الكتاب والسُّنَّة، والأخذ بهما، والصدور عنهما، والاعتماد عليهما، والعمل بمقتضاهما وهو ما تمثله أصحاب النبي ﷺ، ولهذا لما سُئل النبي ﷺ عن الفرقة الناجية قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)].

وأخرج ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(٢)].

فالسلف إذًا: الصحابة والتابعون وتابعوهم ممن لم يرمَ ببدعة، ولهذا قال

= للفوزان (٢/ ١٥٢) [دار الرسالة، ط٢].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧) [دار الكتب العلمية]، وسنده ضعيف.
وأورده البغوي في شرح السُّنَّة (١/ ٢١٤) [دار المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ].

السفاريني: «المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرضي، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة ونحو هؤلاء»[(١)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» متفق عليه[(٢)].

وجاء نحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه[(٣)].

وقال ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

جاء إطلاق لفظ: (السلف) على الصحابة، كما في قول عبد الله بن المبارك: «دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف»[(٥)].

كما جاء إطلاقه على التابعين مع من قبلهم من الصحابة، كما في قول الأوزاعي: «عليك بأثر من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول»[(٦)].

كما جاء إطلاق لفظ السلف على أهل القرون الثلاثة المفضلة، كما في قول ابن رجب: «وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

- حكم الانتساب إلى مذهب السلف:

جاء في «الأنساب» للسمعاني:

---

(١) لوامع الأنوار (١/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٥).

(٤) أخرجه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٢٨/ ٣٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب العلم، رقم ٩٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٥) مقدمة صحيح مسلم (٢٠٤) [دار القلم].

(٦) الشريعة للآجري برقم (١٢٧) (١/ ٤٤٥) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٧) فضل علم السلف على الخلف (٣٠) [دار البيان، ط١، ١٤١٣هـ].

«السلفي: بفتح السين واللام، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سُمِعَت منهم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «درء التعارض»، لابن تيمية.

٢ ـ «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

٣ ـ «التحف في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٤ ـ «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٥ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

٦ ـ «المباحث العقدية في حديث افتراق»، الأمم، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٧ ـ «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

٨ ـ «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.

٩ ـ «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

سلمان الفارسي رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

أبو عبد الله سلمان الفارسي الرامهرمزي، ويقال له: سلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام[(٣)]، وتوهم بعضهم فظن أن سلمان الفارسي غير سلمان الخير، ففرق بينهما وهما اسمان لمسمى واحد[(٤)]، وسبب هذا الوهم أن سلمان الفارسي يطلق عليه سلمان الخير، وسلمان الفارسي، وهما اسمان لشخص واحد.

مولده ووفاته:

توفي سلمان الفارسي في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن[(٥)]، واختلف في تحديد سنة وفاته؛ فقيل: مات سنة ست وثلاثين[(٦)]، وقيل: خمس وثلاثين،

(١) الأنساب (٣/ ٢٧٣) [دار ابن الجنان، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٩).

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٣٤) [دار الجيل، ط١]، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١٤١) [دار الجيل، بيروت، ط١].

(٤) انظر: الثقات لابن حبان (٣/ ١٥٧) [دار الفكر، ط١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١٤١، و٢٩٣).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٣٨)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥).

ورجح هذا ابن عبد البر[(١)]، وقال ابن حجر: «مات سنة ست وثلاثين في قول أبي عبيد، أو سبع في قول خليفة... عن أنس: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود، ومات ابن مسعود قبل سنة أربع وثلاثين، فكأنه مات سنة ثلاث أو سنة اثنتين»[(٢)]، ولكنه جزم في التقريب بأنه مات سنة أربع وثلاثين[(٣)].

إسلامه:

كان سلمان الفارسي يبحث عن الدين الحق، وفي سبيل تحريه إياه وطلب الوصول إليه لحقته محن وابتلاءات، حيث استعبد وصار يباع ويشترى، حتى وصل إلى بضعة عشر رجلًا، كما جاء في البخاري عن سلمان أنه «تداوله بضعة عشر، من ربّ إلى ربّ»[(٤)]. قال ابن عبد البر: «وكان سلمان يطلب دين الله تعالى، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات نالته، وذلك كله مذكور في خبر إسلامه»[(٥)].

ولكنه في نهاية المطاف تحقق له مطلبه ولقي النبي ﷺ العربي فأسلم، وصار من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم، وقد ساق ابن إسحاق[(٦)] بإسناد حسن[(٧)] قصة إسلام سلمان الفارسي بطولها، ومن طريقه مع بعض الاختلاف في المتن رواه الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه حديثه من فيه، قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها جي، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِنَ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشُغل في بنيان له يومًا، فقال لي: يا بني، إني قد شُغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٨).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/١٤١).
(٣) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٢٤٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩٤٦).
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٤).
(٦) انظر: كتاب المغازي لابن إسحاق (٨٨ ـ ٩١) [دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ]، والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٥٦).
(٧) انظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/١٢١) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ].

يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته، قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، قال: فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبه من

قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله ﷻ ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلًا بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجرًا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجارًا، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم فأعطيتموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من

رجل من يهود عبدًا، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء، حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوَّل»، فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر، وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «**كاتب يا سلمان**»، فكاتبت صاحبي على ثلاث

مائة نخلة أحييها له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**»، فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر؛ يعني: الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**» قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب؟**»، قال: فدعيت له، فقال: «**خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان**»، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «**خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك**»، قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفُتْني معه مشهد»[1].

فضائله:

سلمان الفارسي هو أحد الصحابة الكرام، وقد جاء ما يدل على فضله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: **لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال أو رجل من هؤلاء**»[2].

- أنه ممن يؤتى أجره مرتين:

فقد روى الإمام ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [القصص] قال: «كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الأول، واتّباعهم محمدًا ﷺ، وصبرهم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٤٠ ـ ١٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، قال ابن حجر: «ورويت قصته من طرق كثيرة من أصحها ما أخرجه أحمد من حديثه نفسه». الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١١٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٦).

على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام»[(١)].

وأشار ابن حجر إلى تصحيحه من جهة المعنى فيما يبدو، فقال: «والذي في تفسير الطبري وغيره عن قتادة أنها نزلت في عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، وهذا مستقيم؛ لأن عبد الله كان يهوديًّا فأسلم كما سيأتي في الهجرة، وسلمان كان نصرانيًّا فأسلم»[(٢)].

قال ابن عبد البر: «وله أخبار حسان وفضائل جمة رضي الله عنه»[(٣)].

وأما حديث: «**سلمان سابق فارس**»[(٤)]، وحديث: «**سلمان منا أهل البيت**»؛ فهما ضعيفان[(٥)].

مكانته:

كانت له مكانة رفيعة ومنزلة عالية، قال الذهبي: «وكان لبيبًا، حازمًا، من عقلاء الرجال، وعبادهم، ونبلائهم. قال

(١) تفسير الطبري (١٨/٢٧٨) [دار هجر، ط١].

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٩١) [دار المعرفة].

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/٣١٨) [دار صادر، ط١]، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣٢٣٢٩)، عن الحسن مرسلًا، وله طرق أخرى لا يثبت منها شيء. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٢٩٥٣).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٥٤١)، وسنده ضعيف جدًّا، وله طرق أخرى واهية. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٣٧٠٤).

يحيى بن حمزة القاضي: عن عروة بن رويم، عن القاسم أبي عبد الرحمٰن حدثه، قال: زارنا سلمان الفارسي، فصلى الإمام الظهر، ثم خرج وخرج الناس، يتلقونه كما يتلقى الخليفة، فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر، وهو يمشي، فوقفنا نسلم عليه، فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه أن ينزل به»[(٦)].

موقف المخالفين منه:

يغلو الشيعة ـ بشتى طوائفهم ومختلف أسمائهم ـ في سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ لزعمهم أنه من الصحابة القلائل الذين ناصروا وشايعوا عليًّا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عصر الخلفاء الثلاثة الأُوّل، **ومن هؤلاء الطوائف**:

الرافضة: غلا الروافض في سلمان الفارسي رضي الله عنه غلوًّا شديدًا، فأطلقوا عدة ادعاءات؛ **منها**:

زعمهم أن سلمان كان مؤمنًا وكان يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان قبل مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بأربعمائة وخمسين سنة، وأنه لم يكن قط على دين المجوسية، وأن الجنة تشتاق إليه[(٧)].

زعموا أنه بحر العلم، وأنه كان يعلم كل العلوم أولها وآخرها وظاهرها وباطنها

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٥٠٥).

(٧) نفس الرحمٰن في فضائل سلمان، لحسين النوري الطبرسي (١٠٣).

وسرها وعلنها؛ بل وضعوا روايات نسبوا بعضها إلى النبي ﷺ وفيها أنه ﷺ أُمر أن يطلع سلمان على علم المنايا والبلايا(١) والأنساب وفصل الخطاب(٢).

وزعموا أنه كان يعترض على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويدعو إلى مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزعموا أنه روى روايات عن النبي ﷺ، مفادها أن علي بن أبي طالب وصي النبي ﷺ(٣). وجعلوا له بالمدائن ضريحًا يزار(٤).

الرد عليهم:

كل ما نسبه الروافض إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه ليس له حجة تسنده وبرهان يسعفه؛ بل هو غلو مقيت، قائم على الدجل والتخرص، قادتهم إليه العصبية الحمقاء والمذهبية العمياء، أما زعمهم أنه كان مؤمنًا وداعية إلى الله ولم يكن على دين المجوسية قبل إسلامه بنحو أربعمائة وخمسين سنة فهو دجل مكشوف وكذب صراح، يرده ما ثبت في قصة إسلامه السابقة تحت فقرة: (إسلامه)، وهو قوله: «واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِنَ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة»، وهذا غير قادح فيه بعد إسلامه رضي الله عنه.

أما زعمهم أن لسلمان علمًا محيطًا بكل معلوم فهو تكذيب صريح لمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما زعمهم أن هذا العلم المحيط بكل شيء حصل لسلمان رضي الله عنه بتعليم النبي ﷺ إياه، فهو باطل أيضًا؛ لقول الله في حق نبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فإذا كان سيد الخلق لا يعرف الغيب فكيف يخبر به غيرَه؟

ومثل هذا في البطلان ما نسبوه إلى سلمان رضي الله عنه من الاعتراض على خلافة الصديق رضي الله عنه، والدعوة إلى مبايعة علي رضي الله عنه وأنه وصي رسول الله ﷺ، كلُّها أكاذيب مختلقة وروايات منحوتة، انفرد بها الروافض المبطلون لإثبات عقائدهم الزائفة.

---

(١) ربما يقصد بالمنايا والبلايا: إطلاعه على ما يجري على بعض الناس، كذا ذكر بعض الرافضة، انظر: سلمان سابق فارس لمحمد جواد آل الفقيه (١٥١) [دار الفنون، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت].

(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/٣٤٧) [تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ]، ونفس الرحمٰن في فضائل سلمان لحسين الطبرسي (٢٠٩ ـ ٢١١) [تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الآفاق، ط١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: رسائل المرتضى (٤/٩٣) [إعداد: السيد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم، ط١، ١٤١٠هـ]، ونفس الرحمٰن في فضائل سلمان لحسين النوري الطبرسي (٢٧٣ ـ ٢٧٦).

(٤) انظر: معجم البلدان للحموي (٥/٧٥) [دار صادر]، ومسالك الأفهام للملقب بالشهيد الثاني (٢٢) [مؤسسة المعارف الإسلامية، قُم، ط١، ١٤١٣هـ].

وأما جعلهم على قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ضريحًا يزار، فهو دليل من أدلة كثيرة على عصبيَّتهم الحمقاء، وأنهم عباد القبور لا صلة لهم بسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي شهد له نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والإيمان.

النصيرية: غلت النصيرية في سلمان الفارسي رضي الله عنه غلوًّا شديدًا؛ حيث جعلوه أحد مكونات عقيدة الثالوث التي يؤمنون بها، ويرمزون لها بالأحرف التالية: (ع م س) فالعين يقصدون به عليًّا رضي الله عنه، ويدّعون أن الذات الإلٰهية متشخصة بالمعنى وهو علي، والميم: محمد صلى الله عليه وسلم، ويدّعون أنه العقل الكلي، والسين: سلمان الفارسي رضي الله عنه، ويزعمون أنه النفس الكلية المنبثقة عن العقل الكلي، وهو الذي خلق السماوات والأرض، وخلق أيضًا الأيتام الخمسة وهم المقداد، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، وقنبر بن داكان، وهؤلاء قائمون بشؤون الكون في زعمهم[١]، وأن سلمان هو الباب الذي لا يمكن الوصول إلى الله إلا منه، وكذا أنه الباب الذي علّم عليٌّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم القرآن على لسانه بصفته جبرائيل؛ لأن سلمان ـ حسب عقيدة التناسخ ـ كانت له أسماء مختلفة على مر العصور، فهو روح القدس جبرائيل، والعزيز الأعلى سلمان، ونور الله، وسر وجود الوجود، وإليه البعث والنشور[٢].

الرد عليهم:

لا يشك عاقل في أن هذه الادعاءات كلها غاية في البطلان، ولا ينطلي أمرها على كل ذي بصيرة؛ لظهور فسادها؛ **لما يلي**:

أولًا: أن البشر كلهم ـ إلا القليل الشاذ المكابر ـ مفطورون على الإقرار بأن الخلق والملك والتدبير لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

فدعوى أن هناك خالقًا مع الله، سواء كان ملكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلًا، أو وليًّا صالحًا، هي دعوى فاسدة كاسدة.

ثانيًا: زعمهم أن عليًّا علم محمدًا القرآن بلسان سلمان، وأن سلمان هو الباب الذي لا يمكن الوصول إلى الله إلا به هو هذيان محض وتخرص واضح

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب (٤٣٢).

(٢) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٣٤٧، و٣٦٠ ـ ٣٦٢، و٤٣٢).

يردُّه صريح القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾﴾ [النجم] فالقرآن نزل من عند الله لا من علي بن أبي طالب، ونزل به جبريل على النبي محمد لا سلمان الفارسي.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٢)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٣)، لابن حجر.

٣ ـ «الثقات» (ج٣)، لابن حبان.

٤ ـ «سيرة ابن هشام» (ج٢).

٥ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» (ج١)، لأكرم ضياء العمري.

٦ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٧)، لابن سعد.

٧ ـ كتاب «المغازي»، لابن إسحاق.

٨ ـ «ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية»، لمحمد بن عبد الله العوشن.

٩ ـ «مرويات غزوة الخندق»، لإبراهيم محمد المدخلي.

١٠ ـ «مسند الإمام أحمد» (ج٣٩).

سليمان عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: «سليمان بن داود بن إيشا بن عويذ ـ وقيل: ابن عويد ـ بن ناعر ـ وقيل: ابن باعز ـ بن سلمون بن يحشون ـ وقيل: ابن نحشون ـ بن عميناذب بن إرم بن خضرون ـ وقيل: ابن حصرون ـ بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[1].

معنى اسمه لغة:

سليمان: اسم أعجمي عبراني معناه رجل السلام، وتكلمت به العرب، ولما جاء الإسلام وانتشر سمي به[2].

نبوته:

دلَّت النصوص على نبوة سليمان عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/ ٢٣٠) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، والبداية والنهاية (٢/ ٣٢٣) [دار هجر، ط١]، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/ ٢٨٥) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ].

(٢) المعرب من كلام الأعجمي للجواليقي (١٠٦ ـ ١٠٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (٣٨١ ـ ٣٨٢) [دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ].

شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل]، فالآية الأولى دلَّت على نبوته من **جهتين**؛ **الأولى:** أن الله آتى داود وسليمان علمًا وهو علم النبوة، **والأخرى:** أنه فضلهما على كثير من العباد، ولذا قال ابن كثير في الآية: «يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان ـ عليهما من الله السلام ـ من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾»[(١)].

والآية الثانية دلَّت على نبوته من جهة إثبات إرث سليمان لداود عليه السلام، وهذا الإرث هو إرث النبوة وليس إرث مال؛ لأن الأنبياء لا يورّثون مالًا؛ بل ما تركوه يكون صدقة، لما ثبت عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[(٢)]. وعن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمٰن بن عوف وطلحة والزبير وسعد: «نشدتكم بالله الذي تقوم السماء والأرض به أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنا لا نورث، ما تركنا صدقة**» قالوا: اللَّهُمَّ نعم»[(٣)]. وهذا الحديث في الصحيح بدون زيادة: (إنا)، وفي الحديثين إخبار عن شأن الأنبياء عليهم السلام بأنهم لا يورثون مالًا، وعليه؛ فما أخبر الله به في الآية من إرث سليمان لداود هو للنبوة والملك.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ [النمل: ١٦]؛ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم»[(٤)].

دلائل نبوته:

لقد أيد الله نبيَّه سليمان عليه السلام بآيات بينات، تدل على صدق نبوته وصحة رسالته، فقد علمه الله منطق الطير، قال الله عز وجل عن سليمان: ﴿...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب الفرائض، رقم ٦٢٧٣)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٩٣) [دار هجر، ط١]: «على شرط الصحيحين».

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٢).

يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

قال ابن كثير: «أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطَه أحدٌ من البشر ـ فيما علمناه ـ مما أخبر الله به ورسوله»(١).

وسخر له الرياح تنقله حيث شاء، وأعطاه الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر له الجن فقهرهم؛ ليعملوا له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات(٢)، قال عز وجل: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]، حيث كان له بساط من خشب، يضع فوقه جميع ما يحتاج إليه من أمور مملكته، من جنود وخيام وخيل وجمال، ثم يأمر الرياح بحمله إلى حيث يشاء من أرض الله(٣).

كما سخر له عين القطر وهو النحاس، فيسَّر له أسباب استخراج ما يستخرج منها من الأواني(٤).

دعوته:

ذكر الله قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام، وفيها بيان لدعوته عليه السلام؛ حيث إنه لما أبلغه الهدهد بانتشار الشرك وعبادة غير الله في بلدة سبأ، بادر عليه السلام بإرسال رسالة يدعوهم فيها إلى الاستسلام لله بالتوحيد، ونبذ عبادة غير الله، وحضورهم إليه منقادين لله بالتوحيد، كما قال تعالى مخبرًا عن قول سليمان للهدهد عند ما أرسله إلى مملكة سبأ: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل].

وفاته:

لقد توفي نبي الله سليمان عليه السلام وهو واقف متكئ على عصاه، ولم يعلم بموته أحد، وكان الجن يعملون بأوامره

---

(١) المصدر السابق (٦/ ١٨٢).
(٢) انظر: المصدر السابق (٥/ ٣٤).
(٣) انظر: المصدر السابق (٥/ ٣٥٨).
(٤) انظر: تفسير السعدي (ص٦٧٦).

باستمرار؛ خوفًا منه، يظنون أنه حيّ، ولم يعلموا بموته إلا بعد سقوطه، لما أكلت الأرضة منسأته[1]، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«كان نبي الله سليمان إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب. قال: لأي شيء أنت؟ فقالت: لخراب هذا البيت. فقال: اللَّهُمَّ عمِّ عليهم موتي، حتى يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب. قال: فنحتها عصًا يتوكأ عليها. فأكلتها الأرضة فسقطت فخر، فحزروا أكلها الأرضة، فوجدوه حولًا، فتبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»**[2].

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/٢٩٨)، والمنسأة هي العصا، انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (٨٤) [دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١١/ ٢٧٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٥٨٤)، و(كتاب الطب، رقم ٧٤٢٨)، مرفوعًا وموقوفًا، قال ابن كثير في تفسيره (٦/٥٠٨) [دار طيبة، ط٢]: «وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا»، وكذا ضعف الألباني المرفوع، وصحح الموقوف. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ١٠٣٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ:

لقد قصَّ الله علينا في كتابه الكريم قصصًا عديدة، منها قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل].

فما كان من ملكة سبأ إلا أن استشارت كبار قومها ومستشاريها فيما يمكن فعله تجاه هذه الرسالة، فأعلموها بقدرتهم العظيمة على الحروب،

واستعدادهم لتنفيذ ما تطلبه منهم وتركوا لها الخيار في الأمر، كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل]، وبعد أن طمأنوها وفوضوا إليها اتخاذ القرار، حذرتهم من العواقب السيئة التي قد تترتب على عدم قبول الرسالة، وأرسلت إلى سليمان بهدية، وبقيت تنتظر رده عليها كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل].

ولما وصلت الهدية إلى سليمان كان رده عليها حازمًا، وبيَّن غناه عنها، وأن الله قد أعطاه ما هو خير من هديتهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل]، وفي النهاية لم يسع الملكة وقومها إلا أن يستسلموا ويأتوا سليمان مسلمين، كما قال عز وجل: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

ـ المسألة الثانية: قصة خيله الصافنات الجياد:

كان لنبي الله سليمان عليه السلام الصافنات الجياد، وهي الخيل، وكان يحبها كثيرًا، فعُرضت عليه مرة بالعشي فانشغل بها حتى فاتته صلاة العصر[1]، قال الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص]. واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ **على قولين:**

أحدهما: أنه طالب بإرجاع الخيل إليه، ثم طفق بعقرها وضرب أعناقها[2]، ورجح هذا القول ابنُ كثير.

والثاني: أنه طالب بإرجاعها إليه، وأخذ يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبًّا لها، ورجح هذا القول ابنُ جرير الطبري، بقوله: «وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ـ إن شاء الله ـ ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالًا من

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٣ ـ ٨٦) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٦).

ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»[(١)].

وأيَّده الألباني على هذا الترجيح، وذكر أن القول الأول ليس له ما يؤيده، ولو كان له دليل لذكره ابن كثير في ترجيحه إياه، وذكر أن تعقب ابن كثير للطبري في ترجيحه للقول الثاني بقوله «فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا» أنه يمكن أن يقابل بمثله فيقال: قد لا يكون؛ لأن (قد) عنده هنا ليست للتحقيق؛ لعدم الدليل، ولو كان الدليل موجودًا، وخفي على ابن جرير لأدلى به ابن كثير، وإذ لم يفعل فالواجب البقاء مع الأصل الذي تمسك به الطبري[(٢)].

- **المسألة الثالثة: ابتلاء سليمان:**

ابتُلي نبي الله سليمان عليه السلام كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [صٓ].

والمقصود بهذا الابتلاء هو ما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة[(٣)]، مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة على مِائة امرأة أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون**»[(٤)].

وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة بمِائة امرأة، تلد كل امرأة غلامًا يقاتل في سبيل الله**، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصفَ إنسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قال: **إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته**»[(٥)].

وأما ما يُحكى من أن ملك سليمان كان في خاتمه، وأن الشيطان أخذ خاتمه بخداع زوج سليمان، وصار هو الملك مدة من الزمن، هذا كله من الأباطيل[(٦)]، قال ابن كثير - بعد أن حكى هذا القول وأمثاله في معنى هذا الابتلاء -: «وهذه كلها من

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٧).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١٤/ ٩٠٥) [دار المعارف، الرياض، ط١].

(٣) انظر: فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء لعثمان الخميس (٣١٥) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ]، والأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء لإبراهيم العلي (١٨٧) [دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٩)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٥٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٤٢)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٥٤).

(٦) انظر: فبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٣١٤).

الإسرائيليات»[(١)].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: «إن هذا الحديث الصحيح بيَّن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ الآية [صٓ: ٣٤]، وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله: «**إن شاء الله**»، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصفَ إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ الآية، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية، من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرد سليمان عن ملكه؛ حتى وجد الخاتم في بطن السمكة، التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر مطرودًا عن ملكه، إلى آخر القصة، لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة، فهي من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة»[(٢)].

ـ المسألة الرابعة: علاقته بأبيه داود عليه السلام في الحكم وقصتهما مع المرأتين المتنازعتين في طفل إحداهما:

وهي كما رواها أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير الطبري» (ج٢٠).

٢ ـ «تفسير ابن أبي حاتم» (ج١).

٣ ـ «تاريخ دمشق» لابن عساكر (ج٢٢).

٤ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٤)، للذهبي.

٥ ـ «البداية والنهاية» (ج٢، و٩)، لابن كثير.

٦ ـ «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور عبد الرحيم.

٧ ـ «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة» (ج١٤)، للألباني.

٨ ـ «أضواء البيان» (ج٣)، لمحمد الأمين الشنقيطي.

٩ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٨)، وانظر: البداية والنهاية له (٢/ ٣٤٠).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٢٥٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٩)، ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧٢٠).

في سير وقصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ»، لعثمان الخميس.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

سماع الأموات

التعريف لغة:

السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن[1].

والسمع: حس الأذن، وهي قوة فيها بها تدرك الأصوات[2]، والأذن وما وقر فيها من شيء تسمعه[3].

وسماع الأموات: المراد به إدراك الأموات للأصوات.

التعريف شرعًا:

سماع الأموات: إدراك الأموات للأصوات الكائنة خارج مرقدهم، وهو مجرد سماع الكلام من حيث الجملة، وليس هو سماع قبول وانتفاع واستجابة[4].

الحكم:

دلت النصوص الشرعية على أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا؛ بل يسمع في حال دون حال. وهو من الأمور الغيبية التي لا تعلم تفاصيلها إلا بالوحي.

الحقيقة:

سماع الأموات من المسائل التي يقررها بعض أهل السُّنَّة من حيث الإجمال، ولكنه سماع لمجرد الكلام، وليس سماع قبول وانتفاع، واستجابة، فلا مدخل حينئذ لمن أحدث دعاء الأموات والاستنجاد بهم بحجة مسألة سماع الأموات، فإن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

الأدلة:

من أدلة إثبات سماع الأموات ما ورد في قصة شعيب عليه السلام، حيث قال لقومه بعد هلاكهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف].

وظاهره أنه خاطبهم خطاب من يسمع ويعقل، وإلا لم يكن للكلام فائدة، قال قتادة: «أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه، كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك»[5].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٧٧).

(٢) تاج العروس (٢١/ ٢٢٣) [دار الهداية].

(٣) القاموس المحيط (٩٤٣).

(٤) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (١٨١).

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٢٧) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ].

وقد جاء التصريح بسماع الأموات في نصوص السُّنَّة، والأصل في ذلك سماع أهل القليب لخطاب النبي ﷺ إياهم يوم بدر، قال أبو طلحة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا قاتل قومًا فهزمهم أقام بالعرصة ثلاثًا، وإنه لما كان يوم بدر أمر بصناديد قريش فأُلقوا في قليب من قُلُب بدر خبيث منتن، قال: ثم راح إليهم ورحنا معه، ثم قال: «**يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا وليد بن عتبة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**» قال: فقال عمر: يا رسول الله، أتكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «**والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»[1].

وقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في السلام على أهل القبور: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[2] وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام**»[3]، فهذا السلام المطلق البعيد الذي لا يسمعه تبلغه الملائكة إياه.

قال ابن تيمية: «وأما السلام الذي لا يسمعه فذلك سلام الله عليهم به عشرًا؛ كالسلام عليه في الصلاة، وعند دخول المسجد، والخروج منه، وهذا السلام مأمور به في كل زمان ومكان»[4].

وأما السلام الذي يسمعه ولا يحتاج إلى أن تبلغه الملائكة إياه فهو السلام المقيد القريب الذي يكون عند قبره، فهو الذي يسمعه ﷺ ويرد على صاحبه، وهو بخلاف السابق، كما قوله ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل علي روحي حتى أرد عليه السلام**»[5].

وفي سماع الميت خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه بعد دفنه يقول ﷺ: «**إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع**

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٧٦)، ومسلم (كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٥)، وأحمد (٥/ ٥١٠) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ]، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٤٩).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/ ٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبَّان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٠٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، وجوَّد العراقي إسناده في المغني عن حمل الأسفار (٣٦٧) [دار ابن حزم، ط١]، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٦٦).

خفق نعالهم إذا انصرفوا»[١].

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي: «باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال»[٢].

وقال ابن تيمية في جوابه لمن سأل: هل الميت يسمع كلام زائره؟: «نعم يسمع الميت في الجملة» ثم ساق جملة من النصوص، وقال: «فهذه النصوص وأمثالها تبيِّن أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا؛ بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، فإن المراد بذلك سماع القبول والامتثال؛ فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى؛ فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب، وفهم المعنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]»[٣].

وقال الآلوسي: «إنكار السماع رأسًا، وإثباته مطلقًا لا شك في أنه مكابرة محضة، فالراجح قصر السماع على ما ورد وهذا الوجه يجمع بين الروايات المختلفة»[٤].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصّه: «الأصل عدم سماع الأموات كلام الأحياء، إلا ما ورد فيه النص»[٥].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقيقة الخلاف في سماع الأموات:

اختلف فيها المحققون من أهل العلم إلى قولين، فمنهم من قال بمقتضى النصوص السابقة، وأن ظاهرها يدل على السماع في الجملة، ويراد به إدراك الكلام وفهمه، لا سماع ينتفع به. وقال آخرون: إن الموتى لا يسمعون، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل]، ولقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠)، واللفظ له.
(٢) التذكرة للقرطبي (١٦٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٦٤) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].
(٤) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس (٣٨٠) عن دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٦٣) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٩هـ].
(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٩/ ٨٢) [ط١، ١٤١١هـ].

وخلاف أهل السُّنَّة في هذه المسألة ليس مبنيًّا على قياس فاسد أو رؤى أو هوى؛ بل منشؤه الخلاف في فهم النصوص الواردة في الباب، فمن رأى أنها تدل على عدم سماع الأموات قال بذلك، وردَّ على من قال بسماعها من حيث الجملة، ومن ثَمَّ إبطالُ ما يستدل به بعضهم من أن الأموات يسمعونهم فيجيبونهم إلى ما يريدون، فأبطل القائلون بعدم السماع المسألةَ من أصلها، وقالوا لهؤلاء: إن الأموات لا يسمعون، فمن السفه في العقل أن تعتقدوا استجابتهم لكم.

وأما من رأى من أهل السُّنَّة أن الأموات يسمعون في الجملة، فإنهم قالوا: إن هذا سماع إدراك وفهم لا سماع معتاد ينتفع به صاحبه، وعلى هذا فلا مدخل لكثير من أهل البدع في تسويغهم اللجوء إلى الموتى ودعائهم وعبادتهم؛ لأنهم لا يستجيبون لهم، فحال هؤلاء كحال من قصَّ الله علينا، قال الله سبحانه: ﴿...ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر][1].

ومن الأمور المهمة أنه ينبغي أن لا يغيب عن الذهن أن «الميت ـ وإن سمع الكلام وفقه المعنى ـ فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونُهِي عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي»[2].

وفي هذا أبلغ الرد على طوائف أهل البدع ممن يزعمون أن الأموات يسمعون سماعًا مطلقًا، وأنهم إذا دُعوا أجابوا، وإذا استُغيثوا أغاثوا، وإذا استُنصروا نصروا.

وقال عبد الحي اللّكنوي: «لم يثبت شرعًا أنّ الأولياء لهم قدرةٌ على سماع النداء من أمكنة بعيدة، إنما ثبت سماع الأموات لتحية من يزور قبورهم، ومَنْ اعتقدَ أنّ غير الله ﷻ حاضرٌ وناظر، وعالمٌ للخفيّ والجليّ في كلّ وقت وفي كلّ آن، فقد أشرك»[3]؛ أي: الشرك الأكبر الذي حذرت منه الأنبياء عليهم السلام، والذي توعد الله ـ تعالى ـ أهله بوعيد شديد حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولا يصح الاستدلال بحديث تلقين

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٤٠٩)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٢٠٦)، ومجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٦٣، ٤/ ٢٩٨)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٢)، والروح لابن القيم (٤٥)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للآلوسي، وأضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٤٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٦٤).

(٣) فتاوى اللكنوي (١/ ٢٦٤) [دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م].

الميت بعد الدفن على سماع الأموات؛ لكونه باطلًا[(١)]، ولا بحديث عرض الأعمال على النبي ﷺ بعد موته؛ لكونه باطلًا أيضًا[(٢)].

ـ المسألة الثانية: عرض الأعمال على النبي ﷺ:

لقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ حث أُمته على الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة، وأن هذه الصلاة تعرض عليه ﷺ، يقول النبي ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي**»[(٣)].

وقد بوَّب عليه النسائي عند ذكره للحديث رقم (١٣٧٤) بقوله: «إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة».

وبوب ابن حبان ـ كما في الإحسان ـ للحديث رقم (٩١٠) بقوله: «بيان بأن صلاة من صلى على المصطفى ﷺ من أمته تعرض عليه في قبره».

وفي الباب عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أُمتي السلام**»[(٤)].

وأما حديث: «**حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**»[(٥)]، فإنه حديث

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/ ٦٤) [دار المعارف، ط١، ١٤١٢هـ]، وقال: «منكر»، وعزاه إلى القاضي الخلعي، وذكر طائفةً ممن ضعفه من أهل العلم؛ كالدارقطني، والبيهقي، والهيثمي، والنووي، وابن الصلاح، والعراقي، وابن القيم، ثم عقب بقوله: «واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد له، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح شاهدًا للمرفوع؛ بل هو يعله، وينزل به من الرفع إلى الوقف. وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعًا».

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٤) [دار صادر، ط١]، والبزار في مسنده (٥/ ٣٠٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٠)، وصحَّحه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٤) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/ ٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبَّان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٥) أخرجه البزار. انظر: كشف الاستار (رقم ٨٤٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٤) [دار صادر، ط١]، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٣٨، ٣٩) [المكتب الإسلامي، ط٣]، والحارث بن أبي أسامة في مسنده ـ كما في بغية الباحث للهيثمي (كتاب علامات النبوة، رقم ٩٥٣) ـ، من طرق عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا. وهذا إسناد ضعيف لإرساله، كما ذكر ابن عبد الهادي، ووافقه الألباني. انظر: =

ضعيف، لا يصح الاعتماد عليه.

فالظاهر من حديث: «**إن من أفضل أيامكم**»، وحديث ابن مسعود أن الذي يعرض على النبي ﷺ إنما هو الصلاة والسلام، وأما غيرها فلم يدل الدليل الصحيح الصريح على أنها تعرض على النبي ﷺ.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أهوال القبور»، لابن رجب.

٢ ـ «الآيات البينات في عدم سماع الأموات»، للألوسي (بمقدمة الألباني).

٣ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٤ ـ «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ج٢)، لابن حزم.

٥ ـ «كشف شبهات الصوفية»، لشحاتة صقر.

٦ ـ «تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جريس»، لعبد اللطيف آل الشيخ.

٧ ـ «دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث»، لبابطين.

٨ ـ «الرد على شبهات المستعين بغير الله»، لابن إبراهيم.

٩ ـ «السيف المسلول على عابد الرسول»، لابن قاسم.

١٠ ـ كتاب «التوحيد»، لمحمد بن عبد الوهاب.

١١ ـ «مسائل الجاهلية»، لابن عبد الوهاب.

١٢ ـ «الجواب الباهر في زوار المقابر»، لابن تيمية.

السمع والطاعة

يراجع مصطلح (الإمامة).

السمع

التعريف لغة:

السَّمع: مصدرٌ من قولهم: سَمِعْت الشيء سَمْعًا وسماعًا. ويطلق كذلك على نفس الحاسة التي في الأذن. ومعناه: إيناسُ الشيء بالأُذُن من النّاس وكلِّ ذي أُذُن. كما يطلق السمع على الأُذُن.

ويطلق السَّمْعُ (المصدر) ويراد به اسم المفعول (المسموع)، فيراد به ما وَقَر في الأُذن من شيء تسمعه[1]. وهذا المعنى هو المراد في هذا المصطلح.

التعريف اصطلاحًا:

السمع يراد به: الأدلة اللفظية المسموعة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

= الصارم المنكي (٢٠٣ ـ ٢٠٤) [مؤسسة الريان، ط١]، والسلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).
وللحديث طرق أخرى واهية. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

(١) مقاييس اللغة (٣/١٠٢) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، لسان العرب (٨/١٦٢ ـ ١٦٨) [دار صادر، ط١].

وغالبًا ما يطلق هذا المصطلح في مقابل مصطلح (العقل)، ويراد به الأدلة العقلية، فيقال مثلًا: (دلَّ على هذه المسألة: السمع والعقل).

وقد يطلق (الدليل السمعي) ويراد بد عموم الدليل الشرعي، وهذا في اصطلاح الفقهاء، فيدخل فيه: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والقياس الفقهي المعتبر[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للسمع ـ الدليل السمعي ـ (الكتاب والسُّنَّة) مأخوذ من المعنى اللغوي الأخير مما تقدم، وهو إطلاق السمع نفس المسموع الذي يقرُّ في الأذن، وذلك باعتبار طريق العلم بالدليل، إذ هو مأخوذ من التلقي الذي يدرك بالسمع.

سبب التسمية:

سبب التسمية هو ما تقدم من أن طريق العلم بهذه الأدلة (الكتاب والسُّنَّة) هو السمع، بخلاف الأدلة العقلية التي يتوصل إليها بإعمال الذهن.

الأسماء الأخرى:

من الأسماء التي أطلقت مرادفةً لمعنى السمع السابق:

١ ـ الشرع.

٢ ـ النقل.

٣ ـ الخبر.

٤ ـ مصادر التلقي (الكتاب والسُّنَّة والإجماع).

الحكم:

إطلاق مصطلح (السمع) على أدلة الكتاب والسُّنَّة إذا كان إطلاقًا مجردًا من المعاني الفاسدة فالأمر فيه واسع، فهو اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا لم يستلزم معنى فاسدًا، وقد درج عامة العلماء من أهل السُّنَّة وغيرهم على استعماله بهذا المعنى من غير نكير، ولعل من أقدم من روي عنه استعماله بهذا المعنى التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح، حيث روى الهروي بسنده عن ابن جريج عن عطاء أنه قال: «ليس الدين الرأي ولكنه السمع»[(٢)].

---

(١) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (١/١١٦) [دار الوفاء، ط٤، ١٤١٨هـ]، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/٢٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتقرير والتحرير من علم الأصول لابن أمير الحاج (١/٤٣) [دار الفكر، ط١٤١٧هـ]، والكليات للكفوي (٤٤٢) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(٢) ذم الكلام وأهله للهروي (٢/٢٠٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ]، وتتبع كلام العلماء في ذلك يطول جدًّا، وانظر على سبيل المثال من كتب أهل السُّنَّة: شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/١٩٣، ١٩٥) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ]، والانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٥) [مكتبة أضواء المنار، ط١]، والحجة في بيان المحجة (١/٣٤١) (٢/١١٩، ١٤٩) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٤٩) (٥/٥١٨) =

الحقيقة:

إنَّ من الحقائق الشرعية المعلومة أن النصوص القرآنية والنبوية قد جاء فيها بيان الأدلة السمعية الخبرية المبنية على صدق المخبر، كما جاء فيها أيضًا بيان البراهين والحجج العقلية الصحيحة التي يهتدي بها الناس، سواء في الاعتقادات؛ كإثبات الله وتوحيده وصدق رسله وإثبات المعاد وغيره، أو في العمليات، ومن ذلك الأمثال المضروبة في القرآن، وكذا الأدلة العقلية المضروبة على إثبات التوحيد والبعث والجزاء وعلى إبطال الشرك وصدق الرسل ونحو ذلك[(١)].

بل إن تلك الأدلة والبراهين العقلية الصحيحة من الميزان الذي أنزله الله تعالى، والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث فُسِّر الميزان بأنه «الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة»[(٢)].

ولهذا كان من الواجب عند إطلاق مصطلح (السمع) الاحتراز من معنى فاسد يخشى أن يُفهَم منه، وهو ما ذهب إليه بعض أهل البدع من الزعم بأن أدلة الكتاب والسُّنَّة لا تتضمن شيئًا من الأدلة العقلية، وإنما هي مبنية على التسليم المجرد المبني على صدق المُخبِر فحسب، وهذا غلط بيِّن، وضلال مبين؛ بل إن سلف الأمة وأئمتها يقررون أن الله قد بين في كتابه وفي ما جاء به نبيه الأدلة العقلية التي يُحتاج إليها في العلم؛ بل إن نهاية ما يذكره أهل البدع والكلام من حجج عقلية سليمة فإن القرآن قد جاء به على أكمل وجه وأتم بيان[(٣)].

بل إن هذا الأصل ـ وهو اشتمال الكتاب والسُّنَّة على الأدلة العقلية ـ قد اعترف به كثير من أهل الكلام[(٤)].

= (٦/٤٦، ٥٥٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢/٤٦ ـ ٤٧) (٦/٢٩٢) (٩/٢٣٩ ـ ٢٤٠) (١٢/٨٢) (١٦/٢٥١) (١٧/٤٤٤) (١٩/١٥٩ ـ ١٦٢، ١٧٦، ٢٣٠)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٢٨، ١٩٨ ـ ١٩٩) (٨/٣٧، ٩٠ ـ ٩١) (٩/٣٧، ٤٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٢٤٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٨٥، ١١٤) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٢٧) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: المراجع في الحاشية السابقة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٤) انظر: المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي (٦٤) [المكتب الثقافي، ط١، ١٩٨٩م]، والمحصل له (٤٩٠، ٤٩١) [درا التراث، ط١، ١٤١١هـ]، والدرة لابن حزم (١٩٤) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ]، والمواقف للإيجي (٣٤٩) [عالم الكتب، بيروت]، والمختصر في أصول الدين لعبد الجبار المعتزلي ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢٠٢) [دار الهلال، القاهرة].

والحاصل أن الدليل الشرعي لا يقابِل الدليل العقلي، ولا يُجعل قسيمًا له، كما يفعله بعض المتكلمين[(١)]، وإنما يقابَل بالدليل البِدعيّ، وذلك أن الدليل الشرعي قد يكون سمعيًّا، وقد يكون عقليًّا[(٢)].

المنزلة:

لقد كان للدليل السمعي (الكتاب والسُّنَّة) عند السلف منزلته الكبرى في أبواب الاعتقاد وأصول الدين، فقد كان السلف وقَّافين عند نصوص الشرع، فلا يعارضونها بالرأي والاجتهاد؛ بل يعظمونها، ويسلمون لها، ويرون الزيغ والهلاك في مفارقتها.

فالسمع هو الأصل في الاستدلال في أبواب الاعتقاد، وما سواه تبع له.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»[(٣)].

وقال قوَّام السُّنَّة الأصبهاني: «وليس لنا مع سُنَّة رسول الله من الأمر شيء إلا الاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواها من قول الآدميين تبع لها، ولا عذرَ لأحد يتعمد ترك السُّنَّة ويذهب إلى غيرها؛ لأنه لا حجة لقول أحد مع رسول الله إذا صح»[(٤)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء].

وروى مالك في «الموطأ» أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنَّة نبيِّه**»[(٥)].

(١) انظر: المغني لعبد الجبار (١٢/١٦٦).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٩٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٢/١١٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧، ٣٣١) (٦/٧١ ـ ٧٢) (٩/٢٢٧) (١٤/٦٢).
(٣) ذم التأويل لابن قدامة (١١) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٦هـ].
(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٢٦) [دار الراية، ط٢].
(٥) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) [مؤسسة زايد بن سلطان، ط١]، وفي سنده انقطاع، لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وقد قوّاه به الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١٠).

۞ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدًا أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قُبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سُنَّة»[(١)].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسُّنَّة»[(٢)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «الأدلة السمعية نوعان: نوع دلَّ بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي، فهو عقلي سمعي، ومن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد... وإذا تدبرت القرآن رأيت هذا أغلب النوعين عليه، وهذا النوع يمتنع أن يقوم دليل صحيح على معارضته؛ لاستلزامه مدلوله، وانتقالُ الذهن فيه من الدليل إلى المدلول ضروري، وهو أصل للنوع الثاني الدال بمجرد الخبر، فالقدح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة، أما الأول فلما تقدم، وأما الثاني فلاستلزام القدح فيه القدح في العقل الذي أثبته، وإذا بطل العقل الذي أثبت السمع بطل ما عارضه من العقليات»[(٣)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: تقسيم مباحث العقيدة إلى سمعيات وعقليات:

لقد شاع في الكتب الكلامية تقسيم مباحث علم الاعتقاد إلى **قسمين**:

١ ـ **العقليات**: ويعنون بها المباحث الإلٰهية وما يتعلق بها؛ كإثبات وجود الله، وما يجب ويمتنع ويجوز عليه.

٢ ـ **السمعيات**: ويعنون بها أبواب المعاد واليوم الآخر، على خلاف بينهم فيما يدخل في القسمين من مسائل[(٤)].

وقد بنوا هذا التقسيم على اعتبار أن الأدلة السمعية (الكتاب والسُّنَّة) إنما يحتج بها في باب السمعيات (المعاد)، ومنعوا أن تكون العقليات (المباحث الإلٰهية ونحوها) معلومة بالسمع؛ بل لا تثبت عندهم إلا بالعقل، والسمع فيها تبع للعقل[(٥)].

---

(١) الأم للشافعي (٢/١٥١)، وانظر: مفتاح الجنة للسيوطي (٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/٢١٠)، والصفدية (١/٢٥٣) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/١٤٢).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/٩٠٨ ـ ٩٠٩) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، وانظر: نفس المرجع (٢/٧٩٣ ـ ٧٩٤)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٦/٧١).

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (١/١٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وقواعد العقائد للغزالي (١٤٦، ٢١٦) [دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/١٧٣) [دار المعارف النعمانية، ط١]، وشرح المواقف للإيجي (٣/٣٢٧) [دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ]، وشرح الأصفهانية لابن تيمية ٢٣، ٢١٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (١/١١٠ ـ ١١١)، والمواقف للإيجي (٣٩ ـ ٤٠) [عالم الكتب، ط١]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٣٣١)، وشرح الأصفهانية له (٢١٢).

ومنشأ غلطهم في ذلك هو ما سبق من توهم كثير منهم أن أدلة الكتاب والسُّنَّة تتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها فحسب، وغفلوا عن كون دلائل الكتاب والسُّنَّة قد تضمنت مع ذلك الأدلةَ العقلية اليقينية على سائر الأصول الاعتقادية الشرعية التي يمكن أن تعلم بالعقل، ومنها ما يتعلق بإثبات وجود الله وما يستحقه تعالى من صفات الكمال، وما يتنزه عنه من صفات النقص.

فالحق أن القسم الذي أسموه عقليات الأصل فيه هو الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد تضمنا من الأدلة العقلية ما يكفي لهداية الخلق.

كما أن القسم الثاني الذي أسموه السمعيات ليس بمنفك عن الأدلة العقلية؛ بل يقال فيه كما قيل في سابقه من أن أصل الاستدلال فيه مبنيٌّ على أدلة الكتاب والسُّنَّة، وأن أدلة العقل قد دلَّت عليه أيضًا؛ كدلالة العقل على المعاد[(١)].

ولا شك أن من مسائل الاعتقاد ما لا طريق للعلم به إلا السمع؛ كتفصيل صفات الرب، كما أن منها ما يعلم بالسمع والعقل، ولكن الغلط هو جعل جميع مسائل الإلٰهيات من العقليات، وجميع مسائل المعاد من السمعيات المجردة عن الاستدلال العقلي[(٢)].

ـ المسألة الثانية: ما يفيده السمع:

لقد كان منهج السلف الصالح الأخذ بكل ما جاء في الكتاب وصح في السُّنَّة، سواء كان متواترًا أو آحادًا، وسواء ذلك في الأمور العملية (الشرائع ومسائل الفقه العملي)، أو في الأمور العلمية (وهي مسائل الاعتقاد). وقد حكى إجماعهم على ذلك غير واحد.

قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر، من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعد خلافًا، وقد أجمع المسلمون على... قبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله»[(٣)].

فأما القرآن والخبر المتواتر فإنهما يفيدان العلم اليقيني بلا إشكال، وأما خبر الآحاد فالقول الصحيح والذي عليه عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين[(٤)]، أنه

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٣/١٣٨).

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٤٤ ـ ٤٩).

(٣) التمهيد (١/٢)، وانظر: جامع بيان العلم (٢/٩٦)، ومختصر الصواعق (٤/١٤٦٥ ـ ١٦٤٨).

(٤) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام =

يفيد اليقين إذا احتفت به القرائن[(١)]؛ كتلقي الأمة له بالقبول[(٢)]، أو أن يكون مما اتفق عليه الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ عدا النزر الذي انتقد عليهما[(٣)]، أو أن يكون مستفيضًا مشهورًا، أو مسلسلًا بالأئمة الحفاظ المتقنين[(٤)].

ومع ذلك فإن خبر الآحاد إذا صح، فهو محتج به في الاعتقاد، حتى ولو كان خاليًا من القرائن السابقة، فيكفي أن يفيد غلبة الظن ليصح التمسك به، ولو لم يفد اليقين[(٥)].

الآثار:

من آثار الأخذ بالدليل السمعي، والرد إليه:

١ ـ تحقيق الإيمان التام بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]

٢ ـ الاهتداء التام إلى الحق التام، والعصمة من الضلال، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور]

٣ ـ السلامة من الاختلاف والنزاع والشقاق، وتحقيق الجماعة والألفة، ونبذ الفرقة والاختلاف. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

٤ ـ السلامة من الفتنة والعذاب الأليم. قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور].

= كما في مجموع الفتاوى (٢٠/٢٥٧).

(١) ممن قرر ذلك: ابن الصلاح في: علوم الحديث (٢٥) [المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٩٧٢م]، وابن حزم في الإحكام (١/١٠٨) [دار الحديث، ط١، ١٤٠٤هـ]، والموفق ابن قدامه، والطوفي، وابن حمدان، وابن الزاغوني، كما في شرح الكوكب المنير (٢/٣٤٨) [مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ]، والآمدي في الإحكام (٢/٣٢)، وابن كثير، في الباعث الحثيث (٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١٤٠٣هـ]، وابن حجر في النكت على ابن الصلاح (١/٣٧١) [نشر الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث (٣٤) [مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (١٨/١٧، ٤٨).

(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح (١٤ ـ ١٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٢٥٧) (١٨/١٧، ٤٩) (١٣/٣٥٠، ٣٥١)، وفتح المغيث (١/٥١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي (١/١٣٤) [دار إحياء السُّنَّة النبوية، ط٢، ١٣٩٩هـ]، ونزهة النظر (٧٤ ـ ٧٥)، وتوضيح الأفكار (١/١٢٣ ـ ١٢٥) [مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٦٦هـ]، وإرشاد الفحول (٤٩ ـ ٥٠) [دار المعرفة، ١٣٩٩هـ]، وشرح نخبة الفكر للقاري (٤٢ ـ ٤٣) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٤) انظر: نزهة النظر (٧٦).

(٥) انظر: درء التعارض (٣/٣٨٣ ـ ٣٨٤) [دار الكتب العلمية]، ومختصر الصواعق (٢/٤١٢) [مكتبة الرياض الحديثة].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

٢ ـ «الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات: دراسة قرآنية واقعية»، لمحمود هاشم عنبر [بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية].

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٤ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيِّم.

٥ ـ «خصائص أهل السُّنَّة والجماعة»، لصالح الدخيل [رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى].

٦ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

٨ ـ «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسُّنَّة»، للسيوطي.

٩ ـ «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة»، لعثمان بن علي حسن.

١٠ ـ «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة»، لسليمان الغصن.

السَّمع (صفة لله)

التعريف لغة:

السَّمْعُ: مصدر للفعل سَمِع يسْمَعُ سمْعًا وسَماعًا، وهو إيناس الشيء بالأذن[1].

والسَّمْع: حسُّ الأذن، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق].

وأسْمعَ يُسْمِع إسْماعًا: القبول، والإجابة والعمل بما يسمع؛ لأنه إذا لم يقبل، ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع، ففي دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده»؛ أي: أجابَ من حَمِده وتَقَبَّله[2].

قال الأزهري: «السمع سمع الإنسان وغيره. ويقال: قد ذهب سمع فلان في الناس وصِيْته؛ أي: ذكره، والسميع من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء، كما قال النبي ﷺ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. وقال في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]. قلت: والعجب من قوم فسروا السميع

(١) مقاييس اللغة (٣/١٠٢) [دار الجيل].

(٢) لسان العرب (٨/١٦٢) [دار صادر، ط١]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٤٠١) [دار إحياء التراث].

بمعنى الْمُسْمِع، فرارًا من وصف الله بأن له سمعًا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع: ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف. ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعًا، ويكون مسمعًا»[١].

التعريف شرعًا:

السّمع صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ يدل على أن الله ذو سمع، يسمع سمعًا يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل[٢].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك المعنى اللغوي والشرعي في أن السمع، إدراك المسموع، لكن التعريف الشرعي يختص بما يليق بالله ﷻ ويدل على الكمال المطلق له، وقدرته على إدراك جميع الأصوات الظاهر منها والخفي، بخلاف سمع المخلوق.

الحكم:

يجب إثبات صفة السمع لله تعالى وما دلَّت عليه من اسم السميع، على ما يليق بالله تعالى، كما دلَّت عليه النصوص الشرعية، والإيمان بأن الله ﷻ ذو سمع حقيقي بلا تكييف ولا تشبيه بسمع المخلوق، ولا تعطيل لصفة كماله.

الحقيقة:

سمع الله ﷻ صفة حقيقية ثابتة في حقه سبحانه، فالله يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخُفُوت، والنطق والسكوت، يدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ودعاء الداعين فيستجيب لهم[٣].

الأدلة:

دل على ثبوت صفة السمع لله ﷻ الكتاب والسُّنَّة والعقل والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة]، وهذه الآية أصرح ما يدل على صفة السمع لله ﷻ، حيث ذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل: سَمِع ويَسْمِع وهو سَمِيعٌ وله السمع[٤].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) تهذيب اللغة (٢/١٢٣ ـ ١٢٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥٩) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ]، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي (٨٤) [مكتبة القرآن].

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/١٠٦) [دار الرشد]، والمقصد الأسنى للغزالي (٨٤) [مكتبة القرآن]، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (١١) [دار السلفية، ط٤، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (١/٧٩) [دار الكتب العلمية].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»[(١)].

وعنها رضي الله عنها أيضًا أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة**» إلى أن قال: «**فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك**» الحديث[(٢)].

وقد ورد أن أبا هريرة رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء] يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها، ويضع إصبعيه»، قال ابن يونس: قال المقرئ: «إن الله سميع بصير» يعني: أن لله سمعًا وبصرًا، قال أبو داود: «وهذا ردٌّ على الجهمية»[(٣)].

قال البيهقي: «والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع»[(٤)].

وأما دلالة العقل، فقد قال ابن تيمية: «والعقل الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يرى، ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء»[(٥)].

وأما الإجماع فقد نقله غير واحد من أهل العلم. قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى»[(٦)]، وقال ابن تيمية: «وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة»[(٧)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «باب إثبات السمع والرؤية لله جل وعلا الذي هو كما وصف نفسه سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي

(١) أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا به (كتاب التوحيد، ٩/ ١١٧) [دار طوق النجاة، ط١].
ووصله النسائي (كتاب الطلاق، رقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٦٣)، وأحمد (٤٠/ ٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٤٦٢) [مكتبة السوادي، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٦٥)، وصحَّحه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٤) [المكتبة الإسلامية].

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٦٢).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١٧) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٦) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٧) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٦) [دار الوفاء، ط٣].

هو سميع بصير»[(١)].

وقال ابن القيِّم:

«وهو السميع يرى ويسمع كل ما
ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر
فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا
يخفى عليه بعيده والداني»[(٢)]

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى] «فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك لأن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك تشبيه؛ بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فالله ﷻ له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه، إلا أن صفة ربّ السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله سبحانك هذا بهتان عظيم»[(٣)].

الأقسام:

أقسام فعل السمع:

بيَّن ابن القيِّم بأن فعل السمع ينقسم إلى **أربعة أقسام:**

الأول: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات؛ كسمع الله قول التي تجادلك في زوجها في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

والثاني: سمع فهم وعقل، ومتعلقه المعاني، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]؛ إذ ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل.

والثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، كما في دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده».

والرابع: سمع قبول وانقياد، ومنه قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢]؛ أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين له[(٤)].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/١٠٦) [دار الرشد].

(٢) شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٢/٢١٥) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (١١) [دار السلفية، ط٤، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٣٠٨) [مكتبة =

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: السميع من أسماء الله الحسنى الدال على صفة السمع:

وهو (فعيل) بمعنى (فاعل)، من أبنية المبالغة؛ للدلالة على إحاطة سمعه جميع المسموعات[1].

وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة في إثبات هذا الاسم لله تعالى، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٨١﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥﴾ [آل عمران].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «**إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا**»[2].

وقوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء**»[3].

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: السميع والله ﷻ السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم، مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع»[4].

ـ المسألة الثانية: السامع ليس من أسماء الله ﷻ:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله ـ وهو يحقق ما ورد من طرق تعداد الأسماء الحسنى ـ: «وفي بعضها توقف، وبعضها خطأ محض؛ كالأبد والناظر والسامع والقائم والسريع، فهذه وإن ورد عدادها في بعض الأحاديث، فلا يصح ذلك أصلًا»[5].

ـ المسألة الثالثة: الأذن لم ترد في الكتاب والسُّنَّة، ولأن باب الصفات توقيفي، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ:

قال ابن عثيمين: «الأذن عند أهل السُّنَّة والجماعة لا تثبت لله ولا تنفى عنه؛ لعدم ورود السمع بذلك»[6].

= نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١ ١٤١٦هـ].

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٢) [دار الثقافة العربية، ط١٩٧٤م].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٨٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٨٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٩)، وأحمد (١/٤٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١١٢) [دار الراية].

(٥) تيسير العزيز الحميد (٤٨٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢١١) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

وحديث أبي هريرة المتقدم في وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ وقوله رضي الله عنه: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، ويضع إصبعيه» لا يدل على إثبات الأذن؛ إذ معناه تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلَّي السمع والبصر منا؛ لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى.

الآثار:

١ ـ الإيمان باتصاف الله بالسمع يبعث في النفس المؤمنة الخوف والرجاء من الله فلا يقول ما يغضب الله، ويحرص على أن يسمع الله ما يحب. قال ابن عثيمين: «ما نستفيده من الناحية المسلكية في الإيمان بصفتي السمع والرؤية...

ـ وأما السمع، فالأمر فيه ظاهر؛ لأن الإنسان إذا آمن بسمع الله، استلزم إيمانه كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفًا ورجاءً: خوفًا، فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من السوء، ورجاء، فيقول الكلام الذي يرضي الله عز وجل»[1].

٢ ـ إن الإيمان بهذا الاسم وبما دلَّ عليه يجعل المسلم يحاسب نفسه ويراقبها؛ لأنه يؤمن بأن الله يسمعه ويراه، فيحفظ لسانه ويصونه، ويواظب على ذكر الله ودعائه بهذا الاسم العظيم رجاء أن يحقق له سؤاله[2].

٣ ـ ويجعله كذلك يستجيب لأوامر الله ونواهيه، فيمتثل بما أمر الله به وينتهي عما نهى عنه، فيعمل بالمأمور ويحذر المحذور ويحقق بذلك كمال العبودية لله عز وجل.

٤ ـ أن إيمانه بأن الله يسمع مما يدفعه إلى التضرع إليه بالدعاء وذلك أن الداعي لا يقبل إلى الله بحاجته إلا بعد إيمانه الصادق وإقراره الجازم بأن الله تعالى يسمع الدعاء ويقدر على الإجابة.

مذهب المخالفين:

أنكرت الجهمية والمعتزلة صفة السمع لله عز وجل، فالجهمية ينفونها اسمًا وصفة، والمعتزلة أثبتوها اسمًا بلا معنى.

ومعنى أن الله سميع عندهم؛ أي: أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع، أو أنه عليم بالمسموعات[3].

ولا شك أن هذه المذاهب باطلة؛ لمخالفتها لصريح الأدلة من الكتاب والسُّنَّة والعقل والإجماع على إثبات صفة

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ١٣٦) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]، وفقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر (١٢٩) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (٣٤١) [مكتبة المثنى، بغداد]، والفرق بين الفرق للبغدادي (١٨١) [مكتبة محمد صبيح، الأزهر، ط٣].

السمع لله ﷻ، وقد تقدم ذكر جملة منها. ونفي صفة السمع عن الله ﷻ وصف له بالنقص.

وقد أخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝٤٢﴾ [مريم]. دلَّت هذه الآية على أن السمع والبصر من لوازم الربوبية.

۞ الرد عليهم:

نفي صفة السمع عن الله وردّها بتآويل باطلة هي مصادمة صريحة للكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف ومن تبعهم بإحسان، وقد تقدم بيان دلالة هذه الأمور على إثبات صفة السمع لله تعالى، وهو سمع يليق بجلاله وعظمته لا يماثل أسماع المخلوقين، وقد بيّن أهل العلم شناعة صنيع المعطلة هذا، قال الإمام الدارمي في رده على المريسي في نفيه لصفة السمع: «فيقال لهذا المريسي الضال: الحمار والكلب أحسن حالًا من إلٰه على هذه الصفة؛ لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع، ويرى الألوان بعين، وإلٰهك بزعمك: أعمى أصم، لا يسمع بسمع»[(١)].

وقال الإمام ابن خزيمة: «باب إثبات السمع والرؤية لله ﷻ الذي هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق البارئ، الذي هو سميع بصير، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال ﷻ في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]

وتدبروا أيها العلماء، ومقتبسو العلم، مخاطبة خليل الرحمٰن أباه، وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد، تعقلوا بتوفيق خالقنا ﷻ، صحة مذهبنا، وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة، قال خليل الرحمٰن صلوات الله وسلامه عليه، لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝٤٢﴾ [مريم] أفليس من المحال يا ذوي الحجا، أن يقول خليل الرحمٰن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر؛ كالأصنام التي هي من الموتان، لا من الحيوان أيضًا، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة؟»[(٢)].

وأما الأشاعرة وإن أثبتوا لله صفة السمع ظاهرًا فهم مضطربون في هذا

(١) نقض الدارمي على المريسي (١/ ٣٠٠)

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٠٦ ـ ١٠٩).

الإثبات؛ لأنه من المعلوم لغةً وشرعًا أن السمع متعلق المسموعات والبصر متعلق المبصرات، وبعض هؤلاء الأشاعرة كأبي حامد الغزالي وجماعة من الأشاعرة جعل متعلقهما واحدًا، وصرحوا بإرجاعهما إلى معنى العلم موافقة منهم للمعتزلة، ومنهم كالباقلاني والجويني وجماعة من الأشاعرة، جعلوهما صفتين زائدتين على صفة العلم، وأثبتوا جانبها المتعلق بذات الرب ونفوا كونها من الأفعال الاختيارية، وهما في الواقع صفتان ذاتيتان فعليتان[1].

ومما يدل على التفريق بين السمع والبصر: جمع النصوص الشرعية بينهما في سياق واحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء]، وقد ورد تفسير هذه الآية عن النبي ﷺ، حيث قرأها فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه فقد روى أبو داود بإسناده عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: «سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: «رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه»[2]؛ يعني: إن الله سميع بصير؛ يعني: أن لله سمعًا وبصرًا. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية».

وقال الشيخ محمد خليل هراس في شرحه هذا الحديث: «ومعنى الحديث: أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها»[3].

والصحابة رضي الله عنهم مع تمكُّنهم في معرفة اللغة والشرع تمكنًا لا يلحقهم فيه أحد ممن جاء بعدهم، لم يفهموا اتحاد متعلقهما؛ بل جعلوا متعلق السمع المسموعات، ومتعلق البصر المبصرات؛ ولذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول. فأنزل الله ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي

---

(١) انظر: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول للمكلاتي (٢١٣ ـ ٢١٤) [دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م]، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف (٢/ ٥١٠ ـ ٥١٧) [مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح الواسطية لخليل هراس (٩٧ ـ ٩٨).

﴿تُجَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»[١].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه].

قال: «أي: لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه»[٢].

وبهذا يتضح أن القول باتحاد متعلقهما، وكذا حملهما على معنى العلم، هو قول باطل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٧ ـ «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشنقيطي.

٨ ـ «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّ وَجَلَّ من التوحيد» (ج١)، للدارمي.

٩ ـ «التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.

السُّنَّة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جَرَيان الشيء واطِّراده في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماء على وجهي أَسُنه سَنًّا؛ إذا أرسلته إرسالًا، ومما اشتق منه: السُّنَّة، وهي السيرة. وسُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: سيرته»[٣].

وفي الصحاح: «السَّنَن الطريقة، يقال: استقام فلان على سَنَنٍ واحد»[٤].

والسُّنَّة السيرة، حسنة كانت أو قبيحة[٥].

التعريف شرعًا:

قال أبو الحسن الكرجي في تعريف السُّنَّة: «السُّنَّة طريقة رسول الله ﷺ، والتسنن بسلوكها، وإصابتها، وهي أقسام ثلاثة: أقوال وأعمال وعقائد»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا به (كتاب التوحيد، ٩/١١٧) [دار طوق النجاة، ط١].
ووصله النسائي (كتاب الطلاق، رقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٦٣) واللفظ له، وأحمد (٤٠/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٩٦) [دار طيبة، ط٢].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٦٠ ـ ٦١) [دار الجيل، ط١].

(٤) الصحاح (٥/٢١٣٨) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٥) انظر: لسان العرب (١٣/٢٢٠) [دار صادر].

(٦) نقلًا عن مجموع الفتاوى (٤/١٨٠) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

وقال ابن تيمية: «السُّنَّة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا، واقتصادًا، وقولًا، وعملًا»[١].

وقيل: «السُّنَّة طريقة الرسول ﷺ»[٢].

وقيل: «السُّنَّة هي الطريقة المتبعة، قد يكون ذلك واجبًا ومستحبًا»[٣].

والسُّنَّة عند المحدثين: هي ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقيّة أو خُلُقيّة أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٤].

والسُّنَّة عند الأصوليين: ما صدر عن رسول الله ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير[٥].

وفي اصطلاح الفقهاء: السُّنَّة ما يُثاب فاعُله، ولا يُعاقب تاركه[٦]، فهي بمعنى النافلة والمندوب[٧]، وقال ابن حجر: «هو ما ثبت دليل مطلوبيته من غير تأثيم تاركه»[٨].

وتطلق السُّنَّة على ما سَنَّه الرسول ﷺ وشرعه من العقائد، وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب (كتاب السُّنَّة) كالسُّنَّة لعبد الله بن أحمد، والخلال، والطبراني، والسُّنَّة للجعفي، وللأثرم، وغيرهم ممن صنفوا في هذه الأبواب، وسموا ذلك كتب السُّنَّة؛ ليميزوا بين عقيدة أهل السُّنَّة وعقيدة أهل البدعة[٩]. وبهذا المعنى تطلق السُّنَّة في مقابلة البدعة؛ فيقال: فلان على سُنَّة، إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا[١٠].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

السُّنَّة في اللغة: عامة هي السيرة والطريقة، وخصصها الشرع بطريقة الرسول ﷺ وسيرته.

الأسماء الأخرى:

الأثر، الحديث، الشريعة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١١١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) الحاوي في فقه الشافعي (١٣/ ٤٣٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ]، وانظر: المبسوط للسرخسي (١٢/ ٨) [دار المعرفة]، وفتح الباري (٢/ ٣٠٥) [دار الفكر].

(٤) انظر: السُّنَّة ومكانتها في التشريع (٦٥) [دار الوراق، ط١]، وأفعال الرسول للأشقر (١/ ١٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٧هـ]، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض السلمي (١٠٣).

(٥) انظر: الموافقات (٤/ ٢٨٩) [دار ابن عفان، ط١]، وإرشاد الفحول (١/ ١٨٦) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢١هـ]، ومعالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة لمحمد الجيزاني (١٢٢) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٦هـ].

(٦) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢/ ٨١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٧) انظر: أفعال الرسول للأشقر (١/ ١٩)، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (١٠٣).

(٨) فتح الباري (٧/ ١٥٩) [دار المعرفة].

(٩) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧) بتصرف.

(١٠) انظر: الموافقات (٤/ ٢٩٠).

الحكم:

اتباع سُنَّة الرسول ﷺ واجب، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع، يقول الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السُّنَّة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام»[(١)].

وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة تأمر بطاعة الرسول، وتنهى عن معصيته، وتحذر منها، وتجعل طاعته من طاعة الله، ومعصيته معصية لله، وتربط محبة الله عز وجل باتباعنا لرسوله ﷺ، ونصت بعض الأدلة على أن العمل من غير متابعة للرسول ﷺ مردود على صاحبه؛ بل تنفي الإيمان عمن لا يتبع الرسول، وتعلن براءة الرسول ﷺ منه. فاتباع سُنَّة الرسول ﷺ من أوجب الواجبات، وهو شرط لقبول العمل وصحته، وقد استفاضت الأدلة على ذلك، وجمعها السلف في مصنفاتهم في باب طاعة الرسول والتزام سُنَّته[(٢)].

المنزلة:

السُّنَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع. يقول الشوكاني: «الحاصل أن ثبوت حجية السُّنَّة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام»[(٣)].

الأهمية:

اتباع الرسول ﷺ، والتزام سُنَّته وما جاء به من الشرع؛ جوهر الدين وحقيقته، ولا يمكن الالتزام بالدين وتطبيقه إلا من خلال اتباع سُنَّته ﷺ، فهو طريقنا لمعرفة شرع الله، وتفاصيل الدين والعبادة، ويمكن تلخيص أهمية اتباع الرسول ﷺ **بما يلي:**

١ ـ أن الرسول ﷺ هو الذي يبلغنا عن الله عز وجل، فهو سبيل معرفة شرع الله ودينه.

٢ ـ أن الإيمان مربوط بطاعة الرسول ﷺ وتحكيمه، وتحكيم سنته.

٣ ـ أن الله عز وجل قد ربط محبتنا له سبحانه وتعالى باتباع النبي ﷺ، فهو دليل محبتنا لله عز وجل، وسبيل محبته جل وعلا لنا.

٤ ـ أن سُنَّة الرسول هي الصراط المستقيم الذي أُمرنا باتباعه، والاعتصام به.

٥ ـ أن اتباع سُنَّته ﷺ فيه تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

(١) إرشاد الفحول (١/١٨٧).

(٢) انظر على سبيل المثال: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (١/٢١٥ ـ ٢٦٩)، والشريعة للآجري (٤٥ ـ ٥٤) [طبعة أنصار السُّنَّة المحمدية]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (١/٧٦ ـ ١٠٦) [العبيكان، ودار طيبة].

(٣) إرشاد الفحول (١/١٨٩).

٦ ـ أن السعادة والهدى والفلاح والكمال في اتباع سنته ﷺ، وأن ضرورة الرسالة للعباد فوق كل ضرورة، فلا قيمة للحياة بدون الرسالة؛ بل هي التي أضفت المعنى الحقيقي للحياة.

الأدلة:

لقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه[1]، ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران]، وقوله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن كثير: «قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله. وهذا أمر من الله ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسُّنَّة»[2].

وكان ﷺ يقول في خطبته: «**إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[3].

وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي**»[4].

وغيرها من الأدلة.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: وجوب اتباع ما صح من سُنَّته ﷺ دون تفريق بين متواتر وآحاد:

الحديث المتواتر هو: ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم، من أول السند إلى آخره[5]، وقيل: هو ما رواه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة عن مثلهم، وأسندوه إلى حس[6].

والآحاد: ما عدم شروط التواتر أو بعضها[7]، وأكثر الأحاديث من هذا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/١٠٣).
(٢) تفسير ابن كثير (١/٥١٨) [دار التراث].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٦).
(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٤)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسَّنه، وأحمد (٢٨/٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).
(٥) انظر: تدريب الراوي (٢/١٧٦) [مكتبة الرياض الحديثة]، ونزهة النظر (٩) [دار الجيل].
(٦) انظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (١٠٥).
(٧) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/١٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٠هـ]، نزهة النظر (١٣).

النوع. وجماهير أهل العلم على الاحتجاج به، لا يخالف فيه أحد من أهل السُّنَّة[(١)]، قال ابن عبد البر: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار، فيما علمت، على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به، إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعدّ خلافًا»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: السُّنَّة بمعنى العقيدة لها أسماء بنفس المعنى؛ كالشريعة في أحد معانيها، وأصول الدين، ويسميها البعض الفقه الأكبر[(٣)]:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسُّنَّة تذكر في الأصول والاعتقادات، وتذكر في الأعمال والعبادات، وكلاهما يدخل فيما أخبر به وأمر به، فما أخبر به وجب تصديقه فيه، وما أوجبه وأمر به وجبت طاعته فيه»[(٤)].

وقال أيضًا: «فالسُّنَّة كالشريعة هي ما سَنَّه الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سَنَّه وشرَّعه من العقائد، وقد يراد به ما سَنَّه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما»[(٥)].

۞ الثمرات:

١ ـ أن في اتباع الرسول ﷺ صلاح العباد، وفلاحهم، وسعادتهم، واستقامة أمور معاشهم.

٢ ـ أن في متابعته ﷺ دخول الجنة بفضل الله ورحمته.

٣ ـ أن العزة والرفعة باتباع سُنَّته، والذلة والإهانة والصغار على من خالف أمره[(٦)].

٤ ـ أن اتباع سُنَّته ﷺ يعصم من الاختلاف والتنازع والافتراق.

٥ ـ أن سُنَّته ﷺ تعصم من الضلال، فهي عين الهداية.

٦ ـ أن في سُنَّته ﷺ تمام مكارم الأخلاق وفضائلها.

۞ مذهب المخالفين:

المخالفون صنفان:

صنف: أنكر حجية السُّنَّة كلها، ومن هؤلاء غلاة الرافضة، بينما لم يقبل الشيعة إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو من نسبوهم إلى التشيع[(٧)]، كما ظهر بين المسلمين

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٨ ـ ٤٩)، وانظر: نفس المصدر (١٨/ ٤٠)، ومختصر الصواعق (٢/ ٤٧٨) [دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥].

(٢) التمهيد (١/ ٢) [الطبعة المغربية، ١٣٨٧هـ].

(٣) انظر في هذا: مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

(٤) النبوات (١/ ٣٢٩) [أضواء السلف، ١٤٢٠هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٤).

(٧) انظر: دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين لأحمد جلي (٢٤٠) [مركز الملك فيصل للبحوث، ط٢، ١٤٠٨هـ]، والقرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة =

قوم سموا أنفسهم بالقرآنيين ادعوا أن الشريعة لا تؤخذ إلا من القرآن، وأن المسلمين ليسوا بحاجة إلى السُّنَّة. وصنعوا من فهمهم المجرد للقرآن تركيبة شرعيّة في الطهارة والصلاة والزكاة والحج وغيرها، يعلم المطلع عليها يقينًا أنها مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه[1]. وقولهم ظاهر البطلان، ويرد عليهم بما سبق من أدلة.

الصنف الثاني: من يبطل حجية أخبار الآحاد في العقيدة، حيث ذهب جمهور المعتزلة، والأشاعرة ومن وافقهم من أهل الكلام إلى أن المتواتر فقط هو ما يفيد العلم، أما خبر الآحاد فهو مفيد للظن، لذا يردون أخبار الآحاد في العقيدة[2]! والحق الذي عليه أهل السُّنَّة الاحتجاج بما صح من خبر الواحد، وأنه يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم، قال شيخ الإسلام: «والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر، يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة. وأيضًا فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقًا له أو عملًا بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر؛ لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض، ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد، وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة، تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ»[3].

المصادر والمراجع:

١ ـ «السُّنَّة»، لابن أبي عاصم.

٢ ـ «السُّنَّة»، لعبد الله ابن الإمام أحمد.

٣ ـ «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.

٤ ـ «أفعال الرسول» (ج١)، لمحمد الأشقر.

٥ ـ «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمناع القطان.

٦ ـ «خبر الواحد وحجيته»، لأحمد الشنقيطي.

= لخادم حسين (٧٨ ـ ٨٠) [مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٩هـ].

(١) انظر: أفعال الرسول للأشقر (١/١٩)، وانظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة، والسُّنَّة ومكانتها في التشريع (١٦٥ ـ ١٨٩).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٧٦٦) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وأساس التقديس للرازي (٢١٥) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ]، والماتريدية دراسة وتقويمًا (١٧٧) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/٤٨ ـ ٤٩)، وانظر: نفس المصدر (١٨/٤٠)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٧٨).

٧ ـ «السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، لمصطفى السباعي.

٨ ـ «شروط قبول العمل»، لآمال العمرو [بحث محكم].

٩ ـ «القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة»، لخادم حسين.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٩)، لابن تيمية.

١١ ـ «محبة الرسول بين الاتباع والابتداع»، لعبد الرؤوف محمد عثمان.

١٢ ـ «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنَّة»، للسيوطي.

السواد الأعظم

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والواو والدال أصلٌ واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويُشتق منه، فالسواد في اللون معروف وسواد كل شيء شخصه، والسواد: العدد الكثير، وسُمي بذلك؛ لأن الأرض تسوادُّ له»[1].

والسواد الأعظم: الجماعة من الناس[2].

التعريف شرعًا:

المراد بالسواد الأعظم: سلف الأمة أصحاب القرون الثلاثة المفضلة؛ الصحابة والتابعون وأتباعهم، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، الذين اجتمعوا على الحق والسُّنَّة، واجتنبوا الفرقة والبدعة[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي أعم، وقد خصه الشرع بمن كان على الحق والسُّنَّة، ولو كان هو الأقل.

سبب التسمية:

هذا الاسم مأخوذ من قول النبي ﷺ ـ لما ذكر أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ـ: «**كلها في النار إلا السواد الأعظم**» كما سيأتي عند ذكر الأدلة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنَّة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١١٤) [دار الجيل].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ].

(٣) ينظر: شرح السُّنَّة للبربهاري (٣٧) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ]، وشرح الأصول (١/ ٢٤ ـ ٢٦) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٦هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/ ١٤، ٢١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢١هـ]، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (٢/ ٣٣) [دار الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ]، والتحف في مذاهب السلف للشوكاني (٥) [مطبوع ضمن الرسائل السلفية] [دار الكتب العلمية، ١٣٤٨هـ]، وإتحاف الجماعة للتويجري (١/ ٢٦٤) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

الحكم:

الواجب لزوم السواد الأعظم؛ لأنهم المجتمعون على الحق والسُّنَّة.

الحقيقة:

السواد الأعظم: لقب مرادف لبقية ألقاب أهل السُّنَّة، فهم: أهل السُّنَّة والجماعة، وأهل الحديث، والجماعة، والسلف، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فيراد به ما يراد بهذه الألقاب، وهو ما أشار إليه اللالكائي[(١)] وأبو القاسم الأصبهاني[(٢)].

ولا يجوز أن يفسر السواد الأعظم بأنه أغلب الناس، فقد قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(٣)]، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فالسواد الأعظم هم أهل الحق وإن كانوا قلة، ولهذا لمَّا سُئل الإمام إسحاق بن راهويه: مَن السواد الأعظم؟ قال: «محمد بن أسلم ومن تبعه» ثم قال: «لو سألت الجهال من السواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ومن خالفه فيه ترك الجماعة»[(٤)].

قال ابن القيِّم معقبًا على قول ابن راهويه: «وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسُّنَّة داع إليها فهو الحجة، وهو الإجماع، وهو السواد الأعظم، وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[(٥)].

وقال أيضًا: «واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض»[(٦)].

الأدلة:

تقدَّم أن هذا الوصف مأخوذ من قوله ﷺ كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «**افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة**، ـ أو قال: اثنتين وسبعين فرقة ـ **وتزيد هذه الأمة فرقة واحدة، كلها في النار إلا السواد الأعظم**»[(٧)].

---

(١) ينظر: شرح الأصول (١/ ٢٤ ـ ٢٦).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٠٩) [دار الراية].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٥).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٧٠) [دار المعرفة].

(٦) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧) [دار الجيل].

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٣٤، رقم ٦٨) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٣هـ]، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٧٥، رقم ٧٢٠٢) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، والكبير (٨/ ٢٧٣، ٢٧٤، رقم ٨٠٥١، ٨٠٥٣، ٨٠٥٤) [دار إحياء التراث الإسلامي، ط٢]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١١٤ ـ ١١٥، رقم ١٥١، ١٥٢) [دار طيبة، ط٤، =

وقد جاء هذا الحديث بعدة روايات يفسر بعضها بعضًا، ففي رواية جاء التعبير عن هذه الفرقة الناجية ـ السواد الأعظم ـ بقوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[١].

وفي رواية قال: «**وهي الجماعة**»[٢].

أقوال أهل العلم:

قال البربهاري: «فقد بيَّن رسول الله ﷺ لأمته السُّنَّة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله»[٣].

فالصحابة هم السواد الأعظم في وقتهم، وهكذا التابعون[٤]؛ لأنهم على الحق الذي بعث به النبي ﷺ.

= ١٤١٦هـ]، وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٥٨) [دار الكتب العلمية] وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه أبو غالب وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجال الأوسط ثقات، وكذلك أحد إسنادي الكبير».

وإسناده حسن. انظر: ظلال الجنة (١/ ٣٤).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، ٤٥٩٧)، وأحمد (٢٨/ ١٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٧٦) [المكتب الإسلامي، ط١]، وحسَّنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٠٥)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضع السابق.

(٣) شرح السُّنَّة (٣٧).

(٤) ينظر: حاشية كتاب التوحيد (٤٣) [ط٤، ١٤١٤هـ]، وبحوث في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة للعقل (١٧) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ].

وقال الإمام الشاطبي بعد أن ذكر الأقوال في المراد بـ(الجماعة): «الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد، سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم العوام فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع؛ لأنهم غير عارفين بالشريعة، فلا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تمالؤوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر، لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد: إن اتباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث؛ بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلّوا، والعوام هو المفارقون للجماعة إن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم»[٥].

وقال سليمان بن عبد الله: «وأما الإجماع المعصوم فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه، وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه»[٦].

(٥) الاعتصام (٣/ ٣١١، ٣١٢)، وينظر: الانتصار لأصحاب الحديث (٧٣) [دار أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ]، والحجة في بيان المحجة (٢/ ١٥١).

(٦) تيسير العزيز الحميد (٢٣٥) [دار المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٠٨هـ].

وقال ابن قاسم: «فإن الناجي من الأمم هم القليل، ولكن هم السواد الأعظم، وإن كانوا أقل القليل، فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة»(١).

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرح السُّنَّة»، للبربهاري.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٣ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٤ ـ «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.

٥ ـ «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.

٦ ـ «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

٧ ـ «التحف في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٨ ـ «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٩ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

١٠ ـ «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

١١ ـ «المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

(١) حاشية كتاب التوحيد (٤٢ وينظر: ٤٣).

السَّيِّد

التعريف لغة:

السَّيِّد من: ساد يسود فهو سَيْوِد، فقلبت الواو ياء لأجل الياء الساكنة ثم أدغمت(٢)، قال ابن فارس: «السين والواو والدال أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويشتق منه، وإنما سمي سيدًا؛ لأن الناس يلتجؤون إلى سَواده»(٣). وقال الجوهري: «ساد قومه يسودهم سيادة، وسؤددًا، وسَيْدُودَة، فهو سيدهم وهم سادة»(٤)، ويطلق السيد في اللغة على «الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والرئيس، والزوج، ومتحمل أذى قومه والمقدَّم»(٥).

التعريف شرعًا:

قال ابن القيِّم في إطلاق السيد على الله ﷻ: «السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق»(٦). فالسيد هو «المحتاج إليه

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٢٠) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].
(٣) مقاييس اللغة (٤٩٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٤) الصحاح (٢/ ٢٩٠) [دار العلم الملايين، ط٤].
(٥) النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٢٠).
(٦) بدائع الفوائد (٣/ ١١٧٦) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ].

بالإطلاق»[(١)]، وقال صديق حسن خان:
«لفظ السيد له **معنيان**:

أحدهما: أن السيد هو الذي يكون مالكًا مختارًا بنفسه وحده، ولا يكون محكومًا عليه من أحد؛ بل يكون حاكمًا مستقلًّا بذاته كشأن الملوك في الدنيا، فهذا الأمر إنما هو شأن الله تعالى ليس غيره سيِّدًا بهذا المعنى.

وثانيهما: أن السيد رعوي لآخر، ولكن له فضل على عامة الرعايا، ممتاز منهم بالمزايا، ينزل إليه حكم الحاكم أولًا، ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواسطته»[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنيين ظاهرة، وهي أن لله السيادة المطلقة، وغيره قد يكون سيدًا إلا أن سيادته مقيدة.

سبب التسمية:

«السيد هو الله؛ إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه»[(٣)].

الحكم:

يجب إثبات اسم السيد لله تعالى، ووجوب الإيمان بأن الله هو مالك الخلق أجمعين، وله السيادة المطلقة؛ لثبوت الحديث به.

الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه حقيقة، كما أن بعض معاني تلك الأسماء تطلق على المخلوق حقيقة، لكن الحقيقة تختلف بين الخالق والمخلوق، فكل له حقيقة تناسبه، فبعض الأسماء قد تطلق على الله وعلى العباد؛ كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك، وهي حقيقة في كل منهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به ويتضمن هذا الاسم الكمال المطلق له في المالكية والربوبية واحتياج الناس إليه، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده[(٤)].

الأدلة:

لم يرد إطلاق سيد في القرآن على الخالق، وإنما ورد إطلاقه على المخلوق، كما في قوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران]، وقوله

(١) الأسماء والصفات (١/٦٩) [مكتبة السوادي].
(٢) الدين الخالص للقنوجي (٢/٢٢١).
(٣) تهذيب اللغة (١٣/٣٥).
(٤) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٦).

تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، ولكن لما وقع إطلاقه صريحًا في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم**[(١)] **الشيطان**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

لقد أثبت كثير من العلماء هذا الاسم لله ﷻ، قال ابن مندة: «ومن أسماء الله ﷻ: السيد السلام السميع»[(٣)]. وقال البيهقي: «ومنها: السيد، وهذا اسم لم يأت به الكتاب، ولكنه مأثور عن الرسول ﷺ»[(٤)]. وقال قوام السُّنَّة الأصفهاني: «ومن أسمائه تعالى: السيد»[(٥)]. وقال ابن عثيمين: «ومن سُنَّة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم، الحيي، الرب، الرفيق، السبوح، السيد»[(٦)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم إطلاق لفظ (سيد) على المنافق أو الكافر:

لا يجوز أن يقال للمنافق والكافر سيد؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدًا؛ فقد أسخطتم ربكم** ﷻ»[(٧)]، فالكفرةُ والمنافقون لا كرامة لهم ولا سيادة، وإن حصلت لهم من السيادة الزائفة شيء في بعض الأوقات؛ لأن الشرف والسيادة الحقيقية إنما ينال بطاعة الله تعالى وتقواه؛ والكرامة والشرف والرفعة وعلو الذكر هي أركان السيادة، وإنما هي لأنبياء الله ﷻ وأوليائه، قال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران]، وقال النبي ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[(٨)].

---

(١) لا يستجرينكم: أي: لا يتخذنكم جريًا، والجري: الوكيل، ويقال: الأجير أيضًا. انظر: معالم السنن (٤/١١٢) [المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٠٦)، وأحمد (٢٦/٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٠٠٤)، والضياء في المختارة (٩/٤٦٨) [دار خضر، ط٣]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٧٠٠).

(٣) كتاب التوحيد لابن منده (٢/١٣٢) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٦٦) [مكتبة السوادي].

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٧) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٦) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ]

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٧٧)، وأحمد (٣٨/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه المنذري والألباني. انظر: الترغيب والترهيب (٣/٣٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٣٧١).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨)، وهو عند البخاري أيضًا (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧١٢) بلفظ: «**أنا سيِّد الناس يوم القيامة**».

ـ المسألة الثانية: حكم إطلاق لفظ سيد على المخلوق:

يجوز إطلاق سيد على المخلوق(١)، لقوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران]، وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»(٢)، وقوله ﷺ في سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**قوموا إلى سيدكم**»(٣). ولا تعارض بين هذه الروايات وقوله ﷺ في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا فقال: «**قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**»(٤)، قال ابن الأثير: «كأنه ﷺ كره أن يُحمد في وجهه، وأحبَّ التواضع»(٥).

وقال الخطابي: «السيد الله، يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل، وأن الخلق كلهم عبيد له، وإنما منعهم ـ فيما نرى ـ أن يدعوه سيدًا مع قوله: «**أنا سيد ولد آدم**»، وقوله لبني قريظة(٦): «**قوموا إلى سيدكم**»، يريد سعد بن معاذ، من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة هي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات، فعلّمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلى الأدب في ذلك، فقال: «**قولوا بقولكم**»، يريد: قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبيًّا ورسولًا كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [التحريم: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ولا تسموني سيِّدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدهم؛ إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة، فسموني نبيًّا ورسولًا»(٧).

ويدل على جواز إطلاق (سيد) على المخلوق قوله ﷺ: «**إذا نصح العبد سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين**»(٨)، وقوله ﷺ لبني سلمة: «**من سيدكم؟**»(٩)، وقول عمر رضي الله عنه حيث كان

---

(١) النهج الأسمى (٣/١٤٤ ـ ١٨٤) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٦٨).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/٨١٩) [دار المعرفة].

(٦) والصحيح ـ والله أعلم ـ: للأنصار، أو الخزرج؛ لأن سعد بن معاذ رضي الله عنه لم يكن قرظيًّا.

(٧) معالم السنن (٤/١١٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب العتق، رقم ٢٥٥٠).

(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١) [دار البشائر، ط٣]، والحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٩٦٥) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٢٢٧) [مكتبة الدليل، ط٤، ١٤١٨هـ].

يقول: «**أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا؛ يعني: بلالًا** رضي الله عنهما»[1].

- **المسألة الثالثة: حكم إطلاق السيد (معرفًا) على المخلوق:**

يجوز أن يطلق هذا الاسم على المخلوقين بشرط عدم دلالته على أي من معاني الربوبية أو الألوهية، وبشرط كون المسمى به أهلًا لذلك، مع أمن الفتنة والفساد[2]. قال الشيخ بشير السهسواني: «إطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين جائز لا وجه للمنع منه»[3]. وقد تقدم في المسألة السابقة في قول الخطابي وابن الأثير الجواب عما يظن عدم جوازه استدلالًا بقول النبي ﷺ: «**السيد الله تبارك وتعالى**»[4].

- **المسألة الرابعة: حكم إطلاق السيد على الله عز وجل مضافًا:**

لا يجوز إطلاق السيد على الله تعالى مضافًا، فلا يقال: لله جل جلاله «**سيد الملائكة، أو سيد الناس**»[5]، أو سيد الخلق، ويقصد به أنهم يلجؤون إليه، ويقصدونه في الحوائج لما في ذلك إيهام أنه من جنسهم، وهذا لا يجوز؛ لأن الخالق ليس من جنس المخلوق.

الآثار:

من آثار هذا الاسم العظيم:

١ - أن يدعو الداعي به لأنه المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا للباري جل جلاله ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، وكان حقًّا له جل ثناؤه أن يكون سيِّدًا، وكان حقًّا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم[6].

٢ - أن الإنسان مهما بلغ من السيادة في هذه الدنيا فهو سيادة ناقصة زائلة، فلا ينبغي له أن يتكبر، أو يظلم أحدًا ممن جعل الله له عليه السيادة؛ لأن السيادة الكاملة الحقيقية السرمدية لله عز وجل، وسيادته ناقصة زائلة.

٣ - من آثار اسم الله السيد التعلق بالله وحده خوفًا ورجاءً، واستعانة وتوكلًا؛ لأنه المالك المتصرف المدبر لشؤون عباده، قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٥٤).

(٢) إطلاق لفظ السيِّد ليوسف السعيد [بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية].

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني (٥٣٥) [المطبعة السلفية، ومكتبتها، ط٣].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) روح المعاني (١٦/ ٤٩٠) [دار الفكر].

(٦) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٩).

﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: ٥٦]، وبالتالي يزول الخوف والتعظيم من قلوب الناس نحو سيدٍ من البشر الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أن يملكه لغيره، فلا يذل له ولا يخضع، وإنما يذل لله وحده السيد الصمد(١).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «إطلاق لفظ السيد»، ليوسف السعيد [بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية].

٣ ـ «إيثار الحق»، لابن الوزير.

٤ ـ «بدائع الفوائد» (ج٣)، لابن القيِّم.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للأصفهاني.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٩ ـ كتاب «التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

١٠ ـ «المحلى» (ج٨)، لابن حزم.

(١) انظر: ولله الأسماء الحسنى (٩٧٥) [شبكة نور الإسلام]

الفهرس